غير مخصص للبيع

الفيصل

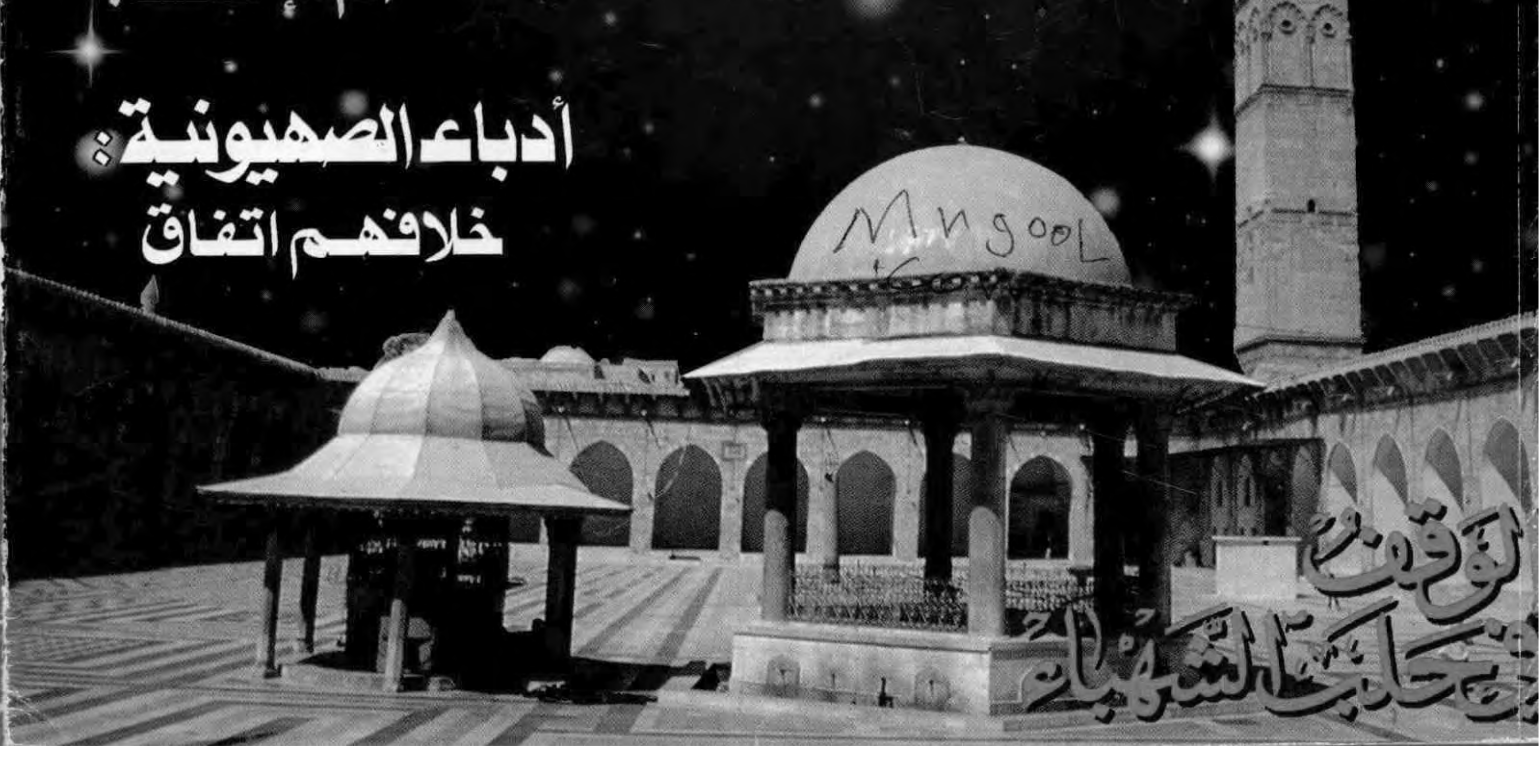
مجلة ثقافية شهرية - العدد (٢٠٤) - جمادي الآخرة ١٤١٤هـ (نوفمبر - ديسمبر) ١٩٩٣م
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE (204) NOV./DEC. 1993

النجوم من الولادة إلى الممات

عبدالعزيز الرفاعي: النقد عندنا صمت أو هدير!

حداثة لإثراء الذات أم لإلغائها؟

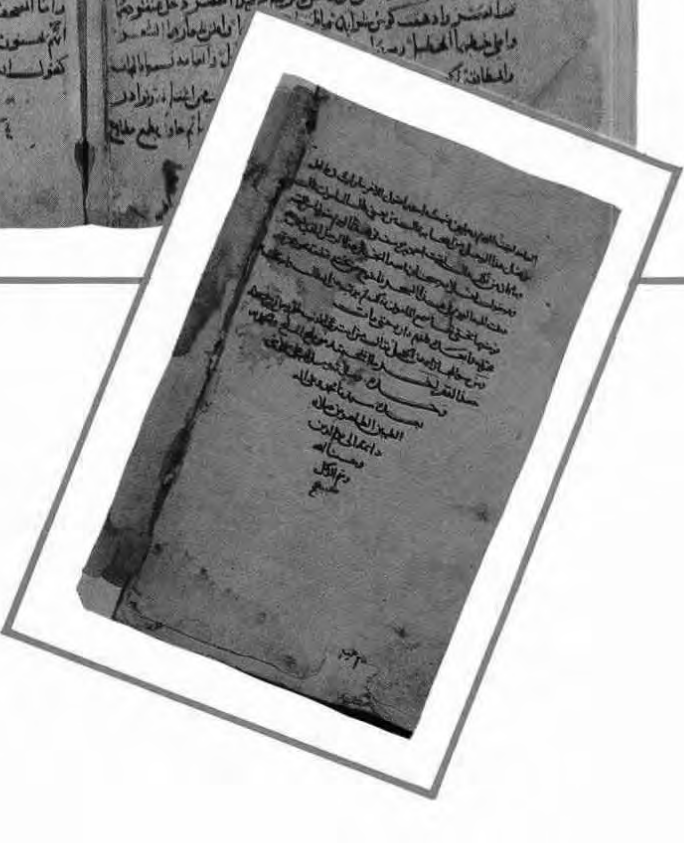
أدباء الصهيونية: خلافهم اتفاق



لوقف
جنبات الشهباء







في هذا العدد

مجلة الفيصل العدد (٢٠٤) — جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ السنة (١٧) — نوفمبر (تشرين ثاني) ديسمبر (كانون أول) ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

تصدر عن

دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

PUBLISHED BY

AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

رئيس التحرير

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١

المملكة العربية السعودية

هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٤٧٨٨٤

فاكسملي : ٤٦٤٧٨٥١

● أسعار بيع النسخ :

المملكة العربية السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلسا ـ الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلسًا ـ سلطنة عمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ الجمهورية اليمنية ٢٥ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٣ جنيهات ـ المغرب ٦ دراهم ـ تونس ٦٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٢٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنكًا ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية.

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا، لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعوديًا، ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل».

● الاعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

إطلالة

وفي الماضي لمن بقي اعتبار !

إن العطاء الحضاري للمسلمين في الأندلس يشغل مكانة سامقة في مسيرة الحضارة الإنسانية، وذلك لما له من إسهام مباشر وفعال وبصمات واضحة وقوية في النهضة العلمية والفكرية في أوربا، ومن ثم تأسيس المدنية المعاصرة.

فالأندلس كان لها الفضل الأكبر في تقديم خلاصة الفكر الإسلامي في العلوم والفنون والآداب وغيرها إلى أوربا، من خلال دورها كمعبر من المعابر الثلاثة التي انتقلت عليها هذه الحضارة إلى القارة الأوربية.

وهذا العطاء الحضاري الذي امتد ثمانية قرون من الزمان، لم ينل بعد ما يستحق من بحث ودراسة، وجُل الدراسات التي تناولته قام بها علماء أجانب، وقد وقع الكثيرون منهم أسرى لأهواء النفس وتأثيرات الانتماء العرقي والديني، فاصطبغت رؤيتهم لدور المسلمين وعطائهم الفكري والعلمي في الأندلس وتأثيراته على الحضارة الإنسانية بصبغة التجني والتحامل، مما يُحجِّم هذا الدور ويقف به عند حدود النقل دون أن يتخطاه إلى الصنع والإبداع.

ولعل من أبرز شواهد التاريخ الإسلامي بالأندلس التي لا يستطيع أن ينكرها إلا متجنٍ؛ ذلك التسامح الذي كفل للجميع حرية العبادة والفكر، حتى إن سماحة الإسلام أنقذت كثيرًا من المسيحيين الرافضين للمذهب الكاثوليكي من الاضطهاد الذي كانت تمارسه الكنيسة لفرض هذا المذهب بالقوة والجبر، وكان تعصب النصارى الديني ينزل اليهودي منازل الذل والدونية، فكان لا يخرج من حيه (الجيتو) إلا ماشيًا ومعلقًا خشبة في رقبته ليعرف الناس أنه يهودي، وكان عليه المشي على يسار الطريق، وإذا اجتاز بلدًا مسيحيا نزل عن دابته أو عربته وترجل، هذا اليهودي المضطهد شملته إنسانية الإسلام وفتحت أمامه أبواب العلم واسعة بعد طول وصد، حيث كان مسموحًا لغير المسلمين بحضور دروس العلم والمعرفة التي تُعقد في الجوامع، فبرعوا في علوم اللغة العربية والفلك والكيمياء والطب وغيرها.

وأدى تعنت الكنيسة وتجبرها إلى تعطيل الفكر ورفض منهجية العلم ورمي كثير من العلماء بالكفر والزندقة لابتداعهم نظريات علمية رأتها الكنيسة خرافات وبدعا، وكان هذا التعنت سببا في بروز مصطلح المتطرف أو الأصولي لأول مرة (Fundmentalists) كما وصفه أحد أقدم المعاجم الفرنسية منذ مئات السنين

وفي ظل تسامح المسلمين، ومن خلال تطبيق المنهج العلمي التجريبي الذي وضعوا أسسه ومعاييره، راح المسلمون في الأندلس يبدعون في كل مجالات العلوم والمعارف، حتى تكوَّن لهم رصيد معرفي وحضاري ضخم لم يسبقهم إليه أحد، في الوقت الذي كانت فيه أوربا غارقة في ظلام القرون الوسطى، ذلك الظلام الذى كاد يغمر كل تراث إنساني لولا ما قام به المسلمون من ترجمات لعلوم الحضارات اليونانية والرومانية والهندية.

وقد تميز الإنجاز الحضاري للمسلمين في الأندلس بارتياد آفاق جديدة في دنيا العلم والفكر، وبروز علماء أفذاذ ظلت مدارس أوربا وجامعاتها تنهل من علومهم الثرة التي خلفوها حتى وقت قريب. ودون استرسال في إعطاء أمثلة، فإن ابن سينا أول من اكتشف جدري السل وأهم كتبه (القانون)، و ابن الخطيب أول من كشف سر انتشار الطاعون في أوربا، وأبا القاسم الزهراوي طبيب جراح نابغة معروف في أوربا بـ (ABULCASIS) وكان لكتابه (التصريف لمن عجز عن التأليف) أثر بالغ وظل يدرس في جامعة اكسفورد حتى عام ١٧٧٨م، وحنين بن اسحاق أول متخصص في جراحة العيون ومؤلفه (كتاب المسائل للعين)، وجابر بن حيان المعروف بأبي الكيمياء، اكتشف أحماضًا كثيرة منها حامض الكبريتيك، وأهم مؤلفاته (الخواص)، والفرغاني هو صاحب (كتاب المدخل إلى علم الأفلاك) الذي أفاد منه كولومبس في رحلة اكتشاف العالم الجديد، وابن البيطار وصف في كتابه (المغني في الأدوية) عدة مئات من النباتات ورتبها ترتيبا أبجديا، وعبد الرحمن الناصر أنشأ حديقة نباتية عظيمة خصصت للنباتات الطبية وأمر بالبحث عن جذور نباتات جديدة في كل البلدان، وابن ماجد له مؤلفه المعروف (الفوائد في أصول علم البحر)، وابن رشد ظل كتابه (مقاصد الفلاسفة) مرجعا مهما في هذا العلم، وعباس بن فرناس أول رائد طيران، وهناك علماء آخرون ذوو علوم ومعارف موسوعية لا يسع المجال ذكرهم.

ونتيجة لهذا التراكم المعرفي صارت اللغة العربية لغة العلم والحضارة مما جعل الغرب ينظر إلى المسلمين وعلومهم نظرة إجلال وتقدير.

وقد وفد طلاب العلم من أوربا لينهلوا من هذه المعارف العربية مما أدى إلى بروز حركة ترجمة نشطة، قادتها مدارس متخصصة، كانت أهمها مدرسة طليطلة التي أنشأها رئيس الأساقفة ريموند الأول، ولكن لم تكن الأمانة العلمية متوخاة في كل ما ترجم، إذ لازم هذه الترجمة انتحال الكتب العربية، ونسبتها إلى علماء الإغريق وغيرهم، وكتاب حنين بن إسحاق في العين مثال على ذلك إذ نُسب إلى جالينوس اليوناني، حيث تم اكتشاف هذه الحقيقة في أوائل هذا القرن، وكان اليهود، في إطار الحركة الصهيونية، طليعة الذين قادوا حملات التغييب والطمس حتى بلغت بهم الجرأة في الإثم مبلغًا عظيمًا حين استعاضوا عن الآيات القرآنية بنصوص توراتية في المؤلفات العربية التي قاموا بترجمتها؛ بل إن التراث الفني المعماري للمسلمين في الأندلس لم يسلم من الانتحال والتشويه رغم وضوح ما يحمله من خصائص مميزة للهندسة المعمارية والفن الإسلاميين، حيث يُقدم هذا التراث للسائحين على أنه من إبداع اليهود والنصارى.

وهذا التشويه يوجب على علماء المسلمين المهتمين بالدراسات الأندلسية أن يظهروا حقيقة الإسهام الحضاري للمسلمين، وما أضافوه إلى علوم الروم والإغريق بعد أن استوعبوا ما فيها، وعليهم أن يقوموا بجلاء الفترات الزاهرة من هذا التاريخ التي تعرضت لمحاولات الإخفاء والمحو التامين، فتاريخ المسلمين بالأندلس مترع بالعبر والعظات التي نحن أحوج ما نكون إليها في هذه الأيام.

إن التشويه والطمس لتاريخنا الإسلامي في الأندلس يأتي في إطار حملة أشمل تستهدف الإسلام ووجوده الحضاري، وتمثل محاولات الإبادة التي يتعرض لها حاليا مسلمو البوسنة والهرسك أكثر صور تلك الحملة سفورًا وعلانية.

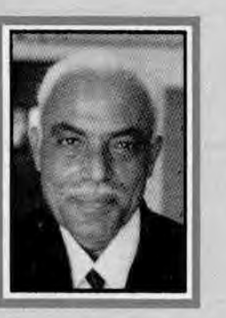
إن هذا الواقع المرير الذي تتلازم فيه محاولات الإبادة مع مقررات التغريب والغزو الثقافي يفرض على علماء المسلمين الجد في البحث عن صياغة جديدة لتاريخنا وثقافتنا، تخلصهما من كل زيف ألحقه بهما المرجفون من أعداء الإسلام، على أن تكون هذه الصياغة موضوعية ومنهجية لا تفسدها الدفاعية والتشبث بالأنا، وتستخدم لغة العصر وأساليبه في الإقناع، ويكون هدفها الأصيل ربط الناشئة والشباب بتاريخ أمتهم، بعد تمحيص يجلي كل غموض قد يكتنفه، ويزيل أغلاط المؤرخين بالتحقيق المستفيض في كل ما كتبوه، حتى يكون المنهل عذبا مستساغا غير آسن.

وهذا التمحيص منهج عربي أصيل، كان ابن خلدون أول من نادى بتطبيقه في دراسة التاريخ حيث يقول في مقدمته: «ولا تثقن بما يُلقى إليك، وتأمل الأخبار واعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تمحيصها».

ونأمل أن تكون ندوة «الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات» التي عقدتها مؤخرًا مكتبة الملك عبد العزيز العامة، بالرياض، بداية للتمحيص والوصل مع الأندلس وأخواتها من حواضر المسلمين التي تشهد بعظمة ما أنجز وتحقق في ظل الإسلام وسماحته على مدى أربعة عشر قرنًا، ويمثل التجاوب المشكور والكبير للعلماء من العرب والأجانب دافعا لهذا الأمل، وهذه الندوة ومثيلاتها واحدة من ندوات عدة تبنتها هذه المكتبة برعاية وتوجيه مؤسسها صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ـ حفظه الله ـ، وهي لا شك تجسيد لتوجه أصيل عرفت به بلادنا يرمي لتوكيد الأسس والمقومات الراسخة لأمتنا العربية، والإسلامية، وسيظل هذا العمل ـ بأمر الله ـ عملاً يُذكر فيُشكر للمكتبة والقائمين عليها.

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

الفراغ الروحي .. تجارة!



بقلم:
د. حسن ظاظا

الإنسان اجتماعيّ بالغريزة. والفراغ ـ سواء أكان ماديًا أم روحيًا ـ يزعجه ويخيفه ويضطره أحيانا إلى حلول غير حكيمة ليملأ هذا الفراغ. ما لا يحصى من الزيجات الفاشلة كان وراءها سعي إلى ملء فراغ ما في الحياة، وكثير من العصابات الإجرامية ربط بين أعضائها خوفُ الفراغ عند مواجهة الخطر، والألعاب كلها جماعية لارتياح البشر إلى التجمّع، حتى من يعزفون أو يغنّون، وحتى فرق الرياضة، بل الحلقات المتسترة للشراب أو لعب الميسر، عندما يقع بعض أفرادها أمام التحقيق، لا يكاد يذكر دافعًا إلى ما فعل إلاّ الوحدة. وخالق الإنسان الذي يعلم ما توسوس به نفسه، أوجد الدواء لهذا في الأديان التي تعاقبت على البشر، الإيمان لملء الفراغ الروحي، والعبادات الجماعية لملء الفراغ المادي، والشرائع الخاصة بالأسرة والعشيرة والتعامل بين الناس بعضهم بعضا لملء الفراغ الاجتماعي، بمأمن من الانحراف، أو العدوان.

لكن كان البشر يُصابون بالانحراف والخروج عن الجّادة. ومن الذين حازوا البطولة في هذا الميدان المملوء بالمزالق بنو إسرائيل. فتعددت عندهم الطوائف والفرق والأهواء منذ أقدم العصور، وصارع بعضها بعضا، وحالف بعضها أعداء أمتهم نكاية في الآخرين، بل كفر كثير منهم، وتطرّف آخرون وتنطّعوا ليأخذ كل فريق طابعا معينا يمتاز به. عبدوا العجل في صحراء سيناء، وموسى بجانبهم يناجي ربه على جبل الطور، واشتعلت العداوة بين يهود الشمال (السامرة) ويهود الجنوب (يهوذا). ومع الزمن والنكبات المتعاقبة في فلسطين، وفي الشتات في أرجاء الأرض، عرفوا الكثير من التفرق والتشرذم والنزاع، فظهرت طوائف الصدوقيين ـ الذين لعنهم المسيح؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، كما جاء في الإنجيل ـ والعزيزيّين المتشددين في ظاهر الشريعة المتجاهلين لجوهر الإيمان، والكتبة الذين احتكروا كتابة النصوص المقدسة فشوهوها وحرّفوها، والغيورين (القنّائيم) وهم الإرهابيون القتلة، صهاينة الزمن القديم، والأطباء (الأُساة) الذين اعتزلوا كل هذه الغوغاء وتفرغوا لإقامة الدين في قومهم مجانًا، ومداواة مرضاهم بأجر، قائلين ـ على سبيل الدعاية والإعلان ـ إن المثل الأعلى لرجل الدين أن يكون طبيبا للأرواح والأبدان في آن واحد، والكهنة المنجمين الذين اشتهر منهم صمويل بعد موسى بنحو أربعة قرون، وهو أول من سُمّي نبيّا في بني إسرائيل (لأن موسى كان يسمى «رجل الله» أي رسول الله)، والربانيين أو الربّيين، وهم (حزب الوسط) في هذه المعمعة. ثم يدور الزمن وتتعدد الطوائف اليهودية وتتضاعف إلى يومنا هذا.

في هذا المحيط الهائج المائج ظهر عيسى بن مريم عليه السلام. وأبقى على الشريعة اليهودية في دينه مع تكميلها بما يتطلبه زمانه، وما كان اليهود قد أضاعوه منها. ورأى المسيحيون الجدد أن الحواريين من قوم عيسى كانوا قبله من اليهود، فاكتسبت اليهودية بكل تراثها منزلة في نظر جمهور المسيحيين في ذاك الوقت، وكان يتألف من العبيد والمستعبدين في مستعمرات الإمبراطورية الرومانية، وفقراء اليونان وبلاد الشرق الأدنى وجنوب أوربا.

وظهر الأثر اليهودي في نص ديني اشتهر بين أولئك المسيحيين، مكتوبا باللغة اليونانية ومنسوبا إلى الحواري يُوحَنَّا، أحد رواة الأناجيل القانونية الأربعة: متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا، (وهو غير يوحنّا المعمدان بن زكريا، المعروف عندنا باسم يحيى، ابن خالة المسيح، ونبيّ الصابئة). وقد دخل هذا النص في كتاب الدين المسيحي بجانب هذه الأناجيل الأربعة، وعنوانه باليونانية (أبُو كاليبْس) أي الكشف، ويترجمه المسيحيون من العرب والمستشرقون بعنوان «الرؤيا». وأسلوبه تغلب عليه السّرية والباطنية والغموض، بحيث لا يشبه الإنجيل الذي كتبه يوحنّا في قليل ولا كثير، وعلى الرغم من ذلك، ومما يحيط بالنصّ من شكوك وشبهات، يبقى عنوانه «رؤيا القدّيس يوحنّا» كأنما هو شيء لاشك فيه! ومع ذلك يسأل المونسنيور الإيطالي هنري غالبياتي، أحد كبار رجال الدين الكاثوليك في الفاتيكان، في دراسته للنصوص الدينية المسيحية (ص ٣٩٧ من الترجمة الفرنسية) فيقول: «إن كاتب هذه «الرؤيا» اسمه «يوحنّا» من جزيرة باتموس في بحر إيجة . . . فهل هو يوحنا صاحب الإنجيل نفسه، الذي كتب أيضا ثلاث رسائل دخلت في نصوصنا القانونية؟ إن التقليد القديم عندنا يؤكد هذا. ولكن الاختلاف الكبير في الأسلوب يؤكد العكس، وقد لوحظ هذا الاختلاف منذ زمن بعيد جدا. وما يزال العلماء مترددين. فهناك وحدة في جوهر الفكرة تكفي لجمع النصوص المنسوبة إلى يوحنا ـ وهي خمسة ـ ويمكن أن تُعْزَى إلى «مدرسة فكرية» واحدة، إن صَعُبتْ نسبتها إلى رجل واحد!». وهو كلام عائم فيه محاولة للتهرّب من أسئلة محرجة، أجاب عنها منذ أكثر من قرنين من الزمان المفكر الفرنسي الذائع الصيت فولتير الذي اكتسب بصراحته ودقته عداوة الكنيسة. وما دمنا نقف على أرض محايدة، فلا بأس من أن نذكر رأيه في كتابه (المعجم الفلسفي ـــ ص ٤٦ من طبعة فلاماريون، باريس ١٩٦٤م) إذ يقول: «إن جُوسْتان الشهيد، الذي كان يكتب حوالي عام ١٧٠ مسيحية هو أول من تحدّث عن الرؤيا ونسبها إلى الحواري يوحنا الإنجيلي. ففي محاورته مع اليهودي طريفون سأله هذا الأخير إذا كان يعتقد أن أورشليم (مدينة القدس) ستُشيَّد في يوم من الأيام؟ فأجابه

الفراغ الروحي.. تجارة!

(جُوسْتان) بأنه يعتقد هو وكل المسيحيين المستقيمي التفكير بذلك . « وقد كان بيننا شخص اسمه يوحنا ، أحـد الحواريين الاثني عشر صحابة يسوع المسيح ، وقد تنبأ بأن المسيحيين سيقضون ألف سنـة في أورشليم » . وكان (عصر الألف سنة) فكـرة واسعة الانتشـار بين المسيحيين ، كما كانت منتشرة عنـد غيرهم من الأمم . فالأرواح عند قـدماء المصريين تعود إلى أجسامها عنـد ألف سنة ، وعند الشاعر اللاتيني (فِرْجيل) تبقى في العـذاب أرواح العصاة ألف سنة أيضا . أما أورشليم الجديـدة المرشحة للبقـاء ألف سنـة ، فستكون لها من البـوّابات اثنتـا عشرة ، ذكرى لـلاثني عشر حواريًّا ، وستكـون مدينـة مكعّبـة طولها كعـرضهـا كارتفـاعها ، مقياس كل منهـا اثنا عشر ألف جريب (حـوالي ٢٠٠٠ كيلو متر بالمقياس اليـوناني) أي ما يعادل خمسمائة مرحلـة . وبهذه الطـريقة تكون العمائر بالارتفاع نفسه ، مما سيزعج الساكن في الطابق العلوي بعض الإزعاج ! كل هذا مذكـور في رؤيا يـوحنا (٢١) . وإذا كـان جوستـان هو أول من أشـار إلى رؤيا القديس يُوحنّا فقد رفض بعضهم شهادتـه بدليل أنه في حواره هذا مع اليهودي طريفُـون يقول نقلا عن الحواريين : إن يسوع المسيح عنـد نزولـه من السماء في نهر الأردن أخذ مـاءُ هذا النهـر في الغليان ! وانـدلع فيه اللهيب ! وهـو أمر غير معروف بالمرة في كتابات الحواريين .

والشهيد جُوستان نفسـه هو الذي ينقل نبوءات الساحرات اليـونانيات من الكفّار ، وهو الذي يدّعي أنه قد رأى أطلال المساكن الصغيرة التي اعتكف فيها كهنـة اليهود الاثنـان والسبعون لترجمة العهد القديم إلى اللغة اليونـانية في منارة الإسكندريـة ، وذلك في عهد هيرودس ملك اليهود في فلسطين ! فكل ما قـاله جوستان من نقول وأخبار تطعن في عقله ، وتجعله جديرًا بأن يحبس في أحد هذه البيوت الصغيرة !

ويستمـر فـولتير في تحقيق دقيق جـدا في جميع الكتب الـدينيـة والتـاريخيـة للمسيحيين القدماء ، وفي مقررات المجامع الكنسية الكبرى ، فلا يرد ذكر رؤيا يوحنا منسوبا إلى هذا الحواري ، وحتى عـام ٣٦٠ بعد المسيح لـم يرد اسم هذا الكتاب بين الكتب الدينية القانونيـة في مجمع لاوذيقيا . وقبل هذا التاريخ ـ في القرن الثالث المسيحي ـ يذكر الـراهب الإسكندري دنيزوس أن الذي كتب هذا النص رجل يسمى (كِرِنْث) ثم نَحَلَـهُ ليوحنّا ليعطيه هـذه الأهمية . وهي أهمية تجاوزت حدود المعقول ، لما ينطوي عليه النص من اللامعقول ! فأكثر المسيحيين حتى الآن يرون في « الرؤيـا » سجلاً حقيقيا لكل ما كان في الماضي ، وما يجري في الحاضر ، وما سيقع في المستقبل ، وما يكـون وراء المستقبل في أبد الآبدين . حتى السلطة البابوية تؤكد هذا في الكتاب الصادر عنها من تأليف المنسنيور غالبياتي الذي ذكرنـاه .

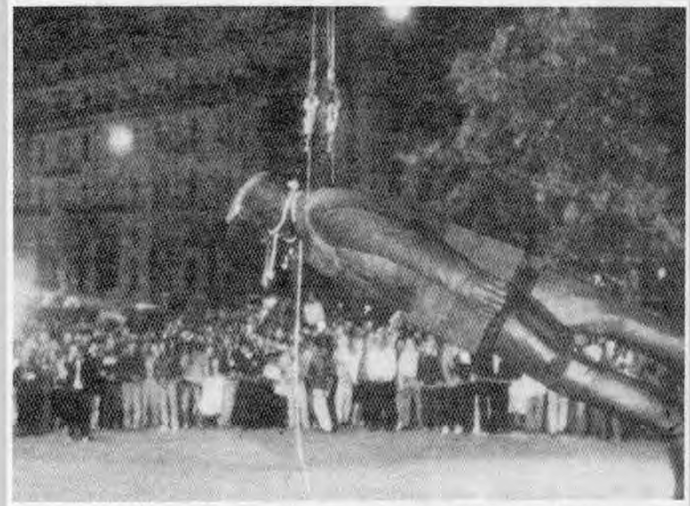
الفرق المنشقة تظهر في الأزمـات

كانت هـذه الرؤيا العشـواء ، إلى جانب التهـويمات اليهودية المنسـوبة إلى أنبيائهم ، مثل إشعيـاء وحزقيـال ودانيال وعـانوس وهُـوشَعَ ، مصدر كثير من الإقبـال على « علم البـاطن » ، حتى رَشَحَ بعضـه على كثير من هواة الـدروشـة والغيبيات في الإسلام . وقد لاحظ كثيرون ممن اهتمـوا بدراسة الفرق المنشقة عن الأديان العُظمى في العالم أنها تكثر في عصـور الأزمـة والخطر المحدق والهزيمة ، ففي كل أزمـة من تلك الأزمـات ظهـر في بني إسرائيل طوائف كثيرة أشرنـا إلى أشهرها في السطور السـابقة ، ولـما كان من الـمُجَمع عليـه أن الرؤيـا المنسوبة إلى الحواري يـوحنـا قـد بـدأ تأليفهـا في القـرن الثـاني أو الثـالث من التـاريخ المسيحي ، وهي فترة عصيبة فيها صفتان ساعدتا على انتشارها :

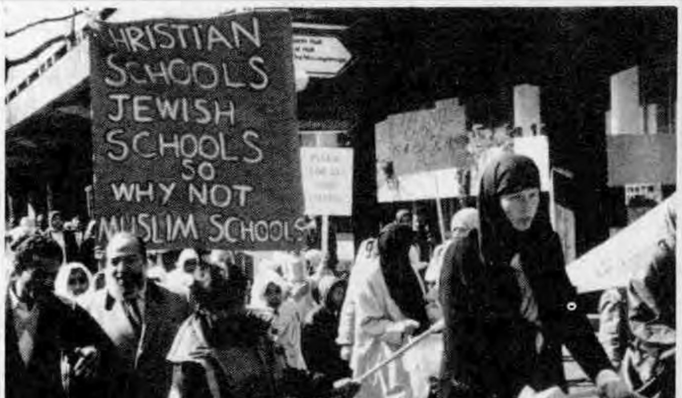
الأولى : أن جمهور الداخلين في الدين المسيحي كـانوا من الفقراء والجهلـة والعبيد .

الثانيـة : أن المسيحية في ذلك الـوقت كانت في نظر الـرومان (طـائفة) من الطـوائف اليهوديـة الكثيرة في الإمبراطـوريـة الرومـانيـة ، وليست دينًا جديـدا مستقلا . وكان الحكّام الرومان قـد ذاقـوا الأمرّين من القلاقل والفتن اليهودية ، ومن التلاعـب بالمصالح العليـا للدولـة لا في الاقتصاد والسياسـة فقط ، بل في الأخلاق ، حتى في قلب روما نفسها ، بالتـوسع في الملاهي الإباحية ، والحانات ودور الدعـارة ، مما أفسد الشباب ذكورًا وإناثًا . فأصبح اليهود هدفًا لاضطهاد الرومان ، والمسيحيـون معهم ؛ لأن الرومان كانوا يـرون أنهم منهم . وهكذا كان ذلك الـوضع أزمـة خطيرة ، أوجـدت أرضـا خصبـة للهـوس الغيبي المتمثل في الرؤيـا ، وفي أسلوبها الغـامض المغلق المطّاط ، الصـالح لأي تفسير وتأويل في كل زمـان ومكـان ، مما جعلهـا منطلقـا للخرافـات والخزعبلات وحسـابـات الطـوالع ومحاولات التجسس على الغيب ، وأصبحت (المرجع) لكل مشـاهير الدجّالين في الغـرب ، وفي مقدمتهم « نوستراداموس » ، منـذ أكثر من أربعمائة عام ، ثم « كاليوسْترو » منذ أكثر من مائتي عام ، وهما إيطاليان . اشتهر أولهما في أزمـة رعب شديدة ، إذ عاش في القرن الذي أعقب سقوط القسطنطينية في أيدي المسلمين الأتـراك ، وتوغل جيـوشهم حتى حـدود النمسا وإيطـاليا ، ودخـول شعوب أوربية في الإسلام مثل ألبانيا وكوسوفو والبوسنة والهرسك ومعظم جزيرة قبرص وجزيـرة مالطة وغيرهـا . والثاني عـاصر الصراعات السياسيـة المريرة بين الدول الغربية لا سيما فرنسا وألمانيا وإنجلترا وهولندا وإيطاليا وبلجيكا ، بسبب الدخـول في عصر الآلات والتصنيع ، والتنافس على استعمار مصادر المواد الأولية والقـوى العاملـة في العالم ممـا أصبح اليوم يسمى (العـالم الثالث) ، ثم اشتعـال الثورات التحرريـة في هذه البلاد : الثورة الفـرنسية ، حروب نابليـون ، النضال من أجل الوحدة في ألمانيا وإيطاليا ، ومن أجل الاستقلال في بولندا واليونان ، مع ما جـرّه هذا من شقـاء وتعاسـة في كثير من طبقات المجتمـع ، أدّى في أوقات متقاربـة جدا إلى ظهـور الإلحاد ، والماركسية ، وحركـة « أحباء صهيـون » روّاد الصهيونية في أوربـا . وخلال تلك الأزمـات تكاثـرت الطوائف ، ثم تضاعف عددها على إثـر الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) ثـم الثانية (١٩٣٩ ـ

الإيمان لملء الفراغ الروحي، والعبادات الجماعية لملء الفراغ المادي، والشرائع الخاصة بالتعامل البشري لملء الفراغ الاجتماعي.



ظهور الماركسية وانحدارها من الأزمات التي تنشأ وتتكاثر من خلالها الطوائف



المغتربون المسلمون : من يحميهم من الزحف الطائفي ؟

١٩٤٥م)، ثم تعاظم الفزع من الأسلحة النووية منذ هيروشيما، والمحاولات الناجحة لغزو الفضاء، هذا الفضاء الذي ظل منذ بدء الخليقة سرًّا مبهمًا، ومرتعًا خصبًا للأساطير.

ووصف الخبراء أسبابًا وظواهر أخرى لتعدد الطوائف في الأزمنة الحالية. فقد كلّف الفاتيكان البابوي لجنة لبحث الموضوع، قدَّمت تقريرها عام ١٩٨٦م، بالاشتراك مع مجلس الكنائس العالمي، والاتحاد العام للكنائس البروتستانتية. وكان البرلمان الأوربي قد سبق بمذكرة تطالب بتشريع شامل يحدّ من تكاثر الطوائف ويقيد نشاطها، وذلك عام ١٩٨٤م، ثم تحركت الحكومة الفرنسية في الاتجاه نفسه، وطلبت تقريرًا تفصيليًا عن نشاط الطوائف قدّم إليها عام ١٩٨٥م وعُرف باسم « تقرير فيفيان ». ومنذ شهور قلائل شغلت الرأي العام في العالم طائفة « الداوديين » في واكو بتكساس في الولايات المتحدة، حيث ادعى أحد الأمريكيين أنه نائب الله في الأرض، وأن روح المسيح وروح داود قد حلتّا فيه، فأباح ما يحرّمه القانون من أشكال الزنا واللواط وانتهاك المحارم والسُكْر واستعمال العنف وتعذيب « المريدين » لترويضهم. وقد اتخذ لطائفته قاعدة في واكو حيث كان يملك مزرعة ضخمة شيد فيها لطائفته قلعة حصينة، بَثَّ فيها الأسلحة والمتفجرات في كل مكان، ثم تسرب أمره إلى الشرطة الفدرالية فحاصرته الأسابيع الطويلة، وطالبته بالاستسلام وهو يرفض، واستعدّت هذه القوات للهجوم فأشعل النار في الحصن، وراح ضحية الحريق نحو مائة شخص فيهم عدد كبير من الأطفال والنساء. وهكذا وجدت أمريكا نفسها في بؤرة الاهتمام بظهور الطوائف وزيادة أعدادها.

دوافع ظهور الطوائف

ويُستخلص من التقارير والدراسات المتخصصة أن لظهور الطوائف (دوافع) أهمها :

١ ـ الدافع الاجتماعي : البطالة، والشعور بالعزلة، والبحث عن انتماء فيه نوع من النشاط. وبداهذا واضحا منذ الأزمة البترولية التي أعقبت الحرب بين إسرائيل والعالم العربي عام ١٩٦٧م، وقسوة الشتاء في أوربا من غير إيجاد ما يكفي من الوقود، وارتفاع تكاليف المعيشة بارتفاع أسعار نقل البضائع والأغذية، مما دعا الكنيسة في أوربا عام ١٩٧٠م إلى التشديد على محاربة الطوائف. وبدأت الأضواء تسلّط على الكثير منها، وفي المقدمة « شهود يهوَه »، وتأتي في مقدمة مجموعة من الطوائف توصف بأنها (يهودية ـ مسيحية) وهي طائفة أمريكية أسسها (تشارلز تيزرَاسِل) على شكل حركة تحمل اسم « برج المراقبة »، ثم « تلاميذ الكتاب » ـ أي الإنجيل والتوراة ـ وأخيرا « شهود يَهْوَه » منذ عام ١٩٣١م. وتقوم الدعوة إلى هذه الطائفة بالمشافهة والزيارة للبيوت، وتوزيع المنشورات. وأساس الدعوة أن الكارثة الكبرى ـ القيامة ـ قد آن أوانها، وأن الخطوات الأولى من فناء العالم قد بدأت في الحرب العالمية الأولى، عام ١٩١٤م حيث كان الشيطان وجنوده على شفا إتمام الفناء الأبدي، لولا تدخل المسيح الذي هزم الشيطان ! ولذا فرضوا على أعضاء الطائفة أن يدرسوا (الكتاب) ويفهموا تفسيره من داعية متخصص (هو عبارة عن مهرّج قد لا يفقه شيئًا من الكتاب). والطائفة تحرّم الاشتغال بالجندية، أو خدمة الحكومة في الوظائف المدنية، كما تحرم العلاج بنقل الدم، والصلاة في الكنائس، فلهم معابدهم الخاصة التي يسمونها (بيت إل) ـ بمعنى بيت الإله بالعبرية.

الفراغ الروحي.. تجارة!

٢ ـ الدافع الإعلامي : معظم هذه الطوائف يقوم على النفاق، إذ تظهر بشكل في العَلَن غير ما هي عليه في السرّ، وبعض هذه الطوائف يبحث عن الدعاية الإعلامية بثمن زهيد، إذ تصل إلى الشرطة شكاوى بأن الطائفة الفلانية تأخذ الأطفال من ذويهم لتربيتهم، وأن هناك مباذل وانحرافات، فتقوم الشرطة بمهاجمة المكان، والقبض على بعض المسؤولين فيه، فيقوم آخرون بالاتصال بالصحف والإذاعة والتلفزيون مستنكرين القبض على أعضاء الطائفة (الأبرياء)، وهكذا تنبثق حملة إعلامية تجارية؛ لأن التجارة هي الأساس في إنشاء هذه الطوائف!

٣ ـ الدافع السياسي : فهناك فلول من الساخطين على نظامهم السياسي في كل مكان، ولكن شدة البطش والقمع في بعض هذه النظم تساعد على التئام هذه الفلول الساخطة تحت ستار عقائدي.

وبعد، فإن إحصاء هذه الطوائف بتعاليمها وتاريخها أمر ـ كما رأينا ـ يشغل أديانًا بسلطاتها، وبرلمانات، وحكومات، ومنظمات دولية، مما يمهد عذري في الاختصار الشديد.

فمن مجموعة الطوائف التي (تتمسّح) بتوراة اليهود (واللعب بالألفاظ هنا غير مقصود) طائفة تسمّي نفسها «حركة الزمان الجديد» وتقصد به عام ٢٠٠٠ الميلادي، وتزعم أن الألف سنة القادمة تقع تحت حكم «برج الدلو» الذي يشهد الناس فيه عودة المسيح على الأرض، وجميع الطاقات معبأة لاستقباله : الطاقة النووية، الطاقة الإشعاعية، الطاقة النارية . . . إلخ. والمتوغل في تعاليم هذه الطائفة يلاحظ بسهولة ارتباطها بالدجل التلمودي أكثر من ارتباطها بالإنجيل، وتتردد فيها شعارات عجيبة مثل : الطاقة، الانسجام والتناسق، الأصداء الوترية، المغيّرات، محولات الجزء إلى الكل . . . إلخ. وتتصل بتلك الطائفة طوائف صغيرة أخرى أخذت شيئًا من الهندوسية وبعض الخيالات من حرب النجوم! وأوجدت فكرة عام ٢٠٠٠ طائفة «أصدقاء الإنسان» التي أسسّها السويسري إلكسندر فرايتاغ عام ١٩٢٠م وأعضاؤها لا يؤمنون بالقيامة، ويفسرون الإنجيل حسب عقيدتهم.

المورمون الأمريكان الذين أسسوا مذهبهم عام ١٨٣٠م، حول شاب مراهق ادّعى أنه وجد كتابًا قديمًا فيه تاريخ (أمّة الله)! وهذا الشاب اسمه جوزيف سميث. وقد بلغ عدد المؤمنين بها أخيرًا أربعة ملايين في بقاع مختلفة من العالم. وهم يعتقدون أن المسيح (انتقل) من فلسطين إلى أمريكا، ويحجّون إلى جبل هناك يقولون إن المسيح قد أقام فيه.

وهناك طوائف تنكر علاقتها بالتاريخ اليهودي، وتصف نفسها بصفة (الصحوة)!

أبناء الله : أمريكان ظهروا في سان فرنسيسكو عام ١٩٦٨م مع دافيد براندت بيرغ. وهم الذين ارتكبوا ـ هم وزعيمهم ـ الانتحار الجماعي كيهود (مَسَادة) فاعتبرتهم من إفرازات التراث اليهودي، خلافًا للباحث الفرنسي «جان فيرنيت» في كتابه عن الطوائف. ويكفي أن نعرف أن مؤسس هذه الطائفة قد غيّر اسمه فصار «موسى داود»! وهي طائفة تدين بالولاء لزعيمها، وتترك الأسرة والأهل ـ والدولة طبعا ـ لتعيش مع الجماعة. وتقول بالتحرر الجنسي، ورفض جميع القوانين في العالم، حتى قوانين التعليم والتربية والأخلاق.

أسرة الحبّ : أمريكية أيضًا نابعة من سابقتها أو منشقة عنها على الأصح عام ١٩٧٧م.

هذا عدا طوائف نابعة من أديان آسيا : الماهيكاري، الكريشنا، اليوغا، مون، براهما كوماري، وتلحق بها طوائف أوربية وأمريكية موغلة في الباطنية وتتظاهر بأنها مسيحية، أهمها :

الوردة الصليبية (أمريكية الأصل، واسعة الانتشار في أوربا)، وتفرّع عنها الوردة الصليبية الذهبية. وأعضاء الطائفتين مهتمون بفلسفة الأعداد وأسرارها. وأترك مئات من الطوائف التي أصبحت مثل السوس تنخر في البناء الإنساني، للربح التجاري.

كيف نحمي المسلمين منهم؟

وأخيرًا، ماذا يطلب منا؟ ولماذا، أما لماذا، فلأن في أوربا وأمريكا ما يقرب من عشرين مليونا من المغتربين المسلمين، تجب حمايتهم من هذا الزحف الطائفي. فرنسا وحدها فيها أربعة ملايين من المسلمين معظمهم عرب من الشمال الأفريقي، وألمانيا فيها أكثر من ثلاثة ملايين معظمهم من الأتراك، وبريطانيا فيها أكثر من مليونين من الهند والباكستان المسلمين، غير إيطاليا، وكندا، والولايات المتحدة، والأرجنتين، وبقية أمريكا الجنوبية، وفي استراليا مهاجرون مسلمون عرب من سورية ولبنان ومصر وغيرها. وفي تلك العزلة الاجتماعية يكون من السهل على هذه الطوائف استقطابهم، لا سيما أن أكثرهم من العاملين البسطاء الفقراء، المحتاجين إلى المساعدة والمساندة الإدارية.

فحبّذا لو أن رابطة العالم الإسلامي هي وجامعة الدول العربية فكّرتا ـ عمليًا وبعيدًا عن المثالية ـ في إنشاء مدارس منظمة ونشيطة للصغار، ومراكز للثقافة والرعاية الصحية والغذائية للجميع، وحبذا لو فتحت أبوابها لأبناء هذه الـمَهَاجر، على قدم المساواة مع المسلمين، دون إرغامهم على اعتناق الإسلام. إن الاتحاد الإسرائيلي العالمي قد بدأ هكذا منذ مائة وخمسين عامًا، وله الآن مئات المدارس في جميع أنحاء العالم، حتى العالم الإسلامي، وله مستوصفاته الطبية ومراكزه لرعاية الطفل. أقول هذا وأنا أتلجلج خجلاً من اتخاذ العدوّ قدوة وهو يقتلنا كل يوم!

الحركة النقدية في المملكة كما يراها عبد العزيز الرفاعي



صورة نعود إلى أوائل الثمانينيات الهجرية حين بدأ الرفاعي ـ يرحمه الله ـ
ندوته الخميسية التي يعتبرها ـ تواضعًا ـ « لقاء » وليس « صالونًا أدبيا »

عبد الكريم يعقوب

« هذا الرجل الهادئ ننعيه كما لم يُنع أديب من قبل في صحافتنا منذ أنشئت »، بهذه العبارة المعبرة لخص أحد الكتّاب(*) الكتابات التي ظهرت في الصحافة السعودية ترثي الأستاذ عبد العزيز بن أحمد الرفاعي (١٣٤٢ ـ ١٤١٤ هـ)، تَذْكُرُهُ بما هو أهل له من سمو الخلق وغزارة العلم وعلو الشأن وطول الباع في مجالات الأدب والثقافة.

والرفاعي ـ يرحمه الله ـ توزع نتاجه الأدبي بين التأليف والتحقيق والكتابة الصحفية وكتابة الشعر. وقد عدّه الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه « الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية » من فحول الشعراء في المملكة، « ولولا زهده في نشر شعره لاحتل مكانة أرفع، ولطار صيته أبعد » (١).

ورغم أن هذا الرأي صرح به صاحبه قبل اثنين وعشرين عامًا، إلا أن أديبًا بارزًا مثل الأستاذ عزيز ضياء لم يتوصل إلى هذا الرأي إلا قبل وفاة الرفاعي بخمسة أشهر، إذ يقول في حديث صحفي نُشر إثر وفاة الرفاعي :

« اكتشفنا في ليلة تكريمه [يعني في نادي جدة الأدبي في شوال ١٤١٣ هـ] أنه يأتي في الطليعة من الشعراء المبدعين، الذين نتساءل : كيف لم تسطع قدرتهم على الإبداع ؟ واتفقنا على أن الأستاذ ربما كان ممن زهدوا في أن تكون لهم شهرة في الإبداع، اكتفاء بما تحقق لهم من الشهرة في الكثير من مجالات العطاء الفكري المتنوع الذي تميز بما يشبه « التخصص » في اكتشاف التراث أو الكشف عنه . . . » (٢).

أما الأستاذ محمد عبد الله العوين فقد عدّ الرفاعي ـ في كتابه « المقالة في الأدب السعودي الحديث » ـ من كتّاب الزوايا في باب اليوميات التي كان يكتبها في جريدة « البلاد »، كما ذكره في معرض مقالات عرض الكتب والمقالة الوصفية (٣). والمعروف أن الرفاعي في سنوات حياته الأخيرة كان قد كتب سلسلة من المقالات بانتظام في كل من : « الجزيرة » تحت عنوان « محطات »، و « البلاد » تحت عنوان « عفو الخاطر »، و « المجلة العربية » تحت عنوان « كناشة الشهر »، و « الفيصل » تحت عنوان « وللحديث شجون ».

وفضلا عن ذلك، فإن الدكتور ناصر سعد الرشيد يعدّ الرفاعي باحثًا محققًا إلى جانب كونه أديبًا رائدًا، ويقول عنه إنه « مما يميز أعمال الأستاذ عبد العزيز أنه يحقق في المسألة تحقيقًا مستوعبًا »، ويعتبر أن من أهم إنجازاته دراساته النقدية والعلمية وما حققه من آثار (٤).

لقد كان الأستاذ عبد العزيز الرفاعي ـ يرحمه الله ـ ذلك كله. لكن ما يستوقف المرء المتابع لإنتاجه الأدبي أن كتاباته في مجال النقد الأدبي كانت محدودة، ولعل السبب في ذلك يعود إلى



الحركة النقدية في المملكة
كما يراها عبد العزيز الرفاعي

كونـه يعتبر النقد موهبة، كالشعر، وهو لا يظن أن الناقد يمكن إعداده. وهنا نصل إلى ملاحظة أخرى هي أن آراءه في النقد كانت قليلـة أيضا، فقلما تجده يتحـدث في محاضرة أو حـديث صحفي عن النقـد الأدبي، ربما لكونه لا يعتبر ذلك مجالـه.

ومن هنا أزعم أن ما ننشره في السطـور اللاحقة عن آراء الـرفاعي في النقـد شيء نـادر، لـه قيمتـه التاريخيـة والتوثيقيـة، وخاصة لـدى قراء الـرفاعي ومحبيه والمهتمين بنتاجه الفكري والأدبي، وعلى نحو أخص لدى الـدارسين والباحثين الـذين سيكتبون عن آثاره وأعمالـه.

كنت قـد وجّهـت إلى الأستـاذ عبـد العـزيـز الـرفاعي ـ يـرحمه الله ـ ثـلاثـة أسئلـة عن الحركـة النقديـة في المملكة العربيـة السعوديـة، وكان ذلك قبل إحدى عشرة سنة، فتكرم بـالاستجابة ووعدني بأن تكون الإجابة خطية. وبعد أيام من لقائي معه حمل إليّ البريد إجـاباتـه. ولما كانت الأسئلـة التي طرحتها عليه عفو اللحظـة التي التقينا فيها، ولـم تكن ضمن برنامج صحفي معين، تمهلتُ في نشر إجاباته. ومرت الأيام واختفت تلك الإجابات وسط أوراقي. وربما كـان من الأسبــاب التي جعلتني أسهو عن نشرهـا أنه تـزامن معها خـلال فترة زمنية متقاربـة أسئلة أخرى طـرحتها عليه حـول التنمية الثقافيـة في المملكـة العـربية السعـودية، فـأجاب مشكـورًا، ونشرت تلك الإجــابــات بالفعــل في حينـه [٥].

ومن حسن الطــالع أنني وجـدت إجــابـات الرفـاعي تلك عن الحركة النقـدية في المملكــة بعد أيام من وفـاته. ولطول العهد بها لـم أعد محتفظًا بالأسئلـة التي طـرحتها عليه، غير أن الإجـابات ـ لوضوحهـا ـ يمكن أن تنبئ عن الأسئلـة. وفيما يلي تلك الإجابـات:

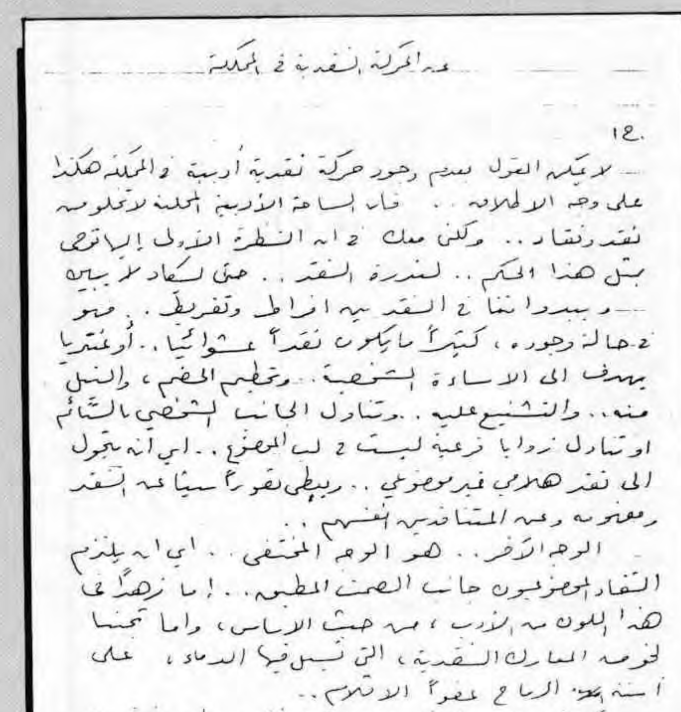
عن الحركة النقدية في المملكـة

ج ١: لا يمكن القول بعدم وجود حركة نقدية أدبيـة في المملكة هكـذا على وجه الإطلاق.. فإن الساحـة الأدبية المحلية لا تخلو من نقـد ونقاد.. ولكنني معك في أن النظـرة الأولى إليها تـوحي بمثل هـذا الحكم لندرة النقـد.. حتى يكـاد لا يبين.

ويبدو أننا في النقد بين إفراطٍ وتفريط. فهو في حالة وجـوده، كثيرًا ما يكون نقدًا عشـوائيًا.. أو عنتريًـا يهدف إلى الإسـاءة الشخصيـة.. وتحطيم الخصم، والنيل منـه، والتشنيع عليـه، وتنــاول الجانب الشخصي بـالشتائم أو تنـاول زوايـا فرعيـة ليست في لب الموضـوع.. أي أنه يتحـول إلى نقد هلامي غير موضـوعي.. ويعطي تصورًا سيئًا عن النقد ومفهومه وعن المتناقدين أنفسهم..

الوجه الآخر.. هـو الوجه المختفي.. أي أن يلتزم النقاد الموضوعيون جانب الصمت المطبق..

صفحتان من الإجابات بخط يده



عن الحركة النقدية في المملكة

ج ١.

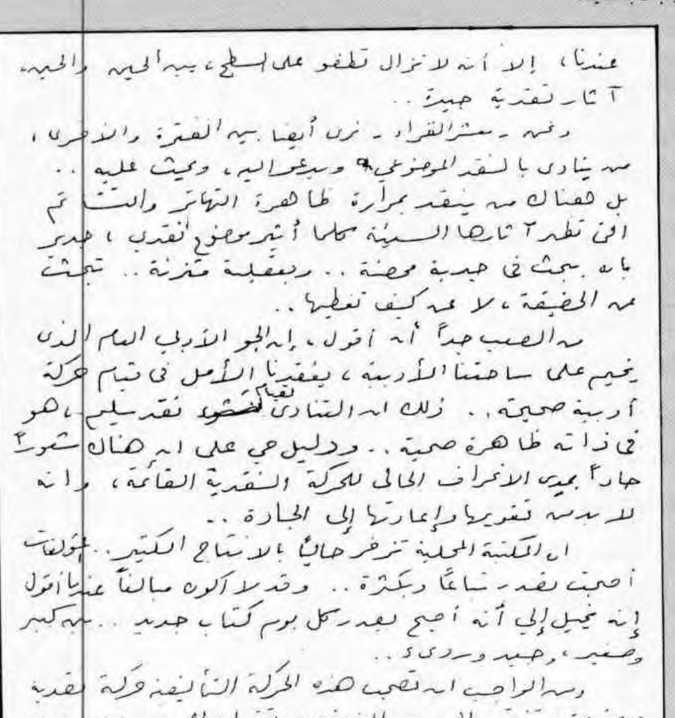
لا يمكن القول بعدم وجود حركة نقدية أدبية في المملكة هكذا على وجه الإطلاق.. فإن الساحة الأدبية المحلية لا تخلو من نقد ونقاد.. ولكني معك في أن النظرة الأولى إليها توحي بمثل هذا الحكم.. لندرة النقد.. حتى ليكاد لا يبين

ويبدو أننا في النقد بين إفراط وتفريط. فهو في حالة وجوده، كثيراً ما يكون نقداً عشوائياً.. أو عنترياً يهدف إلى الإساءة الشخصية.. وتحطيم الخصم، والنيل منه.. والتشنيع عليه.. وتناول الجانب الشخصي بالشتائم أو تناول زوايا فرعية ليست في لب الموضوع.. أي أنه يتحول إلى نقد هلامي غير موضوعي.. ويعطي تصوراً سيئاً عن النقد ومفهومه وعن المتناقدين أنفسهم..

الوجه الآخر.. هو الوجه المختفي.. أي أن يلتزم النقاد الموضوعيون جانب الصمت المطبق.. إما زهداً في هذا اللون من الأدب، من حيث الأساس، وإما تجنباً لخوض المعارك النقدية، التي تسيل فيها الدماء، على أسنة رماح الأقلام..

وكأنني بما يتدخل في عملية النقد، عوامل نفسية واجتماعية معقدة، تجعل النقاد يؤثرون جانب السلامة والصمت..

إن نهضتنا الفكرية الحالية، أشبه ما تكون إلى النقد..



عندنا)، إلا أنه لا تزال تطفو على السطح، بين الحين والحين، آثار نقدية جيدة..

ونحن ـ معشر القراء ـ نرى أيضا بين الفترة والأخرى، من ينادي بالنقد الموضوعي، ويدعو إليه، ويحث عليه..

بل هناك من ينقد بمرارة ظاهرة التهاتر والتشاتم التي تطل آثارها السيئة كلما أثير موضوع نقدي، وجدير بأن يبحث في جدية محضة.. وبعقلية متزنة.. تبحث عن الحقيقة، لا عن كيف تغطيها..

من الصعب جداً أن أقول، إن الجو الأدبي العام الذي يخيم على ساحتنا الأدبية، يفقدنا الأمل في قيام حركة أدبية صحيحة.. ذلك أن التنادي بقيام نقد سليم، هو في ذاته ظاهرة صحية.. ودليل حي على أن هناك شعوراً حاداً بعيوب الانحراف الحالي للحركة النقدية القائمة، وأنه لا بد من تقويمها وإعادتها إلى الجادة..

إن المكتبة المحلية تزخر حالياً بالإنتاج الكثير. والمؤلفات أصبحت تصدر تباعاً وبكثرة.. وقد لا أكون مبالغاً عندما أقول إنه يخيل إلي أنه أصبح يصدر كل يوم كتاب جديد.. من كبير وصغير، وجيد ورديء..

ومن الواجب أن تصحب هذه الحركة التأليفية حركة نقدية موضوعية، تنقد الجيد من الزيف، وتقول للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت.. لتشجع الأول، فيعطي المزيد.. ولتكف الثاني عن [illegible]..

[illegible] عبد العزيز الرفاعي




بين هذين المكتبين أمضى عبد العزيز الرفاعي مشواره الفكري كتابةً وتأليفًا ونشرًا
(الصور من أرشيف الرفاعي الخاص)

إمــا زهــدًا في هـذا اللـون من الأدب، من حيث الأساس، وإما تجنبًا لخوض المعارك النقدية، التي تسيل فيها الدماء، على أسنة الرماح عفوًا الأقلام . .

وكما ترى فإنه يتدخل في عملية النقد، عوامل نفسية واجتماعية معقدة، تجعل النقاد يؤثرون جانب السلامة والصمت . .

إن نهضتنا الفكرية الحاليَّة، أمسّ ما تكون إلى النقد . . ولكننا نرى النقد يختفي عندما نكون أحوج إليه من أي وقت آخر.

ج ٢ : لا أدري . . قد تبدو نظرتي إلى النقد والناقد خاطئة . . فإني لا أظن أن الناقد من الممكن إعداده . . لأنه عندي نبتة برية . . لا نغرسها ولكن نتعهدها . . بمعنى أن الناقد يولد ناقدًا . . كما أن الشاعر يولد شاعرًا . . فالنقد موهبة . . هي موهبة النفاذ إلى الأشياء . . كما أن الشاعر موهبة . . هي موهبة النظرة الوجدانية إلى الأشياء، قد يخونني التعبير . . ولكن يكفي أن أومىء إلى ما أريد الإفصاح عنه . .

إن المجتمع هو الذي يسعه أن يشجع الناقد العادل كما أنه هو الذي يسعه أن يرعى الشاعر النابه . . **ليكون لكليهما العطاء المطرد**

إذا وجد الناقد . . فإن على المجتمع الأدبي أن يتخذ الوسائل الكفيلة بدعمه ليؤدي مهمته . . أو ليواصل أداءها . .

أما إذا اتخذ المجتمع الأدبي . . الخط الآخر . . أعني أن يضيق بالناقد ذرعًا . . ويسفِّه آراءه ويخذله . . وينال منه . . ويشنع عليه . . فقد يرى الناقد آنذاك أن التزام الصمت أسلم .

وليس معنى هذا أن يرخي الناقد لنفسه وقلمه العنان . . كلا؛ فإن الشرط الأول لتشجيع الناقد هو أن يكون ملتزمًا لجادة النقد الموضوعي السليم . .

وليس بالضرورة أن تكون آراء الناقد كلها حقًا وصدقًا . . فإنه يسعنا أن نأخذ وأن ندع . . وأن نحاوره ونناقشه، ونرده إلى الصواب، كلما كان ذلك واردًا .

ج ٣ : على الرغم من أن النقد (السليم) يكاد يختفي من الساحة الأدبية عندنا، إلا أنه لا تزال تطفو على السطح، بين الحين والحين، آثار نقدية جيدة . .

ونحن ــ معشر القراء ــ نرى أيضا بين الفترة والأخرى، من ينادي بالنقد الموضوعي ويدعو إليه، ويحث عليه . . بل هناك من ينقد بمرارة ظاهرة التهاتر والتشاتم التي تظهر آثارها السيئة كلما أثير موضوع نقدي، جدير بأن يبحث في جدية محضة . . وبعقلية متزنة . . تبحث عن الحقيقة، لا عن كيف تغطيها . .

من الصعب جدًا أن أقول، إن الجو الأدبي العام الذي يخيم على ساحتنا الأدبية، يفقدنا الأمل في قيام حركة أدبية صحيحة . . ذلك أن التنادي لقيام نقد سليم، هو في ذاته ظاهرة صحية . . ودليل حي على أن هناك شعورًا حادًا بمدى الانحراف الحالي للحركة النقدية القائمة، وإنه لابد من تقويمها وإعادتها إلى الجادة . .

إن المكتبة المحلية تزخر حاليًا بالإنتاج الكثير . . المؤلفات أصبحت تصدر تباعًا وبكثرة . . وقد لا أكون مبالغًا عندما أقول إنه يخيل إلي أنه أصبح يصدر كل يوم كتاب جديد . . بين كبير وصغير، وجيد ورديء . .

ومن الواجب أن تصحب هذه الحركة التأليفية حركة نقدية موضوعية، تنقد الجيد من الزيف، وتقول للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت . . ليتشجع الأول، فيعطي المزيد . . وليكف الثاني عن إغثائنا بغثائه .

الهوامش

(*) الأستاذ أحمد حمد الهوشان، ونشرت كلمته الرثائية في ملحق الأربعاء الأسبوعي، العدد ٦٣، جريدة المدينة ١٦/٤/١٤١٤هـ.

(١) بكري شيخ أمين. الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية. بيروت، دار العلم للملايين. ط ٣، ١٩٨٤م، ص ٢١٤

(٢) جريدة المدينة. العدد ٩٦١٠، ٢٤/٣/١٤١٤ هـ.

(٣) محمد عبد الله العوين، المقالة في الأدب السعودي الحديث. الرياض، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. ط١. ج١ ص ٢٣٨ .

(٤) جريدة الرياض. العدد ٩٢١٠، ٢٥/٣/١٤١٤هـ.

(٥) جريدة عكاظ. العدد ٦٨٩٥، ٩/٨/١٤٠٥هـ.

الحداثة الشعرية.. إلى أين؟

بقلم: محمد منذر لطفي

ما الحداثة الشعرية ؟ وأين نحن منها ؟ وما طريق المستقبل ؟ ثلاثة أسئلة رئيسة ، جادة وهادفة ، تُمَثِّل صُلب البحث ، سأحاول الإجابة عنها بشكل واضح ، وموضوعية تامة ، وذلك حسب قناعاتي الأدبية التي كوَّنتُها خلال مسيرة ثلاثين عامًا في هذا المجال ، مجال الشعر العربي المعاصر ، بمدرستيه « الكلاسيكية الأصيلة » التي تعتمد وحدة البحر شكلاً للقصيدة ، و «الحديثة المعاصرة» التي تعتمد وحدة التفعيلة شكلاً لها .

ما الحداثة الشعرية ؟

الحداثة الشعرية هي أن يتناول الشاعر موضوعات وأفكارًا معاصرة ، فيكتبها شعرًا بلغةٍ ومفردات حديثة ، يصوغها صياغة تتسم بطابع الجِدَّة والتَّفرد ، وبخاصة فيما يتعلق بابتكار المعاني والصور وانتقاء الأسلوب الذي يبتعد عن التقريرية والمباشرة ، ويستخدم الجمل البرقية الـمُعبِّرة المكثفة ، ويوظف الرمز والغموض ضمن حدود الحاجة المطلوبة (وسيلة لا غاية) ، ويتعامل مع الصور والخيال بشكل جديد ، مدروسٍ وواعٍ ، بحيث تمنح مُتبنيها في نهاية المطاف شهادة الشاعر الطليعي الرائد ذي النكهة المتفردة الخاصة ، والهوية العصرية المميَّزة ، وهي تشمل عنصريْ الشكل والمضمون ، وإنْ كان شمولها للمضمون هو الذي يشكل مركز الثقل فيها ، ويعطيها معناها الحقيقي ، ويُبرزُ خصائصها ومواصفاتها بشكل واضح ، ويضعُها في مدارها الفني الصحيح .

هذا بالنسبة لتعريف الحداثة فيما يتعلق بالتقنية الفنية ، أما تعريفُها بالنسبة للغة ، فالجميع يعرف أن الحداثة في الشعر هي عكسُ القدامة فيه ، والتي من المتوقع أن تكون إما اقتداءً بذلك القديم ، وإما تمثُّلاً أو استلهامًا له ، ذلك أنه ليس من الحداثة في هذا العصر - كما لم يكن من الحداثة في العصر الأندلسي على سبيل المثال - الوقوف على الأطلال ومناجاتُها أو إجراء الحوارات معها ، ولا أعتقد أنه بقي في الوقت الحاضر من يتعصب للقديم ويعمل على إحيائه كما كان عليه ، ويرى أنَّ أسلوبه هو الأسلوب الأمثل أو الأوحد ، هذا ما يدعوني للاعتقاد بوجود ما يمكن أن نُسميه «معركة مفتعلة ومصطنعة» بين الشعر الحديث والشعر القديم ، معركة مُصطنعة بين الحداثة والتراث ، وهذا ما أدَّى ، ببعض «الحداثيين» إلى تخيير المثقفين بين أمرين اثنين : الحداثة أو التراث ، حتى لكأنَّ هناك صدام أقدار بينهما كما يقول الناقد اللبناني المعروف **جهاد فاضل**[1] ، في حين أنه ليس بينهما شيء من ذلك على الإطلاق لسببٍ بسيط واحد ، هو أن التراث بحد ذاته يُجسِّد مجموعة « حداثاتٍ » كانت نضرةً في وقتها ، ثم اعتراها ما يعتري كلَّ شيء على مرِّ الزمان ، فـحُذِفَتْ منها أشياء ، وبقيتْ صامدةً منها أشياء ، ولكنَّها - في مجموعها - تمثل الروح الأصيلة للأمة ، كما وتمثل قيمها التي تعتز بها ، وهما (وأعني الروح الأصيلة والقيم الـمُضيئة) عنصران أعتقد أنَّ من غير الممكن في أي زمان ومكان بناءَ حداثةٍ - مهما أمعنت في انفتاحها على العصر ، وحتى على المستقبل - من دونهما . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإنه - وكما يُفترَضُ أن يعرف الجميع في كل مكان وعبر كل زمان - فإنَّ الحداثة غير «الموضة» ومجاراة الصرعات التي يُطلقها العصر من عام لآخر ، ومن عقد لآخر ، والتي تحمل معها معاول الهدم للأصالة الحقَّة والتراث المضيء ، وبالتالي **يجب التمييز في مجال الأدب والفن بين أمرين اثنين هما : «الإبداع والبدعة» . يجب الوقوف بجانب الإبداع وتزكيته والانتصار له ، في الوقت الذي يجب أن نُعامل فيه الصرعة والبدعة الأدبية بمثل ما تُعامل به في نطاق العقائد والشرائع**[2] .

والحداثة أيضًا لا تعني أن تمتلئ القصيدة بمخترعات العصر أو تقدمه العلمي والتقني ، فالشاعر ، وكذلك الكاتب ، غيرُ مُطالبين - لكي يكونا مُجدِّدين - أن يكونا كالمصور الفوتوغرافي لمخترعات العصر وأشيائه العلمية ، وإلا لكان كلٌّ من الشاعرين العراقيين « **الزهاوي والرُّصافي** » من شعراء الحداثة - في عصرهما على الأقل - مع أنهما لم يكونا كذلك ، ولكن ما الذي يجعل من كاتبٍ **كالجاحظ ، أو كأبي حيان التوحيدي** - على سبيل المثال - كاتبًا «حديثًا» حقًا ، وبالمعنى الحديث والمعاصر للكلمة ؟

والجواب عن هذا السؤال - كما أرى - يتمثل في «قلق الروح ونضارة التناول وإنسانية المنحى ، ونوعٍ من عبقريةٍ تصول على الدهر بما عَمَرَتْ به من شفافيةٍ وعمقٍ ومخاطبةٍ للضمائر والقلوب ، بحيث تأتي إشارتها الجميلة في عصرها ، أو لعصرها ، وكأنها إشاراتٌ لكل العصور» .

من هذا المنطلق بالذات يمكننا أن نتحدث عن «رُواء» الحداثة ، وعن «جِدَّتها» وعن تجاوز الشاعر أو الكاتب لعصره ، وحتى لبيئته أحيانًا ،

«فالجديدُ» هـو الذي يخرج إلى النور مكتملاً نفاذًا آمـرًا كمن لـه سلطان، ومن أجل ذلك يذعن لـه الجميع، أما سبب هـذا الإذعـان فلأنَّ ذلك الجديد ـ فيما أرى ـــ يشقُّ طريقًـا أو يُشير إلى طريـق أو يشكل منعطفًا كأنــه كان مترقبًـا أو مطلوبًا، وعليه فإنَّ الحداثة ـ بهذا المعنى ـــ قانونٌ وليست خروجًا على القانون، إنها ليست تمردًا أو عصيانًا، وإنما هي ثورةٌ بكل ما لهذه الكلمة من معنى، ومن طبيعة الثـورة أن تهدم وأن تبني معًا، ولكنَّ الثورةَ كما هـو معروف علمٌ وليستْ فوضى، وليس كل هدم يحدث يشكل فعلا ثوريًا. المهم أن نميز بين «الحداثة» و «شبه الحداثة»، أو بين الحداثة وما يلتبس بهـا.

ومن المؤسف حقًّا أن يصوِّر «البعض» الإنسـان العربي في صـورة المعادي للحداثة، وأن يصفَـه بأنه كائن سكونيٌّ ثابت سُنَني، يجتر ماضيه ويرحل إليه، ولا قـدرةَ له على الابتكـار والإبـداع، وإنما يرثُ ويقتبسُ فقط، فهـو يعيش في الماضي أو في «ذواتٍ أجنبيــة عنــه». كما صوَّر ذلك «البعض» أيضًـا الثقافـة العربية بصورة الثقافة الـرافضة لأي تجديد أو تطويرٍ، **مع أن من أبرز مميزات الثقافة والحضارة العربيتين عبر التاريخ قدرتهمـا على التجدد والمرونـة والتفاعل مع ثقافـات الآخرين**. «ولـم يكتف ذلك «البعض» بذلـك، بل أخـذ يتساءل: لماذا لا نبني حداثتنـا الشعريـة في أفق الشعر الأوربي بشكل عـام، والفَرنسي بشكل خاص»[٣]؟

وكـانت الأسبـاب الموجبـة عندهم لهذا التسـاؤل هي نظـرتهم إلى الثقافــة العربية على أنها أرضٌ قاحلـة لا يمكن لـها أن تعطـي حداثةً أو حضارة، وقد تجرأ يومًا واحدٌ من ذلك «البعض» فوصف الحضـارة العربية بأنها جثةٌ هامدة. وهكذا نجـد أن الحداثة «كمبـدأ» ليست هي المشكلـة، فـلا أعتقد أنَّ عـربيًا واحدًا يحلـم ببناء دولـة عصرية يمكـن أن يكون تقدميًا في السياسـة ورجعيًا في الأدب في الـوقت نفســـه، فكلُّ النـاس مع الحداثـة، وبخـاصـة في الشعـر والأدب، ولكن المشكلـة تبرز ـ كما يقول النـاقد اللبناني المعروف **جهاد فاضل** ـ عندمـا يبرز الشاعر المنحرفُ قوميًا ومعه «عدة الشغل»، معه «حداثة عصرية» عليها طـابع العصر وشكلـه، ولكنها رجعيةٌ في جوهرهـا ومضمونها، لسببٍ واحد بسيط هـو أنها لا تؤسس حداثتها على ثقـافتها العربية الأصيلــة وتراثها المضيء، بل على أيـة ثقافــةٍ وأي تـراثٍ أجنبيٍّ خـارجٍ عن الثقافــة العـربيـة والتراث العـربي، ويتابع هـذا الناقـد الكبير فيقول: «وتتبـدىٰ هذه الحداثـة المنحرفــة أوضح ما تتبـدىٰ عند شعـراء مجلـة «شعـر» اللبنانيـة، وفي طليعتهم الشـاعر «أدونيس»؛ الـذي يعتبر أن التراث الـذي ينبغي أن يـؤسس الشاعـر العربي المعاصر حـداثته عليه، هو التراث السـابق للتراث العربي، أي حسب تعبيره «التراث الـوسيط»، ابتـداءً من قرطاجــة مـرورًا بـالإسكنـدريـة وصـور وبيروت وانتهاء بأنطاكية، بعد أن يكـون قد اشتمل على كل من سومر وبابل. هذا هو الإطار الحقيقي الذي تَثري فيـه مصادرُنـا الثقافية، ومن هذه الأصول العـرقيـة تنبع التراثـات حسبما يقــول «أدونيس» في كتـاب «المعـايير والقيم في الإسلام المعاصر» الصـادر عن دار بايو بباريس ـــ الصفحـة (٣٠٠) وفي مجلـة مواقف اللبنانية ـ العدد (١٦)».

إذنْ فالتراث الحقيقي الذي يجب أن يؤسس عليـه الشاعر العربي المعاصر حداثته هو بنظر «أدونيس» التراث السـابق للتراث العربي، أمـا التراث العربي نفســـه فيرى «أدونيس» أن فيـه نـوعين من البـذور: الأولى قُـدِّر لها أن تنتشر وتسود، ولكنها لـم تعـد صالحـةً برأيه لكي نتخذ منها نقطـة انطلاقٍ أو نرتبط بها. والثانية طُمست لسبب أو لآخر، وهي بذور حية يجب البحث عنها والبدء منها حسبما قال في مجلـة «مواقف» اللبنانية ـ العدد «١٦» أيضًا.

وهكذا نجـد أن سؤالاً آخـر يطرح نفســه تلقائيًا ونحن نتكلـم عن مـاهية الحداثة وهو: «أيَّـة حداثةٍ نريد؟».

والجوابُ هو: إننـا نريد حـداثة تنطلق من الثقافـة العربية أولاً، وتنفتح على كل أفق، ولا تشكو حقـدًا أو غلاًّ تجاه أيـة صفحـة من صفحات تـاريخنا العـربي، ولا يستبـد بها ثأرٌ تجاه أيـة صفحــةٍ من تلك الصفحـات، فتحضن الثقافـة العـربية بمصادرهـا وروافدها كافــة، وتجعل هدفها الأول بنـاء ثقافـة جديـدة، وشعر جـديد، وأدب جديـد، يكون إضافــة ثمينةً إلى ثقـافتنا التي يُعتبر التجديدُ أحدَ نواميسها الثابتة، حداثةً لا تتلهى بحداثة الإبهار والإغراب والصرعات في وقت نحتاج فيه إلى تحديث الروح والعقل قبل كل شيء.

وفي غمرة هذه الفوضى الأدبية السائدة حاليًا باسم الحداثة، حيث يختلط الأبيض بالأسود، والسـالب بالموجب، **كيف نُميز بين الشعـر وغيره من فنون الأدب وأجناس الكلام**؟ وبكلمـة أدق وأوضح، **هل هناك ضوابط محددة تحكم توجُّهنا حينما نُقررُ أنَّ عملاً أدبيًا ما ينتسب إلى الشعر؟**

والـواقع يشير إلى أن الحداثيين المتطرفين قـد هجمـوا على الشعر فقتلــوه، تعاقبوا عليه ولـم يتركوه إلا جثةً هامدة، أطلقوا باسم الحداثة المزيفة على كل ما تفتقت عنه مُخيِّـلاتهم شعرًا وهو ليس بـالشعر. كان للعرب قيمـة كبرى تدعى الشعـر، وكـانت مـوضع حبٍّ واعتـزاز عظيمين عندهـــم فلم يبق منهـا شيء تقريبًا، كان الشعـرُ عصفورًا لطيفًا جميلاً يرفرف في قلـوب الناس، فبات حلمًا مزعجًـا يهرب منه النـاس كما يهربون من جليس السـوء ومـريض الجـــزام أو «الإيدز». وللحقيقـة بكل أبعادهـا أقـول:

إنَّ الشعر أولاً وأخيرًا غيرُ النثر، وبخاصـة في إطار اللغة العـربية بـالذات حيث توجد منطقتان منفصلتان لا ثـالثة لهما، هما منطقة الشعر ومنطقة النثر، وعبر تاريخ الأدب العربي الطـويل لـم تحصل أية وحدة انـدماجية بينهما ذات يوم.

ثم إنَّ الشعـر غيرُ النظم، فما كل من استطـاع أن ينسُج نسجًـا متفقًـا مع أوزان «**الخليل بن أحمد**» يُعتبر شاعرًا، **وقد تنبهت العربُ منـذ القديم لهذا الأمر حتى لا يختلط الحابل بـالنابل، فـأطلقت لقب «الناظم» على من لا تتجلى لــه عبقرية إلا في ضبط الأوزان، بينما أطلقت لقب «الشاعر» على من يتجاوز عملية ضبط الأوزان إلى سواهـا من العمليـات الفنية والشعرية والروحيـة المعقدة التي بنتيجتها يتفوق الشاعر ويتميز**.

والشعر ـ بالإضافـة إلى مـا تقدم ـ موهبةٌ وجدارةٌ، وتمكُّــنٌ وفنية، والمعيار الأساسي فيه يتمثَّـلُ بالجـودة وليس بأي شيء آخــر، ذلك أنَّ شكلاً شعريًا ما على سبيل المثال قد يدرج اليوم لينقضي غدًا أو بعد غد، فهل نتخلى عن شعرنـا السابق كُلِّـه لمجرد أنَّ شكلاً جديدًا قد درج اليوم؟

الحداثة الشعرية .. إلى أين؟

إنَّ بعض الغُـلاة والمتطـرفين ومن في أنفسهم مـرضٌ يعتبرون أنَّ مـا يُسمى «بقصيـدة النثـر» هي الشكل الحداثـي الأوحــد، في حين أنَّ «قصيـدة النثـر» مُلحقـةٌ بالنثـر أكثر مما هي ملحقة بـالشعر، وحتى وإن أُلحقت خطأً أو عمدًا بالشعر فما هي إلا هامشٌ بسيطٌ ومتواضع جدًا في كتاب الشعر الحديث (٥).

الشعرُ شعر، سـواءٌ صيغ بالشكل الشعري الذي يعتمـد وحدة البحر، أم بالشكل الشعري الـذي يعتمد وحدة التفعيلـة، والحداثة مطلوبـة سواء هنا أم هناك، ولكنَّ اعتبار الشكل وتبنِّيه وحـدَهُ فيصل التفرقـة بين القديم والحديث أمرٌ لا يمكن القبول بـه، فالأشكال الشعـرية ما هي في نهاية المطاف إلا قوالب للإبداعـات الشعـرية، والشـاعر الجيـد المبدع يستطيع ــ وبكل بساطـة ـ أن يصبَّ إبداعـه في أيِّ قـالبٍ يشاء فكم من قصيدةٍ «حديثـة» في شكلـها، غير حـديثةٍ في روحهـا ومضمـونها وتقنيتهـا، والعكسُ صحيحٌ أيضًـا. فالإنسـانُ يستطيع أن يجد حـداثةً لدى شـاعرٍ كـالمتنبي أو أبي العلاء المعـري أو الشريف الرضي أو البحتري أو ابن زيدون أكثر مما يجدُ حداثةً في شاعرٍ حديثٍ معاصر، يعيش سنـوات الرُّبـع الأخير من القـرن العشرين، في الـوقت الذي لا تسكنـه الحداثة ولا نـرى لها أيَّ أثر أو بارقـةٍ أو خيالٍ فيما يكتب من أشعار. وهـذا ما يؤكد أنَّ العبرة في الحداثة هي لما يشيع في القصيدة، لـما ينثره الشاعر في شعره، لا للشكل الخارجي لقصيدتـه.

وأعتقد جازمًا أنه مهما أعطينا الشـاعر من حقوق ومن حرية في عملـه، إلا أنـه تبقى هناك قضيةٌ أساسية في هذا المجال، تُدعى الأُسس أو الأصول الثابتة للشعر العربي، أو مـا أطلق عليهـا بعض النقاد المعاصرين (٦) اسم «الشعرية العربية» التي تنطلق من قوانين الشعر العربي المعروفة، والتي لا يمكن تجاوزُهـا بحال من الأحـوال، لسبب بسيط واحد، يتجلى في أنَّ تجاوزَها يشكل خـروجًا على الأصـول، ولكن يمكن إعطـاء الشـاعر مجالاً رحبًـا نستطيع تسميتـه مجالَ الاجتهـاد، وهو مجالٌ واسعٌ ورحب، ويستطيع الشـاعـر الأصيل أن يحقق من خلالـه الشيء الإيجابي الكثير.

ولا أعتقـد أنَّ الشعـر العـربي قـد فقد التطـور أو التجـديـد عبر عصـوره الطويلـة بسبب التزام تلك القوانين والأحكام، أو وقع في الرجعية الأدبية، ولا نجاة لــه منها إلا بما يُسمى «قصيدة النثر» التي فيهـا وحدها ملامح التقـدمية الأدبية حسب رأي الجناح المتطرف في مدرسة الشعر الحديث.

والـواقع يشير إلى أن الشعـر العـربي قد تطور منـذ الجاهليـة وحتى اليـوم انطلاقًـا من وجود شيء راسـخ أصيل هو تلك «الشعـرية العـربيّة» بـالذات، وأعتقد أنَّ الحداثة تبدأ من الاجتهاد حول تلك الشعرية، بالإضافة إلى الانفتاح على أنوار العصر والنفاذ إلى روح الحضارة والثقافـة الحديثة، وبالتالي فإنَّ كُلَّ ما يتلاءم مع تلك «الشعرية العربية» هـو من الشعر، كلَّ ما يثير انفعالاً سلبيًا أو إيجابيًا في نفسي يستطيع أن يهزني من الداخل والأعماق، كلَّ ما يغيِّرني ويُشعرني أنني مع الأدب الـمُوَقَّع الإنسـاني الجميـل، ضمن إطـار التفعيلــة أو البيت الشعرين، والذي كأن الجنَّ أسهمت في صنعه وإبداعــه هو شعر، في الوقت الذي لا أستطيع فيه أن أُسمي الكلام المشوش الـركيك النثريَّ العرقي الضبابيَّ الدارج هذه الأيـام شعرًا بحال من الأحوال، إنه، وكما يُسميه الشـاعر العربي الفلسطيني المجدد **محمود درويش**، « عجـزٌ أدبي واضح، لا اختيـارٌ فني أو فكري كما يزعمون » (٧).

ومن المسلَّم بـه أنَّ الشعر فنُّ العـرب الأوحد تقـريبًا، فهل يجوز مع هـذه الحقيقة أن نفصل الماضي عن الحاضر، وعلى هـذه الصورة الحادة والراهنـة التي يطالب بها بعض الحداثيين ممن عُرفـوا بالتجـاوز الذي لا يستنـد إلى أية أرضيةٍ صلبـةٍ صحيحة، وبالتطرف والانحراف المعادين لكل ما هو عربيٌّ قومي ؟

والحقيقـة هي أننا ـ كما أرى ـ مدعـوون للتوفيق بين حقيقتين متناقضتين في الظاهر فقط هما :

١ ـ وجوبُ أن تنعقـد بيننا وبين تاريخنـا الفكري صلةٌ موصولــة الحلقات تُؤمِّن استمرارية الأمـة كروح وتراث.

٢ ـ وجوبُ أن يكـون لنـا قـوامٌ فكريٌّ ووجـداني خاص بنـا، نحن شعراء وكتـاب القرن العشريـن، وإلا كنا أجيـالاً هَشَّـةً من أشبـاح وظلالٍ مقلِّـدة، جـاءت لتُحاكي مجد الأولين الأصلاء.

ولا أعتقد أن التوفيق بين هـاتين الحقيقتين متعذرٌ ومستحيل؛ لأن الماضي العربي الشعـري والأدبي ليس حجرًا أبكم جامدًا، ولا معتقـلاً من المعتقلات، ثم يجب ألا ننسى أنـه ماضينـا نحن، لا مـاضٍ غريبٌ عنـا، عائمٌ على تيـار الزمن، بالإضافــة إلى أننا لسنا مُخَيَّـــرين أصلاً في أن نأخـذه أو نتركـه، فنحن مرتبطون به شئنـا أم أبينا ارتبـاطنا بحاضرنا نفسه ومستقبلنـا، ولا أعلم من أين أتتنا فكرةُ استبعاد هذا الماضي والنظر إليـه على أنه عائقٌ أو مانع من التحديث والتقدم الشعريين ؟ إلا أن يكون هناك وراء الأكمة ما وراءها، ذلك أن الجميع يعلم أنَّ هناك فـرقًا واضحًا بالطبـع بين استلهـام الماضي، وبخاصةٍ صفحـاته المُشرقـة الحيَّـة النابضة، وبين طموح الماضي كنموذجٍ ونبراسٍ وقُدوة، وهـو أمرٌ لا أعتقـد أننــا نحن الجيل العربي الجديد المعـاصر قد طـرحناه مرةً أو نطـرحهُ الآن.

واستنادًا إلى ما تقدم، فأنا أرى أنَّ من غير الممكـن بناء شعر عربي حديث إلا انطلاقًـا من قوانين الشعـر العربي المعروفـة التي يمكن أن تطرأ بصـددها وباستمـرار اجتهادات كثيرة، والتي لا أعتقـد أنها حالت في الماضي، أو يمكن أن تحول في الحاضر أو المستقبل، دون إحــداث نهضــة شعــريــة حقيقيــة، فالموشَّحــات الأندلسيـة في زمانها ــ على سبيل المثال ــ كانت بمثابة نمـوذج مُــجسَّـد واضح لتلـك الاجتهادات الــمُضيئة التي ذكـرت، وحركةُ الشعـر العربي الحديـث التي شهدتها سـاحاتنـا الأدبية في معظم الأقطـار العربيـة منذ الأربعينيات من هذا القرن وحتى اليوم، والتي حققَّت قفزةً شعرية نوعيةً مهمـة في عصرنا الحاضر، هي من ضمن تلك الاجتهادات ومَثَلٌ مُضيءٌ آخـر عليها، ذلك أن وجود مبادئَ أساسية أو مُقوماتٍ رئيسـة، أو معايير وموازين راسخـة ـ فنيـة أو أدبيـة أو فكـريـة ـ في حيـاة الأمــة، كمــا في حيـاة البشر والشعـوب

والإنسـانيـة أمـرٌ ضروريٌّ ومهم جـدًا، ولا يشكل أيَّ عيبٍ أو نقصٍ في تلك الأمـة أو ذلـك الشعب أو الإنسان في أي زمـان وعبر أي مكان، فالحق والخير والعدل والجمال - على سبيل المثال - قيمٌ ثابتة، فهل يعيبُها هذا الثبات أو يلحق بها أي نقص؟

قصيدة النثر محاولة فاشلة

ولكنْ حول هذا الثابت ليس هناك ما يمنع من أن يكون بعضُ الـمُتغيرات التي لا تـؤثِّر جذريًـا على أصول تلـك الثوابت، ولا تُحدثُ خلـلاً أو شرخًا في مفاهيمهـا، من هذا المنطلق بالـذات فأنا أرى أنَّ كل المحـاولات التي تُبذل في الأقطار العربيـة كافة من أجل زرع ما يُسمى «بقصيدة النثـر» في بستاننا الأدبي وفي تـراثنـا الشعـري الحديث محاولاتٌ فاشلـــة، ولـــن يُكتب لها التـوفيق ولا النجاحـات التي تَمنَّاها لها بعض التجاوزين، وستبقى ضمن أُطُرٍ منعزلـةٍ في الساحات العربية الأدبية كافة، **كما وسيبقى الشعـر العربي يتقـدم ويتطور على أسس فنية مختلفة، وضمن مدارات إيجابية مضيئة متعددة، ولكنها جميعًا تُراعي تلـك «الشعرية العربية» التي تحدثتُ عنها، وتأخذها بعين الاعتبار، فأنا** - على سبيل المثال - لا أرى في عملية نظم الشعر على الطريقة التي نظم بها **السَّيَّاب أو القبَّاني أو درويـش أو الحـاوي** قصـائدهم مـا يُعادي الحداثـة، كما لا أرى أن بإمكاننا أن نُعطي شعـرًا - في إطار اللغـة العربيـة - بواسطة النثر أو بـواسطة ما يُسمى بقصائد النثـر. هناك طـريقٌ شعريٌّ واحـد معروف، وكل من يـريد أن يتجاوزه عليه على الأقل - وذلك أضعفُ الإيمان ــ أن يمر بمرحلـةٍ يُعطي فيها شعرًا على غرار ما يُزعم أنـه بات قديماً وغير عصري، وذلك كقرينـة أو كدليلٍ ومثلٍ وبرهـان على أنَّ عملية تجاوزه من قبل ذلك المتجاوز كـانت فِعْلَ قدرةٍ لا فعل عجزٍ، إذا صحَّ أن يُدعى العجز فعلاً[٨].

ولا أدري سبب هـذه الحملـة الضـارية من قبل أولئك «المتجـاوزين» على القصيـدة العـربيـة. هل العجـزُ وحدهُ هـو السبب، أم أنَّ هنـاك سببًـا آخـر يتلخص بهدم إحدى المقومـات العربية الرئيسـة؟

أعتقد أن السببين واردان. وحـول السبب الثاني الأخير يجب أن نفتش عن « ظاهرة التحلل القومي » بصورتها المستحدثـة كما يقـول **جهاد فاضل** في كتابه « **قضايا الشعر الحديث** »، سـواءٌ أكان ظهورهـــا خطأً غيرَ مقصود، أم كـان ظهورها عن سابق عمدٍ وإصرار!

ومن المؤسف حقًـا أنـه في الوقت الـذي يدعـو فيه بعـض دعـاة الحداثـة وباسم الحداثة إلى دفن القصيدة العربية وطـرحها جانبًا، نجد أن هناك شعراء تقـدميين كبارًا في العـالم لا ينظـرون إلى قصيدتهم الكـلاسيكيـة أو القوميـة أو الوطنية هـذه النظرة نفسها، فـ « **رسول حمزاتوف** » الشاعر الداغستاني الكبير وعضو مجلـس السوفييت الأعلى سـابقًا ــ على سبيل المثـال ــ يقول مـــا نصه بالحرف الواحـد:

« إنني أرفض أن أنظم الشعــر إلا ضمن أســاليبــه الشائعــة في بلـــدي داغستان، والتي كان أسـلافي الشعراء ينظمون قصائدهم بمـوجبها منذ آلاف السنين! ».

ومن الـمُسلَّم به أن كلَّ الفنـون والعلـوم محكومـةٌ بقواعـد وقوانين وأحكام تُقنِّن مسيرتها وتُقيِّم فَنِّيتها، صحيحٌ أنَّ الفـن والحقيقـة العلمية سبقـا القاعدة أو القـانـون، والصحيحُ أيضًـا هـو أن تلك القاعـدة وذلك القـانـون يظـلان يُـمثِّلان الحكم الذي يفصل بين الخطأ والصواب، أو هذا ما يُقرره تاريخ الفن والعلـم على الأقل!

هناك من يعتقد أن مجرد الخروج على القاعدة أو القانون يوصل إلى الحداثة، كأنهما (أعني القاعدة والقانون) مانعان - بطبيعتهما - من الحداثة، أو كأنهما لـم يُكنّـا ذات يوم مخاض عصـور، ولـم يُحقِّقـا حداثـاتٍ كثيرة، ولعلَّ تجربتنا الأدبيـة والشعرية خـلال الثلث الأخير من القرن العشرين قد أثبتت لنا بشكل لا لَبس فيه فساد تلك الاعتقادات الضَّالـة الـمُضلَّـة التي لا تعتمـد معطيات المنطق، ولا تأخذ بالمفاهيم الموضوعية لحقائق الأمـور، كما أثبتت لنا فساد هذا النوع من التفكير، فالحداثة ممكنـة دائمًا مع القـواعد، وكل حداثة لا تنتهي إلى إرساء قـواعد جـديدة ليست حداثـــة، والفـن أيُّ فـــن لـه هـــدفٌ واضحٌ في نهاية المطـاف، يتجلى بتقديـم الفائدة أو المتعـة للنـاس من أفـراد وجماعـات، وعندما يصبح الفن خبطَ أعمى في الظلام يلهث ركضًـا خلف ما لا فائدة منه ولا جدوى لأحـد، لا يكون فنًّـا بحال من الأحوال، والحداثة - في نهاية المطاف أيضًـا ــ عمليـةٌ واعيـةٌ تبتغي خدمـة الإنسـان وإفـادتـه، وتعمل على تطـوره وتقدمـه، وليست عمـلاً فوضويًا لا هـدف لـه سوى تقديم الكـلام المشوش الموغـل في السراب والضبـاب والعتمـة، الذي لا يوضِّـــح فكرة ولا يـدل - في أحسن الأحوال تفاؤلاً - على معنى.

والآن، ثمـة سؤال يطرح نفسه تلقائيًا بعـد جميع ما تقدم، وبعد أن طرحه أكثر من ناقد أدبي على امتداد الوطن العربي، وهـو: هل من ضرورة أو فـائدة لظهور خليـل بن أحمـد جـديدٍ مُعاصر يُقنِّنُ حركـة الشعر الحديث في قـوالبَ تُعتمـد قواعدَ لمستقبل زمنـيّ مُعيَّـن؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه في العدد القادم بإذن الله.

الهوامش

(١) صاحب كتاب «قضايا الشعر الحديث» الـذي يعتبر بحق معجمًا للحداثة في الشعر، لأنه ضمَّ بين دفتيه أبجدية الحداثة الشعرية، ورصد توجهاتها ومساراتها، وتوقف عند منعطفاتها الخطرة ومحطاتها القاتلة ناصحًا ومحذِّرًا، بعد أن جال في رحابها وصال، ثم عاد بكل صيد فني ثمين.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) انظر ما كتبه الشاعر «أدونيس» في كتاب «المعايير والقيم في الإسلام المعاصر» الصادر باللغـة الفرنسية عن دار «بايو» للطباعة والنشر بباريس، ص ٣٠٠.

(٤) المصدر السابق نفسه، وكذلك ما كتبه الشاعر «أدونيس» نفسه في مجلة «مواقف» اللبنانية - العدد ١٦.

(٥) انظر مـا كتبه جهـاد فاضل في كتابـه «قضايـا الشعر الحديث»، وفي مجلة «الشراع» اللبنـانية حـول هذا الموضوع.

(٦) الناقدان السـوريان الدكتور حافظ الجمالي والأستـاذ محي الدين صبحي، وكذلك الناقـد اللبناني الأستاذ جهاد فاضل والشاعرة العراقية «نازك الملائكة».

(٧) المصدر رقـم (٥) أعـلاه.

(٨) المصدر السابق نفسه.

متطلبات التنوير العربي ومهماته

محمد محمود بيومي

يشكل مفهوم التنوير دون ريب واحداً من المفاتيح الأساسية لفهم كل المسار التاريخي للوطن العربي في الأزمنة الحديثة؛ بل إن مفهوم التنوير يضطلع بدور العامل المحدِّد للحِقب التاريخية الخاصة بالوطن العربي. وقد بدأت الأزمنة الحديثة «للتنوير» في التاريخ العالمي مع نهايات القرن السابع عشر وحتى بدايات القرن التاسع عشر (١٦٧٠ ـ ١٨٠٠م) في كل من فرنسا وألمانيا، ثم انتشرت بعد ذلك في عموم أوربا بالتدريج مشكّلة ما يسمى اليوم بالغرب المتقدم، وما يميِّز هذه الحركة في مهدها الأول هو كونها تياراً فكريًا عقليًا على شكل حركة نقدية جذرية مهدت فيما بعد للثورة الفرنسية.

ويمكن إجمال فكر التنوير في أنه فكر قام على إعطاء الأولوية التامة للعقل ولاستخدامه على حساب كل ما هو متوارث، مقيمًا بذلك قطيعة كلية مع الماضي. ومع بدايات القرن التاسع عشر تعرفت الدول العربية على أوربا المتحضرة ـ بعد الحملة الفرنسية على مصر ـ الأمر الذي أدى إلى نشوء محاولات تنويرية عربية تأسيًا بأوربا، على أن النهضة الأوربية جاءت مفاجئة للعقلية العربية في ذلك الوقت، مما أدى إلى نوع من المواجهة النقدية بين الحضارة والعقلية العربية ونظيراتها الأوربية.

وفي وضع المواجهة هذا ـ الذي نشأت فيه النهضة العربية ـ وما صاحبه من أشكال الوعي، نجد أن التوازن كان دومًا لصالح الماضي ولصالح كل أشكال الجذب التاريخي على عكس ما حدث في أوربا.

ويبدو أن مسار تاريخنا العربي المعاصر لا يتجه نحو الأخذ بدرس التنوير الأوربي، بل إن كل العلامات تشير إلى أنه يسير في الاتجاه المعاكس لها. ولعل محاولة تعريف التنوير والتعرف على متطلباته ومهماته المستقبلية هي الخطوة الأولى على طريق التنوير العربي.

ونبدأ الحديث بعرض لبعض متطلبات التنوير العربي:

١ ـ الذاتية:

إن التنوير يعني خروج الإنسان من قصوره العقلي الذي يبقى رازحًا فيه بسبب خطيئته. وحالة القصور العقلي تعني عجز المرء عن استخدام عقله إذا لم يكن موجهًا من قبل شخص آخر. والخطأ يقع علينا إذا كان هذا العجز ناتجًا لا عن نقص في العقل، بل عن نقص في التصميم والقدرة على استخدام العقل دون أن نكون موجهين من قبل شخص آخر[١].

أي إن التنوير لن يأتي من الخارج، بل يجب أن ينشأ نتيجة عزم الأمة العربية على استخدام العقل استخدامًا موضوعيًا بعيدًا عن أي مؤثرات خارجية.

إلا أن هنالك فجوة تؤدي إلى انفصام بين من يريد استخدام العقل، ومن يركن إلى وجدانه، وهم كثرة لا تؤمن في أعماقها بالعقل ومنطقه، ولا بما يترتب على العقل من علوم وصناعات وأفكار.

وتتمثل هذه الفجوة في أن فريقًا من أصحاب الكلمة المنطوقة أو الكلمة المسموعة وأيضًا المكتوبة، سولت لهم الشياطين بأن العقل الإنساني عاجز وبأن العلم تضليل[٢].

إن ذلك ما يقال، والذي لا شك عندي فيه، هو أن في حياتنا العربية شيئًا منه، فقسم منا يفكر ويرسم ويخطط ويهدي، وقسم آخر يعبث بنزواته فيما رسم الأول وخطط، فكان ما كان مما نرى من خطوات تتعثر على الطريق.

٢ ـ الحرية:

يقول **كانت**: «ليس هناك إلا طريقة واحدة لنشر الأنوار هي الحرية». ولكن ما إن ألفظ هذه الكلمة حتى أسمعهم يصرخون من كل حدب وصوب: «أين الحرية؟»، ويصرخ بعضهم مطالبًا بحريته، وحتى لا تزل القدم ونقع في الخطأ، يجب علينا أولاً أن نتعرف مفهومَ الحرية، وما تحمله هذه اللفظة من معانٍ ودلالات.

فمنذ أكثر من قرن كتب **رفاعة الطهطاوي** في كتابه «**المرشد الأمين للبنات والبنين**» فصلاً عن الحرية بعنوان «**في الحرية العمومية والتسوية بين أهالي الجمعية**»، أي في الحرية العامة والمساواة بين أبناء المجتمع. وهو يقسم الحرية خمسة أقسام: طبيعية في المأكل والمشرب، وسلوكية في إطار الأخلاق، ودينية تكفل حرية العقيدة.

ومدنية تنظم التعامل بين الناس، وسياسية وهو أن تكفل الدولة للمواطن الحريات السابقة [٣].

لقد أوشكت كل جهودنا المبذولة طلبًا للحرية أن تنحصر في تحطيم الأغلال والقيود، وهو أمر واجب ومطلوب. غير أن التحرر ليس سوى جانب واحد فقط من الحرية هو الجانب السلبي، إنه في حقيقته لا يزيد عن أن يفتح باب السجن لينطلق السجين حرًا، أي إنه لم يعد مغلول الحركة مقيد الخطى، ولكن ماذا بعد ذلك؟ هاهنا تبدأ الحرية بمعناها الإيجابي الذي لابد فيه من قدرة الإنسان على أداء عمل، ولا قدرة في أي ميدان إلا لمن عرف حقيقة ذلك الميدان وما يتعلق به، ولذلك فنحن نُريد «حُرية الذين يعملون» [٤].

٣ ـ الاهتمام بالدراسات المستقبلية :

إن الحاجة للدراسات المستقبلية في الفكر العربي تقتضيها الوضعية التاريخية للعرب في القرن العشرين وموقعهم من الحضارة الإنسانية، فالاهتمام بالمستقبل ليس من باب «علم الغيب» أو «الترف الفكري»، ذلك أنه من الضروري التركيز على عناصر الحركة المهمة في عالمنا المعاصر التي تفرض علينا عدم فصل العرب أو انفصالهم عن مناطق التاريخ المعاصر.

ومن أجل ذلك أصبح البحث في تاريخنا وطبيعتنا العربية هدفه وضع أساس للمستقبل، وأصبح شرطًا من شروط الوعي بالمستقبل، وليس الانسياق وراء التاريخ القديم والتمسك به واعتباره جوهر حياتنا [٥].

وليس الاهتمام بالمستقبل في الفكر العربي مهمة أفراد أو نخبة معينة، بل أصبح مهمة المؤسسات الرسمية وغير الرسمية[٦].

ولقد توافرت كل الشروط والأسباب لينخرط الفكر العربي المعاصر في عملية التأسيس للمستقبل الذي يختاره الفكر العربي، وليس الذي يفرضه أو يريده «الغير». إن الدراسات المستقبلية العربية مُطالبة منهجيًا وسياسيًا ومعرفيًا بالاستناد إلى معرفة وثيقة بالحاضر والتاريخ العربيين؛ لأن استشراف المستقبل عملية شاملة واعية مستمرة أساسها العقل، ولا شك أن العقل العربي جدير وقادر على الخوض فيها.

٤ ـ مثقفو التنوير :

المثقف الذي أقصده إنما هو إنسان بضاعته أفكار يقتنيها، إما عن طريق إبداعها أو عن طريق نقلها، لكن هدفه الأساسي أن يظفر بفكرة تقدم بها الحياة. المثقف الذي أريده هنا هو الذي تمثل في عصر التنوير في فرنسا إبان القرن الثامن عشر كما تمثل في جماعة إخوان الصفا عندنا إبان القرن العاشر [٧].

هذا المثقف الذي أتحدث عنه له دور كبير في حركة التنوير العربية، هذا الدور يتمثل في نقطتين :

١ ـ ما الأفكار ـ بضاعته ـ التي يريد أن ينشرها في الناس لو أتيحت له السبل لدعم حركة التنوير؟

٢ ـ كيف يستطيع المثقف نشر أفكاره دون معوقات؟

إن محاولة تنوير الأمة العربية هي رسالة حضارية وأمانة تاريخية على عاتق الطليعة العربية المستنيرة كلها، فالمهمات جسيمة، تتمثل في الدعوة إلى العلم والروح العلمية، وفحص آليات الواقع الاجتماعي والثقافي التي تذكي التأخر والتبعية ونقد هذه الآليات.

إن الدعوة إلى تحديث الفكر وطريقة التفكير والتفتح على المناهج الحديثة والانتقال إلى زمن العالم لفهمه بمقولات ومفاهيم جديدة هي مهمة المثقف العربي؛ لأن المثقف الحق هو نبراس هذه الأمة الذي ينير لها آفاق التطور والتحرر، ويفتح لها باب الأمل في ليلها الحالك. قد يكون وضع المثقف غير مريح وهو يؤدي وظيفته وكأنه يسبح ضد التيار، إلا أن المثقف الحق فوق كل هذه العقبات التي تعترض طريقه، ومكمن سعادة المثقف في أنه كلما أراد أن يُفهِمْ الناس فكرًا جديدًا تقبله الناس بالآذان المصغية والعقول الواعية ثم القلوب المؤمنة.

تلك نبذة بسيطة عن متطلبات التنوير العربي، وهذه المتطلبات هي روح التنوير وجوهره، وما لم نشعر بحاجة تاريخية داخلية إليه، وما لم نَعِ أنه البوابة الحقيقية للدخول إلى المستقبل المتقدم، وبالتالي ما لم ينبثق من صلبنا دعاة التنوير وأنصاره، فإننا لن نحققه وننجزه لسبب بسيط هو أنه عملية تاريخية غير قابلة للإعارة.

وهذه العملية التاريخية إبداعية هدفها هو جعل الأولوية الأولى في حياتنا للعقل، ولهذا العقل العديد من المهمات المستقبلية، ولست أدَّعي معرفة كل مهمات العقل والتنوير، ولكني سأحاول أن أحدد أهم المهمات المستقبلية لحركة التنوير العربية، وهي :

١ ـ التأكيد على أهمية البحث العلمي :

إن مهمة الباحث صعبة جدًا، فهي مؤلفة من عناصر عديدة لا حصر لها. وعليه أن يجدها ويجمعها ويستثمرها ويحلل نتائجها ويستنبط منها الفوائد عن طريق العقل.

تبدأ هذه المهمة بقراءة كل ما توصل إليه الباحثون في العالم من نتائج ومكتشفات في المجال الذي يرغب الخوض فيه. وفي حقبتنا التاريخية هذه، التي أصبح فيها التقدم العلمي كبيراً وواسعاً ومنتشراً في أنحاء العالم كافة، فإنها مهمة ليست سهلة، فهي تتطلب وقتاً وجهداً، وتقتضي استعدادًا فكريًا ونقاءً ذهنيًا.

وأمام هذه المهمة الشاملة النبيلة والعظيمة، نجد على الساحة العربية صعوبات ومعوقات كثيرة، بعضها ذاتي وبعضها خارجي، ومن هذه المعوقات :

ـ عدم وجود التربية المناسبة لتكوين الباحث

متطلبات التنوير العربي ومهماته

المثقف الحر هو نبراس الأمة الذي ينير لها آفاق التطور والتحرر

العلمي ودعمــه وتأهيلــه لاستخـدام العقل الاستخدام الأمثل، فنحن نفتقد التربية التي تهتم بخلق روح البحث لدى المتعلمين.

ـ عدم وجود بيئة البحث، وهي البيئة التي لا ضياع فيهـا للـوقت، ولا محل فيهـا إلا للعمل الـدقيق الموضـوعي، وتنشط فيهـا الاجتماعـات العلمية التـي يسود فيها التعـاون والتفاهـم وتبادل المعرفـة.

ـ عدم تـوافر التقدم العلمي والصنـاعة التقنية في محيط البـاحث؛ فـالبـاحث العـربي منعـزل تقنيًـا، ويترتـب على ذلك صعوبـة في الحصـول على الأجهـزة وصيـانتها وإصـلاحهـا وتأمين قطع الغيار لها، مما يؤثر كثيرًا في العمل العلمي.

ولابـد فـي هـذا المجـال من الاعتمـاد على الذات، وتطـوير الإمكانـات التقنية والصنـاعية، ووضع خطط عـربيـة تنظم الإمكانـات والقـدرات وتضع الأولـويات، وهـذه التغيرات مهمـة العقل العربي، وبالتالي مهمة حركة التنوير العربية.

ويجب علينا أن نكون متفائلين، للوصول إلى هذه الغـاية النبيلـة والأساسيـة في التقـدم وبنيان الحضارة، ونـؤمن بأن الخطوة الأماميـة السليمة، ولو كـانت قصيرة، هي مفتاح الطريق الـذي نتوق إلى السيـر عليـه، ويجـب أن نثق أن في أمتنـا العربية القوة والعزيمـة المعهودة التي ستدفعنا إلى الخطوة المطلوبة.

٢ ـ المزج بين الأصالة والمعاصرة:

من منطلق العصـر الذي نعيـش فيه يبـدو لي العـالـم وهو يكـاد يتحلل من كل القيم الفاضلـة، وتكـاد الحقيقـة تخبـو نـارهـا في جـو مشحـون بالصراعات والنزاعات.

فإذا كنـا نـدعـو إلى تحكيم العقـل في كل أمورنـا والنظـر إلى المستقبل بكـل الحـواس البشـريـة، فيجب ألا نهمل تـاريخنـا العـربي المجيـد. وهذه المهمـة التنـويريـة تتلخص في ضرورة الوقوف لننظر في الأمـور بعين العقل، وهي الوقفة التي وقفها العـرب الأولـون والتي دعـا إليها رسولنـا الأمين محمد ﷺ. فقـد كان للعقل أعظم القيمة عنـد أسلافنا، وهـو ما يجب أن يكـون لـه بين المعاصرين.

وإذا كانت الأنـوار الأوربية في مهدهـا حركـة ضـد الديـن والمؤسسـات الـدينية، فـإن دعوتنـا للتنـويـر يجب أن تـرتكـز على التمسـك بـالقيم الإسلاميـة الرفيعة، ويجب ألا ننسـاق وراء العالم الخارجي مقلـدين إياه، بل علينا أن نبدع مسيـرتنا بالاستناد إلى المخزون التاريخي العربي الإسلامي الناصـع، مع مراعاة ظـروف الحياة التي تتغيـر مع التـاريخ، دون خـروج على الأصـول الثـابتـة التي شـرعهـا الله لتكـون لنا بـوسـاطتهـا الخلافـة في الأرض.

٣ ـ التنوير وضرورة التخطيط للمستقبل:

إن حياة الشعب في حقيقتهـا وحدة متكاملـة تتشابك عناصرها، فإذا مـا رأيتنا قد قسمنا إدارتها والنظر في شؤونها بين جهات متعددة فما ذلك إلا لتيسيـر الفكـر والعمل، على أن هـذه القسمـة لا ينبغي أن تحجب عنـا رؤيـة الـوحدة المتشـابكـة الأطراف في صورة الحياة كما نحياها بالفعل.

فإذا كان الاهتمام بالـدراسات المستقبلية من متطلبـات التنـويـر فـإن التخطيط للمستقبل من مهمات التنوير. فلا مناص ـ عند تدبير المستقبل ومشروعاته ـ من التعاون الوثيق بين هيئات البحث العلمي بعضهـا مع بعض من جهـة، ثم تنسيق الصلـة بين هـذه الهيئـات كلهـا والقـائمين على تخطيط السيـاسة المستقبليـة وتنفيـذها من جهـة أخـرى. فلـم يعـد جـائزًا لمن أراد الفكـرة الصحيحة أو لمن أراد الفعـل الصحيح أن يلتمسه عنـد المنجمين والمشعوذيـن، بـل لابـد من التمـاسه عند مجموعـة من العلمـاء حيث تكون على أساس علمي سليم.

وختامًا، فلا شك في أن حب الحرية بمعناها الصحيح والتسامح وسعة الأفـق والترجيح لأحكام العقل أو محاولـة ذلك، والاعتـزاز بعروبتنـا وذاتنا والاهتمـام بمثقفينـا، ثم النظـر إلى المستقبل وحسن التخطيط لـه بعيـدًا عن سطحية الفكـر، والمـزج بين القـديم والحـديث، لا شك في أنهـا الخطـوات الأولى والأسـاسيـة نحو تنـويـر الأمـة العربية.

الهـوامش

(١) هاشـم صالح، حـول مفهوم الحس التـاريخي. الوحـدة، عدد ٨١، يونيو ١٩٩١، ص ١١. نقلاً عن نص «كانت» من طبعة لابلياد (الترجمة الفرنسية) ص ٢١٠.

(٢) زكي نجيب محمـود، اللاعقل فـي حيـاتنـا. من كتـاب همـوم المثقفين. دار الشروق، ط ٢، ١٩٨٩، ص ١٩٦.

(٣) لـم يعـن الطهطـاوي بـالحريـة السياسية مشاركـة الشعب في الحكم، فـذاك أمل بعيد المنـال ـ وقتـذاك ـ، على أن الحرية السيـاسية تتضمن المسـاواة بين المواطنين على حد سواء.

(٤) زكي نجيب محمود، حـرية الذين يعملـون. من كتاب قيم من التراث. دار الشروق، ١٩٨٤ م.

(٥) بشـارة خضـر، دور العلم والتكنـولـوجيـا فـي نهضـة المجتمع العربي، الوحدة، عـدد ٥٥، ١٩٨٩م، ص ٦ ـ ٣٦.

(٦) أحمد صـدقي الدجاني، رؤى مستقبليـة عربيـة للثمانينيـات. القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٨٣م.

(٧) زكي نجيب محمـود، أزمـة المثقف العـربي. من كتـاب همـوم المثقفين. مرجع سابق.

العرب ومسيرة التاريخ

بقلم: د. عبدالله عبدالرازق إبراهيم

رغـم أن المؤلفـات قد تعـددت حول التاريـخ الإسلامي ودور العرب في مسيرة التـاريخ، إلا أننا لازلنـا في حاجـة إلى تسليط الأضواء على الكتابـة التاريخية عنـد العرب، والموضـوعات التي عالجهـا المؤرخون، والمراحل التي مرت بها الكتـابة التـاريخية في أزهى العصور الإسـلامية. ونحاول في هـذا البحث الموجز إلقاء نظـرة سريعة على العرب ومسيرة التـاريخ على أمل تركيـز دراساتٍ لمختلف المدارس الإسلاميـة، سواء في المدينة أو اليمن أو الكوفـة أو مصر أو الأندلس، حتى نصل إلى تصور كامل للدور العربي في الفكر الإنساني.

لقد عُني العرب بعلم التاريخ وأولوه جانبًا كبيرًا من اهتمامهم وذلك بقصد معرفـة مصائرِ الأمم الماضية، وحوادث الأزمـان السالفـة، ولمعرفة الأنساب. ولهذا قاموا بجمع الأخبار والروايات ولـم يتركـوا جانبا من النشاط الإنساني لـم يعالجوه، وسجلـوا فيه بعض خواطـرهم، ولـم يقتصر دورهم على المعلـومات التـاريخيـة بـل تخطـوا ذلك إلى التطـرق للنـواحي الجغـرافيـة، والاجتماعيـة، والاقتصادية، وصار التاريخ والجغرافيـا عند العرب فرعين متكاملين متلازمين في شجرة المعرفة العامة التي كانوا يسمونها الأدب [١].

يقول الدكتور حسين مؤنس: «إنه من الصعب في هذه المرحلة المبكرة من التـاريخ العـربي الفصل بين المؤرخ والأديب والجغـرافي في تـاريخ الفكـر الإسلامي» [٢].

وصـار التـاريخ عنـد العرب يحمل الكثير من المعـاني، مثل سير الـزمـان والأحـداث وتاريخ الرجـال وتحديـد زمن الواقعـة أو الحادث بـاليوم والشهـر والسنـة، وتطور علم التاريخ حتى صار يعني التركيز على الأحـداث والأخبار والكتب التي تحوي هذه الأمـور [٣].

وفي الفترة من الرواية الشفهية وفلسفـة التاريخ عند **ابن خلدون** تطور العلم عند العرب وتفرع وازدهـر، وأثمر، فلمـا نضب معينه بانحلال الحياة الإسلامية العـامـة جرى مـا يجري على الأحيـاء من حكم البـلاء والضعف حتى انقضت حياته [٤].

العرب وتدوين التاريخ

كـان العـرب يحـددون الأوقـات بالأهلّـة والنجـوم، وكـانـوا يؤرخـون بـالأحداث العظيمـة مثل عام الفيل وبنـاء الكعبة، ثم بـدأت كلمة «تـاريخ» تأخذ مـدلولها بمعنى التـوقيت والتقويم، وتطـورت لتشمل تسجيل الأحداث على أساس الـزمن حتى انتهت بعملية التدوين التاريخي، أي بعبـارة أخرى:

تطور العلم من معـرفة ساذجـة مـن معارف العرب قبل الإسـلام إلى علم صار من أجلّ العلـوم وأعظمها مكـانة. وكـان العـرب يطلقون على معـاركهم لفظ الأيـام، وكانت في البـداية شفهيـة نثـرية، وكـان الشعر يفتخـر بها في بعض الأحيان، وصارت الأيام جزءًا من الأخبار التاريخية. **يقول حاجي خليفـة**: «إن علم أيام العرب هـو علم يبحث فيه عن الوقائع العظيمة، والأهـوال الشديدة بين القبائل، وينبغي لذلك أن يجعل فرعـا من فروع التواريخ» [٥].

صارت معرفة الماضي بمثابة النافذة للإطلال منها على إرادة الله التي نمت في النـــاس، وتعبيرًا عن تلـك الإرداة، وكشفًـا للمستقبل عن طـــريق ذلك الماضي، وكـان العرب في الجاهليـة يعتمدون في تـدوين تاريخهم على النقـوش والأحجـار والمباني القـديمـة، وكانـوا يعتمدون على المشـافهـة، ويتفاخـرون بأنسابهم عن طريق الشعر والنثر [٦].

العرب كانوا أوّل من وجّه الأنظار إلى دراسة الآثار لمعرفة التاريخ

وعندما جاء ت البعثة النبوية لهداية البشرية على يدي محمد ﷺ في أوائل القرن السابع الميلادي، صارت هذه البعثة حدا فاصلا في مسيرة التاريخ عند العرب؛ لأنه خاتم النبيين، وقائد لواء الأمة الإسلامية؛ ولأن ظهوره يمثل عهدًا جديدا في تاريخ الإنسانية.

ونزل القرآن على الرسول الأمين بلسان عربي مبين، وكانت نصوصه ثرية بالكثير من القصص القرآني من أجل العظة والاعتبار، وبالتالي فقد فتحت الباب نحو المزيد من المعرفة التاريخية الدينية، وصار القرآن والسنة النبوية نافذة دخل منها التاريخ مرحلة جديدة بعد ظهور الإسلام.

وبدأت الدولة الإسلامية تشق طريقها، وتوسّع من رقعتها، وتتنوع فتوحاتها، وتضم البلدان شرقًا وغربًا، وأنهت إمبراطوريات قديمة، وظهرت دولة موحدة تدين بدين واحد، وكان لابد من دراسة الأحداث التي واكبت ظهور هذه الدولة وتوسعاتها، وتحليل الفتوحات ووصفها، وتقصي أخبارها، والمقارنة بينها وبين الدول التي كانت سائدة من قبل، ناهيك عن الرغبة في المعرفة والاطلاع

شهد القرنان الأول والثاني للهجرة اهتمامًا خاصًا بدراسة أخبار العرب في الجاهلية والإسلام، وأخبار الأمم والشعوب التي اتصلت بهم، وظهر على أثر ذلك مجموعة من الكتابات التاريخية من أخبار اليمن، وأخبار العرب في الجاهلية، **ومن المؤرخين الذين ظهروا في هذه الفترة واهتموا برواية الأخبار عن العرب قبل الإسلام نخص عبيد بن شريّة الجرهمي اليمني، ووهب بن منبه** (المتوفى ١١٠ هـ)، **ومحمد بن السائب الكلبي** (ت ١٤٦ هـ) **وابنه أبو المنذر هشام بن محمد** (ت ٢٠٤ هـ)، **وأبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي** (ت ٢٠٩ هـ) [٧].

وباختصار، صارت معرفة التاريخ عنصرًا مهمًا وحيويًا في هذه المرحلة من بعثة المصطفى ﷺ، وتطلب الأمر دراسة الأمور الشرعية، وإدارة أمور الدولة، والنظام المالي والقضائي، والأحوال السياسية والاجتماعية.

كان لابد من معرفة مسيرة هذه الأمة الإسلامية، ووضع المعايير اللازمة لتطورها، وحفظ تراثها، وإلقاء الضوء على إنجازاتها بعد أن امتدت شرقا وغربا، وكان لابد من تسليط الأضواء على كتاب الله وسنة رسوله، ناهيك عن الأحداث الكبرى التي واكبت هذه الفتوحات الإسلامية.

الخليفة عمر والتاريخ الإسلامي

أدرك الخليفة عمر بن الخطاب أهمية البعثة النبوية، وهجرة الرسول من مكة إلى المدينة، وعَدّ هذا الحادث بداية لتاريخ المسلمين، وذلك لإبراز شخصية الرسول ﷺ، **ولتأكيد أهمية ظهور الإسلام، وقام بتشكيل لجنة ثلاثية من أبي عدّي جبير بن مطعم أحد مشاهير علماء النسب، ومخرمة بن نوفل، وعقيل بن أبي طالب، وكلفها بوضع أنساب العرب، وثبت ذلك تمهيدًا لإنشاء الديوان، وكان هذا أول تدوين تاريخي للأنساب عند العرب،** وفي هذا يقول الطبري: «دوّن للناس في الإسلام، وكتب الناس على قبائلهم» [٨].

هكذا نشأ التدوين التاريخي عن ميول موجودة في المجتمع الإسلامي أضيفت إليه مع تطور الزمن دوافع جديدة، جعلته ينمو ويزدهر، وأدى ذلك إلى بلورة الفكر التاريخي عند العرب، لكن الكتابات التي ظهرت في العصور الإسلامية الأولى صبغت بصبغة إسلامية بحتة، ورغم أنها كانت مستقلة في موضوعها واهتماماتها ورجالها وتقويمها الخاص، إلا أنها نشأت في إطار الإسلام نفسه، حيث صار التاريخ جزءا من الثقافة العربية الإسلامية، بل صار الابن البكر لها، وكان علم الحديث والسيرة النبوية الشريفة من أشد العلوم ارتباطا بالتاريخ، حيث إن شجرة التاريخ عند العرب نبتت في تربة علم الحديث، ذلك العلم الذي يقوم على الدقة والتحري والضبط بالنسبة للحديث المروي، وعلى نقد الرجال فيما يتصل برجال السند الذين يعتبرون قواعد الرواية [٩].

وساعد على تقدم الدراسات التاريخية قيام بعض العلوم العربية الأخرى في الدراسات اللغوية والأدب والنحو، وأسرار البلاغة، وتكونت من هذه الحصيلة مادة تاريخية غنية، وظهرت مجموعة من اللغويين والرواة أمثال **الجاحظ، وأبي الفرج الأصفهاني، وابن النديم** وغيرهم من الذين شجعهم الخلفاء على تدوين المادة التاريخية، وكان **معاوية** قد استدعى **عبيد بن شريّة** من صنعاء ليسأله عن ملوك العرب والعجم.

وكان **معاوية** يجلس كل مساء لسماع أخبار التاريخ، وقد اشتدت الموجة في العصر العباسي حيث ظهرت كتب كثيرة مثل السيرة لابن إسحاق. وعندما ظهرت الحركة الشعوبية، صار تمييز العرب عرقيا وسياسيا يعطيهم بعض الامتيازات، وأخذت القوميات الأخرى تسعى لمقاومة هذا التمييز، وبالتالي ظهرت ردود الفعل لدى العرب، ومن هنا صارت المادة التاريخية تجد ميدانا جديدا [١٠].

واستقر التدوين التاريخي على أساس التسلسل الزمني، وجمع الموضوعات المتعاقبة على التوالي في كتاب واحد تستند في فلسفتها على فكرتين أساسيتين هما: وحدة التاريخ الإسلامي وأهمية تجارب الأمم الإسلامية، وثانيتهما وحدة تاريخ البشرية من خلال الرسل والأنبياء.

وهكذا توحد علم التاريخ الإسلامي في أواسط القرن الثاني الهجري وظهرت مناهجه في التدوين والكتابة التاريخية، وظهرت مجموعة من المهتمين بالدراسة التاريخية أمثال ابن إسحاق صاحب السيرة وأبي إسحاق بن محمد الذي ألف كتاب «**السيرة في الأخبار والحوادث**» [١١].

ويقودنا هـذا التنوع والتطور إلى دراسة الموضوعات التي عـالجها العرب في فترة الازدهـار الإسلامي .

الموضوعات التي عالجها المؤرخون العرب

لقد ركـز المؤرخون العرب في القرون الثـلاثة الأولى من الهجرة النبـوية على مـوضـوعـات لها ارتبـاط وثيق بأحـداث هذه الفترة ، وبـالتـالي فقـد ارتكـزت الموضوعات على المحاور الآتية :

السير والمغازي :

كان أكثـر مؤلفي السير من أهل المدينـة ؛ لأنهم أقرب الناس من الـرسول ﷺ ، ولـذا فإنهم نقلـوا الحديث وكتبـوا عن الأحداث ، وصـارت هـذه السيرة جـزءًا من الحديث ، وكان المؤرخـون يعتمـدون على الإسناد أولاً ، ثم يجمعـون المتون فيها بعد (١٢).

دراسة تاريخ الحوادث الإسلامية :

اهتم المؤرخـون بالأحـداث الإسلاميـة مثل غزوات الـرسول ﷺ وسرايـاه ، وحروب الرّدة ، ووقعة الجمل ، ووقعة صفين ، وحروب المسلمين مع غيرهم من الأمم كـالفرس والـروم ، وقـام المؤرخون بعقـد فصـول طويلـة عن البـلاد التي فتحهـا المسلمون في هـذه المرحلـة ، ودراسـة الأحداث التي تلت وفـاة الرسـول لمعـرفة طـريقة تـولي الخلافـة ، والخلاف بين عثمان وقاتليـه ، والخلاف بين علي وعائشة ، وبين علي ومعاوية ، وبين الأمويين وابن الزبير.

دراسة الأنسـاب :

اهتم العـرب في دراساتهم بقضـايا الأنسـاب ؛ لأن العرب كـانوا يعيشـون قبائل ، والقبيلـة هـي وحدة الأسرة ، وأحلّ الإسلام الأخوة الدينيـة محل الروابط القبليــة ، ولكن مع العصر الأموي عـادت العصبية القبليـة ، وكان لابــد من العناية بحفظ الأنسـاب . وعندما خضع الفرس والـروم لحكم العرب ، انقسم الناس إلى عـرب وموال ، وزاد ذلك من العصبية القبليـة ، ومع العصر العباسي ظهرت الشعوبية ، وأخذ الشعوبيون يبحثـون عن مثالب العرب عامة ، ومثالب كل قبيلـة خاصة ، وكان ذلك باعثا على تشريح القبائل ، وظهر عدد غير قليل من المهتمين بهذه الـدراسات أمثـال محمـد بن السـائب الكلبي ، وابنه هشـام الكلبي .

تاريخ الأمـم الأخـرى :

اهتم العـرب في صـدر الإسـلام بتـاريخ الأمم الأخـرى من فـرس وروم ، وتاريخ الأديـان الأخرى كاليهـودية والنصرانية ، ومن يستعـرض تاريخ الطبري «تاريخ الأمم والملوك» يستطع أن يتعرف رواة الأخبار لكل أمـة ممن كانوا الطبقة الأولى ، ومن كانوا الطبقة الثانية وهكذا .

تراجـم الرجـال :

عني المسلمـون عنـاية كبيرة بتراجم الـرِّجـال ، وقـد ألّف الواقـدي كتـاب «الطبقات» ، وسار على نهجـه تلميذه وكاتبه ابن سعد ، وكان الهدف من دراسة هذه التراجم هو معرفة من يصح الأخذ منهم أو العكس .

وباختصار يمكن القول : إن الموضوعات التـي عالجها العرب كانت تدور حـول السير والمغازي والمعـارك ، وأخبار الجاهليـة والأنسـاب وتاريخ الأنبيـاء السابقين الـوارد ذكرهم في القـرآن الكريم ثم تـاريخ الأمم الأخرى التـي فتحها المسلمون العرب .

أهمية المعرفة التاريخية

والسؤال الآن : **لماذا قام العرب بتدوين التاريخ واعتباره علما من علومهم ؟**

لقد تكاثفت عوامل كثيرة جعلت المعرفة التـاريخية أمرًا ضروريًا عند العرب في هذه الحقبـة من تاريخهم ، ومن هذه العوامل :

(١) رغبة العرب في دراسة الأحاديث النبـوية ليفسروا القرآن وليسترشدوا بـه في معرفة أحكام الدين .

(٢) الرغبة في معرفة سياسات الملـوك السابقين ليعرفوا كيف يسوسون شعوبهم بعد أن تعددت المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

(٣) الرغبـة في معرفة الأقطـار التي فُتحت صلحا والتي فُتحت عنـوة أو بعهد حتى يتم تقدير الجزية والخراج .

(٤) كان نظام العطاء والجند يستند إلى الأنساب وحسب الأسبقية إلى الإسلام ، فكان لابد من دراسة هذه الأنساب .

(٥) انتشار العـرب واحتكاكهم بشعوب أخـرى ، فكان لابـد من دراسـة هذه الشعوب وطبائعها وتاريخها حتى يسهل التعامل معها .

(٦) ازدهـار حـركـة الترجمة والتأليف والنشر ، وكـل هـذا سـاعـد على تشجيع الخلفـاء لهذه النهضـة العلميـة ، وبـالتـالي نـال التـاريخ قسطـا من هـذا الاهتمام .

مراحل الكتابة التاريخية عند العرب

لقد مرت الكتابة التاريخيـة عند العرب بعدة أطوار حتى وصلت إلى قمتها على أيـدي المؤرخ العــربي ابن خلـدون ، ومــرت هـذه المراحل عنــد العـرب بالتطورات الآتية :

مرحلـة القصص والأساطير الشعبية :

وهي المرحلـة التي تعتبر امتـدادا لما كان سـائدًا قبل الإسلام وتـركزت على الأحداث المهمة التي كانت سائدة قبل البعثة النبوية .

مرحلة مؤرخي السيرة والمغازي :

وهي مرحلــة الاهتمام بـالسيرة النبـويـة وغـزوات الـرسـول ، واشتهـر من المؤرخين شرحبيل بن سعـد (ت ١٢٣ هـ) أحـد موالي الأنصـار ، وقـد اهتـم

العرب ومسيرة التاريخ

بتدوين أسماء الرجال الذين شاركـوا في معركتي بدر وأحد، وكان أعلم الناس بهذه المغازي [١٢].

وظهر أيضا شرحبيل بن حسنة (ت ١٢٣ هــ) وموسى بن عقبـة، ومعمر ابن راشـد. ولعل أبـرز من كتـب في هـذا المجـال ابن إسحــاق « في كــتاب الخلفـاء » الذي جمع فيه أخبـار الخلفاء، ونقل عنه الطبري، ويعتبر إنتاج ابن إسحٰق عملاً عربيًا متميزًا تأثر فيه بقواعد علم الحديث [١٣].

وظلت كتابـات المؤرخين متأثرة بـالتيار القصصي، وكـان الرسـول ﷺ هو محور هذه السير والمغازي، وكان الاهتمام بالأيام والأنســاب عاملاً قويًا في هذه المرحلـة [١٥].

ومع انتهـاء القــرن الثـاني للهجـرة حـدثت تطـورات مهمـــة في التـاريخ الإسـلامي، حيث وضعت معـالم الأبـواب الأسـاسيـة للتـاريخ الإسـلامي، وظهرت عملية الاهتمام بـالبعد الجغرافي للحادثة التـاريخية والترجمة من اللغات الأخرى، وظهور كتب الطبقات [١٦].

مرحلة استقرار الدواوين في القرن الثالث الهجري

لقـد كثـرت المصـادر الأصليـة لخدمـة المؤرخين العـرب، حيث استقـرت دواوين الدولـة العباسيـة (ديوان الجنـد، وديوان الخراج والبريـد، والإنشاء). وقامت في هـذه المرحلة حركة النقل عـن اللغات الأجنبية. وبدأهـا ابن المقفـع بترجمة كتابي «خبر نامه» و «أيينامة» في تـاريخ الفرس، وكذلك البلاذري الذي ترجم إلى العربية عهد «أردشير» [١٧].

وقد أفرز القرن الثالث الهجـري كبار المؤرخين المسلمين الذين فهموا منهاج القرن الثاني الهجري، وظهر الهيثم بـن عدي (ت ٢٠٧هـ) صاحب أول كتاب في التـاريخ على أساس السنين، أي بنظـام الحوليات، وأحـدث بذلك خطـوة واسعة في تسجيل الخبر. ومن هنا حدث تطـور في المنهج التاريخي الإسلامي. كما ظهر الاهتمام بتـدوين الفتوح، وممن شـارك في ذلك أبو حـذيفة إسٰحق بن بشر (ت ٢٠٦ هـ) والـواقدي (ت ٢٠٧ هــ) وأبو عبيدة معمـر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) وابن عبد الحكم المصري (ت ٢٥٧ هـ) [١٨].

وباختصار، تعتبر مـرحلة القرن الثالث الهجـري إضافة جديـدة في تدوين التـاريخ عنـد العـرب، وحرص المسلمـون كل الحرص على الإسنـاد والنقـد، والإكثار من تدوين النصوص الأدبية.

مرحلة الحركات الانفصالية وتداعي الوحدة السياسية

فبعد أن كـانـت حاضرة الخلافة مـركزة في عاصمة الـدولة، أخذت مـراكز أخرى تنافس العاصمة، وظهرت أصفهـان والقاهرة والقيروان وقرطبة، وترتب على ذلك التركيز على التـواريخ المحلية، وكتب **ابن عبد الحكم** (ت ٢٥٧ هـ) كتاب **«فتوح مصر والمغـرب»**، **والكندي** (ت ٣٥٠ هــ) كتــاب **«ولاة مصر وقضاتها»**، **وابن عساكر** (ت ٥٧١ هـ) **«تاريخ دمشق»**، وابن عذاري **«كتاب البيان المغرب في أخبار المغرب»** [١٩].

واستمر تدوين سلاسل التاريخ العـام للأمة الإسلامية، فكتب **المسعودي** (ت ٣٤٦ هــــ) **«مــروج الـذهب وأخبــار الزمـان»**، **وابن مسكويــه** (ت ٤٢١ هـ) **« تجارب الأمم»**، **وابن الأثير** (ت ٦٣٠ هــ) **« الكـامل في التاريخ »**، **وأبو الفداء** (ت ٧٣٢ هـ) **«المختصر في أخبار البشر»**، **وابن خلدون** (ت ٨٠٨ هـ) **« العبر وديوان المبتدأ والخبر»**.

مرحلة تعرض الإسلام للأطمـاع الأجنبيـة

أغار الصليبيون على العالم الإسلامي، كما أغـار التتـار على عاصمة الدولة العباسيـة وأسقطوها عـام ١٢٥٨م، وبعد ذلك أصـاب الخلافة الإسلاميـة ما أصـابها في الأندلس من انقسـامات، وقـامت ممالك الطـوائف بها، وسقطت الواحدة تلو الأخرى، ولـم يبق للمسلمين في الأندلس (فردوس العرب المفقود) إلا غـرنـاطـة التي حكمها بنـو الأحمر حتى سقطت في أيـدي الإسبان في عـام ١٤٩٢م.

لكن رغم هـذا الانهيار السيـاسي فإن الأحداث سـاعدت على بلورة علم التاريخ عند العرب، وتجلت هذه النظرة المتطورة عندهم عندما قام **ابن خلدون** وكتب مقدمته المشهورة وكتابه **« العبر وديوان المبتدأ والخبر»**.

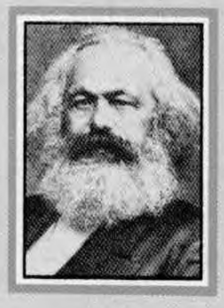
لقد أعطى ابن خلدون التاريخ نوعًا من الأصالـة، وجعله علمًا من العلوم، وقـدم لـه تعـريفـا في فـاتحة مقدمتـه يُعـد من أدق ما قيل عـن هذا العلم عنـد العرب، بل هو التاريخ الذي أعجب العرب، وظل هذا التعريف لابن خلدون من أعظم إنجازات العرب في علم التاريخ.

العرب في تاريخهم غير مدينين للتاريخ اليوناني أو الفارسي، وإنما نشأ تاريخهم مستقلًا متسقًا مع الظروف التي مرّوا بها.

يقول ابن خلدون عن التاريخ: «أما بعد، فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرحال وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال، إذ هو في ظاهره لا يزيد عن أخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأُول، تنمو فيها الأقوال وتضرب فيها الأمثال وتظرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدي إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان لهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم



هيجل



ماركس



توينبي

بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لهذا أصيل في الحكمة عريق» (٢٠).

ويعتبر تعريف **ابن خلدون** خطوة مهمة في علم التاريخ حيث جعله أصلاً في الحكمة، عريقًا يستحق أن يدرس، وربطه بالحكمة باعتبارها أعلى مراتب العلم. لقد حدد **ابن خلدون** فضائل علم التاريخ، بل اعتبره علما من العلوم، وجعله علما عزيز المذهب، جمّ الفوائد شريف الغاية حيث يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم، وأخلاقهم، والأنبياء وسيرهم، والملوك ودولهم وسياستهم.

وهكذا وضع العرب التاريخ على أعتاب جديدة، وفتحوا مجالات كثيرة جعلت من التاريخ علما قائما بذاته، ويكفيهم فخرا أنهم اعتنوا بتاريخ الحوادث بالشهر واليوم، وهم في هذا أسبق من غيرهم، واعتنى بعضهم بالإسناد، وتشددوا في الرواية والسماع، وصابروا وعانوا المشاق ووعورة الطرق من أجل تسجيل كل ما حدث رغم حالة الفقر والإفلاس وغلاء القرطاس (٢١).

ويكفي المؤرخين العرب أنهم لم يدينوا أبدا للتاريخ اليوناني أو الفارسي، وإنما نشأ التاريخ عندهم مستقلا متسقا مع ظروفه التي مرّ بها، وإن ظل هذا التاريخ غير معروف لسائر العرب إلا بعد الإسلام (٢٢).

وكان المسلمون العرب أول من أشار إلى أهمية دراسة الآثار لمعرفة التاريخ، وحل مشكلاته، وبلغ التاريخ عندهم شأوا عظيما في خطط **المقريزي**، وظهرت أيضا الموسوعات التاريخية الكبرى على يد **شهاب الدين النويري** (ت ٧٣٢ هـ)، **وابن الفرات** (ت ٨٠٧ هـ)، وكان **ابن خلدون** آخر العمالقة الذين نقلوا التاريخ من مجرد استعراض للأحداث والدول إلى النظرة الفلسفية المحيطة التي نقلت التاريخ تلك النقلة الحضارية التي نهل منها الغرب في عصر النهضة؛ وظهرت النظريات الحديثة الخاصة في التاريخ على أيدي **هيجل وماركس وإنجلز وأرنولد توينبي**.

هذا هو دور العرب في التاريخ، دور نقل العلم من الرواية والمشافهة إلى تقصي الأخبار والسير، دور ركّزَ على الأحداث باليوم والشهر، دور فتح المجال أمام الترجمة ودمج الأحداث مع الجغرافيا ليتكون لنا نسيج إسلامي عريق، هذا الدور لم يتوقف بالغزو الأجنبي للعواصم الإسلامية، بل استمرت سيرة العرب في التاريخ حتى وصلوا به إلى مكانة مرموقة، وجعلوا منه علما يضارع كل العلوم الأخرى، وظهرت على أيديهم المدارس التاريخية في كل من المدينة واليمن ومصر والأندلس، وهي مدارس لها أصولها ولها موضوعاتها وأعلامها التي أثرت التاريخ الإسلامي بشكل خاص، والعالم بشكل أعم وأشمل.

الهوامش

(١) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦م، ص ٣.

(٢) حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون، دراسة في علم التاريخ. دار المعارف ١٩٨٤م، ص ٢٥. وأيضا كتاباته في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس، المجلدان الرابع والثامن، مدريد ١٩٥٩م، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٣) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون. ج ١، دار العلم للملايين، تموز/ يولية ١٩٨٣، ص ٥١.

(٤) ج. هرنشو: علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي. لبنان ١٩٨٢م، ط ٢، ص ٤٣.

(٥) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. جزآن، إستانبول ١٩٤١م، ج ١، ص ٢٠٤.

(٦) شوقي الجمل: علم التاريخ، نشأته وتطوره، ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه. القاهرة ١٩٨٢م، ص ٢٦.

(٧) السيد عبد العزيز سالم: مرجع سابق، ص ٤٤.

(٨) الطبري: تاريخ الأمم والملوك. ج ٤، ص ٢١ (طبعة أبي الفضل إبراهيم).

(٩) حسين مؤنس: مرجع سابق، ص ٦٩.

(١٠) شاكر مصطفى: مرجع سابق، جـ ١، ص ٦٨.

(١١) ابن النديم: الفهرست، ص ٩٢.

(١٢) أحمد أمين: ضحى الإسلام. بيروت، ط ١٠ - ١٩٣٥م، ج ٢ ص ٣٣٨.

(١٣) حسين محمد سليمان: المدخل إلى دراسة التاريخ. السعودية، ص ١٤٣.

(١٤) جب هاملتون: دراسات في حضارة الإسلام. بيروت ١٩٦٤م، ص ١٤٩.

(١٥) حسين نصار: نشأة التدوين التاريخي عند العرب. القاهرة (د. ت) ص ٧٤.

(١٦) حسين محمد سليمان: مرجع سابق. ص ١٥٢.

(١٧) ج. هرنشو: علم التاريخ. ص ٤٩.

(١٨) صلاح الدين المنجد: أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب. ج ١، ص ٣١.

(١٩) د. شوقي الجمل: مرجع سابق، ص ٣٣.

(٢٠) حسين نصار: مرجع سابق، ص ١٣. وأيضا انظر، مقدمة ابن خلدون (الفصل الخاص بالتاريخ) في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلمام بما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من أسبابها.

(٢١) أحمد أمين: مرجع سابق، ص ٣٦٠.

(٢٢) حسين محمد سليمان: مرجع سابق، ص ١٢٦.

اللغة العربية.. في معيار القدم بين الساميات

بقلم: إحسان جعفر

لكثير من الأمم والشعوب أقوال عديدة « بقدم لغاتها » ، وأنها باقية على الدهر ، فزعم الصينيون والهنود ذلك ، وادعى الأرمن هذا الادعاء ، واعتقد الإغريق أن لغتهم خلاصة ما يصل إليه العقل البشري ، ومثلهم قالت الشعوب السامية بقدم لغاتها .

وانطلاقاً من فكرة قدامة لغة ما وأسبقيتها على غيرها في الوجود قد يُسأل : أيّ اللغات السامية أقدم ؟ أو بمعنى آخر أيّ اللغات السامية الحية أقرب صلة وأقوى شبهاً باللغة السامية الأولى ؟!

وقد يُعلق هذا السؤال ، ولكن الاكتشافات الآثارية الحديثة أماطت اللثام عن جوانب يمكن أن تصل بنا إلى الإجابة عن هذا السؤال الذي تلوح لنا أهميته .

ولقدماء علماء السامية آراء بُنيت على اعتبارات تقديسية ونفسية في قدم لغات أبناء سام ، فتعصبت كل طائفة منهم للغتها ، وحملهم هذا على الانزلاق في الأوهام ، **فزعم بعض الدارسين ، في بادئ الأمر ، أن جميع اللغات السامية استلهمت اللغة العبرية ، وهم في زعمهم هذا إنما كانوا متأثرين بما كان أحبار اليهود في العصور القديمة يعتقدونه من أن اللغة العبرية هي أقدم لغة في العالم** ، ومن الطبيعي أن يقع مثل هذا التأثير لأن دراسة الساميات بدأت في أوروبا باللغة العبرية وبمساهمة كبيرة من علماء التلمود[١] .

وذهب آخرون إلى تقديم **اللغة الآرمية** على غيرها جاعلين منها البنت الأولى للسامية الأصيلة ، وأنها كانت **لغة السيد المسيح** ، وثمة من يقول : إنّ اللغة **الأكدية « الآشورية ـ البابلية »** بالنسبة إلى اللغات السامية **كاللغة السنسكريتية** بالقياس إلى **اللغات الهندوأوروبية**[٢] .

وقال بعض المستشرقين إن نصف اللغة العبرية الخاص بترتيب الجمل أقدم من العربية ، والنصف الآخر الذي يختص بالكلمات والأوزان أحدث منها .

ثم تنازلوا عن هذه الآراء جميعها ، لأنها لم تستند إلى بحث لغوي مقنع أو دراسات علمية صرفة قائمة على نوع من التقابل اللغوي المنظم ، وبخاصة بعد أن رفدتنا **أوجاريت** ومن ثمَّ **إيبلا** بحقائق وأدلة لغوية ، أدت إلى انقلاب في الدراسات السامية .

ذلك أنه قبل سنة ١٩٢٩م ، وهي السنة التي اكتشفت فيها أوجاريت ، لم يكن لدينا معلومات متكاملة عن أية لغة سامية مندثرة إلاّ أكدية القرن العاشر قبل الميلاد ، وكان من المتعذر أن نستشف منها شيئاً ما عن اللغات السامية التي كانت سائدة في **سورية ولبنان وفلسطين** ، وأخذ الباحثون بعد ذلك يعضدون الرأي القائل بأن هناك صلة كبيرة بين اللغة العربية واللغة السامية الأولى ، وحجتهم في ذلك أن في العربية آثاراً موغلة في القدم تقرب كل القرب من لغة سام ، فثمة تشابه في **الخواص ، ومقاطع الكلمات والألفاظ ، والتراكيب** ، وقد احتفظت ، فضلاً عن ذلك ، بعدد من الظواهر اللغوية التي تفوق الهجرة الأكدية (سنة ٢٥٠٠ ق. م) قدماً .

وكان هذا الاتجاه قد بدأ ينمو ويتعاظم منذ منتصف القرن الثامن عشر حيث ظهرت بين المستشرقين حركة لغوية ترمي إلى اعتبار **اللغة العربية مفتاح اللغات السامية** ، وكان زعماء هذه المدرسة الهولنديون ، وعلى رأسهم **المستشرق شولتنز** وابنه وحفيده ، وقد ظهرت هذه المدرسة رد فعل على تهويد الدراسات السامية ، وكان من نتائجها دراسة العربية لذاتها وانصراف الجهود لبعث الأدب العربي .

أقـوال العـرب

وللعرب أقوال بقدامة لغتهم ، فقد أخرج **ابن عساكر** ، في تاريخه عن **ابن عباس** أن **آدم كانت لغته في الجنة العربية**[٣] ، وأورد **أبو حاتم الرازي** في كتاب **الزينة** أن أنبياء العرب القدماء **هود ، وصالح ، وشعيب ، كانوا يتكلمون العربية**[٤] ، ويقول الأخباريون إنّ « **جرهم** » الذي كان في سفينة نوح **كان يتكلم العربية** ، ونقل إلينا بعض الرواة أبيات شعر تعود إلى أيام النبي هود ، والنبي صالح ، والنبي برخيا ، وجاءنا كلام وأشعار من **يعرب بن قحطان** وغيره من رؤساء القبائل العربية البائدة .

وأغرب من هذا وذاك ما ورد إلينا من **نظم آدم أبي البشر** ، ولا جرم أن علماء اللغة لا يثمنون هذه الأشعار ، إلاّ أنه يؤخذ منها أن **اللغة العربية قديمة** . يشهد على ذلك (**سفر أيوب**) ، فإنّ كثيرين من العلماء يذهبون إلى أن صاحبه وضعه بلغته العربية ، إذ فيه عبارات ، وتشبيهات ، ومجازات ،واستعارات ، لا تعرف إلاّ في العربية ، فلا شك أنه نقل من اللغة العربية إلى العبرية ، وبقيت في النقل أصول اللغة ، ومبانيها ، وصيغها على أصلها ،أو يكاد .

ويشهد على ذلك أيضاً ما وصلنا من **انضباط إعرابي في الشعر الجاهلي العربي** الذي يدلّ على تطور طويل وتقليد عريق **في ضبط اللفظ** ، وهذا يستبعد وصوله من غير لغة مكتوبة تمتلك القدرة على تأدية الحركات الإعرابية ، ومثل هذه اللغة وإن لم يظهر لنا منها شئ ، لابد من أن تكون ذات صلة وثيقة **بالأكدية والأوجاريتية والإيبلائية** إن لم تكن منحدرة منها ، ويشجع على هذا الافتراض العلاقة التي تظهرها الدراسات الفيولوجية بين هذه اللغات واللغة العربية .

كما يسوقنا إلى هذا الافتراض النواحي المجهولة في تاريخ نشأة اللغة العربية ، فإننا لا نعرف عنها شيئاً يقيناً . ولكن لا يكاد القرن السابع الميلادي ينتصف حتى يجد مؤرخ اللغة نفسه أمام لغة **غنية بمفرداتها ، تامة في إعرابها ، متينة في تراكيبها ، صقيلة في أساليبها التعبيرية ، ناضجة في الصور التجريدية** مما يدل على مبلغ من الرقي العقلي يتنافى والصورة المشوهة

التي صور بها المؤرخون المتأخرون أعراب البادية .[٥]

أقـوال المستشـرقين

ومن العلماء الذين دل استقراؤهم وبحثهم العلمي الذي اهتدوا إليه على قدم العربية « **أولمستد** » الذي يرى : « **أنَّ البدو العرب كانوا أول من تكلم باللغة السامية** »[٦] ، **وعبد الله فيلبي** الذي يعتقد أنَّ : « **اللغة العربية أقرب من جميع اللغات السامية إلى اللغة الأم الأصلية** .. وهي على الأغلب **أقدم لغة في العالم** ومازالت حية حتى يومنا هذا »[٧] ، ويقول **دي جوج** : « إنّ اللغة العربية تقرب كثيراً من اللغة السامية الأولى ، وتتصل بها أكثر من اللغات السامية الأخرى »[٨] .

ويرى **ولفنستون** : « **أن اللغة العربية تحتوي على عناصر لغوية قديمة جداً بسبب وجودها في مناطق منعزلة عن العالم بعيدة عما يتوارد عليه من تقلبات وتغيرات** »[٩] ، وفي طليعة المستشرقين الذين تبنوا قدم العربية يقف « **أولسهوزن** » الذي يقول : « **إن العربية هي أقرب اللغات السامية إلى اللغة السامية القديمة** » ، وأيد **أولسهوزن** رأيه هذا بعدة أدلة ارتاح لها الكثير من المستشرقين[١٠] . ويؤكد « **نولدكه** » ذلك فيقول : « وإذا تبين الآن أكثر من ذي قبل أنّ اللغة السنسكريتية لم تكن في المرتبة التي تؤهلها للاحتفاظ بخصائص اللغة الهندوأوروبية الأولى ـ كما كان يظن منذ زمن قليل ـ فإنه لا يجوز للمرء أن يعترف للغة العربية في موضوعنا هذا بأكثر من قرب العلاقة بالسامية الأولى . حقاً لقد احتفظت العربية أكثر من أخواتها بكثير من الصور الصادقة لعناصر اللغة الأولى مثل الكمية الأصلية تقريباً من الأصوات الساكنة وكذلك الحركات القصيرة في المقاطع المفتوحة ، ولا سيما في وسط الكلمات »[١١] .

ومثله يؤكد فيليب حتي هذا الرأي فيقول : « وعلى الرغم من أن العربية هي أحدث اللغات السامية من حيث الأدب المدون فقد حافظت أكثر من العبرانية وشقيقاتها من اللغات السامية جميعاً على خصائص اللغة السامية الأم »[١٢] . أما **جواد علي** فيلاحظ أنّ « **العربية أنسب اللغات السامية للدراسة وأكثرها ملاءمة للبحث** »[١٣] .

وإلى مثل هذه الآراء ذهب **فون كريمر وجودي ورايت وأوليناري** وآخرون[١٤] ، لا .. بل إن « **دوسو** » قال بصريح العبارة : إن **حمورابي** ملك **بابل** هو **عربي** ، وذلك بعد أن اطلع على المادة اللغوية التي كتبت بها شريعته ،[١٥] ويقول **فليب حتي** بصدد تشابه سفر أيوب من حيث الألفاظ وأسماء الأعلام والصيغ مع اللغة العربية : « **إن أيوب الذي ابتدع أرقى شعر في العالم السامي القديم لم يكن عبرانياً بل عربياً** » ، وهذا يؤكد **أسبقية اللغة العربية على غيرها من اللغات السامية وأن الإسرائيليين سرقوا هذا الشعر الحكمي وأضافوه إلى توراتهم**[١٦] .

ولعل آخر من اعترف بأن **العربية أم اللغات السامية** الدكتور أنيس فريحة الذي يقول : « تشير اللغة أخيراً إلى أن الشعوب السامية جميعها **من أصل عربي** ، ويشاركني في هذا الرأي كبار المستشرقين بناء على أدلة لغوية .

لهذا يشدد الألمان في جامعاتهم على تعليم اللغة العربية للراغبين في التخصص في اللغات السامية ، لأنها الأساس . هي الأوسع والأفصح في اللغات السامية . من يعرف العربية يسهل عليه دراسة اللغات السامية الأخرى لأنها قريبة الصرف والنحو والمفردات ، حتى اللغة الحبشية قريبة من اللغة العربية »[١٧] . وهذا ما كان قد ذهب إليه **سبرنجر** من أن : « **جميع الساميين عرب** » حيث ضمن هذا الرأي كتابه « جغرافية بلاد العرب القديمة » .

العربيـة مفتـاح اللغـات

وهناك بين اللغويين من يرى أن **اللغة العربية أم اللغات جميعاً** أو « **مفتاح اللغات** » ، وقد نشر هذا الرأي الأب **أنستاس ماري الكرملي** على صفحات المقتطف والهلال ولغة العرب[١٨] ، وإليه ذهب متوغلاً في البحث الشيخ **محمد أحمد مظهر** ، فنشر في مجلة **الديانات** التي تصدرها باللغة الإنكليزية **جماعة الأحمدية في باكستان** بحثاً عنوانه : « **اللغة العربية هي أم اللغات جميعاً** » .

وقد بسط نظريته وأدلتها في عشر مقالات نشرت في هذه المجلة سنة ١٩٦٠م . ثم أخذ يستعرض أصول طائفة من اللغات الحية والميتة مبيناً انشعابها من أصول اللغة العربية ، فطبق نظريته على اللغة السنسكريتية في عدد نوفمبر سنة ١٩٦٠م ، وعلى اللغة الإنكليزية في عدد ديسمبر ١٩٦٠م .[١٩]

وقد طور هذا الرأي بتوسع الباحث العراقي **عبد الحق فاضل** معتمداً على علمي **التأثيل والترسيس** .

الدراســات المقارنــة

ولقد أسهمت **الدراسات المقارنة** للغات السامية من حيث الصيغ والألفاظ والتصريف والإعراب والأصوات في إيضاح جوانب كثيرة من حياة اللغة العربية في عصرها السحيق ، قبل تدوينها ، والأمثلة كثيرة على نتائج هذا البحث المقارن بالنسبة إلى العربية ، فاللغة الأكدية ،[٢٠] مثلاً ، التي وصلتنا مكتوبة بالخط **المسماري المقطعي** تحتفظ بظاهرة الإعراب القديمة .

إن هذا يعني بالنسبة إلى تاريخ اللغة العربية أن وجود النهايات الإعرابية يفوق الهجرة الأكدية قدماً ، وأن الأكديين خرجوا بهذه الظاهرة من مهد الساميين الأول الذي نرجح كونه جزيرة العرب ، فالإعراب في العربية والأكدية أقدم (من سنة ٢٥٠٠ ق. م) ، وعمره أكثر من خمسة وأربعين قرناً . هذا مع ملاحظة اشتراكهما في هذه الظاهرة مع **الأوجاريتية والحيثية** ، وتجرد **السريانية والآرامية** منها ، وضآلتها في **العبرية القديمة والبابلية القديمة**[٢١] ، فضلاً عن تجرد جميع اللهجات العربية العامية الحديثة من آثار الإعراب وقوانينه ، وطبيعي أن تجرد أي لغة سامية من الإعراب يعني حداثتها .

ولنتوقف عند بعض الكلمات الأكدية التي وصلتنا عبر الرقم والنقوش ، فكلمة « **عين** » في العربية كتبت بما يقابل صوتياً enu (**إين**) ، وكلمة **حقل** في العربية دونت في الأكدية بما يقابل eqlu (**إيقل**) ، ومعنى هذا أن **الحاء والعين** ضمن الأصوات الحلقية التي فقدتها اللغة الأكدية[٢] إذ هي لا تعرف من الحروف الحلقية سوى **الألف والهاء** بينما لا نجد للحاء والعين أثراً ولا حتى للغين ، وليست هذه هي الحروف الوحيدة التي اختفت من الكتابة الأكدية بل إن هناك حروفاً أخرى مثل **الضاد والظاء والثاء والذال والقاف** فاستعاض الأكديون عنها **بالصاد والطاء والشين والزاي والكاف** ، وهذا يومئ إلى أن العربية تمثل هنا **المرحلة الأقدم** .

فاللغات السامية الأخرى الكنعانية والآرامية احتفظت مع العربية بالصيغة الأقدم ؛ والذي اتفق عليه الباحثون بالأدلة العلمية أنّ الأكدية تمثل الصيغة الأحدث على الرغم من قدم نقوشها ، وهذا أمر طريف للغاية ، فالعربية التي

وصلتنا بعد الآكدية بآلاف السنين قد احتفظت ، في عزلتها بالصحراء ، بالدلالات الإعرابية للاسم ، واحتفظت بعدد من الأصوات التي هجرتها بعض اللغات السامية الأخرى .

وعند التعرف على اللغة **الأوجاريتية** وجد علماء الساميات أن هذه اللغة التي تقرب من اللغات السامية ومن العربية القديمة بشكل خاص وترجع إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد أي أقدم من العبرية ، تحتفظ بظواهر المنع من الصرف[٢٣] ، وكان المظنون أن المنع من الصرف خاصة عربية ، ومعنى ذلك أنه **ثبت بين العلماء أن ظاهرة المنع من الصرف قديمة في اللغات السامية ، وأن العربية احتفظت بها ، بينما فقدتها مع الزمن أكثر هذه اللغات .**

ومن ظواهر العربية التي أكدت اللغة الأوجاريتية أنه قديم ظاهرة التعريف بأل[٢٤] واستعمال الاسم الموصول « ذو » وبعض استعمالات حرف العطف الفاء .[٢٥] .

وكشف العلماء من آثار بلاد النبط بعض حروف الجر التي كانت تستعمل في مثل موضعها من الجملة في اللغة العربية قبل ثلاثة آلاف سنة ، فإذا قدرنا أن حرف الجر عادة هو اسم أو فعل مختزل لا تتعود الألسنة اختزاله قبل انقضاء مئات السنين ، فلا بدّ من تقدير زمان سابق لتاريخ تلك الكتابة النبطية ، بعدة قرون ، كانت فيها اللغة العربية لغة تركيب وإعراب بقواعدها التي تطورت مع الزمن حتى وصلتنا إلى ما هي عليه ، وبلغت فيها قواعدها غاية مداها من الضبط والاستقرار [٢٦] .

بين العربية والآكدية

ومن مقارنة اللغة العربية والسريانية والعبرية من جهة والآكدية التي هي ـ حسب البحث العلمي ـ أقدم من السريانية والعبرية معاً ، من جهة أخرى ، نتوصل إلى أن **العربية أقدم من السريانية والعبرية ، لأن العربية كما يتجلى ذلك تتوافق مع الآكدية أكثر مما نشهده لها من توافق مع السريانية والعبرية بحيث نستطيع القول باطمئنان أنها الوارثة الشرعية لقواعد اللغة الآكدية ،** فصيغ الأفعال في الآكدية أقرب إلى الصيغ العربية منها إلى سائر اللغات السامية ، وكذلك ثمة تشابه في الأسماء والمفردات إذ أن عدداً من الأسماء التي سقط بعض حروفها بالاستعمال في السريانية والعبرية لا تزال محفوظة في العربية كما في الآكدية مثل « **أنف** » فإنها كذلك فيها ، بينما سقطت نونها العبرية والسريانية .

والقواعد الآكدية التي وصلتنا هي ، كقواعد اللغة العربية . ونحن نجد فيها صيغاً للمفرد والمثنى والجمع . كما نجد الجمع ينتهي بالواو والنون في حالة الرفع وبالياء والنون في حالة النصب (**ملكو وملكي**) كما في العربية ، بينما نجده ينتهي في السريانية بياء ونون فقط ، وفي العبرية بياء وميم ، وواضح أن علامة الجمع في العربية التي تتخذ شكلين « ون » رفعاً و « ين » نصباً وجراً هي اللاحقة الأقدم . كما تضاف في الآكدية ألف وتاء في حالة جمع المؤنث تماماً كما في العربية . وتوجد كذلك حالات الرفع والنصب والجر للأسماء ، كما نوهنا ، مثل : **طابو ، طابا ، طابي** . كما في العربية أيضاً ، وكل ذلك يتم في الكلمة الوحدة المفردة ، عند تركيبها في الجملة .

وهناك صيغة في الآكدية ، لا تزال تحفظها العربية ، تصلح كمثال للتوكيد الذاتي في الفعل الإنساني . وهذه الصيغة هي « **انفعل** » . فهي تجعل الفعل يتكامل ذاتياً دون فاعل ومفعول به من خارج ذات الإنسان . وتقلب النون واواً في فعل « **إنولد** » فتصبح بعد إدغامها « **إوّلد** » وذلك وفق قاعدة حروف القلب العربية وتبقى تفيد معنى الفعل الذاتي .[٢٧]

ومن الظواهر اللغوية الأخرى التي تشترك فيها العربية مع الآكدية والأوجاريتية فقط **ظاهرة التنوين** ، وهي في الآكدية « ميم » ، وفي العربية « نون » وهما تتناوبان !

هذا التشاكل والتداخل بين العربية والآكدية لأكبر دليل على قدم اللغة العربية ، وعلى عروبة اللغة الآكدية أيضاً ، وبخاصة في عهدها الأول قبل تأثرها بلغات الأقوام المجاورين . ومما يذكر بهذا الصدد أن المؤرخين نقلوا عن **بروسوس** المؤرخ الكلداني : « **إن في العراق قد قامت للعرب دولة دام حكمها ٢٤٥ سنة تأتي بعد دولة الكلدان ، وتنتهي بدولة الآشوريين ، وعدد ملوكها تسعة** » . **ويرى الباحثون أن هذه الدولة هي دولة حمورابي ملك بابل .**

ونحن نعتقد أن اللغات السامية كانت قبل خروجها من الجزيرة العربية متوافقة تقريباً ، وما كان بينها من اختلاف لا يعدو الاختلاف الذي شهدناه للهجات العربية التي كانت سائدة في جزيرة العرب قبل الإسلام ، وأن الاختلاف الذي تم بعد ذلك كان من جراء التأثر والتأثير بين هذه اللغات السامية وبين اللغات القديمة التي كانت في بعض أطراف الشام والعراق من سومرية وحيثية وحورية .

وكان قد تنبه إلى ذلك **ابن حزم** الذي يقول : (**إن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانية والعربية ... لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث فيها جرس ...** »[٢٨] .

تفرد العربية بالأصالة

هذا ويجب التنبه إلى أن اللغة العربية تنفرد بين مجموعة اللغات السامية بالأصالة والفصاحة والبعد عن المؤثرات الخارجية ، فقد وجد العلماء أن اللغة الآكدية (الآشورية ـ البابلية) إنما وصلت إلينا بألفاظ قليلة يعسر على ضوئها الحكم على مدى أقدميتها ، كما دل البحث العلمي على أن هذه الألفاظ القليلة ليست سامية خالصة ، بل تختلط بها ألفاظ سومرية أقتبست من لغات سكان بابل الأصليين بحيث اندمجت بها مشكّلة لغة واحدة .[٢٩]

ووجد العلماء أنه على الرغم من وفرة الآثار اللغوية الآرامية القديمة .. ليس من المستطاع وضع الأسس الصحيحة لقواعد الآرامية القديمة وكيفية النطق بألفاظها وتصريف أسمائها وأفعالها ، لأن مجموع تلك الآثار ليس فيه المادة الكافية للركون إلى نظرية واحدة ، فضلاً عن أن بعض اللهجات الحديثة المتفرعة منها كاللغة السريانية الحديثة ، قد طرأ عليها تغير كبير مما أدى إلى اختفاء كثير من مميزات اللغات السامية فيها ، بحيث أصبحت بعيدة جداً عن أمهاتها القديمة . إذ تسرب إليها كثير من الألفاظ العربية والتركية والفارسية والكردية .[٣٠]

أما اللغة العبرية فهي مزيج من الكنعانية والآرامية ، ومنذ نفي بابل سنة ٥٨٧ قبل الميلاد أخذت عوامل الفناء تدب إليها ، وأخذت الآرامية تحل محلها حتى لقد قام الربانيون اليهود بنشر تعاليم دينهم بين أفراد شعبهم عن طريق نقل الكتب المقدسة والمؤلفات الدينية من العبرية التي انقرضت من التخاطب في ذلك العصر إلى الآرامية التي غدت لغة اليهود في حياتهم اليومية .[٣١]

الاكتشافات الأخيرة

ثم جاءت الاكتشافات الأخيرة في بعض المواقع الآثارية في **سورية والعراق** التي جعلتنا أمام منعطف جديد يستند على **اعتبار اللغة العربية المقياس في فهم اللغات السامية القديمة وأساس أي مقارنة لكشف التاريخ السحيق لكل لغة من اللغات السامية** ، وقد أثبتت **الندوة العالمية الأوجاريتية ، التي أقيمت في اللاذقية** بمناسبة مرور خمسين عاما على اكتشاف مدينة **أوغاريت** الكنعانية ـ ومن خلال الوثائق ـ أن **اللغة العربية هي المرجع والمصدر والمقياس الحقيقي للتعرض على اللغات السامية .**

وقد فطن **كلود شيفر** مكتشف أوجاريت إلى هذه الناحية حيث يقول : « **إن اللغة الأوجاريتية الكنعانية تؤلف أقدم مصدر للغة العربية** »[٣٢] . ومما يجدر ذكره أن العربية استعملت بأشكال شتى في إيضاح معاني الأوجاريتية ، فقد كان ثمة اتجاه قوي لاستخدام العربية ، ومن أبرز من ناصر هذا التقليد **ج. ر. درايفر ، وج كسراي ، وج اسليتز .**

ولقد ذكرت ـ في دراسة لي عن لغة أوجاريت ـ أن اللغة الأوجاريتية التي تنتسب إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد (أي أقدم من اللغة العربية) « ... ليست سوى لهجة عربية قدمى ، ويتضح ذلك إذا أراد الناطق أن يتصرف **بالمد والقصر أو التفخيم والترقيق أو الإشمام ، أو الإمالة** في أداء الأصوات لكون الأبجدية الأوجاريتية خالية من الصوائت القصيرة ، ومن الكلمات المشتركة بين العربية والأوجاريتية التي لا يمكن حصرها برقم ثابت : **نهر ، أب ، أخ ، يد ، نعمة ، حلم ، بتول ، كرم ، موت ، يم حقل** الخ .. »[٣٣] وذهبت في تحقيق آخر إلى أن أوجاريت هي إحدى دول العرب البائدة ، وأن اسم أوجاريت ما هو إلا تحريف للاسم العربي « **الحُجُرات** » ـ بضمتين[٣٤] ـ

ألواح إيبلا

وعلى ضوء اكتشاف لغة **إيبلا** التي تعود إلى سنة (٢٤٠٠) ق. م ، وصل العلماء إلى « مصدر اللغة العربية » ، فأزيح الستار عن أن **اللغة الإيبلائية الكنعانية القديمة التي تشاكل العربية وتتداخل معها هي اللغةالأم للغات السامية التي ظهرت فيما بعد** ، لاسيما اللغة الكنعانية المؤبجدة التي استخدمها بعد ألف سنة أهل أوغاريت (شمالي اللاذقية) ، واللغة الفينيقية التي عرفها بعد أكثر من ألف سنة أهل مدينة **بيبلوس (جبيل)** ، وهذه اللغة لهجة غربية تختلف قليلاً عن اللهجة الشرقية الأكدية ، وإن كانت مشاكلة تماماً للهجة « **أبو صلابيخ** » الموقع المكتشف في شمالي القطر العراقي والذي يعود إلى عصر مملكة إيبلا .

وفي لغة إيبلا نجد كلمات لا تزال حية في اللغة العربية حتى يوم الناس هذا ، مثل **كتب ، يد ، أخت** (وتلفظ أكتو) ، **وملك (وتلفظ ملكوم) ، وملكة (وتلفظ ملكتوم)** . ولعل الميم في آخر الكلمات الإيبلائية بمثابة النون أي التنوين في الكلمات العربية ، وحرفا الميم والنون صنوان يتبادلان لتقارب المخارج .

كما نجد كلمات عربية أخرى في لغة إيبلا كأسماء بعض المزروعات مثل : **قمح ، جزر ، تين (تينو) ومئة (وتلفظ ميّة)** أي بتسهيل الهمزة وهذا التسهيل شائع في العربية ومستخدم في العامية . وهذا ما يشير إلى أصل اللغة العربية ، ومن ثَمَّ إلى قدم اللغة العربية التي كانت آخر لغة سامية تنفصل عن اللغة الصحراوية الأم .

إصطلاح « السامية » في الميزان

لهذا .. وانطلاقاً من ترجيح كون الجزيرة العربية هي مهد الساميين الأول ، **فإن الساميين جميعا هم من الأصل العربي ، وإن لغاتهم ترجع إلى لغة عربية قديمة هي اللغة السامية الأولى ، وإن منزلة اللهجات السامية من اللغة العربية هي منزلة الفروع الدانية من الأصل** ، ولذلك نجد الفروق اللغوية بين اللهجات السامية جميعها ضئيلة إلى حد ما .

والذي نؤثره ونستند في إيثاره على الشواهد المستقاة من اللغة هو تغليب كلمة « **العربية** » على كلمة« **السامية** » على اختلاف مدلولاتها ، حيث يرجع الشأن إلى أربعة آلاف سنة من تاريخ هذه اللغات القديم أو على الأصح من تاريخ تلك اللهجات ، كما ينبغي أن تسمى في ذلك الحين ، لأنها كانت قبل أربعين أو خمسين قرنا لهجات تتفرع من أصل واحد قديم ، ولأن اسم العرب ورد منذ عصر **سرجون الأول** حوالى سنة ٢٨٠٠ ق. م **حيث تذكر الآثار البابلية اسم عرب ملوكة أو عرب ملوقة وعرب مجان أو معان** . فضلاً عن أن الفرس واليونان والرومان أطلقوا اسم العرب على سكان جزيرة العرب منذ الألف الأولى قبل الميلاد .

وما البابليون والآشوريون والكنعانيون والآراميون[٣٥] **سوى أسماء سياسية لشعب واحد هو ذلك الشعب العربي القديم الذي خرج من جزيرته ، وهنا يجدر بنا أن نتنبه إلى أن العبريين طرأوا على المنطقة من مكان مجهول** ،[٣٦] **ثم اختلطوا بأهلها وهجروا لسانهم الذي كان لهم من قبل ، وتكلموا بلسان جيرانهم من الكنعانيين ، ثم تطور هذا اللسان الكنعاني المسروق في أفواههم ، فكان منه ما سمي باللسان العبري بشهادة العبران أنفسهم الذين كانوا يقولون إنهم « تعلموا شفة كنعان » أي لغة كنعان** .[٣٧]

وانطلاقاً من ذلك .. فإننا لن نقبل اصطلاح « السامية » بعد الآن ، هذا الاصطلاح الذي طعن بصحته العديد من العلماء ، على رأسهم **نولدكه وأوليناري** ، والذي أسقطته ، مؤخراً ، حجارة إيبلا التي تكلمت ، وكان قد وضعه جزافا **شلوتسر** سنة ١٧٨١م ، مستندا على تقسيم التوراة للأمم بنسبتهم إلى أبناء **نوح** الباقين بعد الطوفان : سام وحام ويافث ، حيث قال في « فهارس الأدب الشرقي والتوراتي » مجلد (٨) صفحة(١٦١) ، ما نصه :

« من المتوسط إلى الفرات ، ومن بلاد ما بين النهرين إلى شبه الجزيرة العربية تسود كما هو معلوم لغة واحدة . وعليه **فالسوريون والبابليون والعبريون والعرب كانوا أمة واحدة . والفينيقيون الحاميون يتكلمون بهذه اللغة التي أود أن أدعوها « سامية »** !

وواضح أن هذه التسمية المصطنعة التي وضعت مصادفة ، خطأ لأسباب كثيرة . منها أنها تعتمد على فكرة الأنساب الواردة في التوراة في « **سفر التكوين ،**

اللغة العربية.. في معيار القدم بين الساميات

الإصحاح العاشر » . وهي فكرة لا ترتكز على أسس علمية وواقع تاريخي ، إنما تعتبر أكثر ما تعتبر الحدود الجغرافية والعلاقات السياسية ، إذ تزعم التوراة :

(١) أن عيلم وليديا من الساميين ، مع أنه من الثابت علميا أن لغتهم لم تكن سامية .

(٢) وتزعم أن الكنعانيين من بني حام (هكذا !) ، مع أنهم هم الساميون العرب سكان فلسطين الأوائل .

(٣) وأن العبريين ساميون ، مع أنهم أمشاج مختلطة من السومريين والآريين والحوريين . « **عبروا** » إلى المنطقة من مكان مجهول ، وسرقوا « **شفة كنعان** » كما بيَّنَّا .

(٤) الاضطراب والتحريف في أنساب نوح .

وكان ـ منذ أن وضعت هذه التسمية ـ قد تسرب الشك إلى الباحثين في صحة ما جاء في جدول أنساب نوح بسبب عدم ذكر التوراة للكنعانيين من أبناء سام ، ويعترض « **نولدكه** »على هذه التسمية بعدة اعتراضات . منها :

(١) إن هنالك أقواماً ساميين بنص التوراة ، ولكن لا يتكلمون بلغة سامية .

(٢) إنّ هنالك لغات سامية . والمتحدثون بها غير ساميين مثل الأحباش الذين هم من الجنس الحامي .

اللغـات « الأعرابيــة » !

ونرى أنه قد أزف الوقت الذي يحتم علينا أن نصحح بلا تساهل هذه التسمية الخاطئة « السامية » ! التي تستبطن اعتبارات ثقافية وسياسية وإقليمية يمكن أن تستغلها الصهيونية ، وأن نطلق اسم « اللغات العربية القديمة » أو اللغات « الأعرابية » بدلاً منها ، فنكون بذلك قد لاحظنا عاملين مهمين : **عامل القرابة اللغوية والأصل اللغوي ، وعامل وحدة المكان « الجزيرة العربية وأطرافها »** .

وعلينا في الوقت نفسه أن نعيد النظر في تلك التقسيمات والتفريعات اللغوية واللهجوية لشجرة اللغات « السامية » ، تلك التقسيمات التي ورثناها عن المستشرقين الذين كان بعضهم لا يكاد يحسن العربية ، ولعل أكبر نقد يمكن أن يوجه إلى هذا التقسيم أنه تقسيم بسيط اقتضته الرغبة في تيسير الدراسة ، إذ هو لا ينطلق من طبيعة هذه اللغات أو من خصائص هذه اللهجات .

ويجب أن يكون التقسيم المزمع على هدي سنن العربية « **الأوسع** » و « **الأفصح** » و « **الأقدم** » أيضاً . التي احتفظت بكل الأصوات والقواعد الصرفية والنحوية في أخواتها ، فضلاً عن استئثارها بأوسع ثروة لغوية في المفردات وأصول الكلمات مما لا وجود لهذه السعة في أخواتها . لهذا كانت هي أصدق لغات المجموعة « **الأعرابية** » تمثيلاً للغة الأم القديمة ، **وهذا ما ينفي الزعم الذي وجد من يروج له ، القائل : « إن العربية ضمت شتات اللغات السامية بعد الفتح ، ورفعتها إلى الكمال الأبهى »**[٣٨] . لأن وجود ألفاظ ومفردات توافق السريانية أو النبطية أو الحبشية لا يعني اقتباس العربية هذه الألفاظ ، وإنما يعني الاشتراك في الأصول اللغوية القديمة ، خاصة وأن الصيغة العربية في كثير من الأحايين تكون هي الأقدم بالأدلة العلمية والبحث على الرغم من تأخير تدوينها .

الهوامش

(١) د. أنيس فريحة، دراسات في التاريخ.

(٢) انظر كتاب محمد عطية الأبراشي، الآداب السامية.

(٣) الدكتور إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، ١٠.

(٤) أبو حاتم الرازي، الزينة، الجزء الأول، الصفحة : ١٤٢.

(٥) د. أنيس فريحة، في اللغة العربية وبعض مشكلاتها.

(٦) أولمستد، تاريخ فلسطين، ٣٦.

(٧) فيليبي، تاريخ العرب قبل الإسلام.

(٨) ربحي كمال، دروس اللغة العبرية، ١٤.

(٩) إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ٧.

(١٠) انظر مقدمة كتابه عن العبرية، وقارن بولفنسون، ١٣.

(١١) تيودور نولدكه، اللغات السامية، ١٣.

(١٢) فيليب حتي، العرب تاريخ موجز، ١٠.

(١٣) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١ : ٢٥٥.

(١٤) د. أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ.

(١٥) دوسو، العرب في سورية قبل الإسلام، ونرى أن اسم حورابي مشتق من لفظي عمو ربي، عمو أو حمو اسم إله عربي قديم أصابه تطور في الدلالة فأصبح يطلق على الأقارب (عم) و (حم)، فيكون معنى التركيب المزجي لهذا الاسم الإله عموربي، ونرى أن هذا الاسم لا يزال مستعملاً في العربية الفصحى بصورة « عمرو » وفي العامية « عموربي ».

(١٦) حتي ، تاريخ موجز، ٣٠.

(١٧) صحيفة النهار، ٦/ ٤/ ١٩٨٠م.

(١٨) أنستاس ماري الكرملي، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها.

(١٩) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة.

(٢٠) أو اللغة العقدية بتعبير أصح، ويرى أنوليتمان كتابة « أكَّد » عوضاً عن أكاد Akkad.

(٢١) د. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ١٢٤.

(٢٢) د. محمود حجازي، اللغة العربية عبر القرون، ٢٦.

(٢٣) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ١٠٦.

(٢٤) المصدر نفسه.

(٢٥) د. جون هيلي، الأوغاريتية ودراسة اللغات السامية، مجلة المعرفة، دمشق، تشرين الثاني ١٩٧٩م.

(٢٦) عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات.

(٢٧) يوسف الحوراني، البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسط الآسيوي القديم.

(٢٨) ابن حزم.

(٢٩) ربحي كمال، دروس اللغة العبرية، ١٤.

(٣٠) ولفنسون، ١٥٩.

(٣١) ربحي كمال، قاموس الكتاب المقدس يشكك في عروبة فلسطين، مجلة (الثقافة العربية) الليبية، نيسان ١٩٧٤م.

(٣٢) مجلة الحوليات الأثرية السورية.

(٣٣) إحسان جعفر، اللغة الأوغاريتية، مجلة الفيصل العدد (٣٩).

(٣٤) إحسان جعفر، الحجرات لا أوغاريت، صحيفة تشرين الدمشقية.

(٣٥) البابليون نسبة إلى الكلمة العربية بابل (باب إل-باب الإله).

والآشوريون (الآثوريون = الثوريون)، والكنعانيون من الكنعة البقاء والاستمرار، بينما العبري في العبور، فالكنعاني هو الباقي المستمر والعبري هو العابر البدوي، والآرامي (الأرمي) من (إرم) المذكورة في القرآن الكريم، وهي حسب التسلسل (آرامي = ارمي = أربي = عربي).

(٣٦) محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، ٧١.

(٣٧) انظر كتاب أنيس فريحة « ملاحم وأساطير من أوغاريت » وقارن بكتابه الآخر « ملاحم وأساطير في الأدب السامي »، ٢١٤.

(٣٨) نسيب وهيبة الخازن، من الساميين إلى العرب، ٢١.

□ □

تفاعل الأدب الإسلامي التركي مع قضية الجهاد الأفغاني



○ للأدب دور كبير في دحر الإلحاد وتثبيت الهوية الإسلامية في أفغانستان

إعداد:
محمد عبد الشافي القوصي

قضية أفغانستان، كانت قضيتنا جميعًا؛ لأنها حرب ضد الشيطان وأعوانه، وقضية أفغانستان كانت قتالاً بالدبابات، وقتالاً بالكلمة . . . وإننا نهدي أعمالنا الأدبية إلى الشهداء الذين جاهدوا في أفغانستان فحققوا النصر المبين، ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم مَنْ قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾ (سورة الأحزاب / ٢٣).

بهذه الكلمات الجميلة الرائعة عبَّر الشعراء والأدباء الأتراك، الذين ينتمون إلى مجموعة أو مدرسة «ماورا» المختصة بالأدب الإسلامي، عن العلاقة بين الأدب الإسلامي في تركيا وقضية الجهاد الأفغاني.

وللأدب دور كبير في أوقات الحرب والأزمات والشدائد سواء أكان شعرًا أم نثرًا، وتاريخ الأدب العربي يبرهن على هذه الحقيقة بالتأكيد في مختلف العصور بدءًا من العصر الجاهلي وحتى وقتنا الحاضر ـ وآخرها حرب الخليج ـ، فيظهر لنا دور الأدب محرضًا ومقاتلاً، حتى إن اليهود فطنوا لهذه الحقيقة فأخذوا يتعقبون شعراء فلسطين واحدًا إثر الآخر ليقتلوه أو يقتلعوا لسانه وقد فعلوا ذلك كثيرًا !

وقد تناولت المدارس الأدبية المختلفة في تركيا، وخاصة الإسلامية منها، موضوع «الجهاد الأفغاني» بشكل أو بآخر، وسوف نقصر حديثنا هنا على جماعة أدبية أو مدرسة أدبية واحدة هي «ماورا» التي تهتم دائمًا بالأدب الإسلامي، وهي التي أسهم الأديب التركي الكبير «نجيب فاضل» بدور كبير في إبراز ملامحها. وتضم هذه المدرسة نخبة ممتازة من الأدباء المسلمين في تركيا منهم ــ على سبيل المثال ــ عبد الرحمن علي، أديب كونانج، عاكف إينان، سيف الدين أونلو، جاهد ظريف، أردم بايزيد، مصطفى جليك، عوني ضوغان، محمد آق تورك، وغيرهم.

ولم يقتصر الأدباء والشعراء الأتراك على المشاركة الوجدانية فقط في قضية الجهاد الأفغاني، والتعبير عن ذلك بالشعر أو النثر، وإنما ذهب كثير من هؤلاء الشعراء إلى ساحة الجهاد في أفغانستان مثل أردم بايزيد، إبراهيم صاري، أحمد بايزيد وغيرهم.

وسوف نركز هنا على دور الأدب التركي ـ ممثلاً في حركة ماورا ـ وموقفه من قضية الجهاد الأفغاني في ثلاث مراحل. تتمثل «الأولى» في الذي نُشر سواء كان مقالاتٍ أو مقابلاتٍ صحفيةً أو غيرها عن الجهاد في أفغانستان في بداية مراحله الأولى.

و «الثانية» حول ما تم ترجمته من الأدب والشعر الأفغاني في مرحلة أو فترة الجهاد إلى اللغة التركية.

تفاعل الأدب الإسلامي التركي مع قضية الجهاد الأفغاني

أما « المرحلة الثالثة » فهي خاصة بالتعبير الأدبي باللغة التركية عن الجهاد في دولة أفغانستان المسلمة .

« المرحلة الأولى »

وتتمثل هذه المرحلة في مواكبة حركة الجهاد الأفغاني منذ بدايته بالمقالات والمقابلات المنشورة، سواء داخل الجبهة الأفغانية أو في تركيا، واستضافة الأدباء والشعراء الأفغان المجاهدين وعقد الندوات في أفغانستان .

وكان لكل ذلك دور بارز في التعبير عن جهاد أفغانستان المسلمة، فعلى سبيل المثال ظل الكاتب « أحمد صاغلام » يواكب أحداث أفغانستان بالمقالات في زاويته بجريدة « ملي غازيت » لمدة سنتين متتابعتين، حتى لقبه بعض المتخصصين والمتابعين للصحف بكاتب أفغانستان .

وهناك كثير من الجهود المخلصة في مجال المقالات كتلك التي قام بها الكاتب « جاهد ظريف » تحت عنوان « حول الجهاد وأفغانستان والشهادة في سبيل الله » .

وكذلك الحال بالنسبة للمقالات الصحفية ـ وهي كثيرة جدًا، نذكر منها المقابلة التي أجراها « أردم بايزيد » مع برهان الدين رباني، ومقابلة شن أول دمير أور مع حكمتيار، وقد أجريت هاتان المقابلتان داخل ساحة الجهاد الأفغانية .



« المرحلة الثانية »

وتتمثل المرحلة الثانية في ترجمة الأدب الإسلامي في أفغانستان إلى اللغة التركية، وقد قام أدباء مدرسة أو جماعة « ماورا » بنشر نماذج للأدب الجهادي الأفغاني بعد أن ترجموها إلى لغتهم التركية، مثل الأنشودة الشعبية الأفغانية ـ والتي ترجمها إلى العربية الدكتور « محمد حرب » والتي تقول :

لم يعد هناك من يبحث في جبال الأفغان
عن زهور شقائق النعمان
شقائق النعمان تتفتح في دمائنا النازفة
بذورها في عفونة شاملة
لكن الذين يزرعونها لابد وأن
يجعلوها خضراء بعد حين . .

وفي جبال سليمان في أفغانستان، وبالتحديد في منطقة « كوة سعيد » سمع أردم بايزيد قصيدة أفغانية شعبية يرددها الأفغان تقول في مطلعها :

ما دامت الجبال جبالنا
فمن ذا الذي يستطيع أن يسلبنا استقلالنا

ومن الأمثال الأفغانية التي نقلها أدباء تركيا المسلمون إلى لغتهم التركية مثال يقول :

« حتى لو مرَّ عام أو قرن كامل على هذه الأرض، فلا بد أن يثأر الشتوتيون لكرامتهم » !

وهناك ترجمة تركية لنشيد حماسي أفغاني كتبه الشاعر الأفغاني « شيدا » أصدرتها جماعة « ماورا » الأدبية الإسلامية في تركيا يقول فيها الشاعر :

يا وطني، يا وطن الطهر والبطولة والفداء
يا موطن الجوهر والنور . . . يا أفغانستان
يا منبع فخر الشرق، يا أيها التاج الذي يسطع على جبين آسيا
يا وطني الحبيب، يا مهد الثورة على الظلم والظالمين
يا وطن الجبال الشاهقة التي لا تسمح بالعبور
يا وطن الوديان العميقة كطوفان الخلاص
وديانك الواسعة تمدّني بقوة وببأس ناري شديد
أقسم أن اسمك يا وطني منقوش في قلبي
والدماء في عروقي تحيط بحبي لك

يا وطني يا أفغانستان
خبث الكفار لن يجعل منك أسيرًا
فأرض الأفغان الآن أسد يزمجر في كل آسيا
أمة الشرق ترقب جهادك بصبر يا وطني
فشعب أفغانستان ملاذ للشعوب
نظام أعدائك يا وطني لن يؤثر فيك
فالفهود ملء وديانك

ولــو اجتــاحت قطعــان الــذئاب والثعــالب كل الــدنيــا

فلـــن تستطيـــع الظفـــــــــــــــــــــر بـــك

لأنها لا تجسر على إطـــــــــلاق نعـــــــرة حـــــــرب

ضـــــــــــــــــــــــد مصحفـــــك . .

وفي قصيدة أخرى مترجمة إلى العربية بعنوان « محطم الوثن » :

انهض يــــــا مسلـم حطِّم الــــوثـن

فــالحيــاة حــرام تحت نير الــروس

فلنقضين عليهـم بعقيـــــدتنــــــا

إن كنت حقــاً من أمــــة رســول الله

فجـاهــد كما جـاء الجهـاد في القـرآن

يـــــــا محطِّـم الأوثـــــــان

طـــريقنـــا طـــريـق الشـــورة

طـــريقنـــا طـــريق وصـل حبل الله

فـــانهض يــــا مسلـم معنـــــا

إن كنـــــــــــت تحب الله



« المرحلـة الثالثة »

وتتمثل المرحلــة الثــالثـة في التعبير الأدبي بــاللغـة التركيــة عن الجهـاد في أفغانستـان، فقد قـدم الأدب الإسلامـي في تركيـا الكثير في هذا الصـدد ومنها كتـاب أردم بـايـزيـد « إلى أفغانستـان على طـريق التحـريـر » وهـو من أدب الرحـلات.

وكتـاب مرال معـروف المسمى « هجـرة مثقف » وهو من أدب المذكـرات، وكتاب أحمد صا غلام « أفغانستان آه يـا أفغانستان » وهـو في المقـال، وكتـاب « يوميات جهاد مجاهد » لعبد الحميد مهاجري الأفغاني.

ولــم يكن إسهـام الشعر الإسـلامي التركي أقل من إسهـام الأدب، وهنـا مقطع صغير من قصيدة « عوني ضوغان » التي سماها « أيها المهاجر » :

بـــدأ السبـــاق الصــامت، سبـــاق الحب والإيمان

في الظــلال القــاتمة الثقيلــة الســاقطــة على الأرض

ومن أجمل القصائد قصيدة « تقرير أفغـاني » للشاعر التركي عاكف إينان، والتي يصف فيها حـالة مجاهد أفغاني منذ أن سمع نـداء الجهاد إلى أن ذهب إلى إخوانه المجاهدين في ساحة النزال فيقول :

أنشـــودة الجهـــــاد تـــدخـل أذنيـــه

فتحـــــــدث صـــــــداهـــــــا

تتحـــــرك . . تثـــور في قلبـــــه

فتبــــــدو كجــــواد عـــــربيّ

يتنفـــــــس . . ينتفـــــــض

يــــرتفع على قـــدميــــه الخلفيتين

يـــرتفع ارتفــاعـــة اسطــوريـــة

ليبـــــــدأ : بـــــــاسم الله

التقـتْ بعيـــــون أولاده عينـــــاه

استـــــــــــــودعهـم الله

تعـاهــدوا على تقـديم رؤوسهم فـداء

تعـــــــاهــــــدوا على الحرب

حتى آخــر مــا يمتلكــون من دمــاء

أمـــــــا هـــــــو . .

فقد سار نحـو إخوانه الشامخين كـالجبال

في جبـــــال الأفغـــــان

وصـل إليهـم بقـــــــدمين داميتين

شـلالات مـاء الحيـاة في جبـال الأفغـان

أخـذت ألحانها من تكبيرات المجـاهـدين

ويصف الشـاعر المسلم « إينـان » حالـة إخـوانه المجـاهدين في قصيدتــه الرائعة « تقرير أفغاني » وكيفية طعامهم وصلاتهم ونزالهم :

بجــذوع الأشجــار كـــان إفطـارهم !

بــــالتيمم كـــانـت صـــلاتهم !

وبأوامـــر ألا تسرفـوا في القـــذائف

كـــــان هجـــــومهـم !!

صداع العقول

إنما الواقع موضوع الوحي



أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

جاء التحديث في الأدب فقبلته الذات العربية المتربية في حضانة التصور الإسلامي بمعايير جمالية في الشكل والأداء، وبمعايير جمالية وحسية وعقلية تزن وسائل من التعبير الجميل الأرقى لتوسع آفاق التعبير، ولترفد الذائقة العربية إذا أصابها الملل من التعبير القاموسي المباشر، أو من محاكاة أو استعارة ما تعيه الذاكرة التراثية من تعبير أدبي.

وقلنا: لنكون مع أدباء العالم أسرة واحدة في أحاسيس جمالية مشتركة، فلنا خصوصيتنا حيث نزن بمعايير الحق والخير والجمال وأضدادهن همومنا إن كانت إسلامية بحتة، أو إنسانية مشتركة.

ولكن ندوة (مواقف عن الإسلام والحداثة) التي صدرت عن دار الساقي - مع مؤسسات طائفية وعرقية وملية وعلمانية عديدة تعمل في مجال مواقف -

لا تريد حداثة أدبية بالمفهوم السابق!

ولا تريد حداثة فكرية مشروطة بوجودنا الذاتي إذا كان الهمُّ إسلاميا، وبقدراتنا ومواهبنا ومأثورنا إذا كان الهمُّ إنسانيا.

إنما تريد حداثة تلغينا وتزعم لنا - كما في مدخل لدراسة النص والسلطة لعمر أوفان ص ٧ - أن هناك وطنية عالمية لها حقوقها وواجباتها، وأننا جزء منها.

قال أبو عبد الرحمن: ثم جرى السياق من عند تلك المؤسسات أننا لن نضمن حقوق الوطنية العالمية وواجباتها إلا بإلغاء حقوقنا وواجباتنا.

ومن أحق حقوقنا أن ندين لربنا فيما بيننا بالدين الذي ارتضاه، وأن نقوم بالدعوة إلى الله، وأن نسعى إلى تضميد جراح البشرية التي سرق أبناء الأرملة دينها وقوتها بأن نذكرها بالمسخ الذي هي فيه وما يصدر عنه من قلق وحرمان، وأن نتعاون معها في البحث عن الخلاص.

وأهل الإسلام أرحم أهل الأرض بأهل الأرض، وكل دين سماوي - ما ظل على جوهره لم يشب - يسعى سعيا حثيثًا لإسعاد البشرية وإنقاذها.

ومن أخص حقوقنا أن يعمل مخالفونا في الملة والنحلة علنًا مثل ما نعمل نحن؛ لأن ديننا يؤذن به على المنابر لا خفاء في شيء منه، ولا تقية في أدائه.

لا يمكن أن يكون المسلم في زي غير مسلم ليتمكن من تضليل الآخرين، أو ليجعل من ذلك مسوغا لنشر الإسلام.

وليس في موارد الشريعة، وليس في مأثور القيادة التاريخية الإسلامية ما يقتضي جمعية سرية، أو عملاً في الظلام.

فكيف يطلب الحداثيون من المسلم مواطنة عالمية وكل أمره علني بوضوح وغيره يعمل في الخفاء بتضليل؟!

ومن أخص حقوقنا أن يُترك لنا أبناء جلدتنا من أبناء ملتنا وفطرتنا، فلا يزرع ذوو دعوى المواطنة العالمية عميلاً بيننا، ولا يغرر بساذج منا يكون أشد إخلاصًا من أعدائنا في تحقيق مآربهم منا، ولا يسلط علينا طائفي أو عرقي يفخر بانقسامنا ويجهز على بقيتنا باسم التحديث.

وحينئذ نكون من أهل المواطنة العالمية إن كنا قلة نحاور بحرية ونزاهة علنًا، فلا نقول شيئًا ونريد آخر كما يفعل بقية أهل المواطنة.

فإن كنا جماعة وجمهورًا في بلدٍ ملكٍ لجماعتنا وجمهورنا فمن الظلم العظيم أن يطلب منا أن نكون أهل مواطنة عالمية ونحن ذوو مواطنة إسلامية.

وفي سبيل التضليل سلطت مدارس الحداثة غير ذي خبرة وتخصص في القرآن وعلومه.

وهي لا تخشى من غياب التخصص هاهنا؛ لأنها لا تريد فهم كلام الله على مراد الله فتنتدب فقيهًا خبيرًا نزيهًا يستنبط، وإنما تريد فهم كلام الله على أهواء وإحَن مَنْ جعل دعوى الحداثة دعاية لتحريف معاني التنزيل، فلم تنتدب فقيها خبيرًا، وإنما انتدبت مفكرًا يقدر على التضليل.

> سرق أبناء الأرملة من البشرية دينها وقوتها، فعلينا أن نبحث لها عن الخلاص ونذكرها بالمسخ الذي هي فيه وما يصدر عنه من قلق وحرمان

وهكذا رأيت حسن حنفي ـ وأسوق اسمه على الحكاية بتسكين آخر حرف من العلمين ؛ لأن تركيب بعض الأسماء المعاصرة يعـز على الإعـراب النحوي ـ رأيت حسنًـا يتنـاول أسبـاب النـزول ، ويحاكي أسلـوب كبـار المضللين من المستشرقين في الغمز واللمـز .

ومن ضمن ما قرره أن كل آيات الوحي نـزلت في حوادث بعينها ، ولا توجد آيات أو سور لـم تنزل دون أسباب .

و إذا كـان لفظ النـزول يعني الهبـوط من أعلى إلى أسفل ؛ فلفظ السبب إنما يعني الصعود من أسفل إلى أعلى .

ولـما كانت الآية لا تنزل إلا بعد وقوع السبب كان الأدنى شرط الأعلى .

وعلل قـول المثقفين اليـوم عن الإسـلام : إنــه ديـن واقعي ، بما ينشأ عن أسباب النزول من أسبقية الواقع على الفكر ، وأولوية الحادثـة على الآية ، وأولوية المجتمع والناس والحياة .

قال : المجتمع أولاً ، والـوحي ثانيًـا . الناس أولاً والقـرآن ثانيًـا . الحياة أولاً والفكر ثانيًا .

قال أبـو عبد الرحمن : في هـذا الكلام خلط بين الحق والبـاطل بقصد دس الباطل ثم إظهاره على أنه الحق .

ولـم يأت هـذا الخلط عن حسن نية ، بل كـان عن تعمد وتضليل ، ودليل ذلك أن هذا الكـلام آت من مثل« مؤسسة مـواقف » ، من مصطنع للفكر غير إسلامـي النزعـة يريـد أن يفسر للمسلمين دينهم ، وغير ذي خبرة ولا تخصص بالمـادة التي يبحثها ، غير قـاصد أن ينـاقش نقـاش أهل التخصص بالتـوثيق والحجج كلمـا أراد دعــوى عـريضة مثل دعـوى أن لكل آية سبب نـزول في الأرض .

قـال أبو عبد الرحمن : والخلط المتعمـد هاهنا من وجوه :

أولهــا : أنه لا يـوجد في تـراث المسلمين التفسيري كتاب يجعل لكل آيــة سبب نزول ، بل بعض الآيات لـه سبب نزول .

> كيف يطلب الحداثيون من المسلم مواطنة عالمية وكل أمره علني وغيره يعمل في الخفاء بتضليل ؟!

> ليس في موارد الشريعة الإسلامية ما يقتضي جمعية سرّية أو عملاً في الظلام

وأكبر كتاب في التفسير بـالمأثور كتـاب « الدر المنثور » للسيوطـي وأكثره تفاسير مرفوعـة وموقوفة ، وقليل منها أسباب نزول .

وأكبر كتب أسباب النـزول كتاب الواحـدي ، وكتاب السيـوطي ، وكتاب ابن عليوة ، ولـم تستوعب هذه الكتب جميع الآيات .

فـدعوى أن لكل آيـة سبب نزول دعـوى غير مسؤولـة عن احترام القـارئ والصدق معه .

وثانيهـا : أنـه ليس كل مـا روي من أسباب النـزول يكون صحيحًـا فمنه الصحيح ، ومنه المكذوب ، ومنه الضعيف الذي حكمه التوقف .

وثالثها : أن سيـاق حسن حنفي تعوين بأمشاج يريـد من جمعها وخلطها إقنـاع مثقفي المسلمين وأدبـائهم أن الـواقع الأرضي هـو الـذي فـرض التشريع الإلهـي .

ومقتضى ذلك أن الواقع في المستقبل يفرض على الأمـة أن تضع دينها .

قال أبـو عبد الرحمن : حقيقـة الأمر أن الـواقع الأرضي خَلْق الله ، والتنزيل شرع الله ، والله سبحانه أنزل من شرعـه ما يصلح خلقـه .

ورابعها : أن أهل الأرض من البشر موضوع للوحي عقيدة وقولاً وفعلاً .

ومن الوحي ما أنزلــه الله ابتداء لتعليم الناس و إصلاح سلـوكهم ، ومنه ما جعل الله بعض الأحـداث البشرية ظـرفًا لنزولـه . ونحن بمفهوم لغتنـا نسميه سبب نزول ؛ لأن الحكم الشرعي جاء مـن أجل ذلك الحدث ، وجاء شرعًا لكل حدث سيقع إلى أن تقوم الساعـة .

وخامسها : أن واقعية الوحي لا تعني أن الوحي جاء لإقرار الواقع وتنظيمه وهو على المادة التي هو عليها ، و إنما جاء لتغييره و إشراب قلوب المؤمنين حماسة لتغيير كل واقع رديء ، وتحويل حياة المجتمع وفق دين ربـاني ، ووفق درجـات القدرة في القيام بالحسبة والجهاد .

وسادسها : قولــه : « الأدنى شرط الأعلى » كلام مضلل ذو وجهين ، فـإن أراد أن الله تكفل بأن لا يجعل الخلق على ضـلالٍ بلا بيان وهـداية بإيضـاح كان الكلام قريبًـا من الصواب ، ويكون المعنى أن الواقـع الأرضي إذا كان في ضلال

إنما الواقع موضوع الوحي

وجهالة فالبيان مضمون من ربنا ببعث نبي، أو مجدد يجدد للأمة دينها بعد غيابها عنه، وذلك بعد ختم النبوة بمحمد ﷺ.

وإن أراد أن ذلك التنزيل بعينه مشروط لذلك الواقع بعينه، فنتيجته أن نلتمس لكل واقع يستجد دينًا جديدًا يشرطه الواقع.

وسابعها: أن اتهامي لنوايا الكاتب لم يأت من فراغ؛ لأنه يتعامل مع التنزيل كأنه دين من وضع البشر وفكرهم!

إنه يجعل الوحي فكرًا، ويجعل الواقع أسبق من الفكر.

والوحي تنزيل من عند الله، والفكر من أعمال عقول البشر، وهو يصيب ويخطئ.

ووحي الله لا يوصف بأنه فكر إسلامي، وإنما الفكر الإسلامي استنباط المجتهدين من نصوص الإسلام غير المقطوع بأنها مراد الله.

فهي فكر لأنها من استنباط عقول البشر.

وهي فكر إسلامي، لأن مادة الفكر نصوص الإسلام.

وثامنها: إذا كانت علاقة الأولية والثانوية بين الوحي والواقع مجرد الظرفية، فلا معنى لسبك عبارات توحي بالأَوْلى - بفتح الهمزة والواو الساكنة واللام الممدودة - دون الأول بمعنى السياق الزمني، فقوله مثلاً: «المجتمع أولاً والوحي ثانيًا، الناس أولاً والقرآن ثانيًا، الحياة أولاً والفكر ثانيًا»، فترداد هذه العبارات بالترادف والتأكيد عليها لا يمكن حمله على تحصيل الحاصل من كون الواقع ظرفًا للتشريع، بل هو وسوسة للقراء، بأن المجتمع والحياة أهم من التشريع.

وتاسعها: أن الواقع والوحي سواء في علم الله، كتب الله عِلْمَ ذلك في اللوح المحفوظ، وقضى لكل شيء أجله الذي يظهر فيه.

وعاشرها: أول ما نزل القرآن على رجل مؤمن اصطفاه الله وهو محمد ﷺ، فهو أول واقع إيماني، ثم ظل الوحي ينزل على محمد ﷺ ومن آمن معه لينظم مسيرتهم.

فالوحي ينزل على المؤمنين ليوجههم، والخطاب لهم، وللكفار، وللناس كافة، إلا أن الولاية للمؤمنين، وهم المكلفون بالبيان والأداء.

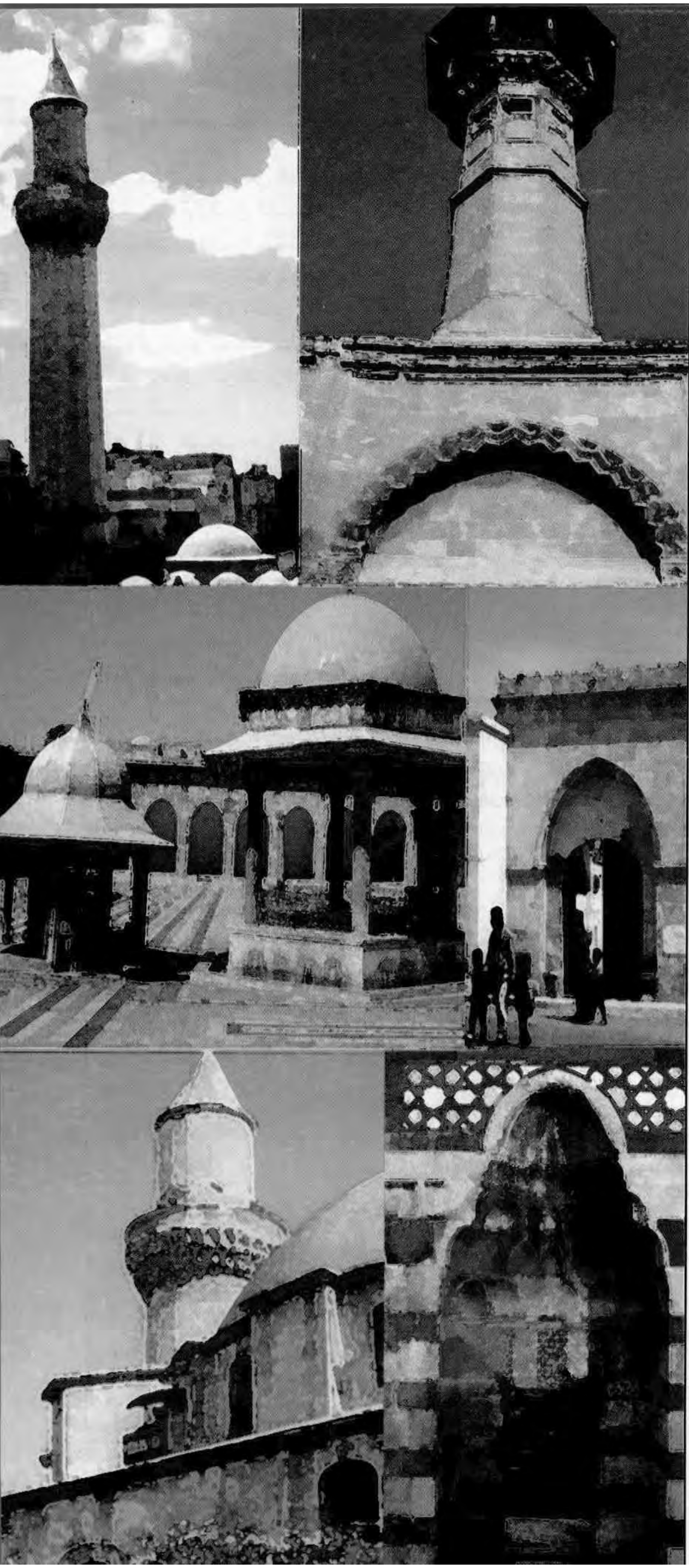
إذن الوحي أوجد الواقع المؤمن، والواقع الرديء لم يوجد وحيًا، وإنما كان موضوعًا لرحمة أرحم الراحمين ببعث الرسول ﷺ، وإنزال الكتاب.

والله المستعان.

لسوف ترجع كالوليد

شعر: أحمد محمود مبارك

أوَ لم تزل رغْمَ الكهولهْ
عبدًا لرغبتكَ الضليلهْ
رغم انتشار الثلجِ في فوْديكَ
توغل في الرذيلهْ
هلاّ يئستَ إذا انطوتْ في الإثمِ
أعوامٌ طويلهْ
من أن يُضيءَ دُجَىٰ حياة الغَيِّ
مصباحُ الفضيلهْ
فأخذتَ تُلقي ما تَبَقّىٰ
من لياليكَ القليلهْ
للغَيِّ ينْهَشُهَا بلا أملٍ
لديك ولا وسيلهْ
يا قانطًا لا تبتئسْ من وطأة الوزْر الثقيلهْ
إن الطريقَ لمن يريد النورَ ليستْ مستحيلهْ
ما مِنْ قلوب هاجرتْ لله وارتدت ذليلهْ
بالرغم مما شابها قبل الضراعةِ من رذيلهْ
يَمِّمْ فؤادكَ شَطْرَ نورِ الله؛ لا تترك سبيلهْ
وستبصر الظلماتِ تهوي في ضيا التقوى قتيلهْ
ولسوف ترجع كالوليد.. يُضيئهُ طُهْرُ الطفولهْ



الوقف وتطوره في حلب الشهباء

إعداد: د. محمد وليد كامل

حاجة الإنسان العبد لله إلى راحة الضمير تفوق حاجاته جميعا، وإن تنوعت أشكالها وتعددت أغراضها ، ووجد الغني المسلم راحة ضميره في توفير الراحة للفقير، فأوقف المسلم الغني بعضا مما يملك في جعله لكل حاجة وقفا، فاختفت الجريمة، وانهزم الجوع، وشاع الخير، وانتشرت مدارس الجوامع أو جوامع المدارس، فحصلت الصدقة الجارية والعلم النافع، وتخرج الولد الصالح، عندئذ استبشر المسلم الإنسان بديمومة عمله الصالح.

وحصل لمجتمع الأوقاف الإسلامية قدم السبق في رعاية حقوق الإنسان المسكين واليتيم والأسير وابن السبيل، وشملت الرعاية أشكال الحيوان أيضا.

مفهوم الوقف

ترجم كامل الغزي مفهوم الوقف عن عمر حلمي في كتابه «الوقف والمؤسسات الخيرية»: الوقف حبس العين على وجه تعود منفعتها إلى العباد ومنعها عن التمليك والتملك لتكون في حكم ملك

الله، وهو لازم لا يقبل الفسخ وغير لازم يقبل الفسخ، وينتج عن الوقف غلة تنتفع بها الجهة التي شرط لها الواقف، ويشرف على ذلك المتولي وهو يتعين عليه القيام بأمور الوقف والنظر في مصالحه.»

وغير خاف على أولي النهى أن المعاني الخيرية المطلوبة دينا ومدنية ؛ كالمعابد والمكاتب والمكتبات والمستشفيات ودور الفقراء والجسور وسبلان الماء وما شابه ؛ لا تتم إلا بالمعاملة المعروفة في اصطلاح الفقهاء بالوقف، فهي معاملة معتبرة مرعية الإجراء عند جميع الأمم المتمدنة.



المسجد الأموي الذي يعد أبرز مساجد الأوقاف في حلب

الوقف من وحي الله تعالى

يشير الغزي في كتاب «إتحاف الأخلاف في أحكام الأوقاف» إلى أن معاملة الوقف كانت موجودة في الشرائع القديمة، ويقدم مثالا عن وقف سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام لبيت الله الحرام، إذ أرشده الله بأن يحدث آثارًا خيرية يكون نفعها شاملا لمن تأخر عنه إلى الأبد، فنزل عليه الوحي حسبما اقتضته الحكمة البالغة الصمدانية بإجراء عمل الوقف ليكون أنموذج امتثال لكل أصحاب الخير، فأنشأ صلوات الله عليه بحسب منطوق الوحي الإلهي كثيرا من الآثار الخيرية، التي من أقدمها وأشرفها بيت الله الحرام المعظم الذي هو قبله جميع الموحدين ومطاف سائر حجاج المسلمين، وبقية الآثار الخيرية التي أقامها موجودة في بلاد العرب ومعروفة بأوقاف خليل الرحمن.



منظر علوي لتوزيع الأجنحة في جامع مدرسة الخسروية

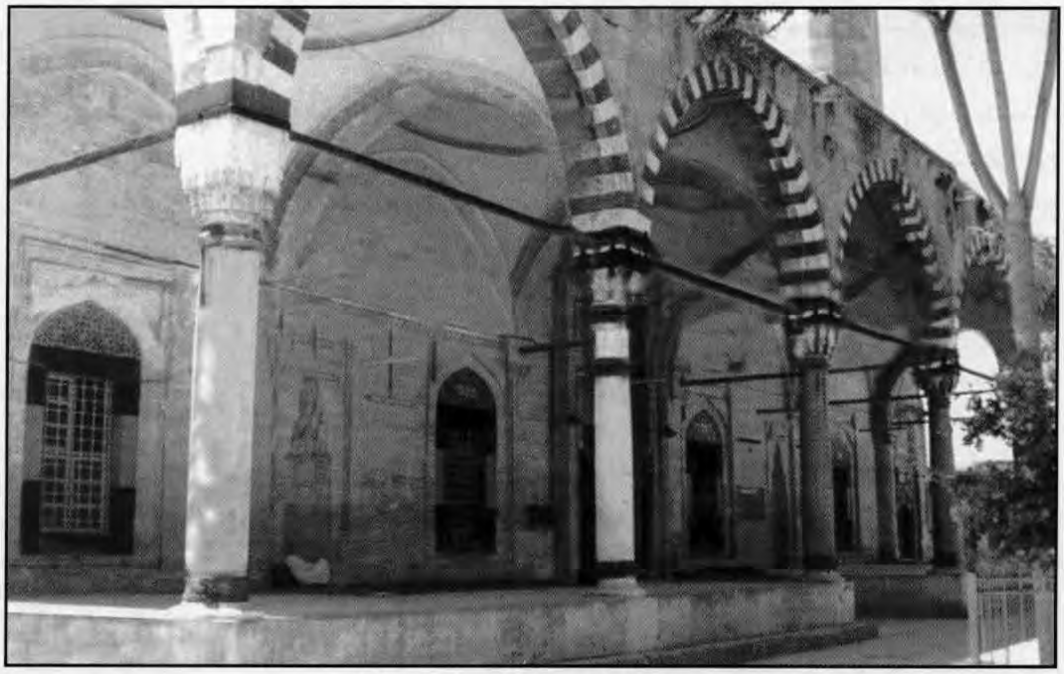
تلقى الإسلام هذه الطريقة (الوقف) بالقبول فدوّن المسلمون فيها المسائل وأحكموا قواعدها استنادا إلى الأدلة الشرعية: الأول حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» أو كما قال عليه الصلاة والسلام، والثاني مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «يا رسول الله، إن في خيبر أرضا لم أملك مدة عمري أعز ولا أنفس منها، فماذا تأمرني فيها؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عمر إن شئت احبس عين تلك الأرض وتصدق بثمرتها وفائدتها على الفقراء» أو كما قال عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فجعلها عمر رضي

الله عنه وقفا. وقد وقف رسول الله سبع عقارات كان يملكها بطريق الوصية، وقفها وشرط سكنها لفقراء المؤمنين، فرغّب بعمل الخير بفعله وقوله.

قال سيدنا جابر الأنصاري رضي الله عنه: «لا أعلم أحدا من المهاجرين والأنصار له مال إلا ووقفه وتصدق به». وتابع الخلفاء الراشدون والأمويون والعباسيون ذلك، وانبرى سلاطين آل عثمان إلى كثرة الخيرات والمبرات، ذلك في المباني الخيرية من المساجد والمدارس والتكايا والسبلان وما شابه.

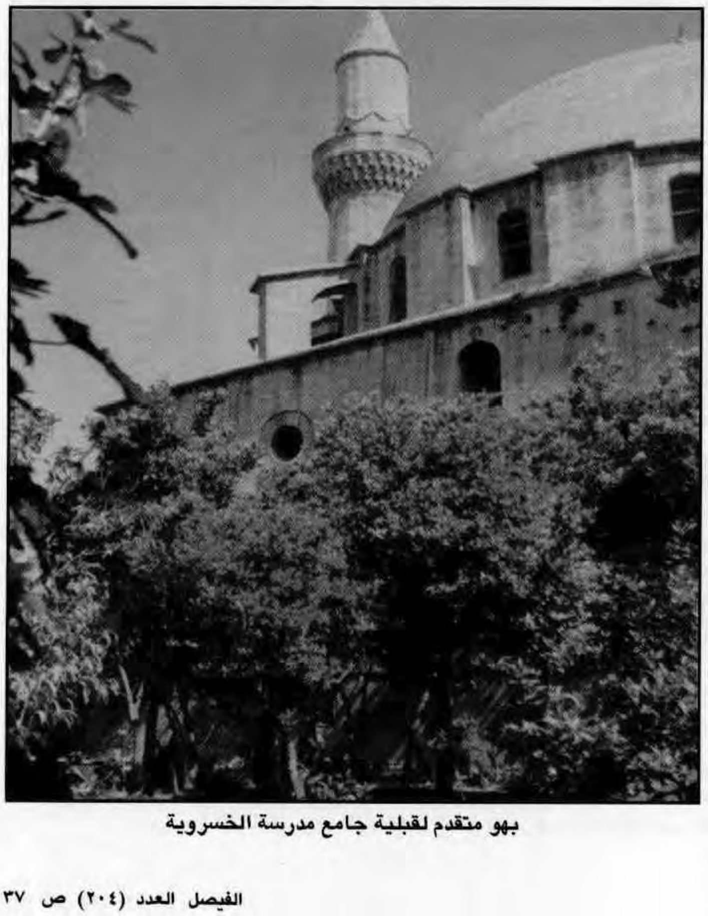
وجرت العادة أن يكون المال الموقوف عقارا، فلا يصح وقف ما ينقل مطلقا إلا إذا كان العرف جاريا في بلدة ما على وقف منقول فيصح بها وقفه، وشمل ذلك وقف الكتب والرسائل لمطالعة من يرغب بها والمصاحف الشريفة ودلائل الخيرات للقراء، والأموال النقدية للاسترباح وصرف الربح على جهة البر، والمفروشات والأواني النحاسية والثياب والحلي لتعار إلى العرائس في جمعيات الولائم، والدواب كالغنم والمعز والبقر، لتعود منافعها إلى جهة الخير، والحبوب ليستقرض منها فقراء الزراع بذارهم وما شابه.

والجدير بالذكر أن هذه المؤسسات الخيرية يختص بها الفقراء وإن لم يصرّح واقفوها بذلك، إلا إذا نصّوا على أن منفعتها يشترك فيها الغني والفقير، فللأغنياء أن ينتفعوا مع الفقراء أيضا، ولو اشترطوا منفعتها للأغنياء فقط لم يصح الوقف.


القبة العظمى مع المنارة من جهة القبلة

نموذج الوقف في جامع ومدرسة الخسرويه

بُنيت المدرسة الخسروية عام ٩٥١هـ، وهي تجاور المدرسة السلطانية الأيوبية (٦٢٠هـ)، وأنشىء مع هذه المدرسة جامع على الطراز العثماني، وجعل خسرو باشا ابن سنان لهذا المكان وقفا تضمن اصطبلين في غربي الجامع وستة دكاكين فوقها خمسة ومقابلة لها مثلها وفوقها خمسة دكاكين وستة بيوت متلاصقات للدكاكين وعشر غرف فوقها وست حجرات مقابلة لها وقاسارية (خان الشونة) بعشرين مخزنا سفليا وثلاثين علويا وحوانيت معدة للصباغين وفرنا وبيوتا عشرة. ضاع أكثر أوقاف هذه العمارة وتعطل معظم شروطها وأصبحت حجرات الجامع مأوى للغرباء والفقراء،


بهو متقدم لقبلية جامع مدرسة الخسروية



وسكن حجرات المدرسة خَدَمَةُ الجامع مع عيالهم، واستمرت الحالة على ذلك مدة تزيد على قرن. وفي سنة ١٢٦٦هـ التي كانت فيها فتنة حلب قصدها الثوار وصعدوا اطورتها ونزعوا ما كان على قبابها من الرصاص وهو شيء كثير، ربما يبلغ مئة قنطار بالوزن الحلبي فصبوه لأجل الرمي. وفي سنة ١٣٣٠هـ نصب متوليا عليها المرحوم الشيخ رضا مفتي الآلاي الدمشقي المعروف بابن الزعيم، فجمع مقدارًا من غلتها وصرفه على بعض عمارتها، ثم وضعت مديرية الأوقاف يدها عليها. وفي عام ١٣٣٨هـ آلت مديرية الأوقاف إلي عهدة السيد يحيى الكيالي، فنظر إلى حالة المدارس والمجاورين وانحطاطهما بعين التبصر، وأحب أن يبقي له ذكرا جميلا وأجرا جزيلا، فألف تحت رئاسة السيد الفاضل الشيخ عبد الحميد الكيالي مفتي حلب لجنة من رجال العلم والفضل لإصلاح كل من المدرسة الخسروية، التي كانت محتجبة في زوايا النسيان على الرغم من عظمة بنائها وسعة أرجائها، والرضائية وغيرها.

جعلت هذه اللجنة برنامجا خاصا للمجاورين في المدرسة الخسروية، إذ خصت المجاورة بسن اثنتي عشر سنة على عدد أصناف المجاورين، وعينت لكل صنف منهم في العلوم الدينية والآلية كتبا تليق به، وصرفت لكل مجاور راتبا شهريا على قدر صنفه يتقاضاه من غلة وقف المدرسة، وفرضت عليه أداء امتحان خاص في غضون السنة وامتحان عام في نهايتها، وعينت لكل صنف من يقوم بتعليمه وتدريسه من المعلمين الذين فرضت لكل واحد منهم راتبا شهريا يناسب درجته، وأقامت لهذه المدرسة مديرا يراقب المجاورين ويحدو بهم إلى الطريقة المثلى والمنهج القويم.



واجهة خان الشونة، ويبدو فيه الباب الكبير مع بهو متقدم على أعمدة فوقها خمس قباب باتجاه الباب وقبتان باتجاه باب قلعة حلب، ويتوسط البهو الباب الشرقي إلى السوق

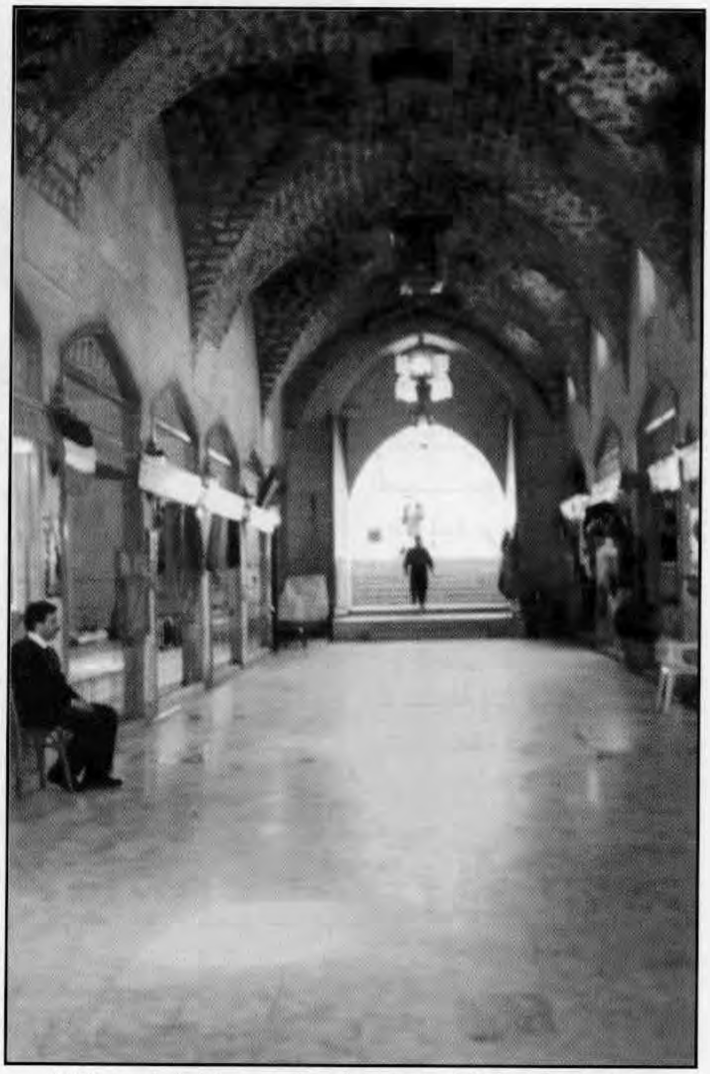
وشرط الواقف خسرو باشا أن يكون الإمام حنفيًا والمدرس حنفيًا والتولية من بعده على الأرشد فالأرشد من ذريته، وبانقراضهم فالأرشد فالأرشد من عتقائه وذريتهم، وبانقراضهم فمن يختاره الحاكم الشرعي، واشترط أيضا أن يكون للقاضي بحلب تقرير المدرس والخطيب والكاتب على حكم ما اشترط، وأن يخبز كل يوم ٢٦٠ رغيفا وأن يشترى كل يوم أربعة أحمال حطب وأربعة أواق ملح وأربعة عشر رطلا من لحم الضأن تطبخ في العشاء والغداء، وعشرة أرطال في كل ليلة من ليالي رمضان، وثمانية أرطال من الرز يطبخ شوربة مع اللحم إلى جانب التوابل، وفي كل يوم جمعة يطبخ عشرة أرطال أرز حلوى، وفي كل ليلة من ليالي رمضان، ويصرف خمسة أرطال عسلا جيدا ليطبخ الحلوى مع الزعفران، وأن تكون التكية ثلاث عشرة حجرة للمسافرين.

وذكر كامل الغزي في كتابه «نهر الذهب في تاريخ حلب» أوقافا أخرى تقدم بها مصطفى باشا ابن سنان إلى جامع الخسروية.

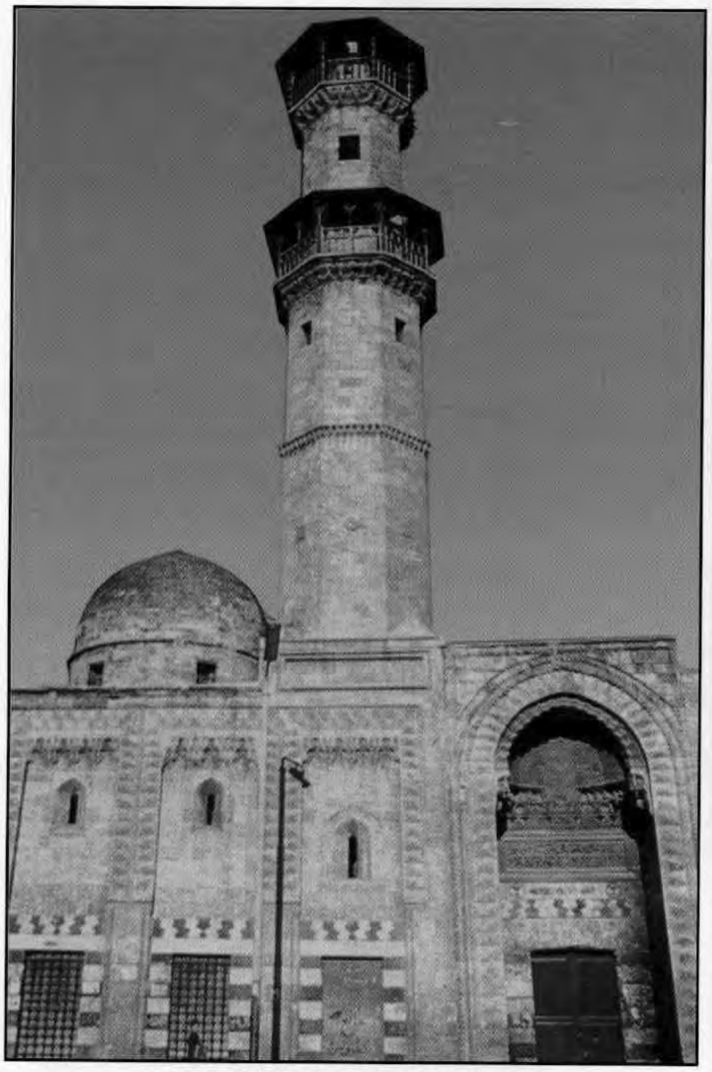
توزيع الأجنحة في الجامع

تميزت العمارة العثمانية بخصوصية سادت بلاد الشام: البناء المقبب والمئذنة المدببة، إذ ضم الجامع في قِبْلِيِّه بستانًا ومدفنًا، وفي شرقيِّه ميضأة ومطهرًا لتغسيل الموتى وست حجرات، وفي شماليِّه اصطبلاً للجامع، وفي غربيِّه مدرسة بعشر حجرات؛ ثمان للمجاورين وواحدة للمدرسين وأخرى للبواب.

ضمت مدرسة الجامع عشر حجرات معدة للمسافرين (الجهة الشمالية)، وضمت مطبخًا بست قباب وكوانين أثاف وبيتا للمؤونة (الجهة الشرقية)، ولم يكن خان الشونة بعيدا عن مدرسة الجامع، إنه في شمالها يفصل بينهما جادة ضيقة،



مشهد من السوق الأول باتجاه شرق – غرب مع منظر الباب من الداخل



مسجد الأطروش أحد المساجد التابعة للأوقاف في حلب

فـإذا تأملت هذا الخـان لتقدر دخله يومـــذاك ولـتُتْبع ذلك بتـــقـــدير دوره في تطوير الســـوق لدُهشت . نعم . إنه سـوق مـتطور هو بداية في عمـارته لنظام «المارشـيـة» في فـرنسـا. لقد بُني الخـان على أرض مـــجـــاورة للخسروية في مساحة قدرها ٣٦٠٠م٢ تقريبـا لتلحق به باحة واسعة سماوية خلاف أقـسـام السـوق، وله ثلاثة أبواب: الذي يأخـــذ شكل سـوقين مـتـعـامـدين دون تقاطع:

السوق الأول: شرق / غرب
السوق الثاني: شمال/جنوب

يعـــد ذراع الســـوق شـمـال/جنوب المتجـه إلى الخسـروية أطول من الذراع المتجه إلى قلعة حلب.

كـــان بنـاؤه في حلب ريادة في فن عـمـارة الخـان، لأنه في الحقيقة ليس خـانـا، إنما هو سوق شاهدت مثيلا لـه في بـايـاس شـــمـــال الإسكندرونة، أمـا ذاك فـهـو أوسع وأكمل، ألحق به حمام وبستـان وفندق، وقـد بني في عـهـد السلطان سليم، أمـا الجهة الواقفة لخان الشونة فـعلى الغـالب أن واحـداً من أفـاضل المدينة بناه بتوجيه من الوالي العثماني، كما أنه خضع لنمطين من الاستغلال: الأول الأجـــارة الواحـــدة، والثاني الأجارتين، لكي يبقى الدخل قـادرا على كـفـاية مصاريف المدرسة.

ولما دالت دولة بني عثمان ألحقتـه فرنسا بثكنة القلعة، وخصته برباط القطنات وهي خيول مهجنة، وما عاد يؤدي دوره الحضـاري، فـاكتـفت المدرسـة الخسروية من مـال الأوقاف العام.

سيرة الخسروية ورسالة الخان

أصبحت الخسروية مدرسة ثـانوية لتـــعـليم العلوم الشرعـيـة، تديرهـا الأوقـاف الإسـلامـيـة وتنفق عليـهـا بإشراف مـديرية التربية، إذ ينتسب إليها الطلاب بعد نوال شـهـادة الكفـاءة المتـوسطة، وينال خـريجـوهـا الشـهـادة الثانوية الشـرعـيـة، وأتبعت أوقـافـهـا إلى دخل الوقف العام، وأتبعت قاسارية خان الشـونة إلى الآثـار العـامـة، فـأعيد ترميمه وبناؤه كما كان نموذجا لسوق مختصر، وخُص بالحـرف الـتـقليـدية وهي كثيرة وأصيلة في حلب، كـالأواني النحـاسـيـة والطبع على القـــمـــاش وصنـاعـــة السيوف والحياكة التقليدية من البُسط والصـــايـات والأحذية القديمة (الصرامي) ورتي السجـاد وصنع القزاز والمطرزات الشرقية والألبسة التـقليـدية للنسـاء والرجـال والدمى المرمـرية وتطعـيم المفـــروشـــات بـالصـــدف والفـضـيـــات والحطايط والساعات القديمة الجدارية.



بائع الأواني النحاسية التقليدية وهو في السوق باتجاه شرق - غرب

أصبحت سوق الشونة هذه مقصد السياح يكملون فيها نهـمـهـم إلى الوقـوف على معـالم الحضارة في مـدينة حلب الأثرية، فأصبحت تعطي القلعـة الآبدة الخـالدة لونا ربيـعـيـا زاهيـا يأنس فـيـه السيـاح بعد جـولة بين آثار تنطق بـالعظمة، لكنهـا باردة لا تـصـــحـب بصـــوت ولا بصورة، وهنا يلتقي أحفـاد أولئك الأجـــداد، ويكفي أن نذكر منهم سليمـان الحلبي الذي تـابع دراسته في الأزهر الشـريـف بعـد أن تعلم في الخسروية وتكفل به وقفها.

فلو عـــدنـا إلى صـــورة المـاضي، ووقـفـنـا بين طلبـة العلم في المدرسة الخسروية بعد عـام ٩٥١هـ وفي سوق القاسارية (خـان الشونة) بعد عـــام ٩٦٤هـ بين الصنـا ع والحـــرفـــيين والبـــاعـــة والمشترين، لعلمنا قدر ربط المجـتـمع بين الاقـتـصـاد والثقافة، وهنا ليست التربية لصـالح التنمية، إنما العكس التنمـيـة لصـالح التـربيـة، فـإنعـاش الاقـتـصـاد كـان الوسيلة إلى غـاية شـريفـة وهي التفقه في علوم الدين.

نموذج الوقف في جامع ومدرسة الرضائية

أنشأ المدرسـة الرضـائيـة عثمـان بن عبـد الرحمن بن عـثمـان آغـا الدوكلي الأصل الحلبـي المولِد عـــام ١١٤١هـ، ولـهـذه المدرســة مع جـامـعـهـا ثلاثة أبواب:



الرواق الشمالي بسقفه ثلاث عشرة قبة (جامع مدرسة الرضائية)



منظر الحديقة مع جانب من الرواق الشرقي (جامع مدرسة الرضائية)

الأول شـرقي يعلو أرض المدرسة، وغربي يساويها، وشمالي وهو الآن مسدود كان يصل سراية الواقف بالمدرسة فالجامع.

شاء الواقف أن تكتمل مرافق هذه المدرسة الفريدة بالنسبة لعصرها، فأضاف إليها الجامع والسبيل والمكتب (لتعليم الأطفال) والبستان والميضأة خارج بناء المدرسة. يمكن أن نعجب حين نعلم أن هذه المدرسة فيها أربعون غرفة للمجاورين والمدرسين، وتعزز الدراسة فيها والمطالعة بمكتبة واسعة وقاعات للتدريس وببستان كان مليئا بأشجار الكباد للترويح وإضافة الجمال والبهاء على المدرسة.

تكاثرت وقفيات هذه المدرسة حتى بلغت ثماني عشرة وقفية أهمها الوقفية الأولى والحادية عشرة.

الوقفية الأولى

تبين أسماء الدور والطواحين والبساتين والقاساريات والطابونات (الأفران) والأشجار مع بعض الأراضي وأبراج الحمام والدكاكين، وتفصل قدر رواتب القائمين على المدرسة من الخطباء والأئمة والمدرسين، واشترط أن يكون المدرس قادرا على الجمع بين المعقول والمنقول والفروع والأصول في العلم وقادرا على إفادة الطلبة، والمحدثين الذين يقرؤون من كتب الحديث والوعاظ والمعلمين في المكتب، وللمجاورين طلبة العلم، وخصهم بثلاثين طالبا يستفيدون من ثلاثين حجرة من أهالي حلب وغيرهم، وقبلت الوقفية المتزوجين منهم والعزاب لمتابعة الدراسة فيها.

تبين الوقفية ثبات حق المجاور في استمرار التعلم ما لم يصدر عنه جرم، فعندئذ يعزله المتولي على الوقف وكذا المرتزق، وهؤلاء المجاورون

يدرسون في القاعات وينصرفون إلى المطالعة والكتابة في حجراتهم الخاصة، على أن يصلوا الصلوات الخمس في الجامع (جامع المدرسة).

سمحت الوقفية للمتزوج أن ينام ليلتي الخميس والجمعة في بيته، على أن يأتي فيحضر صلاة الصبح في جامع المدرسة. وطلبت الوقفية من هؤلاء أن يقرؤوا جزءا من القرآن الكريم كل يوم بعد صلاة الصبح يهدون ثوابه للنبي والأنبياء ثم لروح الواقف وأبويه ولزوجته عائشة وأخته راضية خانم.

وفصلت الوقفية رواتب العاملين في المدرسة والجامع والوقف، وسمحت أن يُشترى من غلة الوقف ما يلزم لتنوير الجامع من شموع ولفرشه من حصر وسجاد (طنافس) وما يلزم من سطول ومشربيات نحاس ومكانس وحبال وأباريق وزيت للسُرُج وقناديل ومن العود الماوردي للحرق.

واشترطت الوقفية تولية الوقف بعد الواقف إلى زوجته ثم لولده محمد طاهر ثم للأسن الأرشد من ذريته ذكورا أو إناثا.

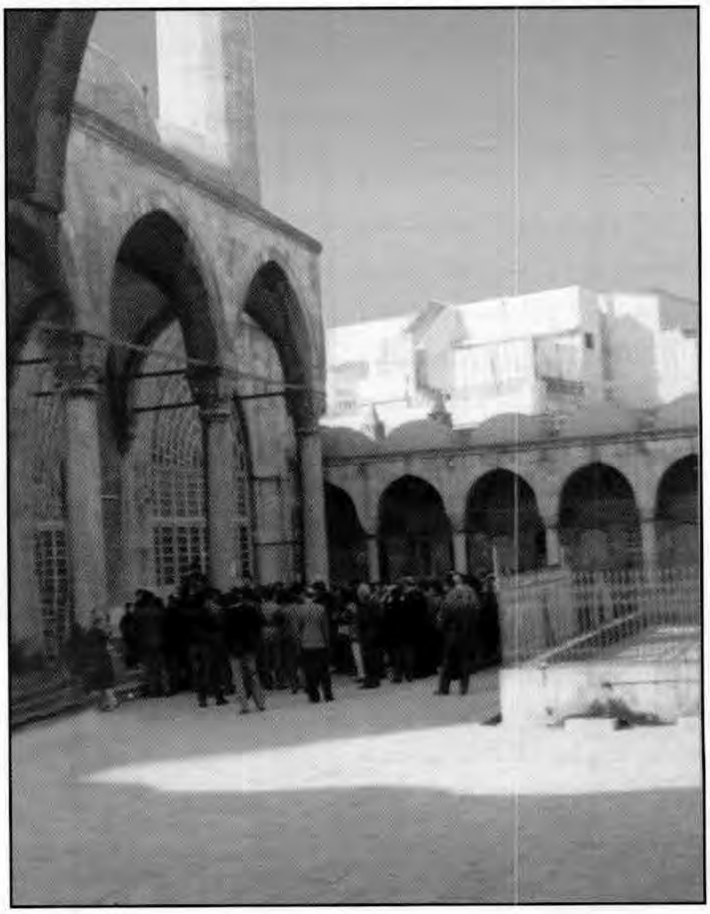
الوقفية الحادية عشرة

تبين تأمين الطعام للعاملين في المدرسة مجانا، وذلك من باب فعل الخيرات، وتفصل ما تشتمل عليه عمارة الوقف هذه من مطبخ وفرن وبيت مُؤَن وبيت لسكنى الطباخ وحجرة لسكنى البواب وقسطل ومغارة وبيت طهارة وحوش سماوي، وتفصل الوقفية ألوان الطعام من شوربة القمح مع لحم الضأن والزردة (حلوى الأرز) مع العسل المفكه بالزعفران والموسم بالسمن العربي الجيد والأواني النحاسية الملحقة بالوقف، وتبين كيف تطبخ الشوربة ويقدم منها طاسة مع رغيفين كل يوم في المدرسة للجميع دون تمييز إطلاقا، ومثلها الزردة في ليالي رمضان وأيام الجمع والأعياد، وتبين الوقفية بأن شروط العاملين في المطبخ الملحق بالمدرسة أن يكونوا مسلمين وأمناء من طباخ ومساعديه وجلايين وخازن و بواب وكناس وفران وعجان وخباز.

أخيرا، شمل وقف المدرسة الرضائية الحيوان، إذ خص البستان الملحق بالرضائية لإيواء القطط وخصص لها من غلات الوقف قسم لإطعامها، ومثل ذلك للطيور فيوضع رطل ونصف من الحب في هلال المنارة يلتقطها الطير تصرف من غلة الوقف.



البهو المتقدم لقبلية جامع مدرسة الرضائية مع جانب من المنارة والبركة



جانب من البهو المتقدم لقبلية الجامع مع جانب من الرواق الغربي

مخطوطات جديرة بالدراسة والنشر:

الحلقة الثالثة

أنساب الأشراف للبلاذري



يكتبها: حمد الجاسر

قدم الشيخ الجاسر في الحلقة الماضية مثالين يدلان على عدم تعمق المعنيين بالدراسات التاريخية وجهل الكثير بكتاب « أنساب الأشراف ». وفي هذه الحلقة يعرف بأصول المخطوطة وصورها.

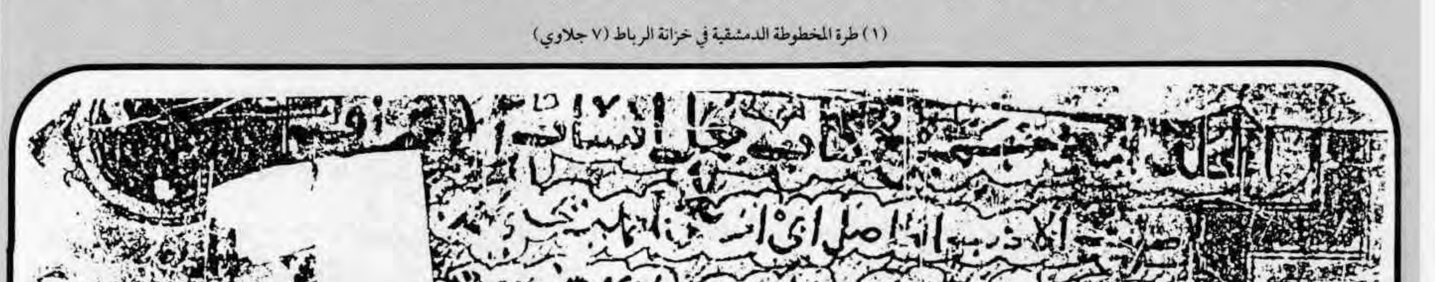
أصول الكتاب (مخطوطاته)

أكمل نسخة عُرفت من الكتاب حتى الآن هي النسخة الدمشقية، وسأعبر عنها بهذا الوصف؛ لأنها كُتبت في دمشق، وقد وصفها الأستاذ فؤاد سزكين [9] بأنها تقع في ٤٦٧ من الورق، وحدد تاريخ نسخها بعام ٦٦١ هـ.

وهي موجودة في مكتبة (الجلاوي ٧) المضافة إلى (الخزانة العامة) في الرباط في المغرب، وأراه وَهِمَ في تحديد تاريخ النسخ، وأن الصواب ما ذكر أستاذنا الزركلي في «الأعلام» من أنها منسوخة ٦٥٩هـ، وقد اطلع عليها ووصفها بأنها نفيسة [10]، ويوضِّح هذا أيضا ما جاء في آخر المخطوطتين الاسطمبولية والمغربية اللتين سيرد ذكرهما منه ما نصه: (آخر المجلد الثاني والأربعين من الأصل المشروع في كتبه سنة احدى وتسعين، والمفروغ منه في صفر سنه خمس وتسعين وثلاث مئة بمصر، وفي آخره: هذا آخر ما صنفه أحمد بن يحى بن جابر البلاذري من «جمل أنساب الأشراف وأخبارهم» وتم الكتاب، وكان في الأصل على قدمه اضطراب في مواضع، من تقديم وتأخير، و إسقاط ونَحْوٍ، أتقنت كل ذلك من نسخة أخرى، فصار هذا الفرع مُرَجَّحًا على أصله، وكان الشروع في كَتْبِه في يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين، والفراغ منه في يوم السبت بعد صلاة عيد الاضحى سنة تسع وخمسين وست مئة على فترات تخللت الكتابة، فصار كَتْبُ جميعه في مدة عشرة أشهر وأيام، كتبه لنفسه صاحبه عبد الله، الفقير إلى عفوه وغفره أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر الموصلي ثم الدمشقي الشافعي بسكنه برباط السميساطي بدمشق) ثم بعد هذا تاريخ المخطوطة المغربية التي سيأتي وصفها.

ومن حسن الحظ أن هذه المخطوطة الدمشقية لا تزال موجودةً، وفي (معهد

(١) طرة المخطوطة الدمشقية في خزانة الرباط (٧ جلاوي)



المخطوطات) في القاهرة صورتها، ولدي مُصَوَّرُ النصف الأول منها يقع في (٤٦٠) صفحة من القطع الكبير، في الصفحة واحد وأربعون سطرًا، وعنها نُسِخَتْ مخطوطةٌ أخرى في مكتبة رئيس الكتاب في اسطنبول سيأتي الكلام عنها.

وقد جاء في طرة المخطوطة الدمشقية بعد كتابة غير واضحة: (المجلد فيه جميع كتاب «جمل أنساب الأشراف» تصنيف الأديب الفاضل أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى . . . البغدادي الكاتب المعروف بالبلاذري ـ رضي الله عنه ـ وعن سائر المسلمين. [انظر الصورة (١)].

قال أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: قد كتبت الأسماء في كتابي هذا على صورها ولم أعربها في النسب، لئلا يظن ظان أن بعض الألفاظ التي في الاسم المنصوب الجاري ثابتة فيه، وإنما ليست بإعراب، وكذلك رأيت عدة من المشائخ فعلوا في النسب، نقلت هذه النسخة من أصل حسن معتبر بخط المحسن بن الحسين بن كوجك العبسي، ورأيت بخطه في أوله: نقلت هذه النسخة من نسخة منقولة من خط البلاذري وأصله، وهي نسخة الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات، يشهد لها بذلك خطه عليها، ـ رحمه الله ـ بعد أن قوبل بها ووثق بصحتها حرفًا بحرف، ومثلت الضبط في الأسماء المعجمة وصححت ذلك بأن أعلمت على الحرف المشكل بعد ضبطه (صح) لئلا يغير ويقدر أنه صحف، كما وجدت أحمد بن يحيى بن جابر ضبطه في أصله بخطه، وتركت إعراب الأسماء كما تركها، فلا يطعن علي في إسقاط الألف الثابتة في الاسم، إذا أعرب طاعن. وبالله ثقتي، وعليه متكلي.
قال كاتب هذه النسخة أحمد: اختصرت من كتاب «تاريخ دمشق» للحافظ أبي القاسم ابن عساكر ـ رحمه الله ـ قال: أبو الحسن، ويقال: أبو جعفر، ويقال: أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي الكاتب سمع بدمشق، وبأنطاكية وبالعراق جماعة، منهم أبو عبيد القاسم بن سلام، وعثمان بن أبي شيبة، وعلي بن المديني، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي، وروى عنه جماعته، روى أنه قال: قال لي محمود الوراق: قل من الشعر ما يبقى لك ذكره، ويزول عنك إثمه، فقلت:

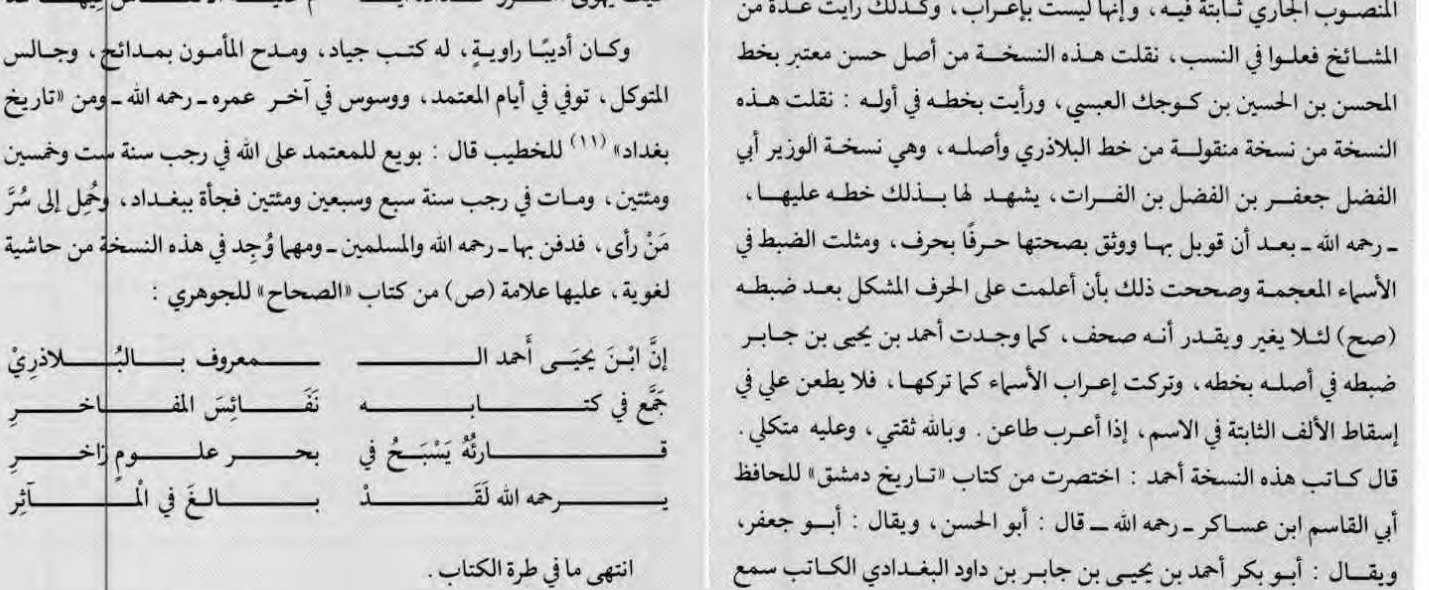
استعدِّي يا نفس للموت واسْعَي   لنجاةٍ فالحازم المستعَدُّ
قد تيقَّنْتِ أنه ليس للحيِّ   خلودٌ ولا من الموت بُدُّ
أنتِ تَسْهِين والحوادث لا تسـ   ـهو وتَلْهِينَ والمنايا تُجِدُّ
أيُّ مُلْكٍ في الأرض أو أيُّ حظٍّ   لِامرِئٍ حظُّه من الأرض لَحْدُ
لا تَرَجَّيْ البَقاءَ في مَعْدَنِ المو   ت ودارٍ حُتُوفُهَا لَكِ وِرْدُ
كيف يَهْوَى امرؤٌ لَذَاذَةَ أيَّا   م عليه الأنفاسُ فِيهَا تُعَدُّ

وكان أديبًا راوية، له كتب جياد، ومدح المأمون بمدائح، وجالس المتوكل، توفي في أيام المعتمد، ووسوس في آخر عمره ـ رحمه الله ـ ومن «تاريخ بغداد» (١١) للخطيب قال: بويع للمعتمد على الله في رجب سنة ست وخمسين ومئتين، ومات في رجب سنة سبع وسبعين ومئتين فجأة ببغداد، وحُمِل إلى سُرَّ مَنْ رأى، فدفن بها ـ رحمه الله والمسلمين ـ ومهما وُجِد في هذه النسخة من حاشية لغوية، عليها علامة (ص) من كتاب «الصحاح» للجوهري:

إنَّ ابْنَ يحيَى أحمد الـ   ـمعروف بالبُلاذرِيْ
جَمَّع في كتابه   نَفَائِسَ المفاخِرِ
قارئُهُ يَسْبَحُ في   بحرِ علومٍ زاخرِ
يرحمه الله لَقَدْ   بالغَ في المآثِرِ

انتهى ما في طرة الكتاب.

(٢) الصفحة الأولى من المخطوطة الدمشقية في خزانة الرباط (٧ جلاوي)



وفي الصفحة الأولى منه بخط حديث [انظر الصورة (٢)] (الحمد لله عاريه من عواري الدهر وهو لابناء عمنا أولاد الفقيه سيدي محمد بن عبد السلام، وكتب أفقر الورى إلى رحمة مولاه وشفاعة نبيه أحمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف)، وتحت هذه الكتابة : (الحمد لله . . . يوسف بن محمد بن أبي بكر في ١٦ محرم الحرام عام ١٣٤٨هـ) من يد مالكه الفقيه ثم بخط كاتب الأصل بعد البسملة في الصفحة الثانية : (قال أحمد بن علي بن جابر : خبرني جماعة من أهل العلم والنسب قالوا : نوح عليه السلام ابن لامك بن متوشلح بن أخنوخ، وهو إدريس عليه السلام) واسترسل في الكلام، مما سيجده القارئ في الجزء المطبوع، وقد كُتِبَت النسخة على ورق عريض طويل، بحيث اتسعت الصفحة لاثنين وأربعين سطرًا.

ووقع المجلد الأول الذي حققه الدكتور محمد حميد الله في ١١٩ صفحة من هذه النسخة، بينما وقع من المخطوطة الاسطنبولية في ٢٨٥ من صفحاتها.

وليس من المستبعد أن الفقيه محمد بن عبد السلام الذي نسبت إليه المخطوطة هو العالم المغربي المشهور صاحب الرحلتين إلى الحج، محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الناصري، حج سنة ١١٦١ و ١٢١١هـ، وكان ذا صلة بعلماء الحرمين، وقد دون رحلتيه ولا يزالان مخطوطتين، لُخِّصَ ما يتعلق منها بالحجاز في مجلة «العرب» ثم أفرد في كتاب، وله مؤلفات لا تزال مخطوطة وقد توفي سنة ١٢٣٩هـ.[١٢]

وإذا صح ما تقدم بالنسبة لابن عبد السلام المالك للنسخة فإن وصولها إلى المغرب كان في العهد المشار إليه.

وتقع هذه المخطوطة كاملة في ٩٣٤ صفحة كبيرة يتراوح عدد سطور الصفحة بين ٤١ و ٤٢ سطرًا آخرها : (وولد جشم بن ثقيف حطيط بن جشم . . . . آخر المجلد الثاني والأربعين من الأصل المشروع في كَتْبِه في سنة إحدى وتسعين والمفروغ منه في صفر في سنة خمس وتسعين وثلاث مئة بمصر) وفي آخره : (هذا آخر ما صَنَّفَ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري من «جمل أنساب الأشراف وأخبارهم») وتم الكتاب، وكان في الأصل على قدمه اضطراب في مواضع من تقديم وتأخير وإسقاط ونحوه، أتقنت كل ذلك من نسخة أخرى فصار هذا الفرع مُرَجَّحًا على أصله، وكان الشروع في كتبه في يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين، والفراغ منه في يوم السبت بعد صلاة عيد الاضحى سنة ٦٥٩هـ على فترات تخللت الكتابة فصار كَتْبُهُ جميعه في مدة عشرة أشهر وأيام كتبه لنفسه صاحبه عبيد الله الفقير إلى عفوه وغفره أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر الموصلي ثم الدمشقي الشافعي بسكنه برباط السميساطي بدمشق، حامدًا لله تعالى ومصليًا على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل). وفي الهامش : (. . . المعارضة . . . هذا الكتاب من أوله إلى هذا بأصل . . . حسن . . . في بعض مجلداته . . . يفهم أنه قرأه في سنة . . . وثلاث مئة . . . وجدت فيه . . . ألحقتها . . . ومواضع . . . الأصلين . . . منها أتقنتها . . . فصارت . . . على انفراده مواضع ساقطة ومواضع مضطربة . . . هذه النسخة ولله الحمد وكانت هذه المعارضة في مدة آخرها العاشر من . . الأول سنة احدى وستين وست مئة وكتبه صاحبها أحمد بن محمد الموصلي حامدًا الله عز وعلا ومصليًا على رسوله محمد خاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه وربما وقع في هذه النسخة مواضع فيها اضطراب وجدتها في النسخ الثلاث كذلك فتركت على حالتها وكأنها من المصنف). انظر الصورة ومكان النقط لم يتضح في التصوير. وهذه المخطوطة في المكتبة العامة في الرباط برقم (ج ٧).

المخطوطة المغربية

[انظر الصورتين رقم (٣) و (٤)].

وعن المخطوطة الدمشقية نقلت مخطوطة مغربية محفوظة في الخزانة الملكية

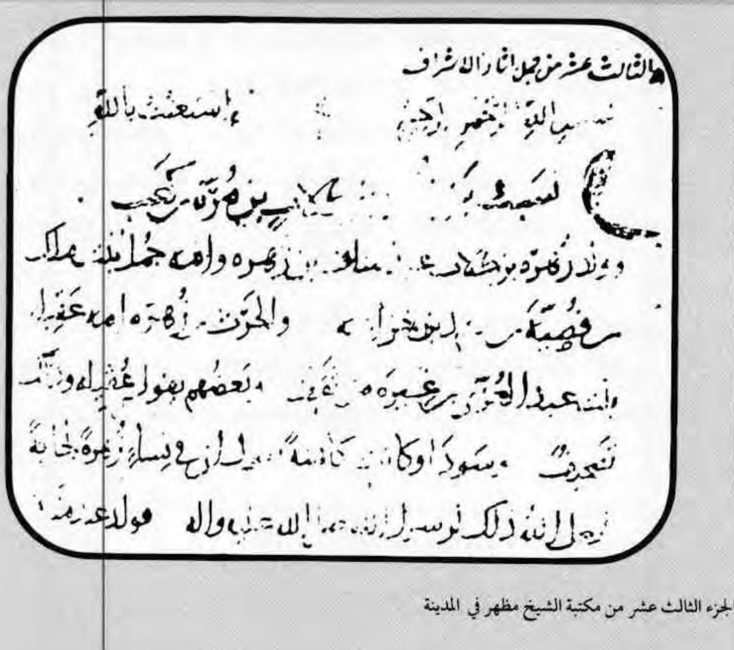
(٣) أول الجزء الرابع من المخطوطة المغربية في الخزانة الملكية المغربية


نسب بني عدي بن كعب بن لؤي

(٤) الصفحة الأخيرة من المخطوطة المغربية في الخزانة الملكية في المغرب







(٥) الصفحتان الثانية والثالثة من مخطوطة الجزء الثالث عشر من مكتبة الشيخ مظهر في المدينة

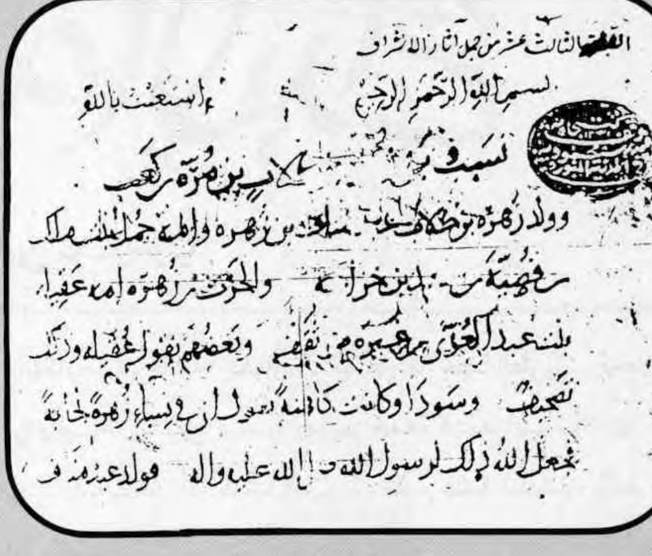
تقع في أربعة مجلدات كبار، المجلد الأول: يحوي من أول الكتاب إلى نهاية نسب عبد المطلب بن هاشم وولده، ويقع في ٢١٦ ورقة، والمجلد الثاني: في ١٨٥ من الورق الكبير ويحوي نسب عبد شمس بن عبد مناف إلى ولاية عبد الملك بن مروان. والمجلد الثالث: في ٢١٨ ورقة يتضمن من أخبار عبد الملك إلى نهاية نسب ولد يقظة بن مرة بن كعب. والمجلد الرابع يبتدئ بذكر نسب بني عَدِيٍّ بن كعب بن لؤيّ وينتهي بآخر الكتاب في الكلام في نسب ثقيف غير كامل، ومنه: وولد القاسم بن أمية وهبًا كان شاعرًا ورث عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وربيعة بن أمية ومنهم وهب بن أبي خويلد بن ظويلم بن عوف ابن عُقْدة، مات فاختصم بنو غُبَرة في ميراثه، فأعطاه النبي ﷺ وَهْبَ بن أمية بن أبي الصلت، ولد جشم بن ثقيف، فولد حطيط بن جشم . . . والله أعلم بالصواب. انتهى وهو يوافق آخر المخطوطة الإسطنبولية، ووجد في الأصل المنتسخ منه ما نصه: هذا آخر المجلد الثاني والأربعين من الأصل المشروع في كتبه سنة إحدى وتسعين والفروغ منه في صفر سنة خمس وتسعين ـ إلى آخر ما سبق نقله عن أصل المخطوطة ـ وبعد ذكر ناسخها الدمشقي: (كمل بحمد الله تعالى وحسن عونه ومنه على يد . . . الحسن بن عبد القاهر الوافلاوي كان الله له، ووافق الفراغ منه في الثاني والعشرين من جمادى الثانية عام تسعة ومئتين وألف، عرفنا الله خيرها ووقانا شرها، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم) ويقع هذا المجلد في ٢٨٣ ورقة، وجميع الأجزاء الأربعة متماثلة من حيث الورق (قياس ٥,٣٢ × ٢١ سم) وسطور الصفحة الواحدة تتراوح بين ٢٨ و ٣١ سطرًا، وناسخها واحد، والعناوين بالحمرة، ولهذا لا تبدو في التصوير.

وفي الخزانة الملكية في المغرب مجلدات ثلاثة، يبدو أنها منقولة من المخطوطة الدمشقية، وأن ناسخها هو ناسخ المخطوطة المغربية سنة ١٢٠٩هـ، وتقدم ذكره، وإنْ فُهِمَ من قول مفهرس الخزانة الملكية [١٣]، أن المجلد الرابع منها يتضمن سيرة عمر بن الخطاب وولده عبد الله بن عمر، ثم ولدهم، وهي لا توجد في المجلد الرابع من النسخة السابقة. انتهى، كذا قال، وأراه لم يتثبت من هذا فترجمة عمر ـ رضي الله عنه ـ تقع في أول الجزء الرابع إلى الورقة التاسعة والعشري، في نحو ست وخمسين صفحة، ثم تفريع أبنائه من بعده.

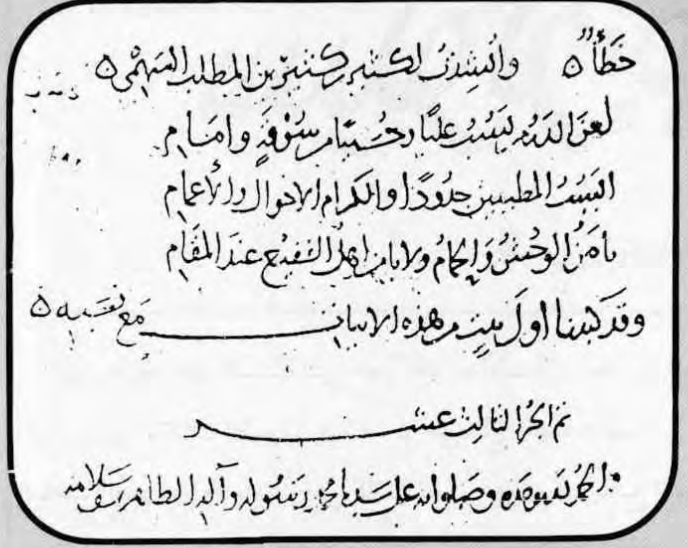
مخطوطة اسطنبول: وعن النسخة الدمشقية نسخت مخطوطة اسطنبول في مكتبة عاشر أفندي رئيس الكتاب التي ضُمَّتْ إلى المكتبة السليمانية، وهذه المخطوطة تقع في مجلدين ضخمين من القطع الكبير رقمها ٥٩٦، ٩٥٨، يقع المجلد الأول في ١١٩٦ من الصفحات، والمجلد الثاني في ١٢٦٨، تحوي الصفحة ٣٧ سطرا وفي طرتها نص ما هو مكتوب في طرة المخطوطة الدمشقية، وهي بخط أحمد بن حسن الدهمشاوي بتاريخ ٢٠ ربيع الأول سنة ١١٢٣ هـ.

وعن هذه المخطوطة نسخة مصورة في دار الكتب المصرية ومجزأة إلى اثنى عشر جزءا، كل جزء من أصل المخطوطة في ستة أجزاء، ونسخة أخرى منقولة عن هذه المصورة في عهد متأخر ـ سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م) ـ وقد صورها (معهد المخطوطات) في القاهرة، وتعد مخطوطة اسطنبول أصلاً لِجُلِّ ما نشر من الكتاب قبل العثور على النسخة الدمشقية والاستفادة منها.

الجزء الثالث عشر: ويحوي من الكتاب الحديث عن بني زُهرة بن كلاب ابن مُرَّة بن كعب بن لؤيٍّ، وبني تَيْم بن مُرَّة وبني يقظَة بن مُرَّة وبني هُصَيْص ابن مُرَّة مع تراجم من ينسب إلى هذه الفروع القرشية من المشاهير كأبي بكر الصديق وبنيه وآل طلحة بن عبيد الله وعبد الله بن جدعان، وعمر بن أبي ربيعة وخالد بن الوليد، وسعيد بن المسيب، وعمرو بن العاص وغيرهم، ويقع هذا الجزء في ثلاث وتسعين ومئة من الورق ـ عن (٣٨٦) صفحة ـ وفي الصفحة اثنى عشر سطرًا بالخط النسخي الحسن أوله بعد البسملة والاستعانة بالله: (نسب



صور رقم (٦)



خطأ ٥ وأنشدت لكثير بن المطلب السهمي ٥

لعن الله من يسب عليا وحسينا من سوقة وإمام

أيسب المطيبين جدودا والكرام الأخوال والأعمام

يأمن الوحش والحمام ولا يأمن أهل الشفيع عند المقام

وقد كتبنا أول بيت من هذه الأبيات مع نسبه ٥

تم الجزء الثالث عشر

صورة رقم (٧)

بني زهرة بن كـلاب بن مرة بن كعب) وآخـره : (وقال غيرُ الكلبي : عمير بن رِئَـاب بن حُذَافـة بن سعيد بن سَهْم، وذلك خطأ وأُنْشِـدتَ لِكثِير بن المطلّب السَّهْمِيّ :

لَعَـنَ اللهُ مَـنْ يَسُـبُّ عَلِيًّـــــا	وَحُسَيْنًـــا مِنْ سُـــوْقَـــةٍ وإِمَـــام
أَيَسُـبُّ الْـــمُطَيَّبِيْنَ جُـــدُوْدًا	والْكِـــرَامَ الأَخْـــوَالِ والأَعْمَامِ
يَـــأْمَنُ الْـــوَحْـشُ والحَمَامُ وَلاَ يَـــأْ	مَنُ أَهْـلُ الشَّفِيْعِ عِنُـــدَ المَقَـــامِ

وقـد كتبنـا أول بيت من هـذه الأبيـات مع نسبـه . تم الجزء الثـالث عشر، والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآلـه الطاهرين وسلامه . يتلوه الجزء الرابع عشر نسب بني عَدِيٍّ بن كعب بن لُؤَيٍّ) .

وفي الهامش : استكمله منقذ بن مرشـد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ قراءة سلخ ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وخمس مئة) .

وفي طرة الجزء : (الجزء الثالث عشر من «جمل أنساب الأشراف وأخبارهم» عن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري) ثم أسماء من ملكوا النسخة .

ومما اتضح من الكتـابة : (لمرشـد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقـذ وفقه الله) و (ملكه علي بن ظافر بن حسـن الأزدي ثم الأنصاري الخزرجي بمحروسة مصر في سنة ثلاث وست مئة . . .) و (انتقاه داعيا لمعيره أحمد بن علي المقريزي سنة ٨٢٩ هـ) و (في نوبة شرف الـدين ابن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عفي . . .) مما تقدم يتضح أن النسخة كانت من كتب آل منقذ أسرة الأديب الشاعر أسامة بن مـرشد بن منقذ (٤٤٨/ ٥٨٤هـ) فمنقذ بن مرشـد قرأه سنة إحدى وعشرين وخمس مئة . ، ومنقذ هذا توفي سنة (٥٣١هــ) وهو أخو أسامة، أمـا مهنـد بن علي الذي ملك النسخـة فهـو عم أسامـة وعم منقـذ، وزمنه متقـدم عليهما، وينبغي أن يكـون من أهل القـرن الخامـس حيث تـوفي والـده علي بن مقلد سنـة (٤٧٥ هـ) [١٤] وأما علي بـن ظافر فهـو الأديب المعروف صـاحب كتاب «بدائع الْبَدَائِـهِ» غيره من المؤلفـات، وقد ولد سنة (٥٦٧ هـ) وتوفي سنة (٦١٣ هـ)[١٥] والمقريزي هو المؤرخ الذي تغني شهرته عن الحديث عنه .

ومخطوطة هذا الجزء توجد في (المكتبة المحمودية) في المدينة المنورة، وفي قسم المخطوطات مـن مكتبة جامعة الإمام محمـد بن سعود الإسلاميـة نسخة مصورة عنها .

ويبدو لي أن هذه النسخة كانت في خزائن أحد الفاطميين حكام مصر فهي قـريبـة الشبه بمخطـوطتي كتـاب «النـوادر والتعليقات» للهجـري، وكتـاب «الإيناس» للوزير المغربي مخطوطة المتحف البريطاني، وفي الكتابين ما يفهم منه أنهما كانا من خزائن أولئك .

ويظهر أن هـذه النسخة بقيت في مصر إلى القـرن العاشر الهجـري، حيث ملكها ابن زكريا الأنصاري وهو : زكريا بن محمد المتوفى سنة ٩٢٦ هـ .

وانظر عن هذه المخطوطة الصور (٥، ٦، ٧) .

الحـواشي

(٩) «تاريخ الأدب العربي» قسم التاريخ - الجزء الثاني من المجلد الأول ص ١٥٣ .

(١٠) «الأعلام» - ج١ ص ٢٦٧ - طبع دار العلم للملايين بيروت .

(١١) لـم أر في كتـاب «تاريخ بغـداد» للخطيب ترجمة للبلاذري - مع أنه بغـدادي - والنقل هنـا لبيان زمن المعتمد، الذي توفي البلاذري في أيامه .

(١٢) ترجمه الشيخ الكتاني في «فهرس الفهارس» .

(١٣) - ص ٣٩ - .

(١٤) انظر عن (آل منقذ) «خريدة القصر وفريدة العصر» قسم الشام - ج١ ص ٤٩٨ - . و «معجم الأدباء» - ج ٥ ص ١٨٨ - طبعة الرفاعي .

(١٥) «الأعلام» للزركلي .

سيكولوجية الإبداع

بقلم: د. عبد الرحمن العيسوي

الإبداع هو تلك السمة التي خص الله بها الإنسان، لتكون وسيلته في ابتكار ما تزخر به الحضارة الراقية عبر تاريخها الطويل. فحضارة الإنسان وليدة تلك القدرة الرفيعة، أو هي نتاج لجهود جمهرة من العباقرة والمبدعين الذين كرسوا حياتهم لخدمة مجتمعاتهم، وانكبوا على البحث والفحص والتنقيب حتى كانت ثمار عقولهم فيما ينفع الناس جميعا. ولذلك فإن أمة كأمتنا العربية، تقيم نهضة شاملة، لابد وأن تستهدف إعادة بناء الإنسان بتوفير أقصى درجات الرعاية لمواهبه وقدراته واستعداداته، وإفساح المجال أمامه للخلق والإبداع والاختراع والابتكار وتسخير مواهبه الإبداعية في مجالات الخير دون الشر والنفع دون الضرر والبناء دون الهدم والسلام دون الحرب.

فكيف نغذي قدرة الإنسان العربي على الخلق والإبداع والابتكار والتجديد، وكيف يمكن أن نثير أو نحرك السلوك الإبداعي في الفرد ؟ ومن الشخص المبدع، أي الذي يستطيع الإتيان بالأعمال الإبداعية ؟ ثم ما البيئة الأسرية التي تقود أفرادها إلى عالم الإبداع ؟ ثم ما طبيعة العملية الإبداعية وما خصائصها ؟ هل هي قدرة فطرية يولد الفرد مزودًا بها، أم إنها قدرة يتعلمها الفرد ويكتسبها عن طريق المران والتدريب والممارسة والتأهيل والتعليم والتشجيع ؟

هذه بعض التساؤلات التي تدور حول عملية الإبداع التي هي في الواقع عملية معقدة متشابكة وليست عملية سهلة أو بسيطة .

الإبداع والذكاء

يظن البعض، خطأ، أن الإبداع هو الذكاء، ولكنّ الإبداع في الحقيقة يختلف عن الذكاء، وإن كان هذا لا يمنع من أن الإبداع يتطلب قدرًا معينًا من الذكاء لتمكين الفرد من إحكام فهم الحقائق الأساسية والمفاهيم العامة في مجال إبداعه. كما أن هذا القدر يختلف من مجال لآخر، فقد يكون كبيرًا في مجال ما صغيرًا في مجال آخر. ففي أي جماعة ذات مستوى واحد من الذكاء نجد أن البعض أكثر إبداعًا من البعض الآخر، وعلى سبيل المثال : دل البحث أن أرباب القدرة الإبداعية العالية من علماء الرياضيات لم يحصلوا على درجات أعلى في اختبار **وكسلر** للراشدين للذكاء عن زملائهم أرباب القدرة الرياضية المتوسطة .

كما يظن البعض، خطأ، أن الإبداع مساو **للأصالة** Originality وذلك؛ لأن الإبداع أكثر شمولاً واتساعًا من الأصالة أو الجدة. فالأصالة أو الجدةيمثلان أحد عناصر الإبداعية Creativity . فسلوك بعض المرضى النفسيين أو العقليين قد يكون جديدًا لم يسبقهم إليه أحد، ومع ذلك فلا يعد من باب الإبداع. ذلك لأنه لكي يكون الفعل أو السلوك إبداعيا لا يكفي أن يكون أصيلا أو جديدًا، ولكن لابد له من أن يخدم بعض الأغراض، وأن يتفق مع بعض المحكات أو المعايير Creterion ، كأن يكون العمل المبدع ذا معنى ومغزى وهدف إيجابي نافع . وقد يبدو هذا الشرط كما لو كان قيدًا لحرية الإنسان المبدع، ولكن هذا الشرط هو الذي يميز في نظر العامة بين ما هو إبداع وما هو تقليد زائف .

تعريف الإبداع

للعملية الإبداعية عدة عناصر تحددها وتوضح خصائصها . من بينها أنها تتضمن جمع عدد من العناصر في كلٍّ موحّد، تلك العناصر التي قد لا تبدو في عين الرجل العادي مترابطة أو ينتمي بعضها إلى بعض . جمع هذه العناصر لتكون تركيبا أو تكوينا جديدا New Combination (أي جمع الأشياء المتباعدة في كلٍّ جديد متكامل أو متفاعل) . فالإبداع لا يعني مجرد جمع عناصر قديمة ورصها بعضها فوق بعض، وإنما قد يكون رؤية جديدة لعناصر قديمة، أو استخدامًا جديدًا لعناصر معروفة من قبل، أو تركيبًا جديدًا لعناصر قديمة لم يسبق لها أن تجمعت معا، كرؤية العلاقة بين سقوط التفاحة والجاذبية الأرضية، أو إدراك العلاقة بين الغاز وضغطه . فالاختراع ليس من الضروري أن يكون جديدًا في عناصره، وإنما يكفي أن يكون تركيبًا أو تكوينًا جديدًا لهذه العناصر على شرط أن يكون ذا نفع أو فائدة .

ولا يقتصر الإبداع على مجال العلم والتقانة (التكنولوجيا)، ولكنه يظهر في الشعر والأدب والفن والفلسفة والموسيقى. وقد يتخذ أشكالاً عدة، منها الأعمال الفنية الجمالية أو المسرحية أو الروائية. وقد يكون طريقة أو أسلوبا أو منهجا سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا لحل مشكلة ما .

وهنـاك كثير من الاختبـارات وضعها علمـاء النفس لقياس القـدرة الإبداعية في الفرد. منهـا ما يتطلب معـرفـة المفحـوص للاستخدامـات غير المألوفة لشيء مـا، كأن نسأله عن الاستخدامـات التي يستطيع أن يفكر فيهـا لقالب الطوب الأحمر، كأن يقول نستخدمها في صنع بدرة حمراء أو لإغراق قطعة غير مـرغوب فيهـا. أو نطلب منـه أن يعدد الاستخدامـات المختلفـة لدبـوس الإبرة. وهنـاك اختبـارات النتـائج أو المتتبعـات التي يفكـر فيهـا المفحوص إذا حدثت بعض التغيرات، كأن نسألـه مـاذا يحدث لـو لـم يجر النيل في مصر؟ أو مـاذا يحدث إذا لـم يعـد الإنسـان قـادرا على السير أو الـوقـوف منتصب القامـة. وهنـاك نـوع من الاختبارات يعطي فيها المفحوص كلمة ويطلب منه أن يستخـدم حـروفهـا في ابتكـار أكبر عـدد من الكلمـات، كأن نعطيه كلمة «سفينة» ليكون منها كلمات مثل: نفس، فـن، سن، سنـة، فنيـة، فني، نيـة، سننية، نسي وهكـذا. وتحتسب درجة الفـرد في الإبداع على أسـاس نـدرتها وملاءمتهـا. وهنـاك اختبـارات تقـوم على أسـاس الـربط بين العناصر المتباعدة عن طريق إيجاد كلمة مثلا تربط بين هـذه العنـاصر وهكـذا؛ وإن كـان هنـاك من يشكّ في قدرة هذه الاختبارات في الكشف عن قدرة الفرد الإبداعيـة، ويرى أنها لا تظهر إلا في المواقف العلمية التي يتطلبها السلوك الإبداعي.

ولكن الـذي يهمنا في المحـل الأول هو تعـرّف سِمات الشخص المبدع وذلك بغية العمل على تنمية هذه السمات وإبرازها بحيث يتوافر للمجتمع أكبر قدر من المبدعين في شتى المجالات.

سمـات المبـدع

لا شك أن الشخـص المبـــدع شخص غير عادي، ذلك لأن الإبداع يتطلب بذل قدر كبير من الجهـد مـع تـوقع قـدر ضئيل جـدا من المكـافأة المباشرة. وهذه سمة لا تـوجد في كثير من الناس. ولـما كـان الإبـداع يقتضي اتخاذ مـوقف التحـدي والتصـدي للأسـاليب والطـرق المقبولـة والخاصـة بـالنظـر للحقيقـة، فـإن الشخص المبـدع يُقـابل بالسخرية أو المعارضة. ولذا فإننا نتساءل لماذا يهتم بعض الناس بأن يصبحوا مبدعين؟

ولعل هـــذا جعل بعـض علمــــاء النفس يفترضون وجود حاجـة في الإنسان تدفعه إلى الجدة أو الأعمال الجديـدة والأصيلـــة Novelty. ولقد كشفت بعض الـدراسات أن الأصـالة ذات أهميـة عنـد بعض النـاس أكبر منها عنـد البعض الآخـر الذين وجدوا أن لديهم حاجـة إلى الخبرة المتوقعة أو الآمنـــة، أي تلـك الخبرات التي يمكـن التنبـــؤ بها Predictable. ولكن عشق الأصالة ليس هو العامل الـوحيد المميـز للشخصية المبدعـة. ولقد جعل هـذا بعض العلمـاء يتساءلـون عما إذا كان هنـــــاك نمط معين مـن سمات الشخصيـــــة Personality traits عند غير المبدعين. وكانت الإجابة، بعد استقراء العديد من الدراسات، أنه لا يوجـد مثل هذا النمط؛ لأن كـل أنماط الشخصية من الممكن أن يكون أصحابها مبدعين Creative.

وإن كـان هـذا لا يمنع مـن وجـود أسلـوب عـام للإدراك وللتفكير يميز الشخص المبدع.

ولقد أجرى **معهد قياس وبحـوث الشخصية بجامعة كاليفورنيا** العديد من الدراسات على امتداد سنـوات طويلـة، حيـث تمت دراسـة أصحـاب القدرات الإبداعية العالية من المهندسين والرسامين والكتاب والأطباء وعلمـاء الفيزيـاء وعلمـاء الحياة ورجـال الاقتصاد وعلمــاء الأجناس والسـلالات والرياضيـات. وأسفرت هذه الدراسـات عن تمييز عدد من الصفـات العامة في الشخصيـة المبدعـة، ومن أهـم هـذه الصفــات: **التفضيل الواضح للأمـور المعقدة** وتقـديرهـا واستحسانها في مقـابل البساطة Complexty X Simplicity. فلقـد عـرضت عليهم مجمـوعـة من الـرسـوم والأشكـال المعقـدة ومجمـوعـة أخـرى من الأشكـال البسيطـة ففضلـوا الأولى على الثـانيـة مما يـدل على أنهم يستحسنون التعقيد-Appreciation of Com plexity.

ومن سمات المبـدع أيضـا **الانفتـاح على الخبرة** Openness to experience ولقد ظهرت هذه السمة من إجابة المبدعين على بعض الأسئلـة والتي منها ما يلي:

١ ـ إذا سألك البعض في صباح يوم الجمعة عما تنوي عمله في ذلك اليوم فهل:

(أ) ستكون قـادرا على أن تذكر ذلك بـوضـوح كبير.

(ب) عليك أن تنظـر لترى ماذا سـوف تفعل (اختار هذه الإجابة المبدعون).

٢ ـ هل يصعب عليك التكيف مع:

(أ) الروتين (اختارها المبدعون).

(ب) التغير المستمر والدائم.

٢ ـ هـل تحب:

(أ) أن تنظم مـواعيدك وحفلاتـك قبلها بفترة طويلة (مقدما).

(ب) أن تظل حـرا أن تفعل مـا يبدو ممتعـا في حينه (اختارها المبدعون)

٤ ـ هل أنت في أحسن أحوالك:

(أ) عنـدمـا تتعـامل مع الأمـور غير المتـوقعـة (اختارها المبدعون).

(ب) عنـدمـا تتبع خطـة موضـوعـة بإحكـام دقيق.

وتكشف مثل هذه الاستجـابات أن الشخص المبدع يكره القيود والروتين، ويحب الحرية والتحرر والتعامل مع الأشياء الجديدة والمتغيرة وغير المتوقعة مما يدل على وجـود نـزعـة نحو اكتسـاب الخبرات الجديدة.

ومن سـمـات المبدعـين كـذلـك الحـدس Intuitiveness حيث يثق المبـدع في قدرتـه على الحدس، وهو المعرفـة الفجائية الطفرية، أكثر من ثقته في العمليات العقلية المنطقية.

وتعبر هـذه النزعـــة عن ذاتها من خــلال تفضيلهم للكلمات الآتية عندما طلب من مجموعة منهم أن يـوضحـوا أيّ الكلمتين من كل زوج من هــذه الكلمـات تـروقهم أو تعجبهم أكثـر من الأخرى.

(الاستجـابة المفضلـة لـدى المبـدع يوضحهـا وجود قوسين حول الحرف الدال عليها).

(أ) ـ النظرية ـ ب ـ اليقين.

أ ـ يبني ـ (ب) ـ يخترع.

أ ـ العبارة ـ (ب) المفهوم.

أ ـ الحقائق ـ (ب) الأفكـار.

أ ـ المشخص ـ (ب) المجرد.

أ ـ الأساس ـ (ب) القمـة.

(أ) النظرية ـ ب ـ الخبرة.

الـــذكـــاء لايعني القـدرة عـلى الإبـداع

أ ـ حرفي ـ (ب) مجازي أو استعاري أو رمزي أو تشبيهي.

وتدلنا هذه الاستجابة أن الشخص المبدع يفضل النظرية العامة ويميل إلى التجربة والاختراع والابتكار، ويفضل الأفكار عن الأمور الحرفية والحقائق الواضحة.

كذلك من سمات الشخص المبدع **الاستقلال** Independence ، فالشخصية المبدعة شخصية استقلالية وليست امتثالية، أي لا تمتثل لآراء الغير Nonconformity .

فلقد وجد أن الشخص المبدع يقاوم ضغط الجماعة لكي يمتثل ويستجيب مستقلا عن غيره من الناس فلا يتأثر في أحكامه بأحكام الجماعة.

صحته العقلية

ومن الأهمية بمكان أن نتساءل عما إذا كان الشخص المبدع يتمتع بالصحة العقلية الجيدة أم لا؟

لقد كانت العلاقة بين الصحة العقلية أو التكيف النفسي والإبداع مثار جدال طويل بين العلماء؛ لأن هناك من بين المبدعين من كان يعاني من بعض الأمراض العقلية، ومنهم من كان تظهر عليه علامات الشذوذ. ولقد تم تطبيق الكثير من اختبارات التكيف النفسي على الأشخاص المبدعين وكشفت أن هناك من بين المبدعين من يصنف ضمن فئات ذوي المرض العقلي، ولكن كشفت أيضا تلك الدراسات أن لديهم قدرة أكبر على الضبط النفسي (السيكلوجي). وعلى الرغم من أن المبدع قد يشغل نفسه بكثير من الأفكار الشاذة وغير المألوفة، إلا أنه يستطيع أن يرتد إلى المعقولية والمنطقية، وأن يمارس كثيرا من النقد الذاتي - Self Criticism ولعل وجود هذا التنوع في سمات المبدع هو الذي جعل عالما مثل **فرانك بارون** Frank Barron **يقول إن الشخص المبدع أكثر بدائية وأكثر ثقافة، أكثر هدما وأكثر بناء.**

تنمية الإبداع

إن ما يهمنا من الناحية التطبيقية، هو كيفية تنمية القدرة على الإبداع في الفرد، وهذا يقودنا إلى التساؤل عن الظروف التي تؤدي إلى تغذية الإبداع في الفرد، وما الخلفية التي ينحدر منها المبدعون؟

لا شك أن من أهم المؤسسات التي تؤثر في نمو الفرد وفي صقل شخصيته، الأسرة التي يتربى الفرد ويترعرع على ضفافها. لقد دل البحث أن آباء المبدعين كانوا يظهرون احتراما غير عادي لطفلهم، كما يظهرون الثقة في قدرات الطفل على أن يفعل الأمور المناسبة في المكان المناسب وذلك في معظم المواقف. ويتمتع الطفل بقدر كبير من الحرية حتى في سن مبكرة وذلك لكي يستكشف العالم المحيط به ويسبر أغواره ويتخذ القرارات المناسبة، وإن لم يكن الطفل ملتصقًا جدا بأبويه، على ألا يكون منبوذا Rejected . كما أنه لا يوجد ارتباط عاطفي قوي بين الآباء والطفل. ولا يفلح الطفل المبدع في التوحد مع شخصية أحد الوالدين أو تقمصها، ولكنه يتمتع بنوع غامض من التقمص أو التوحد مع كليهما Identification ، وقد لا يتقمص شخصية أي منهما، بل يتقمص شخصية أحد الأقارب، أو شخصية عامة من خارج دائرة الأسرة. ولكن الآباء رغم هذا يؤثرون في سلوك الطفل ويقدمون له النموذج الذي يقتدي به. ولقد وُجد أن الطفل المبدع كان يخضع لنوع ثابت من التأديب والنظام، ذلك التأديب الذي يتوقعه، وهو التأديب العادل والمعقول. ولقد نال التشجيع لإقامة معايير شخصية للسلوك. ويؤكد الآباء على نمو المعايير والقيم الخلقية، تلك القيم التي تبدو متكاملة ومتناسقة. ويتعرض الطفل لثقافات غنية كما يمر بخبرات عديدة، ولذلك يصبح الطفل وحيدا بعيدًا عن أهل الجيرة خجولاً منعزلاً أو منطويًا. ويتمتع الطفل بحرية لإظهار مواهبه واهتماماته. وفي الغالب ما يكون أحد الوالدين أو كلاهما مبدعا بدوره.

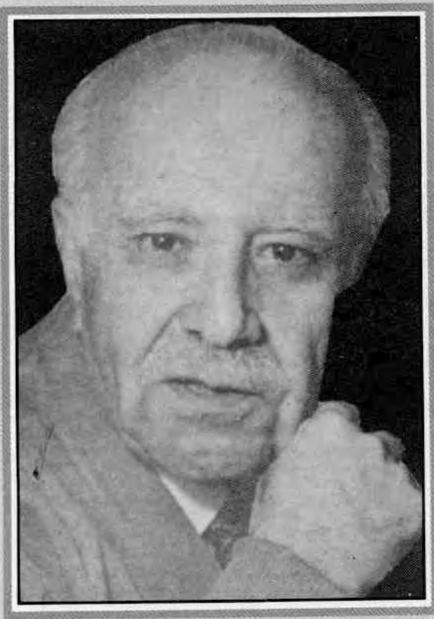
وتوفر هذه البيئة الأسرية التربة الخصبة لكي تنمو بذور الإبداع وسماته الشخصية الأخرى. ورغم وجود هذه السمات المبكرة في الفرد إلا أنه يمكن تدريب الناس على التفكير الإبداعي. ويقودنا هذا إلى التساؤل: هل يمكن تعليم الإبداع؟

فالطفل الذي يعيش في كنف بيئة غنية ثقافيًا وعلميًا وتربويًا من المحتمل أن يشب مبدعًا، كذلك فإن الطفل الذي يتربى على حرية التعبير عن الذات، والذي لا يجد صدًا أو زجرًا أو إحباطًا من قبل المحيطين به عندما يعبر عن ذاته، فإنه يجد فرصة لكي ينمو مبدعًا. وتؤدي القيم التي يكتسبها الطفل دورًا أساسيًا في نمو قدراته الإبداعية، من ذلك قيم التكامل والامتياز والحق والخير والجمال والعدل. كذلك فإن مواجهة الطفل بالمشكلات التي يتطلب حلها تفكيرا إبداعيا تؤدي إلى تدريب الطفل على الإبداع. فلقد دل البحث والتجريب أن القدرة الإبداعية يمكن زيادتها وتنميتها عن طريق التدريب على ممارسة التفكير الإبداعي. كذلك أسفرت الدراسة الميدانية على أنه يمكن زيادة القدرة الإبداعية عن طريق تعزيز السلوك الإبداعي وتدعيمه بتقديم المكافأة أو الجزاء لمن يقوم به. كذلك فإن تربية الأطفال على المثابرة والصبر والجلد وقوة الاحتمال وتحمل المسؤولية تؤدي إلى نمو القدرات الإبداعية، وبذلك تستطيع الأسرة والمؤسسات التربوية، في عالمنا العربي على اختلاف مستوياتها، والمجتمع أن يسهموا إسهامًا إيجابيا في إيجاد المواطن المبدع والمنشود.

منير البعلبكي

تعريب التعليم الجامعي ضرورة ملحة

أجراه : خالد محمد عزب



منير البعلبكي

قابلته في القاهرة أثناء انعقاد إحدى دورات مجمع اللغة العربية، والتي طرحت قضية التعريب والترجمة في الوطن العربي كقضية رئيسة. وقد كان للأستاذ منير البعلبكي دور كبير في إثراء مناقشات تلك الدورة لما لـه من خبرة في هذا المضمار، وهو يعتبر، بحق، أحد أبرز رواد الترجمة والتعريب في الوطن العربي.

وقد كان لي معه هذا اللقاء.

قصته مع الترجمة

● **متى بدأتم في ترجمة المؤلفات الأجنبية إلى العربية، وما المنهج الذي اتبعتموه في ترجمتها؟**

□ لقد انصرفت منذ عام ١٩٤٥م تقريبا إلى ترجمة الآثار الإنجليزية إلى اللغة العربية، ترجمةً دقيقةً حاولت فيها أن أقدم إلى القارئ العربي صورة صحيحة عما يريد الكاتب أن يقوله، وبخاصة حين يكون الأثر المترجم رائعة من روائع الأدب العالمي. وطوال الفترة الطويلة التي امتدت حتى عام ١٩٦٠م مكنني الله عز وجل من أن أنقل أمهات التراث الأدبي الأجنبي من شرقيه وغربيه إلى اللغة العربية، نقلا اتسم بالأمانة والدقة مع مراعاة متطلبات البيان العربي والبلاغة العربية.

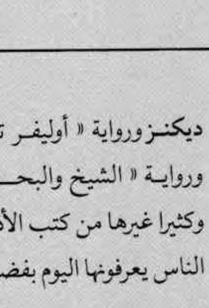
● **ما أبرز الآثار الأجنبية التي قمتم بترجمتها؟**

□ أذكر من الآثار التي أعتز بترجمتها رواية «قصة مدينتين» للروائي الإنجليزي تشارلز ديكنز ورواية «أوليفر تويست» للكاتب نفسه، ورواية «الشيخ والبحر» لإرنست همنجواي، وكثيرا غيرها من كتب الأدب الإنجليزي التي أصبح الناس يعرفونها اليوم بفضل هذه الترجمات.

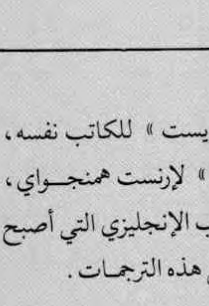
ومن الآثار المهمة التي وفقني الله لترجمتها رواية «البؤساء» للشاعر الفرنسي فيكتور هوجو. وهي تقع في خمسة مجلدات ضخمة، وهي أول ترجمة كاملة لهذا الأثر، الذي يعد أشهر رواية في الأدب العالمي كله كما قال تولستوي الكاتب الروسي الشهير.

وقد عنيت أيضا بالمقابل بترجمة كثير من آثار الأدب الروسي بحيث يتم التوازن بين شرق وغرب، فقد نقلت مثلا رواية «أسرة أرتامونوف» للكاتب الروسي مكسيم جوركي، ورواية «حياتي» لأنطون تشيكوف.

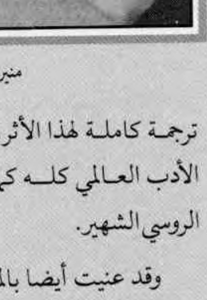
ديكنز



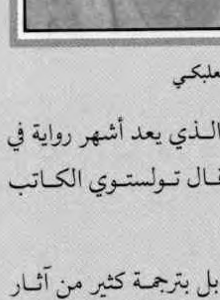
همنجواي



هوجو



جوركي



لقاء مع:



منير البعلبكي

ولـم تصرفني تـرجمة الـروايـات العـالميـة عن العنايـة بترجمـة الكتـب ذات الصلـة بتراثنـا العربي والإسـلامي، فترجمت مثـلا «تـاريخ الشعـوب الإسلامية» لكـارل بروكلمـان، المستشرق الألماني، وذلك بالتعاون مع الراحل الدكتور نبيه أمين فـارس رئيس دائرة التاريخ في جـامعة بيروت الأمـريكية،

كما نقلت كتـاب «حياة محمـد ورسـالته» للكـاتب الهنـدي مولانـا محمـد علي، وكتـاب «دفـاع عن الإسلام» للمستشرقـة الإيطاليـة فاغليري، وكتاب «العرب والإسلام» للكاتب الإنجليزي روم لانـدو. طبعًا هـذا قليل من كثير ممـا يحضرني الآن؛ لأن ما قمت بترجمته في هـذه الحقبـة قد زاد على المئـة أثر في مختلف الموضوعات والاتجاهات.

قـاموس الـمورد

● **كيف بدأتم في تجميع المادة العلمية لقاموس المورد؟**

□ الواقع أنني كنت أعاني - في نقل هذه الآثار إلى العربية - مصاعب جمـة؛ لأن كثيرًا من الكلمات التي كنت أقف عندها لـم تـرد معانيها في المعاجم التي كانت بين يدي في تلك الفترة من الزمـان.

كان عدد المعاجم قليلا وكانت مختصرة لا تفي بالمراد وقتهـا، مثل «القامـوس العصري» لإليـاس أنطـون إليـاس، وقـامـوس «النهضـة» لإسماعيل مظهر، وغيرهمـا. فكنت إذا بحثت عن معنى كلمة في تلك المعـاجم فـلا أجـده، أرجع إلى قـامـوس وبستر أو إلى معاجم أكسفـورد، فإذا أدركت المراد منها على وجـه الدقـة اجتهدت في وضع مقابل لها في العربية، وسارعت إلى تـدوين هذه الكلمـة مع مصطلحها على حواشي المعاجم الإنجليزية العربية المتوافرة بين يدي.

ولـم يكن يخطر ببـالي آنـذاك أن أضع معجما يملأ الفراغ الـذي كان يستشعـره كل مشتغل في الترجمـة والتعريب، كل مـا قصـدته من تـدوين معاني تلـك الكلمـات على حواشي تلك المعـاجم هـو الاحتفاظ بها حتى إذا صـادفتني مـرة ثانيـة لا أشغل نفسي بالبحث عنها ووضع المصطلح لهـا.

لقـد قمت بهذا وأنـا خـالي الـذهن تمامًـا من إمكان إصدار معجم خاص يحمل اسمي، وظلت الحال على هـذا المنـوال سنـوات متعـددة، اجتمع لـديّ خـلالها آلاف من الكلمـات التي لـم تـرد معانيها في المعاجم، والتي تكاد تشكل في حد ذاتها معجما قائما برأسه.

وفي هـذه الفترة أوحى إليّ بعـض الإخـوان بأن الأوان قد آن لوضع معجم إنجليزي/ عربي يشتمل على كل ما اجتمع لديّ من هذه الإضافات، وذلك حتى أوفر على الناس المتاعب التي عانيتها بنفسي، وبـذلك يسهل عليهم أمـر الترجمـة والتعـريب. فأعجبتني الفكرة وعزمت على تنفيذهـا بعد التوكل على الله، وشرعت في العمل مواصـلا الليل بالنهار حتى تم لي ما أردت في عـام ١٩٦٧م، وهو تاريخ أول طبعة من «المـورد».

ومـرت السنـون، فبـدا لي أن أجـدد «المورد» وأزيد صفحاتـه إلى الضعف. ولـم أكـد أبدأ بهذا الصنيع حتى وجدت أن من الأفضل أن أعدل عن هذه المحاولـة لأقوم بدلا منهـا بمحاولـة أكبر هي وضع موسوعة كبيرة تتضمن كـل ما يرغب القارئ معرفته من علـوم أو فنـون، وهكذا بدأت فكـرة «مـوسـوعـة المـورد»، التي شغلتني نيفـا وعشر سنوات مـن العمر والتي وفقني الله إلى إنجـازها في عشرة مجلدات كبيرة، اتبعتها بمسرد عربي للألفاظ الإنجليزية. والسبب في ذلك أنني رتبت مواد هذه الموسوعة على أساس المعجم الإنجليزي، بمعنى أن الكلمـة المشروحـة تـرد بالحروف الـلاتينية، أمـا الشرح فيأتي باللغـة العربية، ويـرجع ذلك إلى أن كثيرًا من المصطلحات العلمية لا تزال إلى اليوم قلقة يختلف الناس في استعمالها بين بلد عربي وآخر، من هنـا رأيت أن أعتمد اللفظ الإنجليـزي، ومن ثم أتوسع في شرحـه وتفصيلـه.

كثير من الناس يستخفون بالترجمة ويؤثرون التأليف



بروكلمـان



ملتون

كان هذا موضع انتقاد كثير من القراء الذين لا يعرفون اللغـة الإنجليزية، فوعدت في المقدمـة بأن أقدم لهؤلاء في أقـرب وقت ممكن موسوعـة عـربية - عربيـة، وقد وفقني الله إلى إنجاز هـذا العمل أيضا منـذ سبـع سنـوات، فأصبحـت الموسوعـة موسوعتين، إحداهمـا إنجليزية - عـربية والأخرى عربية - عربية، علما بـأن الموسوعـة العربية العربية هي في الـواقع اختصـار للموسوعـة الإنجليـزيـة العربية، ولذلك جاءت في مجلدين وحسب وليس في عشرة مجلدات.

قضايا التعريب والترجمـة

● **ما رأيكـم في قضية تعريب التعليم العالي بحكم خبرتكم في مجال الترجمة والتعريب؟**

□ لقـد كان هـذا الموضوع: تعـريب التعليم العالي (الجامعي) هو الموضوع المحوري الذي دارت حولـه أبحـاث إحـدى الـدورات الماضيـة لمجمع اللغـة العربيـة، وهناك إجماع على ضرورة تعـريب التعليم العـالي، خـلافًا لـرأي بعض الصحـافيين الـذين ذهبوا إلى القـول بأن من المتعذر القيـام بهذه المهمـة. وأذكـر أنني قلـت في المجمع خـلال المناقشـات ما معنـاه أننا نحن العـرب نعتبر الأمـة الوحيدة في العالـم التـي تدرس العلـوم بلغـة غير لغتهـا القوميـة، حتى الإسرائيليين الذين لا تـرجع لغتهم الحديثة إلى أكثر من بضعة عقود من السنين عملـوا على نقل مصطلحات العلم إلى لغتهم فهم يدرسونها بتلك اللغـة، هـذا ناهيك عن اليابانيين والصينيين وغيرهم ممن تتسـع الشقـة بين لغـاتهم ولغـة العلم الحديث.

ويحسن هنـا أن نشير إلى أن الذيـن يعارضـون

تعريب العلـوم وتدريسها بـاللغة القومية يخشون - في اعتقادهـم - أمرًا واحدًا هو أن تنقطع الصلة بين طـالب الطـب مثـلا وبين المراجـع الإنجليـزيـة الكبرى والتي قد يحتاج إليها في المستقبل .

إن هذا الاعتراض مردود؛ لأننـا عندمـا ندرس الطب باللغة العربية نضع أمام كل مصطلح عربي جـديد مـا يقابلـه في اللغـة الإنجليزيـة ، فيظل الطـالب على صلـة بهذه اللغـة ، مما يمكنـه من متابعة تطور العلـم في المجلات والكتب الصادرة بعدتخرجـه .

والواقع أن كـل ما علينـا - تلافيا لهذه النقطة - أن نقوي معـرفة الطلاب باللغـة الإنجليـزية حتى يستطيعوا متابعة تحصيلهم بالجامعات الأجنبية .

الترجمة في الوطن العربي

● **مـا تقـويمكم لحركــة الترجمة في الـوطن العربي؟**

□ من المؤسف أن الترجمة التي ازدهرت عـندنا في الخمسينيـات والستينيات الميـلاديـة قد أصـابها الركـود في السنوات الأخيرة .

ولعل مــــرد ذلـك إلى أن كثيرًا من النـــــاس يستخفـون بالترجمة ويـؤثـرون التأليف بدعـوى أن الترجمة أسهل من التأليف . والذي أعرفـه بالتجربة أن الترجمة بمفهـومهـا الصحيـح أصعب كثيرا من التأليف؛ لأنك في الترجمة تلتزم تمامًا بالأصل الذي تنقلـه إلى العـربيـة دون أن تتصرف بـه على هواك في حين أنك في التأليف تكتب فيما تـريد وتتـوسع فيما يحلو لـك وتهمل ما قد يبدو عسيرا عليك .

> «الذين يرتكبون السرقات الأدبية يرون أن الأفكار التي ينقلونها نابعة من اجتهادهم الخاص»

السرقـات الأدبيـة

● **ما تعليلكـم لانتشار السرقـات الأدبيـة من الأدب العالمي ؟**

□ السرقات موجـودة ، وهي أمر طبعي ، ومرد هذا كلـه إلى أن الذين يقومون بمثل هذه المحاولات يستخفون بالترجمة ويؤثرون التأليف ، وهم يرون أن الأفكار التي ينقلونها نـابعة من اجتهادهم الخاص اعتقادا منهم بأن الذي يؤلف أعظم قـدرا من الذي يترجـم .

في مجمع اللغـة العربية

● **بعد سنين طـويلة من العمل الجاد في حقل الترجمة والتعـريـب تم انتخـابكم عضـوا في مجمع اللغـة العربية بالقاهرة . فما صدى ذلك لديكم ؟**

□ لقد تـم انتخـابي في المجمع عام ١٩٨٤م . وكـان ذلك مفاجأة لي؛ لأنني أعتبر نفسي طـالب علم رغـم الشيخوخـة التي أدركتهـا ونيفت على السبعين عامًا .

إنني لعظيم الاعتـزاز بهذا الانتخـاب؛ لأنني أعتبره تقديـرًا لأعمالي التي حدثتك عنهـا ، سواء في حقل الترجمة والتعريب أو في حقل العمل المعجمي والموسوعي .

معجـم جـديـد

● **وماذا عن أعمالكم الأخيرة ؟**

□ لقـد وضعت معجمًا إنجليزيًـا عربيًـا كبيرًا يبلغ عدد كلماتـه مائتي ألف كلمة مشروحـة شرحًا كـامـلاً مع تقصي أصولها واللغـات التي أخـذت منها .

ليس هذا فحسب ، بل لقد أخذت على نفسي في هـذا المعجم أن أضع بعـد كل معنى من معـاني اللفظة شـاهدًا أو مثـلا يرشـد القارئ إلى طـريقة استعمالها ، وكثير من هـذه الشــواهـد مستقى من التراث الأدبي الإنجليـزي ، ومـن هنـــا تجد جملا مأخـوذة من شكسبير وأخـرى من جـون ملتـون وأخرى من تشارلـز ديكنز، فضـلا عن الشواهـد الحديثـة المستقـاة من المجـلات الصـادرة في هـذا الزمــان ، فتجـد فقـرة من مجلـة Time أو من Newsweek وهي الكلمــات العصريــة التي تفاجئنا المجلات بها في كل من طبعاتها .

منير البعلبكي في سطور

□ ولد في بيروت عـام ١٩١٨م .

□ تلقى تعليمـه بـــالجامعـة الأمريكية في بيروت وتخرج فيهـا عـام ١٩٣٨م ، حـــامــــلا شهـــادة البكــالـوريــوس في الآداب (الأدب العربي والتاريخ الإسلامي) .

□ قـام بتـدريس مـادتي الأدب العـربي والتـاريخ الإسـلامي عـدة سنوات في الجامعـة الأمريكيـة وعدد من كليات بيروت والعالم العربي .

□ أنشأ منذ نحو أربعين سنة مع زميلـه الأستـاذ بهيج عثمان دارا للنشر بـاسم دار العلم للملايين ، ولا يـزال يعمل فيها حتى الآن .

□ عمــل في حقـل التـأليــف والترجمة زهـاء أربعين عــامًـا ورأس تحريـر مجلـة « العلـوم » التي أسست عــام ١٩٥٦م وعمـرت ستــة عشر عامًا .

□ شغل لفترة طويلـــة منصب سكرتير اتحاد الكتاب اللبنانيين .

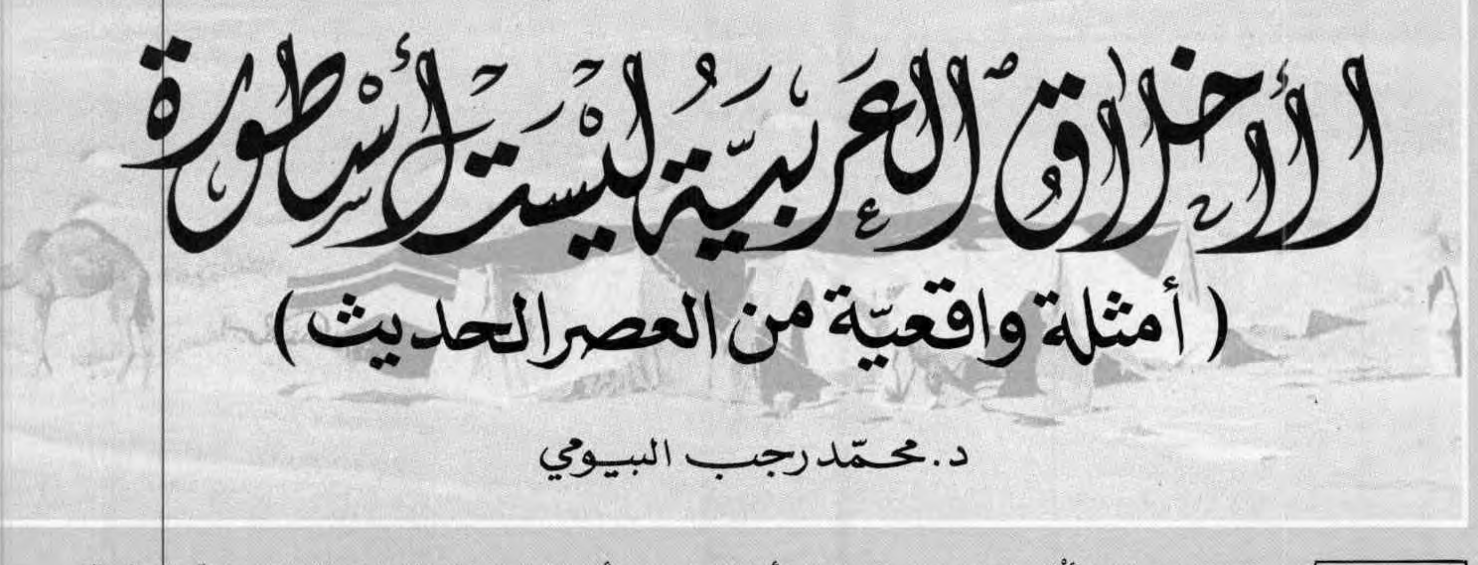
□ شـارك في عـدد من المؤتمرات الأدبية والندوات الفكـرية في كل من القـاهرة وبغـداد والكـويت وبيروت وباريس .

□ نال جائزة «أصدقاء الكتب» وجائزة سعيـد عقل لتأليفه «قـاموس المورد» وجـائزة مـؤسسـة الكـويت للتقدم العلمي لوضعـه «مـوسوعة المورد» .

□أهـم آثـاره :

- قـاموس المـورد (إنجليـزي ، عربي) .
- «مـوسوعـة المـورد» وهي دائرة معارف عامة تقع في أحد عشر مجلدًا كبيرًا تغطي مختلف فنـون المعـرفـة الإنسانية .
- نقـل إلى العربيـة ما يـزيد على المائة كتاب .

□ □



الأخلاق العربيّة ليست أسطورة

(أمثلة واقعيّة من العصر الحديث)

د. محمّد رجب البيومي

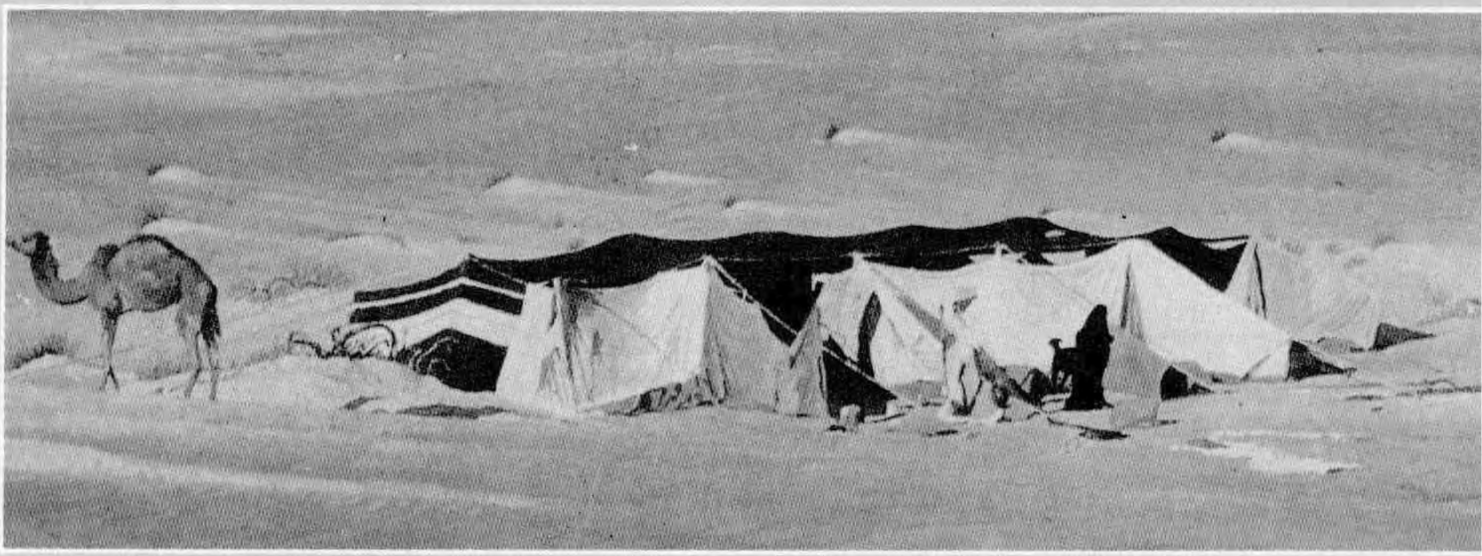
حين دعت لجنة الألْسُن الشرقيـة باستكهولم إلى تأليف كتاب عن أحـوال العرب في الجاهلية والإسلام، تقـدّم العالم الكبير السيد محمـود شكري الألوسي بكتابـه الجامع «بلوغ الأرب في معرفـة أحوال العـرب»، ويقع في ثلاثة أجزاء كبـار تتحدث عن طبقـات العـرب وخصائصهم النفسية والجسميـة والبيانية، وتلمُّ إلماما شافيا بمـواقفهم الذائعـة في البطولـة والنجـدة والكرم والحِلـم والأنفــة، مستشهدة بـالمأثور الـذائع فيما دوّنـه التراث العربي القـديم، وملمة بعشرات الأسماء الطنـانة في دنيـا الكرم والبيان والخلقِ الـرائع، والفتوحات الإنسانيـة في ميادين البطولـة الهادفـة، والفدائيـة المستشهدة والإيثار الذي تتضـاءل دونه الأرواح، فتبُـذل سخيّة في نجدة ملهوف، و إغاثة ضعيف.

هذا الكتاب الجامع الفريد قد استحق أن ينال جائزة لجنـة الألسن الشرقية باستكهولـم عـن استحقاق، وكتب المنصفـون من أعلام المستشرقين مـا أحلّـه بالمنزلـة التي يستحقها إنصـافًا واعترافا عن حيدة خالصـة، وتجرد نزيه، ولكن الذين في قلوبهم مرض من أعـداء الحقيقـة، رأوْا في الاعتراف بالكتابِ الشامل اعترافا بمـزايا بـاهرة للعـرب والإسلام، وزادهــم أسفا على أسف أن يـأتي هذا الاعتراف من لجنــة الألسن الشرقيــة باستكهولــم، وهي يــومئــذ تضمُّ ذوي الـدراسات الإسـلامية والعـربية معـا من كبار المستشرقين ! وليس ممـا يعقل أن يتوجهوا بالنقد إلى من اختـاروا الكتاب ومنحوه الجائزة، كما لا يعقل أن يُخطِّئُوا مـا ورد فيـه من أخبـار وضيئـة تقف في حلـوقهم مـوقف الشجي القـاتل، ولا يستطيعــون لها مسـاغًا، إذ إن هـذه الأخبـار متـداولة مشتهـرة تحفظهـا كتب التراث. وقـد جمعها السيـد محمود شكـري الألوسي من مظـانها المختلفـة ولـم يخترعهـا اختراعا، فمن التحـايل الماكـر أن يعرض هـؤلاء المغـرضون عن لجنـة التقديـر فلا يمسوها بنقـد، كما أن من هذا التحايل الماكـر أن يعترفـوا بأن هذه الأخبار الرائعة والمواقف النادرة في دنيا الأريحيـة والبطولـة مدونـة مذكورة. ولـم يخترعها المؤلف العراقي من سبحات خيالــه ! إنما يكون الاعتراض في ضوء هذا الاحتيال الماكر موجهًا إلى مَنْ دوّنوا هذه الأخبار مبدئيا في كتب التراث، إذ كانوا ــ في رأيهم الخادع ـ لا يَفْرقُــونَ بين الحقائق والأسـاطير، فهم يدوّنــون كلَّ مـا يسمعون من الأفواه دون تمحيص، وكلمـا كان الخبر غريبا، والحادث عجيبا، كان أدعى إلى الاستهـواء فيكتبُ في هالـة من المبالغـة حيث يتناقلـه كاتب عن كاتب دون تمحيص ! وهنا تكون هذه الـروائع الزاهية في مجالِ الأريحية والبطولـة وهمًا من الأوهـام، إذ هي من الأساطير.

نفي التاريخ كلّـه

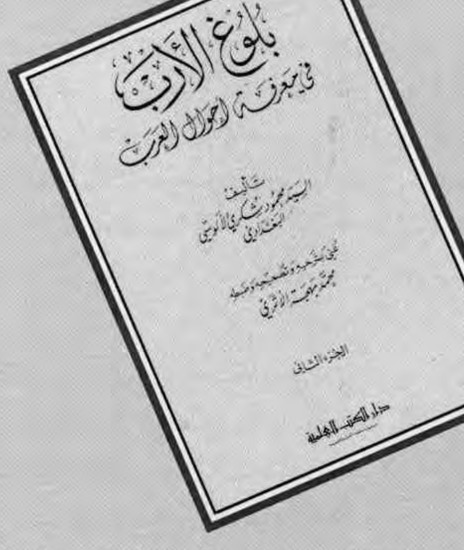
لقد اطمأن هؤلاء المغرضون إلى ما اهتـدوا إليه من نسبة هذه المكرمـات إلى الأسـاطير، تعسّفًـا دون تحقيق، وقـد فاتهم أن تـاريخ العـالم كلّـه في الشرق والغـرب قد سُجل عن طـريق الروايـة في كتب السابقين، ومن يـرى أن يحذف روائع البطولـة والأريحيـة من التاريخ العـربي حاسبًا أنها من الأسـاطير فعليه أن يحذف من تاريخ العالم كلّه ما يـدل على مكرمـة نادرة، أو بطولـة خارقـة، بل عليه أن يهوي بكل ما سطرته كتب التاريخ في شتى بقاع العالم إلى قرار سحيق، وإذن فلن تكون لـدينا صحـائف عن تاريخ اليـونان والرومـان في الغرب، ولا أنبـاء عن تاريخ الهنـد والصين وفارس ومصر في الشرق ! إذ لا يعقل أن تكـون أخبـار العرب وحدهــم هي الأسـاطير المخترعــة، أمّا سـواهم من أمم العـالم فأخبارهم راسخة ثابتة لا تعترضها الشكوك !

وسأعـرض لبعض مـا تحدث عنه الأستـاذ الألـوسي من أخبار السـابقين، مُقارنًا بها ذكره القائد الإنجليزي الميجر جلوب قائد قوّة البادية في شرقي الأردن في الثلاثينيات من هذا القـرن، حيث ألقى محاضرةً ضافية في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٣٦م بالجمعية الآسيويـة الملكية بلندن، ونشرتها مجلّة الجمعية في عـدد كانـون الثاني (ينـاير) سنة ١٩٣٧م، وعرّبها الأستـاذ جميل قبعين على



صفحات مجلـة الرسالـة المصرية في أعداد متـوالية تبدأ بتاريخ ٤ تموز (يـولية) سنة ١٩٣٨م؛ وقد كانت محاضرةُ الميجر جلوب تحت عنوان «الفروسية العربية»

كما شاهد ها عيانـا في تجوالـه الدّائب بالبادية العربية، ومخالطتـه الواعية للبدو فيهـا، وتـدوينه كـل ما تقع عليـه عينُـه من مـواقفهم الـواقعيـة التي تنطق بها الأحداث المشـاهدة دون تنميق مـن كاتب، أو مبالغــة من شاعـر ! وإذا كان الميجر قـد دوّن ما رآه عيانًا في القـرن الرابع عشر من الهجـرة النبويـة الشريفـة، فإن مرور هذه القرون في الإسلام، وما سبقها من عدة قرون في الجاهلية، جمعت



أنبـاؤها في التراث المتـداول، لــم يعصف بـالمأثور المدوّن مـن حقائق الأريحيـة والبطولـة، بل جاءت مواقف اليوم القريب شبيهة بمواقف الأمس البعيد. فهل يقول قـائل إن الميجر جلـوب قد اخترع مـا حكاه من شمائل البـدو، وبالـغ فيه مبالغة أخرجته من دنيا الحقائق إلى أودية الأساطير ؟ إنَّ الميجر جلـوب لـم يأت إلى الأردن باحثًا مستشرقًـا، ولكنه جاء قائدًا لقوة بدويـة من رسالتها أن تحفظ السكينة، وتـؤمن الطـريق، وتأخذ على يـد المنحرف الشـاذ، وقد أدتــه طبيعة عملـه الأمني إلى الاختلاط بـالبدو، فشاهد معامـلاتهم الشخصية، وأعراسهم وأحزانهم الاجتماعية، ووقف طـويلا أمام أخلاقهم الفطـرية، إذ انفتحت عينه فجــأة على روائع من الكرم والإيثـار والقناعـة وأمثلـة من الصدق والإخـلاص والوفـاء بالكلمة، لـم يعهـدها على هذا الطراز في أرقى الأمم التي تتـزعم العالم متشدّقــةً بنمو الحضـارة لديها، وارتقـاء المدنيـة في شعوبها. رأى ذلك الميجـر جلوب رأي العين، فسجله في أوراقه، ورآه أهـلا لأن يُعرَض على أئمة الباحثين في أحوال الشعوب من مفكّري إنجلترا، فأعد محاضرة ضافية تتضمن خلاصة ما رآه، إذ لا يستطيع أن يذكـر كل ما شاهد في محاضرة واحـدة مهما اتسعت مدّتها الزمنيـة وقـد دُوّنت المحـاضرة في المجلـة الرسمية للجمعية الآسيـوية، وتُرجمت إلى عـدة لغات مـا بين شرق وغرب. ولعلّ أحـد الذين وصفـوا أخبار الأستـاذ الألوسي في « بلوغ الأرب » قـد استمع إليها حاضرا، أو قرأهـا غائبا، فيعلم أن أخلاق الأقدمين هي أخلاق المحـدثين، وأن كل عِرقٍ نازع لأرومته (أبى نَسَبُ العيدان أن يتغيرا) وهنا يُدرك وهمه الخادع حين رمى كتاب «بلوغ الأرب» بما ليس فيه.

من روائع الماضي

حين نقـرأ محاضرة الميجر جلـوب، نعـرف أنه لــم يكن جـاهلا بتـاريخ العـرب القديم، إذ استشهـد بأمثلـة مما حوتـه كتب التراث، وسجّله الأستـاذ الألوسي في كتابـه، وهو بهذا الاستشهاد لا يتطرق إليـه أدنى شك فيما قرأ، لأنه بعد أكثـر من ستة عشر قـرنًا رأى بعينـه من المواقف الحاضرة ما ذكـره بالماضي البعيد، وهذا موضع العبرة، لأن الأخلاق تتنقل في الأزمـان المتوالية دون أن تجد الحاجــز الدافـع متى سلمت النفـوس من دواعي الأثـرة، وترفّعت على نـوازع الآدميـة المنحصرة في الامتلاك والاقتنـاء، وليس الامتلاك عيبـا إذا كـان وسيلــة لحفظ الكرامــة، وصيانـة الـوجـوه، وعزة النفس، ولكنّـه يصبح عيبًـا إذا منع صاحبـه حق الله فيه، وإذا أصبح الاقتنـاء وحده غايـة لا وسيلـة، فهـو حينئذ يكـون مصـدر جشعٍ لا ينقطع، لأن صـاحـب هـذا المسلك يتطلب الـزيـادة المطردة، وهي مما لا يتفق مع البذل والعطاء.

إن جلّ مـا ذكره الأستـاذ الألـوسي من خصال النفـوس الكـريمة في الأمة

الأخلاق العربية ليست أسطورة



العربية مشتهرٌ ذائع لدى الدارسين، فإذا كان من السابقين من جاد بنفسه في موقف المروءة، ومَنْ آثر الضيف الوافد على أهل بيته من ولد وأم وزوجة، ومن كان يسمّى بزاد الركب لأنه كان يتعهد بإطعام من معه في الرحلة الشهورَ والأسابيعَ دون أن يسمح لأحد من مرافقيه أن يحمل همَّ الطعام في رحلة أو انتظار، ومن كان يسمّى مطعم الطير لأنه كان يضع الزاد على الجبال لتأكل الطير منه فتشبع جوعتها كما يشبعها الإنسان، ومن كان يقوم بالرفادة أثناء الحج، فيطعم القاصدين بيت الله، قلّوا أو كثروا مستعينا على ذلك بذوي المروءة من مجاوريه، وقد أخذ للأمر عدته فهيأ النفقة اللازمة وأعد المضجع المُريح، وحفر العين الدافقة بالماء، ومن كان يضمن الجاني ويضع نفسه مكانه حين يذهب لرؤية أهله غير عابئ بأن ينكث صاحبه العهد، فيُقتصّ منه، على حين يحرص الغائب على العودة تواصيا بشرف الكلمة، واستجابة لنداء الواجب، ومن كان يحمي الظعينة وهي من حرم أعاديه، فلا يقربها أحد من الناس متى استجارت به، حتى يردّها مكرّمة إلى عدوّه ومعها الملبس والزاد والمركب، كل هؤلاء قد دونت مروءاتهم في كتب التراث، وأصبحت بمثابة تاريخ حيّ يقرؤه القارئ فيترك صداه الرنان في نفسه، ويصبح درسا غاليا من دروس الأخلاق الرفيعة يغني عن كتب التربية والسلوك، وقد اعترف به من استجاب لوضوح الدليل، وصدق الرواية، وأمانة الناقل، فإذا شك في أحداث الماضي من أثار الريبة دون بينة، فإليه محاضرة الميجر جلوب، ليتعلم أن الحق لا يَعْدِم النصير.

لباب المحاضرة

يتعذر أن نُلمّ هنا بكل ما قال الميجر جلوب، ولكننا نؤكد أولا أن المحاضر لم يكن ذا اطلاع محدود بحيث يكتفي بتسجيل ما شاهد، ولكنه يفيء إلى ثقافة متسعة في القديم والحديث، فقد بدأ كلامه بالحديث عن الفروسية في العصور الوسطى مقرّرا أن الرجل الإنجليزي المعاصر إذا قدّر له أن يزور البدو في الجزيرة العربية سيرى تشابها كبيرا بين هؤلاء وفرسان أوربا في العصر الإقطاعي، لأن البدو المحدثين يعيشون بروح فرسان هذه القرون التي جعلت الفروسية علامة امتياز، ومصدر ارتقاء، فالبدو في حروبهم التي تقوم بينهم لا يهتمون بالنصر بأي وسيلة تتهيأ، بل يرون النصر لا يكون نصرا حقيقيا يفتخر به إلا إذا كان عن سبيل الشرف والعزة، فالبدوي لا يجد من الشرف أن يُهاجم عدوّه إذا كان نائمًا أو كان مجردًا من السلاح الذي يوقفه أمامه موقف النظير من النظير، كما لا يجد البدوي غضاضة في الاعتراف ببطولة عدوه إذا كسب هذه البطولة عن طريق الشرف المجاهر، لا عن باب الخديعة المستترة، وهو ينظر بازدراء لمن يكسب الجولة محتالا مخادعا؛ لأنه في هذه الحالة لِصٌّ لا بطل. يقول الميجر جلوب: وقد نرى الآن أن الاحتيال والخديعة من أسباب النصر في حروبنا المعاصرة، ولكن فرسان العصر الأوسط كالبدو يعدّون المخادعة هزيمة وتقهقرًا، وإن أدت إلى انتصار.

والاعتراف ببطولة العدو مما امتلأت به دواوين الشعر العربي، وله مغزى مقصود، لأن العدو البطل إذا انتصر فهو أهل للانتصار ببطولته، وإذا انهزم فلن تجلب الهزيمة عارًا عليه حيث صارع كُفئًا كريما، واصطدم صخر بصخر، والحرب سجال، وقد عبّر الشاعر الحماسيّ عن ذلك في قوله:

وكنّا حسبنا كلَّ بيضاءَ شحمةً ... عشية لاقينا جُذامَ وحميرا

فلما قرعنا النبع بالنَّبع بعضه ... ببعض أبتْ عيدانه أن تكسّرا

ولما لَقينا عصبة تغلبية ... يقودون خيلاً للمنيّة ضمّرا

سقوناهمُ كأسًا سقونا بمثلها ... ولكنهم كانُوا على الموت أصبرا

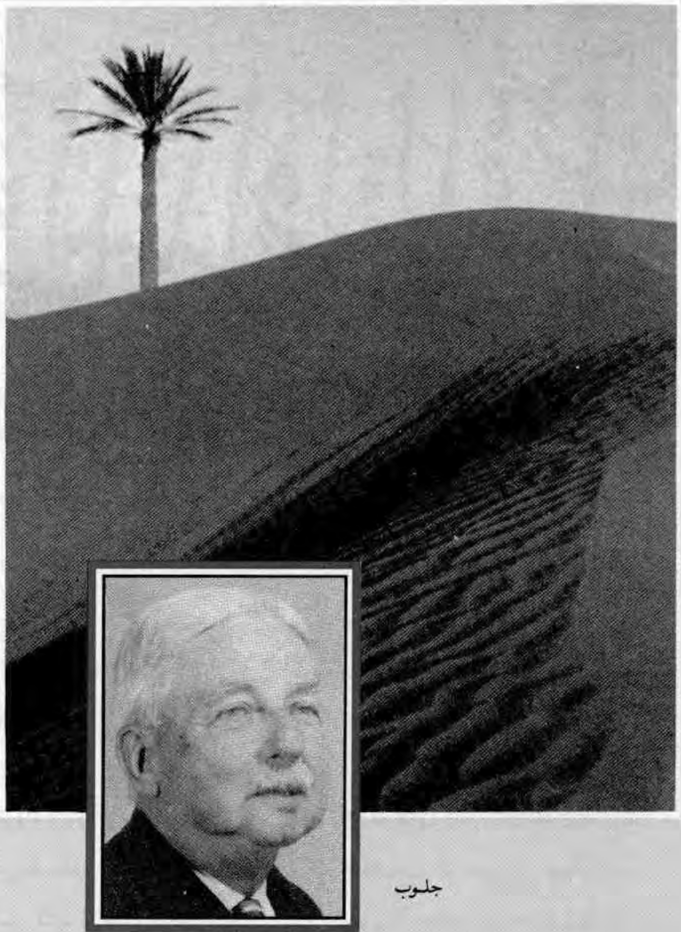
أما الكرم الذي تحدثت عنه أشعار العرب، في القديم، فهو نفسه الكرم البدوي المعاصر الذي تحدث عنه الميجر جلوب فقال:

إن إحدى النتائج التي أوجدها الكرم هو حسن الضيافة، ولا أجد ضرورة لأن أقول إن كل بدوي يملك بيتا مفتوحا، أو بالأصح خيمة للضيوف في جميع ساعات الليل والنهار وتكون الخيمة مقسّمة إلى قسمين، أحدهما للعائلة، والآخر للضيوف، وقد جرت العادة أن يضيف البدوي ضيفه ثلاثة أيام قبل أن يسائله من أين أتى؟ وما مهمته؟ وهذا الكرم يصل إلى الفقراء من القبيلة، إذ من عادات البدو ألا يهملوا شيخا ولا فقيرا، ولا يمكن لإنسان يعيش بين البدو أن يموت جوعًا، وكثيرا ما نرى شيخ القبيلة يوزّع في العيد أو في الوليمة اللحم والأرز بنفسه، أو يرسله إلى بيوت المسنين والأرامل.

وفي الحديث عن الوقائع الحربية بين القبائل في البادية يكرر الميجر جلوب أن العربي لا يتجه إلى ربح المعركة بل هو مثل فرسان العصور الوسطى في أسبانيا، إذ يفتخرون بسلوك الفضيلة ومراعاة آداب الفروسية وإن انهزموا، حيث حافظوا على الروح البطولي الكريم، وإن البدوي يجد في الهجوم ليلا على معسكر أعدائه ضربًا من النذالة والجبن لا يسمح لنفسه بالانحدار إليهما. ومن تقاليد البدو وعاداتهم إذا التقطوا جريحًا أو أخذوا أسيرًا أن يعاملوه باحترام، وأن يقدموا إليه الطعام والشراب والمأوى فإذا شفي من علّته رجع إلى قبيلته بسلام.

وانتقل الميجر جلوب إلى التاريخ الغابر فذكر أن روح البدو هي روح صلاح الدين؛ لأنه كان يقاتل أعداءه ولكن مع الشرف والخلق، وقد ظهرت روح الفروسية بجلاء في كثير من أعماله. فحينما حاصر صلاح الدين قلعة الكرك لأول مرة كان أميرها همفري أوف تورن يعقد قرانه على إليزابث أخت ملك القدس، ولما علم صلاح الدين بذلك منع جنوده من رمي السّهام على القلعة، كما تأثر همفري بهذا الموقف فأرسل إلى صلاح الدين الخبز واللحم والخمر من وليمة العرس إذ كان يجهل أن صلاح الدين لا يشرب الخمر!

وإذا كان حديث جلوب متقطعا لا يلتزم عنصرا معينا فقد عاد ثانية إلى الكرم العربي، فذكر أنه رأى بعينه قبيلة من البدو تقطن شمال الحجاز فقيرة معوزة، حتى إن أفرادها لا يملكون خيمًا يأوون إليها، وهم يقطنون الكهوف،



جلـوب

ولكنهم إذا رأوا مارًا بالطريق ركضوا نحـوه وأحضروه، ونحروا له ما يملكون من الحيوان !

وكان طـريفا من الميجر جلــوب أن يقارن بين مـا رُوي عن حاتم طيء في الجاهلية وما رآه بعينه في القرن العشرين ! حيث ذكـر عن حاتم أنه بعد أن ذبح جميع مـا يملك من ماشيـة وإبل لإطعام الفقـراء في قبيلته حين أجـدبت عليهم الصحراء وشحّت السماء بـالمطر، عمـد إلى فرسه الـوحيدة وهي آخـر ما يملك فذبحهـا لضيف طارئ أتى بعـد أن أكل الجائعون . فقـد رأى الميجر من يجود بآخـر ما لـديه عن سماح، وقـال إن المتّبَع الآن أن يقف عبيـد الشيوخ في بـادية الأردن على باب الخيمة ينادون للطعام، وقد لقّب الناس (ابن مهيد) أحد شيوخ عنزة (بالمنـادي على الطعام) لأن عبيده كانت تنادي الناس يـوميا إلى الطعام في سنوات القحط . ولقب (المنـادي على الطعام) الـذي سمعه القـائد الإنجليزي اليوم يذكّرنـا بالألقاب السـالفة في العصـور الأولى مثل (زاد الركب) (ومطعم الطير)، وإذا وجـد من يدّعي أن ذلك من الأسـاطير الأولى فهل سيـوجد بعـد سنـوات من يدّعي أن (المنـادي على الطعـام) من الأساطير الأخيرة، لأن كلمـة الأساطير لا تكلف أصحابها أدنى دليل .

ثم تابع الميجر جلوب حديثه قائلا :

«إن العيب كل العيب في نظـر البـدوي أن تطهي طعامـا يكفي لضيـوفك فقط، وحتى في رمضان حينما تكون القبيلـة بأجمعها صائمة، ترى أنهم ينحرون ثـلاثـة أو أربعة خـراف لإطعـام بضعـة أشخاص مع علمهم أن بقيـة الطعـام ستذهب سُدًى، والبطل البدوي (مقري الـوحوش) كان يطلق في البرية كل ما يربحـه من غزواتـه، لأنه كان يطلب المجـد لا الكسب . وأنا شخصيـا أعرف شخصا اسمـه (مُعشّي الذئب) كـان يربط جِـديًا في البريـة عندمـا يسمع ذئبا يعوي قائلا : «لا يناديني ضيف في المساء دون أن يتناول الطعام ! » .

الله أكبر ! لقـد عرف الميجـر جلـوب القـائد الإنجليـزي بدويًّـا لا يسمح لنفسه أن يترك جائعـا من الإنسان والحيوان دون طعام ! حتى لـو عوى الذئب لعارضٍ ما كان هذا العواء في نظر البدوي المسماح دعوة لطعام الذئب يُضحّي عندها بخروف مسكين ! أنقول لمن وصفوا شمائل العرب في المكرمات بالأساطير إن الميجر جلوب قد كذب على نفسه حين تحدث بما رأى وسمع كما كذب الرواة السابقون حين سجلوا ما وعوا من المكارم في صحف خالدات ؟

على أن كتب التراث قد نصّت على أسماء الأجواد مـن أمثـال حاتم وكعب ابن مامة وابن سعدي وعبيـد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر ومعن بن زائدة وأبي دلف العجلي والأســود بن قنـان وغيرهم ممـن حفظ التـاريخ أحـداثهم الشهيرة، ووقائعهم المشهورة . فلمـاذا دَوَّتْ هذه الأسماء من جيل إلى جيل ومن كتاب إلى كتاب ؟ ولـم تدوّ أسماء لمشـاهير الخلفاء والوزراء والأمراء، ولماذا ذكر عبيـد الله بن العبـاس ولـم يُـذكر أخـوه عبـد الله، وهـو أعلم منـه وأشهـر ؟

لا بد أن الرواة قد صدقوا القول فلـم يتزيّدوا على أحد . وتحضرني هنا طرفة عن أبي العيناء النديم السريع الخاطر، حيث كان في مجلس أحد الوزراء ممن يكرهون البرامكـة بعد نكبتهم الماحقـة، وجرى ذكـر مكارمهم الـذائعة، فقـال الوزيـر الجاحد : كل هذا من كذب الورّاقين، فقال أبو العيناء على البديهة :

ولماذا لم يكذب الورّاقون على أبيك وقد كان وزيرا لأمد طويل ؟ !

أما (معشّي الذئب) الذي شاهده الميجر عن عيان، فيذكّرنـا بالفرزدق حين قدّم الزاد إلى ذئب جائع وقال مخاطبا إياه في قصيدة جيدة :

تَعَشّ فـإن عــاهــدتنـي لا تخونني ... نكن مثل مَنْ ؟ يـا ذئب يصطحبـان

ولــو غيرَنـا نبّهتَ تلتمس القـرى ... رَمَــاكَ بسهم أو شبـاة سنـــان

كما يذكّرنا بالشاعر النجـاشي الذي سقى الذئب الظمآن وقال مخاطبًا إياه في قصيدة :

فقلتُ لــه يــا ذئبُ هـل لكَ في فتى ... يُـــواسي بــلا مَنٍّ عليـك ولا بخل

فطــرَّبَ يستعــوي ذئابـا كثيرة ... وعُـــدْتُ وكلٌّ من هـــواه على شغل

ولو كان (معشّي الذئب) شاعرًا لقـال أحسن مما قال الفرزدق والنجـاشي، فعملـه الرائع قصيدة ممتازة لا تحتاج إلى بحور ولا إلى أوزان .

إن محاضرة الميجر جلوب الرائعة قد أعادت إلى خـاطري ما ذكره المغرضون عن أريحية العرب وما تُنوقل من مروءاتهم الباهرة، حين دَمَغُوها بالأساطير، وما أظن أحدا بعد الآن ينكر أن الخلف يتبع السلف، وأن للمكارم أرواحًا يخفق بها المجتمع العربي من جيل إلى جيل .

حاشية : كل ما قيل على لسان الميجر جلوب مأخوذ من ترجمة الأستاذ جميل قبعين المنشورة بالسنة السادسة من مجلة «الرسالـة» سنة ١٩٣٨م في الأعداد : ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٥ .

مساوئ الترجمات المتداولة للقرآن

ترجمة وتعليق: د. محمد خير البقاعي

« أضواء على النص المترجم »

هذه واحدة من المقالات التي ضمنها كتاب (نظرات في القرآن Reflexionx sur le Coran) الذي اشترك في تأليفه الأستاذ محمد طالبي والدكتور موريس بوكاي، وقد صدر عن دار النشر Seghers في باريس عام ١٩٨٩م.

تشغل المقالة التي ترجمناها الصفحات ٢٢٩ إلى ٢٣٧، وفيها يعرض المؤلف إلى أمور دقيقة مهمة في مجال ترجمة القرآن الكريم.

إن الدكتور بوكاي معروف في العالم العربي والإسلامي بكتابه (التوراة والقرآن والعلم La Bible, Le Coran et la Science الذي صدر عن دار النشر نفسها في عام ١٩٧٦م وترجم إلى عشر لغات حيّة وحصل على جائزة الكتاب الذهبي في عام ١٩٨٦م، وهو طبيب ممارس، له اهتمامات بالكتب المقدّسة، ومن كتبه الأخرى التي ترجمت إلى العربية L'Homme d'ou vient-il ? Les reponses de la science et des Ecritures saintes الإنسان من أين أتى ؟ إجابات العلم والكتابات المقدسة عن ذلك الذي صدر عن دار النشر نفسها ١٩٨١م.

أما كتابه (Le pharaon et Moïse (Les Momies des pharaons et la Médecine-Rames II a Paris : مومياء الفراعنة والطب ـ رعمسيس الثاني في باريس، فرعون وموسى» الذي صدر عن دار النشر نفسها في عام ١٩٨٧م، ونال جائزة المجمع الفرنسي للتاريخ في عام ١٩٨٨م.

هذا الكتاب المهم ما زال ينتظر الترجمة، ونرجو أن نُوَفَّق إلى نشره لما له من أهمية في تاريخ التوفيق بين المعارف البشرية والكتب المقدسة.

تاريخ النص

نحن نعلم أن النص القرآني قد تم جمعه بشكل نهائي إبّان خلافة عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ (٦٤٤ ـ ٦٥٥م) بعد أن تمت مقابلته بعدد مهم من الأقسام التي كانت محفوظة بالكتابة منذ زمن.

وإنّه لمن المهم أن نعلم بالتأكيد التاريخ الدقيق لإنجاز النص؛ لأننا سنحاول فهم بعض فقراته في ضوء المعارف المحصّلة في العصر الحاضر. إن ما نعنيه بهذه المقارنة ليس له أية قيمة إلاّ بمقدار ما يؤكد تطابق النص الحاضر مع النص القديم، عندئذ يمكن أن يكون النص الحاضر، كما يقال، نصّا (من العصر).

لقد عالجْتُ هذا الموضوع باستفاضة في كتاب التوراة والقرآن والعلم (ص ١٢٩ ـ ١٣٤)، ولا أودّ أن أكرر هنا ما قلته هناك، ولكنني أودّ التركيز على أن قرائن الأصالة في النص القرآني هي قطعية لا يرقى إليها الشك.

لقد نزل القرآن على النبي محمد ﷺ منجّماً خلال ثلاثة وعشرين عامًا، وقد تلاه النبي مباشرة على أصحابه الذين حفظوه عن ظهر قلب، وأصبحوا يتلونه بِدَوْرِهم، وتم في الوقت نفسه تثبيته بالكتابة بإمكانات العصر المتوافرة حينئذ، وقد ساهمت نتيجة ذلك الكتابة وذاكرة القرّاء في حفظ النص.

ويذكر أنه تمت بعض أشكال الجمع قبل عصر عثمان وذلك خلال خلافة عمر، ولكنّ النسخة التي جمعت في عهد عثمان هي التي كتب لها الخلود (لأنها حسمت النزاع وجمعت الناس على مصحف واحد).

لقد أدى هذا الجمع في حقيقة الأمر إلى إنجاز مثالي نجد قسماً منه محفوظاً في طشقند في الاتحاد السوفياتي (السابق) وفي استانبول حتى يوم الناس هذا [١].

وتوجد في المكتبة الوطنية الفرنسية في باريس قطع تعود إلى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين. وتُبرز أكثرية النصوص القديمة تطابقًا تامًا حتى في أبسط الجزئيات التي لا تغيّر المعنى العام.

إن ما يعنينا هنا أننا نملك نسخًا تطابق كل التطابق النسخ التي كانت تُتداول في القرون الوسطى.

[وما كان لهذه النصوص أن تختلف وقد تولى الله سبحانه وتعالى بنفسه حفظها فقال: ﴿**إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون**﴾ سورة الحجر: ٩].

مساوئ الترجمات

يبدو أن أولى ترجمات [٢] القرآن في أوربا الغربية كانت بناء على مبادرة بيير الجليل خوري Cluny المتوفى سنة ١١٥٦م، الذي طلب من بيير الطليطلي أن يقدّم له ترجمة لاتينية، وكان علينا أن ننتظر عام ١٥٨٣م لكي نرى هذه الترجمة مطبوعة في بال، وبعد ذلك بقليل في زيوريخ. أما أولى الترجمات الفرنسية فقد قام بها Sieur du Ryer [٣] في منتصف القرن السابع عشر، وقد كان لترجمة سافاري الفرنسية شأن كبير خلال قرنين من الزمن، وقد طبعت عام ١٧٨٣م وأعيدت طباعتها آخر مرة في عام ١٩٥١م كما يبدو. ونجد حتى اليوم في المكتبات ترجمة كازيمرسكي المطبوعة عام ١٨٤٠م.

ويطغى على التراجم الأولى التصرف الواسع بالنص؛ لأن همّ المترجمين كان منصرفًا إلى (محاربة البدعة) أكثر من اهتمامه بدقة الترجمة وإخلاصها لمضمون القرآن.

إن التراجم التي يتداولها الناس حتى يوم الناس هذا هي غالبًا لا تصلح للاستخدام، وهذا رأي شديد الخصوصية أحاول تدعيمه هنا.

لقد رأيت، عندما صرت أعرف قدرًا صالحًا من العربية الفصيحة يسمح لي بالحديث عن قيمة هذه التراجم ومقدار توافقها مع المعارف الإنسانية، أنّ كثيرًا من المترجمين أخفقوا كل الإخفاق في فهم القرآن، فأعطوا بعض الكلمات تفسيرات غريبة، وهي تفسيرات تختلف غالبًا من مؤلف إلى آخر. ويدلنا هذا على أنّ من يجهل العربية الفصحى، ولا يستطيع القيام إلا بالترجمة هو عاجز تمامًا عن أن يكون له رأي يوثق به في فهم معنى آية قرآنية تشير إلى معارف إنسانية. ولو أنني لم أتعلم العربية الفصحى لما استطعت أن أقوم بدراسة موثوقة للقرآن في ضوء العلم.

إنّ أول ما يتبادر إلى الذهن سؤال يتعلق بهذه الطريقة الخاطئة في ترجمة بعض الفقرات، هذه الترجمة التي تختلف غالبًا من مؤلف إلى آخر. هل يتأتى ذلك من أن نصّ القرآن فيه بعض الغموض في هذه الفقرات، مما يجعل اختلافات التراجم مباحة؟ وأجيب عن هذا بالقول: قد يكون هناك عدد من الآيات التي تعالج موضوعات دينية قد تعدد الاجتهاد في فهم معانيها المحددة، ولكن الموضوعات المطروحة هنا هي من ضرب آخر؛ ظواهر من الطبيعة يعالجها القرآن بمصطلحات بسيطة ينبغي ألاّ تثير أي سوء فهم أو مناقشات، وإنّ الاختلاف في ترجمة هذه الفقرات له أسباب من طبيعة أخرى، وهي أسباب عامة أولا:

لا نستطيع أن نترجم بشكل جيد إلا ما نفهمه، لذلك لا نعجب إذًا إنْ رأينا بعض المترجمين أو المفسرين ممَّنْ يملكون ثقافة أدبية عاجزين عن فهم معنى الآيات التي لا يفهمها إلا أولئك الذين يملكون ثقافة علمية بسبب أن هذه الآيات تشير إلى ظواهر علمية.

ويمكن فضلاً عن ذلك أن يكون مصدر الترجمة الخاطئة، وخاصة في بلادنا العربية، أمرًا أكثر خفاء، ذلك أنه ينبغي التنبّه إلى أن بعض المستعربين

○ الترجمات الأولى اهتمت بمحاربة البدعة أكثر من اهتمامها بدقة الترجمة

يحاولون قبل أي اعتبار آخر تمرير مفهوماتهم التي لا يرقى إليها الشك عندهم، وهي أن القرآن عمل إنساني، لذلك لا يمكن أن يحتوي على مفهوم اكتشفه العلم المعاصر وقد كان مجهولاً تمامًا فيما مضى من الدهر. وهم بذلك يرفضون حتى في أكثر نصوص العربية وضوحًا، المعنى الذي يبدو واضحًا كل الوضوح، وإن حاولوا ترجمة فإن ترجمتهم محكومة بآراء مسبقة لم تخضع للنقد، وأذكر واحدة من عدة حالات متشابهة، وهي أنني ذكرت أمام أستاذ جامعي باريسي فقرتين قصيرتين من القرآن لا يمكن لأي مختص موضوعي أنْ يجد في ترجمتها أية صعوبة، وذكرت أن هاتين الفقرتين مذكورتان في كتابي الأول في سياق الآيات التي تبرهن فرضياتي. لقد رفض بكثير من الاعتزاز الترجمة التي قدمتها، وماذا كان يمكنني الإجابة عندما يحتج أن أحد أساتذته في العربية أعطى الكلمة معنى يختلف كل الاختلاف عمّا أذهب إليه. ماذا كان يمكنني فعله غير أن أقرّ بذلك ولكن إلى حين.

ولكي أذيع من كان هذا اللغوي الذي ذكر سابقًا، أقول: إن هذا اللغوي قد ترجم في فقرة من القرآن الكلمة بشكل صحيح، وترجمها في فقرة أخرى ترجمة هي غاية في السوء، ولقد كان من المستحيل أنّ مخالفي لم يلحظ ذلك، بل لقد فهمه، وإني متأكد أن الفقرتين اللتين ترجمتها كما سنرى ذلك فيما بعد تتضمنان، كما صاغها القرآن ببساطته المعهودة، مفهومًا نباتيًا معاصرًا: مفهوم وجود حياة جنسية بين النباتات.

وأشير إلى قرائي من محبي العربية والمستعربين، أن الكلمة التي عنيتها هي

مساوئ الترجمات المتداولة للقرآن

كلمة : أزواج ، (مفردها زوج) ، ترجمها الخبير المشهور بـ (especes) ، في حين أن كل معاجم العربية ، قديمها وحديثها ، تعطي الكلمة معنى (éléments d'un paire) (éléments de couple) والخبير المذكور هو الأستاذ ريجيس بلاشير Régis Blachère .

وأنصح بالعودة إلى ترجمته للقرآن عند الآية (٣٦) من السورة [٤] (٣٦) (ص ٤٧١ من طبعة ١٩٦٦م) حيث نجد الكلمة مترجمة بـ (especes) ، في حين أنه في الآية (١٣) من السورة [٥] (٣) يترجمها بـ (éléments de couple) ، (الطبعة السابقة ، ص ٢٧١) . وأذكر أن الآية (٣٥) من السورة (٣٦) تنتهي بذكر المخلوقات الإنسانية ، وهي في الآية التالية مذكورة أيضًا ، وإن كلمة (éléments de couple) توحي في الوقت نفسه بالتشابه بين المخلوقات والنباتات في الاعتبار ، في حين أن كلمة (espèces) لا توحي بهذا المعنى . وبذلك نرى أن كلمة مترجمةً ترجمةً سيئة يمكن أنْ تفسد معنى الآية . وإن باستطاعتي أن أضرب أمثلة كثيرة على ذلك . وقد لاحظت على العكس من ذلك أن بعض المؤلفين ليسوا مختصين بالعلوم الإسلامية يمكن أن يسيطر عليهم مفهوم ، هو خاطئ عندي ، وهو أن القرآن (كتاب علم) ، ونجد هؤلاء المؤلفين يكتشفون في نصهم حقائق تبدو مبتذلة ، ويدّعون أنهم يبرهنونها علميًا . وهناك بعض الكتب التي تحتوي على كثير من هذه الأخطاء الظاهرة ، وإليكم مثلاً ، الحقيقة المزعومة : أن الله (جعل الأرض شكل البيضة) ، (السورة ٧٩ ، الآية [٦] (٣٠) ، في حين أن الترجمة الصحيحة كما أرى ، هي : (Dieu "a etendu la terre") إن الله بسط الأرض) ، مما يوحي بامتداد الأرض الظاهرة كما افترض ، ولكنّ هذا لا علاقة له قطعًا بالتفسير الآخر .

ولكي يَلِجّ في الخطأ فإن المسؤول عن هذه الترجمة يُدقق فيقول : (لقد أثبت علم الفضاء بما لا يقبل الجدل ، أن الأرض ليست كروية ، ولكنها على شكل إجاصة أو بيضة) .

إن صاحب هذه الفكرة الأصيلة ، وهو دكتور دولة في العلوم من جامعة باريس ، رأى أن بعض صور الأرض المأخوذة في الفضاء توضح حقيقة أن الأرض كروية ! ولكنه هل علم أنهم قاسوا الانبساط في القطبين ، فوجدوه يشكل دائرة قطرها (٢٠ ، ١م) حجمًا قدره ميلمترًا واحدًا تقريبًا بالنسبة إلى القطر الاستوائي ؟

هذا نمط من الحقائق التي كان يمكن للدكتور كمال حسين [٧] أن يشير إلى طبيعتها التي لا يمكن أن تُقبل .

ويتدخل أيضا وللأسف عامل آخر : وهو أن بعضهم يكرر ، بدافع الإخلاص ، ما قاله المفسرون القدماء في بعض الكلمات ، على أن أولئك القدماء لم يكن متاحًا لهم ؛ لأنهم لا يملكون المعارف الضرورية ، أنْ يلاحظوا ارتباط هذه الكلمة بظواهر من الطبيعة ، درسها الناس بعدهم وحلّلوها . لقد تركوا تقاليد للتفسير يكررها بعضهم دون أن يتساءلوا ـ كما أظن ـ إنْ لم يكن بالإمكان إعادة النظر بها .

وإليكم مثالاً : الآيات التي يقال إنها مِنْ أول ما أوحي به إلى النبي ، والتي تتحدث بالمعنى الذي أفهمه منها : (خلق الإنسان من شيء يعلق : (Façonna l'homme de quelque chose qui s'accroche (السورة ٩٦ ، الآية ٢) [٨] .

إن العبارة الأخيرة هي ترجمة الكلمة العربية (عَلَق) والتي أترجمها بالمعنى الأصلي الذي تعطيه المعاجم العربية ، ولكنه يجب أن نعلم أنه في مسيرة اللغة التطورية نشأت انطلاقًا من المعنى الأصلي معان متفرعة (ما يلتصق) ، (الطين) ، (علقة) ، وأخيرًا (الدم) ، وخاصة (الدم المتخثر) ، (الخثيرة الدموية) .

○ كثير من المترجمين أخفقوا في فهم القرآن فأعطوا تفسيرات غريبة

ومما يؤسف له أن أكثر المترجمين المسلمين تبعوا المفسرين القدماء من العصور المتقدمة التي لم يكن يعرف فيها شيء عن علم الأجنة ، وظنوا أنهم يفعلون خيرًا عندما اختاروا من المعاني المتفرعة تفسيرا له علاقة في نظرهم بالحياة ، لذلك اختاروا (الخثرة الدموية) بل (العلقة) التي خلق الإنسان منها في رأيهم . إنهم لم يضعوا في حساباتهم أنه لا ضرورة للذهاب بعيدًا ، وأن المعنى الأصلي يلبي تمامًا حقيقة بسيطة وواضحة .

ولم ينطل الأمر على واحد من أجل المختصين بالعربية في عصرنا . لذلك يقول ريجيس بلاشير Régis Blachère : ليس من الصحة في شيء الزعم أن القرآن يقول : إن الإنسان خلق من (خثرة دموية) من (دم متخثر) ، لأن هذا (يعتمد على تفسير مفسرين لا يمكن الاعتماد عليهم) [٩] ، وهو يترجم الكلمة بـ (adhérence) ، مشيرًا إلى أن (هذا المصطلح في الأصل هو المصدر من علق (adhérer) (S'accrocher) .

وإنه لمن اللافت للنظر أن بلاشير ولأنه تنقصه المعارف العلمية لا يستطيع أن يمضي إلى نهاية فكرته فيكتب بشكل نهائي (adhérence) ، وهذا ليس ببعيد عن المعنى الصحيح (accrochage) وهي العبارة الصحيحة لوصف ما يحصل عندما يتعلق الجنين الصغير ، بالمعنى الحرفي للتعلق ، بعد أيام من التلقيح بالغشاء المخاطي للرحم الأمومي ، وهذا تحديد دقيق للبداية الحقيقية

للحمل كما أثبت العلم المعاصر. لقد كان مـن البدهي أن تخطر فكرة (التعلق) لبلاشير لكي يلاحظ ـ لـو أراد ـ أن تفكيره اللغوي كان على توافق تام مع علم الأجنة.

إنَّ المراجع العادل لنص القرآن يدهشـه أن يجد نفسه أمام عرض لمفاهيم لم تكن معروفة في عهد النبي محمد ﷺ، وهـذا أقل ما يمكن أن يقال فيها، وإن ما يثير دهشتـه أكثر من وجود هذه المفـاهيم في الكتاب هو مـا يقرؤه في النص الأصلي من وصف (النبي الأمي)، (السورة ١٧، الآيـة ١٥٧ و١٥٨)(١٠).

لقـد قلت فيما سبق : إنّ إمكـانات الـرد على هـذه المزاعم التي تقترب من المعرفة العلمية المعاصرة هي القول : إنها لم تكن موجودة، وهناك إمكانية أخرى هي القول، دون أي دليل، إن النبي محمدًا ﷺ لم يكن أبدًا الأمي الذي نزعمه، ولكنه تعلّم على الأحبار والـرهبان أو آخرين من أصحاب المعارف الـدنيوية في مدينته مكـة أو في رحلاته مع القوافل، ويعتمدون على ذلك ليقولوا : إن النبي لـم يسم (أميًا) في القرآن.

ونستشهـد هنـا بترجمة مهمـة : أليسـت النصـوص التي تطبع في سلسلـة البليّاد La Pleiade موثوقة كلها ؟

نجد أن هذه الآية في طبعة عام ١٩٧٦م قد ترجمت (Prophète des Infidèles) ما يفهمه محب العربيـة أو المستعرب المنصف بـ (Prophète des Infidèles).

وفي طبعة عام ١٩٨٠م للنـاشر نفسه(Gallimard) لا نجد هـذا المعنى وإنما نجد معنى آخر أيضا؛ لأن العبارة السابقة كان فيها على ما يبدو بعض ما يغيظ. نجد هنا ترجمة (Le Prophète des Gentils).

ونذكّر أن كلمة Gentils كـانت تشير عند اليهـود والمسيحيين إلى أولئك الذين يجهلون الكتب السماوية.

وإن من حقنا أن نتساءل:ما الذي جاء بكلمة (Gentils) لِتُسْتَبدل بكلمة (Infidèles) التي لم يكن لها هي الأخرى داع لأنْ تكون هنـا ؟

ونجد فضلاً عن ذلك أن صاحب هذه الترجمة عندما يتحدث في مقدمته، ص ٣٤ إلى ٣٩ عن (الصفات المميزة لشخصيـة محمد بحسب القرآن) لا يشير قطعًا إلى هـذه الميزة (الأميّ)، في حين أنـه كان يجب أن تجذب الكلمة انتبـاهه لأنه من البـدهي أن النبي محمدًا لم يكن بوسعـه وهو يتلـو القـرآن في مكة على المؤمنين من حـوله أن يقـول لهم : إن الله قد وصفـه بالأمي، فتحصل بـذلك مغالطة لأن مواطنيه يعرفونه جيدًا في هذه المدينة منذ عشرات السنين.

ولكننا يجب ألاّ نعجب من ورود مثل هـذه المغالطـات في هذه الترجمة لأن صاحبها يقول في الصفحة (٦٩) من مقـدمته : (إن الوحي القرآني محكوم دائما بـالمنظـورات الأخـرويـة لـذلك لا يقف طـويـلا على القيم الأخـلاقيـة للفعل الإنساني)، في حين أن أي قـارئ للقرآن، حتى في أكثـر تراجمه سوءًا، يلاحظ أن هذا التأكيد مكذب بوضوح في غير موضع من النص القرآني.

ولا أود الاسترسال في الحديث عن مساوئ ترجمات القرآن في نقاط لا تتعلق بالأهـداف المحددة لعَـرضي الأساسي، على أنني أستطيع أن أذكـر كثيرًا منها، وأحب أن أضرب مثلا أظنه دالاً كلّ الدلالـة.

لقد ألمحت في مقال سابق حول عالم النبات إلى أهمية الآية (٣٦) من السورة (٣٦) التي تتحدث عن التلاقح بين النباتـات، وأرجو من القارئ أن يعود إلى المقال المذكـور ليقارن بين الترجمـة الحقّـة عند كـل مستعرب وبين الترجمة التي جاءت في طبعة البليّاد للآية نفسها.

جاء في هذه الترجمة :

1 - Gloire à celui qui créa toutes les espèces.
2 - Celles qui sortent spontanément de la terre.
3 - Celles que les hommes font eux-mêmes pousser.
4 - et celles qu'ils ne connaissent pas [11].

من يستطيع أن يجد في هذه السطور أي إشارة إلى تلك المعلومة القرآنية.

○ بعض المستعربين يخطئون في ترجمة القرآن مع سبق الإصرار

لقد أخفى هذا النص ذلك المفهوم، أولا : بإحلال كلمة(espèces) محل (éléments de couple) (السطر الأول).

ثم إن المؤلف قـد تـدخل ببسـاطـة ووضـوح في النص، فجعل معطيـاتـه مضطربـة بالإشارة إلى نبات طبيعي (السطـر ٢)، ونبات يوجـد بفعل الإنسان (السطر ٣)، وهو مفهوم مخترع تمامًا.

إن أمورًا كهذه توضّح لماذا لا يتوافـر لقارئ كثيرٍ من تراجم القرآن المعاصرة حظ الوصول إلى كثير من المفـاهيم التي تتفق مع المعارف المعاصرة، في حين أن مثل هذه التـوافقات تبـدو واضحة للعيان عنـدما تكـون الترجمة مُخلصة للنص القرآني، ويبدو أن سبب ذلك هو أن هذه التراجم إما أنها موجهة وجهة محددة، وإما أنه تنقص أصحابها الثقافة العلمية المناسبة.

إن مراعاة مثل هذه الإشكالات بخصوص الترجمات المغلوطة للقرآن، هذه الإشكالات التي أسهمتُ كما أظن في إبرازها للعيان كان لها نتائج تطبيقية.

لقد دعتني مؤسسات إسلاميـة كثيرة وفي مرّات متعددة لكي أحدثهم عن تجربتي في مؤتمرات عالمية نوقشت فيها هذه المسائل.

لقد اقترحت أن تُعْرض ترجمة الفقرات التـي تعالج في القرآن أمورًا علمية،

مساوئ الترجمات المتداولة للقرآن

على آراء العلماء في مختلف الاختصاصات. ولكنه يبدو أن هذه الإشكالات عصيّة على الحل، لأنه لكي تكون هناك فائدة مرجوة، يجب أن يعرف العلماء المذكورون العربية الفصحى، بل أزيد: العربية القديمة التي تخبرنا وحدها عن المعنى الأصلي للكلمات، معنى لاغنى عنه لنفهم جيدًا، ولكي نصنع ترجمة صائبة لا تعطي الكلمات معاني فرعية، أكثر معاصرة، ولكنها خاطئة.

○ النظر إلى القرآن على أنه كتابٌ علميٌّ خطأ يقع فيه بعض المترجمين

وإن كنت، والحالة هذه، قد قابلت خلال زياراتي للبلدان العربية وفي مناسبات أخرى علماء ولغويين لهم شأن كبير، فإنني لم أُسعد بالاحتكاك برجال علم كثيرين لديهم، فضلا عمن يملكون معرفة واسعة بالعربية الفصحى، وأقل من ذلك مختصين أجلاء بتلك اللغة الرائعة التي تملك ثقافة علمية واسعة.

لقد استطعت التعرض في هذا البحث إلى النقاط الأكثر دلالة في النص القرآني، واستطعت بهذا المنظور، كما أظن، أن أعطي في البحث أمثلة للنجاح في التعاضد بين اللسانيّ، وذلك الذي يهتم بتوظيف كل عنصر معرفة دنيوية في تفحص التعاليم التي تقدمها الكتابة المقدسة. وكان الهدف من ذلك تسليط بعض الضوء على ترجمات القرآن وتفسيراته.

التعليقات

(١) انظر في هذا الأمر مقالة بعنوان (القرآن الكريم في الاتحاد السوفياتي) بقلم الشيخ طه الولي في مجلة الفكر العربي، العدد ٣١، كانون الثاني/ يناير، آذار/ مارس ١٩٨٣م، عدد خاص بالاستشراق: التاريخ والمنهج والصورة، ص ٢٦٦ـ٢٩١.

(٢) جاء في المقالة المذكورة في الحاشية السابقة، ص ٢٨٦:

(أما أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية فهي التي قام بها يوهانس أوبورتيوس الذي ترجم القرآن إلى اللاتينية في مدينة بال السويسرية وكان ذلك عام «١٥٤٢م»، ويقول المؤرخ الإنجليزي ستاينبرغ في كتابه «الطباعة خلال ٥٠٠ سنة»، إن هذه الترجمة حملت يومها مقدمتين: إحداهما لمارتين لوثر، والأخرى لمساعده ويده اليمنى مياكتين أحد كبار علماء عصره المعروفين).

وجاء في كتاب (المستشرقون) لنجيب العقيقي، الجزء الثالث، ص ٥٣١، الطبعة الرابعة ١٩٨١م:

(ترجمه أول مرة إلى اللاتينية: روبرت أوف تشستر، وهرمان الدلماطي «١١٤٣م» وتلتها ترجمة في سويسرا «١٥٤٣م»).

وانظر القائمة التي أعدها محمد حميد الله في مقدمته لترجمته الفرنسية للقرآن الكريم، ص ٦٣.

(٣) انظر قائمة محمد حميد الله المذكورة أعلاه، ص ٥٩.

(٤) المعني هو قوله تعالى في سورة (يس)، الآية (٣٦): ﴿سُبحانَ الّذي خلق الأزواجَ كُلَّها مما تُنبت الأرضُ ومِن أنفسهم وممّا لا يَعلمونَ﴾.

أما الآية السابقة لها فهي قوله تعالى الآية (٣٥): ﴿**ليأكُلُوا من ثَمَرِهِ وما عَمِلَتْهُ أيديهم أفلاَ يَشْكُرُونَ**﴾.

(٥) كذا في أصل النص الفرنسي، والصواب السورة (١٣)، الآية (٣)، وهي سورة الرعد، والمعني قوله تعالى: ﴿**وهو الذي مدَّ الأرضَ وجَعَلَ فيها رَوَاسِيَ وأنهاراً ومنْ كلّ الثمراتِ جَعَلَ فيها زوجين اثنين يُغشي الليلَ النهارَ إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكّرون**﴾.

(٦) المعني قوله تعالى في سورة النازعات، الآية (٣٠): ﴿**والأرضَ بعدَ ذلك دَحَاهَا**﴾.

(٧) ذكره الدكتور بوكاي وأثنى عليه في مقاله الذي ردّ فيه على بعض منتقديه.

انظر: (نظرات في القرآن)، ص ٢٤١ـ٢٤٢.

(٨) المعني هو الآية (٢) من سورة العلق: ﴿**خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾.

(٩) انظر ترجمة بلاشير للقرآن، ط. ميزونوف ولاروس، ١٩٨٠م، ص ٦٥٧ (الحاشية).

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: (السورة ٧، الأعراف، الآية ١٥٧، ١٥٨)، والمقصود قوله تعالى: ﴿**الذين يتّبعون الرسولَ النبيَّ الأميَّ** . . . ﴾، وقوله: ﴿**فآمِنُوا باللهِ ورسولِه النبيِّ الأميِّ** . . . ﴾

(١١) قارن بترجمة الدكتور بوكاي التي جاءت في ص (١٨٧) من كتاب: (نظرات . . .) وهي كالتالي:

"Gloire à celui qui créa tous les éléments de couple.
Parmi ce que fait pousser la terre.
Parmi eux-mêmes (C'est-à-dire les êtres humains.
et parmi ce qu'ils (les êtres humains) ne reconnaissent pas'.

وهذه ترجمة الآية (٣٦) من سورة يس، انظر الحاشية رقم (٤) من تعليقاتنا هذه.

تسليط المغريات



د. محمد بن سعد
الشويعر

أخبر ﷺ أن الجنة حُفت بالمكاره وأن النار حُفت بالشهوات، كما رواه البخاري ومسلم. وأخطرما يواجه الشباب المسلم الترغيب في الملذات وتيسير سبلها، وهذا مدخل من مداخل الشيطان حيث يسلط أعوانه، لاقتناص الفرص، وتحين نقاط الضعف في النفس البشرية، لإيقاعها في الموبقات التي نهى الله ورسوله عنها.

ونحمد الله أن ديننا الإسلامي لم ينه عن الزينة، ولا عن التمتع بالطيبات من الرزق، ولم يأمر الله المسلم بترك الحلال مهما كان نوعه، أو الزهادة فيه ما دام مصدره طيبًا، ولا يتعارض مع نص شرعي بالتحريم أو الإباحة كما قال سبحانه: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ الأعراف ٣٢. لكن تسليط المغريات يأتي من ترغيب الشباب في أمور نهى عنها الإسلام، فالغناء والرقص واختلاط النساء بالرجال، وربط تلك الأمور والحفلات بالموسيقى والتصوير وغير هذا، بحجة أنها مواهب يجب أن تنمّى، وطاقات يجب الاستفادة منها، تقليدًا لما هو سائد في المجتمعات ببلاد غير المسلمين.

والأمور المباحة يمزجونها بالمغريات غير المباحة، ويحببونها إلى النفوس لتأنس إليها، وترتاح لعملها بأساليب مختلفة، فيسهل الوقوع فيما حرم الله. ولكي يخف ميزان ذلك من النفوس يأتي التماس الأعذار، ووضع التسويغات لإماتة القلوب، حتى لا تبتئس بما تعمل، وليقل إحساسها عما فعلته، ومن ذلك قولهم: إن الموسيقى تفيد في علاج بعض الأمراض، وتعين النساء على تسهيل الولادة، وغير هذا مما نسمعه ونقرؤه في بحوث ودراسات، يلمس منها تحليل ما حرم الله من الشهوات، وتهوين عقابها.

ولا شك أن النفوس قد حبب إليها كل شيء ممنوع، ويكون لطعمه مذاق خاص، إذا تعاون على ترغيبه في النفس الأعداء الثلاثة للإنسان: النفس الأمّارة بالسوء، والهوى الذي يعمي ويصم، والشيطان الذي نذر نفسه لإغواء الإنسان وإبعاده عن طريق الرشاد والفلاح.

وأعوان الشيطان من الإنس أشد خطرًا من جنوده من الجن؛ لأن أبالسة الجن يطردهم الورد وتكرار ذكر الله. أما الإنس فلا بد من مجاهدتهم بالعلم القوي، والإيمان الراسخ، والفهم العميق، والحجة الداحضة، وفي مقدمة ذلك مدافعة النفس ومحاسبتها وردعها عن غيها.

فإذا تعاون مع النفس والهوى والشيطان جماهير من البشر يسلطون حشدًا من المغريات التي تتوق إليها النفوس، وسلكوا في هذا السبيل ألوانًا عديدة وجذّابة، وزيّنت المداخل لذلك الأمر، بطرق متنوعة، تفتح مغاليق النفس، ثم أمام هذا لم تكن هذه النفوس محصّنة بسياج إيماني يحميها، ولا بعلم قوي يوضح لها، فهي بلا شك سوف تنهار أمام المغريات، وتجبن عن الصمود أمام الملذات.

وأعداء الله، وأعداء أمة الإسلام، يحرصون في الدرجة الأولى على غزو الشباب بالمغريات لتكسير حدة المنعة لديهم؛ لأنهم درع الأمة القوي، والنفاذ منهم هو سبيل التغلغل إلى مختلف حصون المجتمع المنيعة، وما ذلك إلا لأنهم يهدفون من مغرياتهم تلك إلى أمور كثيرة منها:

- المكسب المادي فالغاية تبرر الوسيلة، ولذا تجد أن المخططين والعاملين في هذا المجال أغلبهم من اليهود، سواء كانوا أفرادًا أم جماعات منظمة، واليهود قد عرفوا بأنهم عبّاد للمال.

- إفساد الشباب المسلم وإبعاده عن دينه، وذلك بالانشغال بأمور ينهى الله عنها، حتى يرفع عنهم عونه وتأييده، فيسهل على العدو السيطرة على أمتهم من أبواب الضعف التي فتحتها المغريات والملذات، كما جاء في الحديث القدسي: «من عصاني وهو يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني».

- الهدف العقدي بإفساد الأمم، وهذا مبدأ خبيث وراءه منظمات تبذل الكثير من ربحها في تحقيق المطلب، ذلك أن من وقع في الرذيلة، لا ترتاح نفسه حتى يوقع الآخرين معه.

- التسلط والسيطرة، ولا يتحقق هذا إلا مع الهدفين الأولين، فالعقيدة غاية والمادة وسيلة، أما التسلط والسيطرة فنتيجة لذلك.

ومن هنا نلمس أنهم أوجدوا لذلك في تياراتهم الموجهة مسارب عديدة، ومطايا مسرجة، كلها مهيأة للوصول إلى غاية مرسومة، بأساليب ظاهرها فيه الرحمة، وباطنها يحمل السم الزعاف، وتوجه للمجتمعات الإسلامية في كل مكان تحت غايات مختلفة، يجب على الشباب أن يعرفها ليحذرها مثل: الترويح عن النفس، شغل الفراغ، التكريم، إحياء التراث، الفنون الشعبية، مسايرة الأمم الأخرى، وغير ذلك من التفنن في الأساليب المؤدية للغاية، والشباب هم أول من توجه إليه هذه الأمور، ويخاطب بها عقله قصدًا؛ لأن انغماس الشباب مكسب للإغواء، وطريق للموافقة عن بعد مرماهم، ولا سبيل إلى إحباط هذه الأمور، وتعثر ما أرادوه بالأمة الإسلامية، إلا بوضع بدائل تمتص وقت الشباب، وتقضي على فراغهم، وتستهلك طاقاتهم، وتفتح آفاقًا لمواهبهم: عملاً وتسلية وإرضاء نزعات. وفي منهج الإسلام وتنظيمه لحياة الفرد، وتوزيع الجهد بين العمل النافع وتنمية المهارات ما يحقق الهدف الذي ينشده الحريصون على حماية شباب الإسلام من المنزلقات، إذ منهج ديننا: صنعة في اليد أمان من الفقر، وخير العمل عمل داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده، والإيمان القوي هو الذي يدفع الشباب للعمل والفهم العميق.

الإنجليزية كريستين

كيف أصبحت خديجة بنت محمد؟

لـم أكن أعرف أن الإسـلام بهذا القدر العظيم من الإحـاطـة بأمـور الحيـاة السـابقـة، والحاليـة، والقادمة، وما كنت أدري عنه أي شيء، قبل خمس سنـوات، أكملت بها عامي الخامس والثـلاثين في هذه الـدنيا، منذ ولـدت في يورك شير بإنجلترا من أبوين يتمتعـان بالجنسية الإنجليـزية أبـا عن جد. ظللت تحت رعايتهما إلى أن وصلت إلى أعلى مراحل التعليم، وتخرجت في الجامعـــة، وأحببت اللغـة العربية من صديقة عربية كنت ألتقي بها مرة واحدة في العـام ولمدة شهـر، وأردت أن أتعلم العــربيـة وأعـرف الكثير عن العـالم العربي الـذي تنتمي لــه صديقتي التي تراسلني بالإنجليزية وتتحدث لغتي وأنـا لا أتحدث لغتهـا، والتحقـت بمعهـد لنـدن للـدراسـات الشرقيـة والأفريقيـة لأتعلـم اللغـة العربية، لأقرأ بها عن بلاد صديقتي العربية.

ووجـدت المجال مفتـوحًـا لـدراسة الحضـارة الإسـلامية، واكتشفت أنني مـا كنت أحيا في هـذا العـالم؛ لأنني كنت أجهل الإسـلام ولا أعرف منـه غير اسمـه واسم صـديقتـي فـاطمـة. وكتبت لها رسالة أحيطها علمًا بدراستي لغتها العربية وحضارة الإسلام، وكتبت لي رسالـة في سطور قليلة قائلة:

«عزيزتي كـريستين، إن شيئًا ما كان ومـا يزال يجذبني، بل يشدني إليك منذ رأيتك في المحل الذي التقينـا فيـه بشـارع أوكسفـورد حيث كنـا نتسـوق وشعرت أنك ستصبحين مسلمة ذات يوم، وداعية للإسلام، والتحـاقك بهذا المعهد، خطوة لتحقيق ذلك، أتمنى لك دراسـة طيبـة وأنــا على استعداد تـام لإمـدادك بالكتب التي تتحـدث عن الإسـلام ورسولـــه إذا أردت ذلك. تحيـــاتي لك ولأسرتك الكريمة» انتهت الرسالة.

تقـول كريستين: شعـرتُ بكلمات صـديقتي العربيـة تدخل في أعماقي وتمنيت أن أتعرف الإسلام ورسولـه، **وذهبت إلى المركـز الإسلامي في لنـدن، وطلبت بعض الكتب التي تتحـدث عن الإسلام،** ورحت أقرأ في هدوء، **فإذا بي أكتشف عـالما عظيما من السماحـة والحب والسلام،** ما عـرفته من قبل ولـم يلمس قلبي واحدٌ منه قبل ذلك، واستوعبت هـذه السماحـة بلغتي، لكن مـراسلتي لصـديقتي جعلتني أتقدم في تعلم اللغة العربية، حيث قالت لي ذات رسالة:

«ولسوف تشعـرين بالإسـلام يسري في كيانك حبًا وسلاما وبساطة، إذا مـا قرأتِ عنه وفيـه بلغة اختارهـا الله لتكون لغـة خـاتم رسالاتـه إلى الناس جميعا».

وتقـدمت بشكل ملحـوظ في التهـام اللغـة العربيـة والحضارة الإسلاميـة، مما جعل أسـاتذتي يهتمون بي، ويحاولون تحويل هذا الاهتمام إلى دراسة لمعرفـة عـالم كنا نجهلـه، ولا نريـد أن نتعلق بـه، لدرجـة أن نصبح أفرادا منه وتابعين لرسالته.

وتقـول كـريستين فوكمـان، الإنجليـزيـة: شعـرت أن إقبـالي بهذا الحب على اللغـة العـربيـة والإسـلام جعل المدرسين يخافـون انخـراطي في الإسلام واعتناقي لـه دينا، وتحدثت إلى أبويّ، فإذا بهما يـؤكدان لي مـا قـاله أسـاتـذتي في معهد لنـدن للدراسات الشرقية والأفريقية، لكنني لـم أتوقف، ولـم يتوقف إقبالي عليهما.

أراد أبـواي تـزويجي، لكنـي أمهلت ذلك. بحجج واهية، ومـا عدت أتحدث إليهما عن حبي الكبير للإسلام ولغته التي اقتربت بهما من شاطىء الأمـان بعيدا عن صحراء الحيرة التي عشتها حياتي السابقة، فما كنت ألمس شيئًا يهز مشاعري ووجداني إلا بعد أن تعرفت هذا الديـن الذي كنت - آنـئـذ - أحبو في الطريق إليه.

لقـد تأكد لي أن الإسلام هو الحقيقة الواجبـة التنفيـذ في العـالم؛ لأن تعـاليمه البسيطة تؤكـد لـلإنسـان إنسـانيته، وبـالإنسـانيـة التي يعيشهـا الإنسان تحت مظلـة الإسلام، يتأكد لــه أن خالق الكون واحـد لا شريك لـه، قوته فـوق كل القوى التي تحاول أن تؤكـد لنفسها السيطـرة على العالم أو جزء منـه.

فمنـذ أن خـرجت إلى الدنيـا عـام ١٩٥١م، وأنـا أعرف أن العـالم يتطاحن بقـوة لإثبات قـدرة بعض الـدول للسيطرة على العـالم، والحرب المعلنة والخفية تؤكد ذلك، لمن يعرف التطاحن بين القوتين الأعظم خلال السنوات الثلاثين الماضية.

ليتهم يدركون أن العالم لن يكون إلا ملكا لخالق الأرض وبـاسطهـا، ورافع السماء بلا عمـد، ومـا يقومون به في هذا العالم ليس إلا زوبعة ستهدأ ذات يوم.

لقـد تأكـدت أن الله الواحـد الـذي لا شريك

لـه، هو المحرك الأساسي لما خلق في هذا العالم، ومـا التطاحن الـذي حدث، ومـا زال يحدث على الأرض وفي غـزو الفضاء، إلا انفراجة بسيطـة من الخالق ليـؤكـد لهم قدرتـه على كل شيء، وأن قدراتهم مهما وصلوا بها لـن يصلوا إلى ذرة في صنع هذا العـالم، وهذا الكـون الذي تـديره قـوة الخالق وحده.

تقـول كـريستين فـوكمان : **شعـرت أني كنت مهيأة لمعرفـة الإسلام، لأصبح بـالإسلام ذات قيمة في هذا العالم**، وما كنت أضع خطـة لمعرفتـه، لولا حبي لصـديقتي العربيـة المسلمة التي شعـرت بها قريبة من قلبي وعقلي.

لـم أجـد في الإسلام إلا العـدل الذي يجب أن يسود هذا العالم؛ لأن عدل الإسلام يعطي مساواة حقيقيـة، وقـد جـاء الإسـلام والعـرب درجـات، فأصبحت المساواة العادلـة هي السمة التي جعلت العبرة والفـرق بين النـاس بـالأخـلاق الفاضلـة والتـدين الصحيح، حيـث قـال الحق في كتـابـه العزيز :

﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبـائل لتعارفـوا إن أكـرمكم عنـد الله أتقـاكم﴾ الحجرات - ١٣.

وتقـول كـريستين : إن دينـا كهـذا يجب أن يتعـرف عليـه العالم، لتسـود العدالـة بين النـاس جميعا، فقد جاء الإسلام للناس جميعا، لا يفرق بين أحـد وآخر، ولا بين المكان الذي نزل به ولا بين أي مكان في العـالم، فالإسلام للناس جميعـا ولكل فرد في أي مكان في هذا العالم الذي خلقه الواحد الذي لا شريك لـه.

وتقول : لـم أجد بدًا من اعتناق الإسلام دينا، وكنت أعرف أنني سأواجـه مصاعب كثيرة، لكن أي مصاعب هذه التي تعرقل إعلان إسلامي. لقد واجه المسلمـون الأوائل، وصاحب الرسـالة ﷺ، مصـاعب لا يقـوى عليهـا إلا أصحـاب القلـوب القوية بهذا الدين العظيم.

لذا، أعلنت إسلامي، وشهدت أن لا إلـه إلا الله، وشهدت أن محمدا رسـول الله، خاتم الأنبياء والمرسلين.

”وجدت في الإسلام عالمًا عظيمًا من السماحة والحب“

وأسميت نفسي «خـديجة»، تيمنًا بـاسم أم المؤمنين، خالدة الذكر، خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، زوج النبي العظيم، المؤازرة لـه في كل ما جاءت به الرسالـة في حياتها، إلى أن احتوتها الأرض الطيبـة، وصعدت روحها إلى خالقها.

وناهيك عـن المتاعب التي قـوبلت بها بمجرد إشهـار إسـلامي، خـاصـة بعـد أن أصبح اسمي خـديجة كـوفمان، أبسط هـذه المنغصـات، رفض والدي إسـلامي. وأمام إصراري، وتغيير اسمي، طلـب أبي مني ألا أجعـل في اسمـي أي اسم مـن أسمائه التي ورثهـا. ورضخـت لمطلبـه، وأسميت نفسي : **خديجة بنت محمد عبد القادر**، ولست أدري لماذا اخترت هـذا الاسم لأبي، إلا أنني وجـدت في النهايـة أنه اسم والد صـديقتي العربيـة المسلمـة، التي بمجرد أن عرفت وعرفت أسرتها بما فعلت من خير على طريق الإسلام، استقدموني إلى بلدهم في زيارة، مازالت ممتدة، وستظل ممتدة إلى أن يحتويني تراب هـذا البلد الطيب الـذي جعلني أتعرف على الإسـلام أكثر وأحبـه أكثـر وأعيش فيه حيـاة كنت أفتقدها في بلدي.

تقول خـديجة الإنجليزيـة المسلمة : وجـدت الإسلام قـويا عظيما سهلا، ميسورا لكل من يـريد الحيـاة الحقيقيـة. فالتعـاون الـذي يجب أن يكـون وجـدتـه في الإسـلام، حيـث التف النـاس حـولي يُعطونني رعـاية كاملة غير مسبـوقة، ولا هدف لها إلا أن أكون في أمـان واطمئنان.

لقد استطاع الإسلام أن يجعلني إنسـانًا جديدًا بكل مـا في الكلمـة من معنى حقيقي لـلإنسـان والإنسانية، التي ثبت قواعدها رسول الإسلام الذي استطـاع أن يجعل النـاس تلتـف حولـه في بـدء الدعوة، وجعل للإنسانية مع أعداء دعوته سمة لا مثيل لها من الـرحمة بـالقـوة، والعـدل بـالمساواة والعطف بالأبوة، في كل مجـالات الحياة، مما جعل أعـداءه يشهدون لـه بالأخـلاق التي لا مثيل لها، رغـم كراهيتهم لدينه.

لقد تأكـدت، أن عظمة الرسـول الكريم ﷺ كـامنة في بسـاطته التي تفرش على العالم حبـا من السماء، خصّه به رافع السماء وباسط الأرض.

وتقول خـديجة محمد عبـد القادر، الإنجليـزية المسلمـة :

ما من شيء يـدعوني إلى القلق في هـذا العالم، سوى السنوات التي ضاعت من عمري بلا إسلام، فالـذي يعرف الإسـلام صغيرا أو يولـد به، إنسـان محظوظ وعليه أن يستثمر دينه في كل مناحي الحياة، ويفعل كما كان يفعل رسـول الإسلام وهـو يتعامل مع الحيـاة بها ومن فيها، ولنـا في رسول الله الأسـوة الحسنة، لمن كـان يرجـو الخالق، ويبتغي أن تكون الجنة داره في الآخرة.

بعـد أن أصبحت مسلمـة العقـل والقلب والتفكير والأحـلام، تـزوجت مسلما، وأنجبت محمدًا وعبـد الله وخديجة وفاطمة، وأديت فـريضة الحج، حيث وقفت مع مئـات الألـوف من البشر على عرفـات أدعـو الله أن يغفـر لي سنوات عمري قبل الإســلام. وطفت مـع البشر حـول بيت الله العتيق، وشعرت أني أُغسـل وأُولـد من جديـد مع هذا الحشد الهائل الذي جاء من كل فج ليحج بيت الله المبارك، الذي مازال في عيني وقلبي وعقلي كأني مازلت هناك.

بقي أن تعرفـوا أنني سـأكتب ذات يوم قصتي مع الإسلام، ليتعرف الناس قصة واحدة من المئات الذين يعتنقون آخر الأديـان يوميا، وأعتقد أن نصر الله قـريب للمسلمين إن يشاء الله لـقولـه في كتابـه العزيز :

﴿إذا جـاء نصر الله والفتح. ورأيت النـاس يدخلـون في دين الله أفواجـا. فسبّح بحمـد ربك واستغفره إنـه كان توابا﴾ . **سورة النصر.**

طريق الهدى

فتاوى لفضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

استبدال العملة الورقية بمعدن

● تكرر القول حول صرف العملة المعدنية تسعة بعشرة ورقية لأن الهاتف يقبل المعدن والناس يضطرون إلى استبدال الورق بالمعدن، فهل يجوز هذا؟

ن. ن. ن. شركة الراجحي المصرفية للاستثمار ـ جدة. سالم. م. ن. جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة.

خير الله بهنساوي: جدة.

□ سبق أن بينت هذا من قبل، وأوضحت أن هناك من أجاز مثل هذا للاختلاف بين الورق والمعدن، ولا ضير، فسوف أُبين هنا ما يمكن بيانه لتتضح الصورة حسب فهمي.

المعروف اقتصاديًا حسب السياسة العالمية لعملة كل بلد أن العملة لا تختلف من حيث المقدار أي القيمة، فهناك جنيه ورقي، وهناك جنيه أصلي كلاهما لهما قيمة واحدة، والجنيه الورقي هو الجنيه الأصلي من حيث القيمة، وهذا هو المقصود منهما حتى وإن استعمل الذهب الأصلي كحلي ونحوه للنساء.

وكذلك الحال بالنسبة للدينار الأردني معدنًا أو ورقًا، وكذا بالنسبة للكويت، وألمانيا وفرنسا ونيجيريا... إلخ.

كذلك الحال بالنسبة للمملكة، فالريال المعدني هو نفسه الريال الورقي، اختلف النوع لكنه اختلاف صوري فقط، وإلا فهما شيء واحد، لكن جعل هذا وجعل ذاك لاختلاف الحاجات فقط.

وهذان الريالان لهما رصيد مخزون من الذهب لا يفرق بين المعدني والورقي بل هما شيء واحد.

فعلى هذا يتبين لك ولصاحبك خطأ القول بجواز الفرق فتصرف العشرة الورقية بتسعة معدنية.

ثم إن النص ورد هكذا كما في الصحيح: «الذهب بالذهب مثلاً بمثل يدًا بيد، والفضة بالفضة مثلاً بمثل يدًا بيد... إلخ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم».

فالأصل هنا بين العملة الورقية والمعدنية لم يختلف، بل هو بيع ذهب بذهب مع وجود التفاضل، وهذا هو الربا حسب علمي؛ لأن المعدن والورق إنما سندان فقط عن الأصل المودع وهو الذهب.

والله تعالى أعلم.

الحكم على المجنون

● إذا اعتدى شخص مجنون وسبَّب تلفًا في محل تجاري، فهل يناله الحكم الشرعي؟

مفرح... م. م. م ـ أبها.

□ المجنون ليس أمره واحدًا، بل الجنون أنواع ما بين خفيف وقوي، وما بين حاضر وغائب، ويدخل في هذا مرضى الذهان العقلي، والفصام والصرع المتخبط.

وحتى نبين لك الحكم الشرعي في هذا، فإنه لابد من التصور التام عن الشخص المسؤول عنه وأنه أتلف محلاً تجاريًا، ويتضح هذا من خلال ما يأتي:

١ ـ السوابق لتصرفاته.

٢ ـ تضافر الأدلة على جنونه من أهله وجيرانه.

٣ ـ ظهور الجنون المعروف عليه إذا كان جنونه حالة مستديمة.

٤ ـ الكشف الطبي عليه.

فإذا ثبت جنونه فإن المؤاخذ على تصرفاته عاقلته حسب ما هو مطول في موضعه من «المحلّى» لابن حزم، و«المغني» لابن قدامة و«المبسوط» للسرخسي.

والله أعلم.

من يتحمل هذا العيب؟

● إذا بعت بيتًا مثلاً وفيه عيب لم أدرِ عنه أبدًا وعرفه المشتري، فما الحكم؟

فهد. ع ع ـ الدرعية.

□ مثل سؤالك هذا طيب، ما في ذلك شك؛ لأنه صادر من رجل يريد الحق ولو كان على نفسه، وهي بادرة عظيمة، نسأل الله تعالى أن تكون في الأمة المسلمة عامة.

والجواب، والله أعلم، أنك تتحمل العيب، ولا يكون عذرًا أنك لا تدري عن العيب؛ لأن المشتري ابتاعه على أساس سلامته من كل عيب.

وفي هذه الحالة كما في «المغني» و«شرح منتهي الإرادات» و«الكافي» لابد من العودة في البيع أو تدفع له إرش العيب.

حكم التذوق بقصد الشراء

● ما حكم تذوق الخضروات والفواكه من عند البائعين بقصد الشراء؟

م. صالح ن ـ الرياض.

□ بعض الناس يتناول التمر حبة، أو حبتين، وكذا الطيب، يتطيب من صاحب المحل وهكذا فإذا كان القصد نية الشراء دون تردد فلا بأس من تناول تمرة واحدة فقط وتكون في ميزان المشتري فيما بعد.

وكذا الطيب فلا يستغرق في هذا، وإن حصل أن يشم فقط فهذا أحسن عندي. ويقال هذا في سائر الأشياء التي يمكن معرفتها بالتذوق.

ولا يصح العبث في مثل هذا دون قصد الشراء، فإن المرء يأكل حرامًا حينئذ.

ولقد رأيته في كثير من الناس يفعلونه من باب التهاون، وهذا يدل على قلة الورع، وضعف الإيمان.



عبد اللطيف دربالة

تجربتي مع المسرح

بقلم
عبد اللطيف دربالة

لم يكن في تخطيطي المبكر أن أصبح أديبًا أو كاتبًا مسرحيًا، بل كنت أحلم بأن أحصل على درجة الدكتوراه في الاقتصاد، لكن الله شاء غير ذلك. وجدت نفسي مشدودًا لقراءة الأدب والفكر، وبنهم غير عادي، وتدفعني رغبة عارمة للكتابة.

نشأت في أسرة متدينة، وحفظت نصف القرآن الكريم، ثم اتسعت دائرة اطلاعي، وكنت ألتهم القصص والروايات والمسرحيات، فأحيانًا كنت أنتهي من قراءة عمل أدبي في ليلة واحدة. وقرأت معظم الأعمال الأدبية العربية، ثم اتجهت إلى الأدب العالمي، وتوقفت كثيرا أمام أعمال ديستويفسكي وتشيكوف وجوته وشلر وشكسبير وجوركي، وغيرهم.

وفي المسرح توقفت عند إبسن وسترندبرج. وقرأت كثيرا في الفلسفة العربية، وقرأت أيضا نيتشه وسارتر وهيجل وديكارت.



سارتر



إبسن



جوته



تشيكوف

بدأت بالقصة القصيرة، ولم أنشر إلا قصة واحدة بعنوان «القرية والحرب»، وكذلك سئمت الرواية لكثرة الوصف فيها والسرد أيضا.

وجدت ضالتي في المسرح، وساعدتني كثيرًا سلسلة المسرح العالمي التي صدرت في القاهرة أولا، ثم في الكويت، والترجمات الأخرى.

الكتاب الكبير الذي أقرؤه كل يوم وأقلب صفحاته التي لا تنتهي أبدا هو واقعنا العربي، فهو كتاب طويل ولا تنتهي صفحاته أبدا، ولا تنتهي مآسيه، وأفراحه تُهاجم بوحشية ولا تتم.

القراءة وحدها غير قادرة على تشكيل إبداع الكاتب، التأمل والاستغراق في التفكير غاية في الضرورة للوصول إلى عمق الظواهر والقيم الإنسانية، ولإبداع أدب رفيع المستوى.

كتبت حتى الآن خمسًا وعشرين مسرحية طويلة وقصيرة، وكان مولدي الأدبي من عباءة النكسة، والهزيمة، وعلى عكس أكثر كتّاب جيلي لم تنحنِ لي قامة، ولم تنكسر روحي، ولم تتردد نغمة الحزن والانكسار في أعمالي، فلي قدرة طيبة على تحليل الظواهر، وتأملها بعمق، والوقوف على قوانينها، وكنت أعلم جيدا أن الشعوب العظيمة قادرة على مواجهة المحن والهزائم.

في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات كتبت مسرحيات: « ما وراء السقوط، الغروب، الخلاص، الخروج ».

ومسرحية «ما وراء السقوط» تلقي الضوء على تلك العلاقات المهترئة والعفنة لمجتمع ما قبل ٦٧، وتعبر عن موقف قرية من شاب بسيط وفقير، أفلح وحصل على درجة الدكتوراه وشغل منصبًا كبيرًا، وترسل زوجته برقية إلى أبيه تخبره بأن ابنه « صالح » تعرض لحادث، يسافر الأب لزيارة ابنه، ويعود الأب بعد الاطمئنان على ابنه في اليوم الثاني





ليجد القرية قد أقامت سرادقا، واجتمع أهلها، ويسألونه عن الجثة ـ جثة ابنه ـ لكن الأب يخبرهم بأن ابنه حيّ، فتستنكر القرية موقفه وتتهمه بالجنون. هكذا اجتمعوا وقرروا موت الابن صالح.

كانت مشكلة حصار الصفوة في المجتمع وإعلان موت دورها من المشكلات الكبيرة التي كانت تلح علي باستمرار، وأعتقد أنها كانت السبب الرئيس لانهيار المجتمع وهزيمته في ١٩٦٧م.

ومسرحية « الغروب » عالجت فيها فكرة الاغتراب وعدم قدرة شاب متفوق على أن يعيش وسط ظروف قهرية، فيعاني من التمزق الروحي والنفسي، ويهرب من عمله ومن بيته وتبحث عنه زوجته في كل مكان فلا تجده.

وفي مسرحية « الخلاص » تواجه القرية عمدتها المستبد الذي يحكمها بالحديد والنار، وتثور عليه ثورة عارمة، فتحاصره وتتحرر من طغيانه وتقتله في النهاية.

ثم كانت مسرحية «الخروج» رائعة أعمال هذه الفترة، التقطها المخرج الكبير الشريف خاطر وأخرجها لإذاعة البرنامج الثاني، ومثلتها ليلى طاهر مع آخرين، وأذيعت عام ١٩٧٣م. فبطلها الدكتور تهامي أستاذ جامعي جرفه تيار الهدم لما قبل ١٩٦٧م، إلا أنه بعد النكسة يقيم لنفسه محاكمة ذاتية، يكتشف فيها أنه قد لُوِّث وأصبح مزيفا، وبعيدا عن حلم شبابه، فيقوم بمحاولات عديدة ومريرة لاكتشاف ما أصابه وسكن روحه وزيَّف عقله، يعثر على منالته، ذلك الكائن الآخر الذي احتواه وغبّره، فيتخلص منه ويتطهر، رجع على نفسه رجوعًا قاسيًا، وأعدم ذلك الكائن، ذلك الرجل بداخله ليكتشف عالمه الجديد وينتصر على واقعه المهزوم، ولتشرق الشمس في منزله، وكانت نبوءة بانتصار أكتوبر. آملاً في مستقبل أفضل. وهذه المسرحية كتبت في عام ١٩٦٩م وأشاد بها النقاد وكتبوا عنها كثيرا.

ثم عادت الفلسفة وجذبتني من جديد، وكتبت عملين لم ينشرا حتى الآن، ثم سافرت إلى العراق عام ١٩٧٩م وحتى ١٩٨٤م، وعاصرت أهوال الحرب العراقية الإيرانية، وما ذاقه الشعب العراقي من آلام وخراب، لتتبدد أحلامه في تحقيق الرخاء حيث أهدرت الحروب ثروته وحطمت كيانه.

أمقت الحروب التي لاجدوى منها، وخاصة تلك التي تحطم قدرات المسلمين. وبعد عودتي من العراق، كتبت مسرحيات: « الحسين يُقتل من جديد»، «عاصفة على العرب»، «البيت الجديد للمواطن عدنان». كانت فكرة الحرب والخراب والدمار وقتل مشروع التنمية العربية تمثل خلفية شاملة لهذه الأعمال.

> "ماوراء السقوط" جسّدت العلاقات المهترئة والعفنة لمجتمع ماقبل ١٩٦٧م

ثم توالت أعمالي المسرحية الأخرى، وهي: «الأجلاف ينصبون المشانق»، « الوحش والقاهرة الجميلة »، « ليلة عرس الأقوياء »، وعشر مسرحيات قصيرة تجريبية. «طائر الفرات الحزين»، «عشاق فوق العادة»، «مستشار الزعيم»، «طارت إلى السماء»، وهذه المسرحيات الأخيرة تحت الطبع في هيئة الكتاب. ثم مسرحيات: «أمنية صعبة»، «وفرّ.. وطار» ومسرحية « ١٩٥٢ »، «صوت الشعب» تحت الطبع أيضا.

ويعتبرني النقاد كاتبًا غزير الإنتاج، لقد عانيت الكثير لتطوير أعمالي شكلا ومضمونا على مدى ربع قرن.

آخر عمل عرض لي كان مسرحية «إعدام مواطن من عامة الشعب» على مسرح الطليعة. واهتمت بأعمالي إذاعة البرنامج الثاني وأخرجت لي عشرة أعمال أذيعت كلُها.

اللغة في مسرحياتي

لم أكتب إلا مسرحيتين قصيرتين بالعامية، هما: « ما وراء السقوط »، و« عود الورد المصري ». ثم ضقت بهما، فموضوعاتي دائما بها فكر وعمق، إحساس ومشاعر، والعامية لا تسعفني، ثم إنها لغة محدودة، لا في جغرافيتها ولكن في مستواها. قد تفلح في المسرحيات الكوميدية، لكنها بالنسبة للتراجيديا والمآسي الإنسانية العميقة لا تصلح. هذه وجهة نظري، فأنا أفضل الفصحى، فهي الوعاء المنضبط، ولغة العرب أجمعين، وجماليات الفصحى أعظم، واللغة العربية ثرية ثراءً غير طبيعي، وهي تلبي انفعالاتي وتعبر عن الأحاسيس والمشاعر للشخصيات، ونبضها حيّ.

ولغة المسرح لغة فنية، لغة مقطرة، سريعة الإيقاع، موصل جيد، شاعرية تتسم بالجمال والتلقائية، وتتنوع في العمل الدرامي الواحد طبقا لمستوى الشخصيات، المهم على الكاتب أن يكتشف لغته الدرامية الفنية بحيث تعبر عن أدق المشاعر الإنسانية بسرعة وتلقائية دون عائق. لكن هذه اللغة الفصحى الجميلة والشاعرية مثلت لي مشكلة ضخمة، تمثلت في إحجام المخرجين عن تناول أعمالي وإخراجها على المسارح، فهم يطلبون مني أن أجعلها عاميّة، ولا أجد رغبة حقيقية في ذلك؛ لأنه عمل مرهق، ويفقد العمل الدرامي الكثير من شاعريته وجمالياته.

أغلب أعمالي المسرحية تنتمي إلى المأساة (التراجيديا)؛ لأن واقعنا مأساوي بطبيعته، ومع ذلك كتبت أكثر من مسرحية كوميدية جارٍ إخراجها هذه الأيام.

„ النصّ الأدبي لا يُتوّج ولا يُزفّ إلى الجمهور دون ناقد موهوب "

والكاتب المسرحي يقاتل بفنه رداءة المجتمع، ويلفظ القبح، ويدعو خفية إلى النقاء والطهارة، وكل عمل درامي له خصائصه الفنية، ولابد أن يأتي فيه شيء من الغموض الذي يثير خيال المشاهد أو القارئ ويجب أن يبتعد عن المباشرة.

التجربة الحياتية مهمة، ولكنها ليست كل شيء، فالأديب والمبدع لا يعيش بها في رأسه فقط، بل بها في رأس وجمجمة العالم.

فالهمّ الإنساني همّ واحد في القرية الإنسانية، همّ الصمت أحيانًا، والعزلة وسوء الفهم، والمخاوف والاضطرابات والحروب وسفك الدماء، لم يعد الكاتب بمعزل عما يحدث في كل بقعة من العالم، ولم يعد عالم الحارة أو القرية هو سبب القلق الوحيد للكاتب. جمجمة الكاتب المبدع جمجمة إنسانية، والكاتب بطبيعته أخلاقي، ورؤيته لا تتجزأ أبدا، وهو يعيش تحت طائلة القلق المدمر والمستمر. وهذا الوضع كثيرًا ما يسبب حالات التمزق النفسي للمبدع إلا أن الأمر الذي يدعو للسخرية؛ أن هذا الوضع هو الذي يشغل المفاعل الخاص للمبدع. درجة انفعال عالية جدا، توهج، احتراق، إبداع عظيم، تدمير صحة المبدع في النهاية، معادلة قاسية، ولكنها قدر المبدعين الجادين!

النقد المسرحي

مساحة الناقد المسرحي تعتبر من أكبر المساحات المتاحة في الأعمال الإبداعية، ونحن الآن نعاني من حالة ركود في النقد. العملية الإبداعية هي كلٌّ لا يتجزأ، إبداع النص، وإبداع النقد، ولا تكتمل الدائرة المعرفية للنص إلا باكتمال النقد.

فالنقد موهبة إبداعية تتجلى في عملية اكتشاف المساحات الأخرى في النص، وغالبًا المساحات غير المكتوبة، ولكنها تلك المساحات التي تفجرها رموز النص ودلالاته. والعمل الأدبي يبقى في حالة محدودة، حالة طفلية ما لم يفجر طاقاته ناقد موهوب، عندئذ ينمو العمل ويتعاظم شأنه.

والنص الأدبي لا يتوج ولا يعلن فرحه الحقيقي ويزف إلى الجمهور دون ناقد موهوب، يكشف قضاياه وإمكاناته الخفية، ويعلن جمالياته الإبداعية. فمثلاً بالنسبة لأعمال شكسبير نجد كل يوم يظهر ناقد جديد يتناول أعمال شكسبير من زاوية جديدة، ويعلن إضافة استكشافية للنص، فنصوص شكسبير تولد العديد من النصوص النقدية، وهكذا اكتملت بل وتكتمل كل يوم دائرة معارف شكسبير. فمساحة الناقد إذن مساحة استكشاف مساحات خلاقة جديدة يتضمنها العمل الإبداعي ولكن بشكل غير معلن.

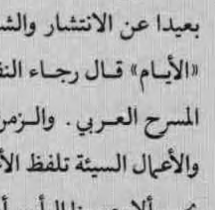
وفي رأيي أن النص الأدبي، أو العمل الإبداعي يكتبه اثنان: المؤلف ثم الناقد. ولكن ليس أي نص بالطبع، وأيضا ليس أي ناقد بالطبع. فالإبداع الرفيع إذا حظي بناقد موهوب ومثقف ثقافة رفيعة يكون العمل الإبداعي قد اكتملت له وسائل النجاح وحقق التأثير المطلوب.

فالنقد إذن هو عملية تبني النص وإعادة إبداع المساحة الأخرى غير المرئية عادة، وهو ما أطلق عليه مساحة النقد في العمل الإبداعي.

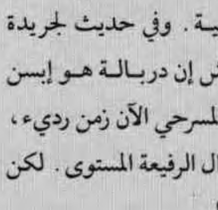
وكل عمل إبداعي إنما يحمل في بنيته مداخل نقده. والناقد الموهوب يداعب العمل الإبداعي، ويعيش مع شخصياته وصوره فترة طويلة إلى أن يحتويه العمل الإبداعي، هنا يضع يده على كل أسراره الخفية، فتح كل الأبواب، ودخل كل الحجرات، وتأمل ما فيها من أرواح وجماليات، انطلق في النهاية ليعلن كل الأسرار! إذن على الناقد أن يعطي نفسه للعمل، ولكن بوعي يدرك به في النهاية الإضافات الخفية التي يتضمنها النص الأدبي.

لا يمكن أن نطبق نظرية نقدية سائدة على كل النصوص، فهذا تعسف. عملية الإبداع في العالم العربي ستبقى غير مكتملة إلى أن تكتمل بالإبداع النقدي.

بالنسبة لي، شارك عدد كبير من النقاد في مناقشة أعمالي في ندوات عديدة عقدت بقصور الثقافة بالإسكندرية، وكذلك في برنامج «مع النقاد» بإذاعة البرنامج الثاني ومنهم رجاء النقاش، د. سعيد الورقي، سامي خشبة، جلال العشري، فتحي العشري، د. أحمد العشري، د. نبيل راغب، المخرج أحمد عبد الحليم، د. نهاد صليحة، ود. مصطفى عبد الغني. وغيرهم وقال د. نبيل راغب: إن أعمالك رفيعة المستوى وستبقى بعيدا عن الانتشار والشعبية. وفي حديث لجريدة «الأيام» قال رجاء النقاش إن دربالة هو إبسن المسرح العربي. والزمن المسرحي الآن زمن رديء، والأعمال السيئة تلفظ الأعمال الرفيعة المستوى. لكن يجب ألا يصيبنا اليأس أبدا.



رجاء النقاش



جلال العشري

والناقد يعاني الكثير، وتواجهه مصاعب جمة، أهمها النظرة التقليدية لعملية النقد، واعتبار النقد عملية تعليق أو وجهة نظر. وأنا بالطبع أتكلم هنا عن الناقد العربي الموهوب، فمهمته إبداعية بالدرجة الأولى، ومهمته خطيرة، وانحسار دور النقد يؤدي إلى عدم اكتمال العملية الإبداعية وعدم وصولها للقارئ وتحقيق أهدافها كما يجب، فلا عرس بلا فرح معلن.



التجريب المسرحي

من وجهة نظري : التجريب ليس نحتا في الصخر، وليس رغبة في مخالفة ما هو سائد، وليس هو الاهتمام بأداء الممثل وحده، دون توظيفه في عمل درامي، وأيضا ليس أداة الصمت، وليس البحث عن شكل جديد، القضية تختلف تمامًا بالنسبة لي، فهو ليس « هفوة » وليس عصفورة ذات شكل غريب تقف على نافذة منزلي، المسألة ليست هكذا أبدا. على الكاتب أن يسأل نفسه : لماذا التجريب ؟ ما القيمة الإبداعية المضافة التي يمكن أن أحققها ؟ في اعتقادي أن الكاتب الذي تنجح محاولة تجريبية له لابد أن يمتلك نظرة فلسفية عميقة ومتكاملة. من هنا فقط ينبع التجريب المسرحي. وهذا بالطبع لا يتحقق إلا بعد تأمل طويل وبصيرة نافذة تدرك عيبًا ما قائمًا في العملية المسرحية. والتجريب لابد أن يأتي ناضجًا شكلاً ومضمونًا، مع تطويع وتنمية قدرات الممثل. وأنا أحترم اجتهادات المخرجين العظام، وإضافتهم الخلاقة، ولقد واجهت مشكلة التجريب بعد أن تأملت شكل المسرح السائد الآن. لقد وجدت أن هناك عملية انفصال، علاقة غير متكافئة وغير متكاملة في توصيل الخطاب المسرحي، مشكلة الصمت بين الجمهور وما يفرض عليه من فوق خشبة المسرح السائد الآن؛ لا توجد به مساحة للمتفرج المشارك أو المبدع للفعل الدرامي. إنه من الدرجة الثانية، عليه أن يسمع ما يقال أو يثار أمامه دون حق اعتراض أو مناقشة أو إفراز طاقته الخلاقة أيضا. الوضع هنا ديكتاتوري تماما، طبقة أعلى، طبقة ارستقراطية على المسرح، وطبقة أدنى، طبقة شعبية. وهذا الوضع أضعف ناتج العملية المسرحية.

« ظاهرة غياب المسرح العربي منذ أزمان لها أسبابها المنطقية »

وكتبت مسرحية «إعدام مواطن من عامة الشعب» حيث عرض المخرج مشكلة البطل الذي يرغب في الانتحار اليوم على الجمهور، الكرة هنا أصبحت في ملعب الجمهور، وطلب منه أن يساعد هذا الرجل لقبول الحياة، غير أن الجمهور صمت، بل راح يشجع الرجل على تنفيذ وعده ، إلى أن جاء الشيخ وذكّر الشاب بأنه يرتكب معصية، أفاق الشاب وتراجع عن فكرة الانتحار، لكن ذلك أثار الجمهور، وهجم على خشبة المسرح ونفذ حكم الإعدام في هذا البطل النبيل.

لقد انقلب هنا المجهول، فالمجهول ليس هو الموقف المنتظر من الممثل، بل هو الموقف المنتظر من الجمهور ! مسألة انتحار البطل ليست مشكلة، ولكن نمو الروح المتوحشة لدى الجمهور، والتغيرات الضخمة التي حدثت لبنيته الأخلاقية هي التي كانت تهمني، فالجمهور هنا في مختبر مسرحي، تكشف طبيعته الجديدة وما جرى لها.

وفي مسرحية «ليلة عرس الأقوياء» أضرب الممثلون عن التمثيل وأصر المخرج على أن يكمل الليلة بملاعبة الجمهور وإثارته، وطلب أن يتقدم أي متفرج ويعرض مشكلته. براندللو توقف عند ذلك لكن الجمهور يتدخل ويقود الحدث الدرامي هنا، بل يشكل محكمة لمحاكمة مغترب ابتعد عن زوجته فترة طويلة، وهي تطلب الطلاق، ويطلب الجمهور من الرجل أن يكف عن السفر ويبقى بجوار زوجته فيرفض، ثم يعرض عليه أن يصحبها معه فيرفض؛ عندئذ يقومون بعملية تعذيبه وعقابه وجلده لإخراج شيطان الغربة المدمرة من روحه.

كل ذلك دون جدوى، فيؤيدون طلب السيدة في الطلاق، وهذا حقها، بسبب هجره وغواية جمع المال التي تملكته تماما على حساب زوجته وابنته.

مسألة تفجير طاقة الجمهور مسألة في غاية الأهمية بالنسبة لي، أما كيف يفرز الفعل الدرامي فإن مسألة إخضاع كل الموضوعات أو الأشكال الدرامية لنمط مسرحي واحد؛ مسألة فيها الكثير من التعسف، فالعمل الدرامي يولد كطفل له كيانه وخصوصياته، إنه المفاجأة، الآتي من المجهول الذي يثير البهجة، إنه هجين من الجمال والنفع، وعلينا أن نحترم طبيعته دون لي عنقه.

مسألة وجود مسرح عربي قديم أعتقد أنها قد أخذت أكثر مما تستحق، وأثارت حساسيات غريبة. وظاهرة غياب المسرح العربي منذ أزمان، مسألة لها أسبابها المنطقية، فكل بيئة تنتج ثقافتها وفق احتياجاتها ومعتقداتها، الحضارة الإسلامية حضارة ثقافية خصبة، وسادت الدنيا، واتصلت بحضارات أخرى، وخاصة الحضارات الإغريقية واليونانية والرومانية وترجمت الكثير عن هذه الحضارات، لكن عقل المترجم العربي كان واعيا ورفض ترجمة المسرحيات لما فيها من تعدد الآلهة المزعومة، وإسلامنا العظيم قائم على التوحيد، فكيف نروج ثقافة مضادة لمعتقدنا ؟ هذا التعارض، فضلا عن البنية الأسطورية، والتخاريف الواردة بالمسرح الإغريقي كانت كافية لرفض الترجمة أو ترويج هذا الشكل. لكن لو كان هناك مسرح إنساني أو اجتماعي لترجمه العرب دون حساسية، وكما يحدث الآن.

الكاتب في سطور

عبد اللطيف درباله.
- من مواليد ١٩٤٢م.
- بكالوريوس تجارة ١٩٦٥م.
- عضو اتحاد كتاب مصر وهيئة الفنون والآداب بالإسكندرية
- مدير قطاع بشركة الإسكندرية للبترول
- من مؤلفاته المسرحية :

ما وراء السقوط ١٩٦٨م، الخلاص ١٩٦٨م، الخروج ١٩٦٩م، الأجلاف ينصبون المشانق ١٩٨٥م، الحسين يقتل من جديد ١٩٨٦م، الوحش والقاهرة الجميلة ١٩٨٧م، ليلة عرس الأقوياء، وعشر مسرحيات قصيرة ١٩٩١م. وهناك عشر مسرحيات تحت الطبع.

من المكتبة السعودية





د. عاصم حمدان علي حمدان

- العنوان: حـارة الأغـوات.
- المؤلف: د. عاصم حمدان علي حمدان.
- النـاشر: دار القبلـة للثقافـة الإسـلاميـة، جدة، ١٤٣ ص.

قارئ كتاب « حارة الأغوات » للدكتور عاصم حمدان تنتابه مشاعر وأفكار ورؤى عديدة ومتفاوتة، بدءًا من «تقديم» الدكتــور غــازي عبيد مــدنـي، و «تمهيــد» صــاحــب الكتــاب، ومـــرورًا بسرده وسياقـه، وانتهـاءً عند الكثير مـن تصوراتـه وفكره وأحاسيسه الوجدانيـة والذهنية. لهذا يحسن بنا أن نطيل من تحليل مواقفنـا حيال هذه الكتـابات التي تستحق من القـارئ والنـاقـد المحلل كل جـديـة واهتمام، واستخـلاص واستخراج مـا تنطوي عليـه صفحاتها من معان ودلالات.

يبدو أن تلك الكتابات كـانت حلقات سابقة نشرتها « المدينة » في ملحقهـا الأدبي (الأربعاء) وقـد بلغت ثلاثًا وعشرين حلقة، كما خيّل إلينا من آخر مقطع أو مشهد في الكتاب.

ويعرض الـدكتور المدني، في تقديمه، تعـريفًا بالكتاب وشخصية المؤلف. وقـد وجد في عمله أنه قدّم «صورة تنقل مشاعر القارئ إلى روعة الماضي»، وأنـه لا يـؤرخ للمـديـنـة المنـورة أو حـارتها «حـارة الأغوات»، وإنما هو يقدم صـورة تعكس ذكريات تحدد إطارها ثلاثة عوامل: زمني، ومكاني وثقافي. «العامل الزمني تحدده الفترة التي بدأ الكاتب يفتح عينيه فيها على الحياة ... أما العامل المكاني، فإن إطاره منطقة واحـدة هي حارة الأغوات، بل بعض من الحارة ... العـامـل الثقـافي تحكمـه النشأة الدينيـة والخلقية التي نشأ عليها الكـاتب وأثرت في نظرتـه للحيـاة وللنـاس ...»، وتتضـافـر تلك العوامل لتكون صورة أدبية بل «لوحة فنية اجتماعية ترسم ذكرى حارة الأغوات».

بينما يقول صاحب الكتاب في تمهيده أن صوره الأدبية في فصول كتابه «ليسـت بالقصة أو الرواية، فللكتابة القصصية ملامحها الأساسية التي لا يتوافر بعضها في هـذا العمل، ولكنها تستعير مـن القصة والروايـة ملمحًا مهمًا هـو السرد، ومن هنـا جاءت محاولـــة البعض لتصنيفهـــا ضمن الأعمـــال القصصية». ولكنه يحدد مكان عمله، إذ «يقف في منتصف الطريق بين التاريخ والعمل الروائي».

على أننا نقـول إن هذا العمل كتابـات عن بيئة معـاصرة لـم تندرج مع أمـور التـاريخ؛ التـاريخ يُروى ويسمع عن أحـداث ماضية لـم تعاصر، في حين إن هـذه الكتـابـات المحليـة مـا زالت تصـور شخصيـات معاصرة وتعيش بيننـا، فضلاً عن أنها لا تهم إلا أصحابها.

ولهـذا فإن المشاعر الأوليـة التي تنتاب القارئ هي أنـه لــم يعثـر على إشـارة تشير إلى الالتفـات والعودة إلى التاريخ العـربي الإسلامي المنير والمشرق الذي أنـار الكون والدنيا والنفـوس وقلب موازين العباد وتفكيرهـم وتصورهم وحياتهم بفضـل رسول الحق والعـدل والهدى ﷺ، والمبشر بغـد الآخـرة في جنة عرضها عرض السماء والأرض، حيث ما زالت آثار الرسـول وصحابته عابقـة في المكان. والقارئ بشوق للتنسم بذلك العبق النبوي، عبر الأمكنة من المدينة المنورة. فهو يتـابع كتابات الحمدان ولا يجد ضـالته. يصل معـه إلى ص ٢٥ ولا يقرأ في نهايتهـا غير هذه العبارة: «والدور لا يتردد فيها غير آي من الذكر الحكيم أو مقاطع من سيرة المصطفى ﷺ». ويصل إلى ص ٢٨ ولا يقـرأ في منتصفها غير هـذه العبارة أيضًا: «يلقي علي من شعره الذي يمدح فيه الرسـول ﷺ ويتشوق بـه إلى ديار الهدى والإيمان». ويصل القـارئ إلى نهاية ص ٣٦، فيقول الكـاتب وهو بصـدد الكلام عـن «مخبز البري»، الـذي كان يقع على صـدر الـرحبـة التي كـانت تقع فيهـا دار النابغـة الصغرى، حيث مـدفن والد الـرسول «كما أثبت ذلك بعض أصحـاب السير، ولا أعلم إذا ما كانت تلك المنطقة جزءًا من دور بني النجار الذين كـانت فيهم خؤولـة والـد النبي ﷺ الذي تـوفي في المدينـة بعـد رحلتـه إلى الشـام وتـم دفنـه في ذلك الموقع».

وما إن يصل القارئ إلى بـداية المقطع السادس من ص ٤٦ حتى يقرأ: «لن يكـون هناك أجمل من اليوم الذي يطلع عليك فجره وأنت تنقل خطواتك في أزقة الحارة التي يرجع النـاس تاريخها إلى عصور الإسلام الأولى»، ولـم تثـر فيـه تلك العصور غير هذه الكلمات: «وكل مـا يمكنك أن تسمعه وسط تلك الأجـواء صـوت خـريـر الماء في (خـرزتها أو عينهـا)». ويصل القارئ إلى ص ٤٨ ويستدرجـه الكاتب إلى ذكر المؤذنين، والأصوات الحسنـة وسيرة بـلال الـذي اختاره الـرسـول « ليصرح بكلمـات الإيمان من هذا المسجـد الطاهر؛ لأنه أنـدى صوتًا من بقيـة الصحابة رضـوان الله عليهم أجمعين». ثم يصل القـارئ إلى ص ٥٢ ليقف مع الكـاتب عنـد مقبرة من جهة «باب العـوالي»، حيث «مرتفع كبير يقع في وسطه قبر أحد صحابة رسول الله ﷺ». من صـاحب هـذا القبر؟ وإذا لـم يتحتم معـرفـة صاحبه، فأين ما تثيره أمكنتهـم من مشاعر روحية ودينية؟

على أن تلك الظنـون بـالكـاتب سرعـان مـا تنقشع عن وجـدان قارئـه عقب تلك الصفحـة السابقـة، حين نقرأ في الصفحة المقـابلة لها كـلامًا ينقع غلـة الصادي للنفحـات العلـوية المتـألقة في دنيانا المثلى، وتاريخنا المنير المنعش؛ كقول أحدهم - إثـر الدخــول إلى البقيع وقد انفتحـت أبوابـه بعـد صلاة الفجر - « تلك يـا بني دورنـا وهذه قبورنـا! ألـم يكن أصحاب هذه القبور أشد حرصًا منا على الدنيا، ولكن أين هم اليوم؟ ». ونلامس أحاسيس الكـاتب حين يعقب قـائلاً: «تستقـر كلماتك في أعماق نفسي، وهي اليـوم على بعـد الـزمن تستـدر دمـوعـي، وهي دمـــوع النـــازح عن أرض الحبيب

من المكتبة السعودية

المتشوق إلى أفياء الرحمة والرضوان التي خصها الله بها». وتتوالى الوقفات الروحية الدينية، لتعكس نفسًا إسلاميًا، وتترجم مشاعر وجدانية سامية، بدءًا بنهاية الصفحتين ٧٠ و ٧١ حين نقرأ تعليقًا على حديث للرسول ﷺ، ثم وقفة أمام الهجرة الأولى إليه، فالهجرة الجديدة للجوار الذي «صنع في نفوسهم الحب، وبرأها من ظلمة الحقد وغائلة الكراهية»، حيث إن الهجرة «جعلتهم يعيشون آداب الإسلام عن إيمان، ويتمثلون قيمه فيما يأتون من سلوك، أو يقدمون عليه من عمل، وحب سيد الخلق ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ أوجد في نفوسهم رقة، إذا نظرت في وجوههم خلتهم أسودًا، وإذا دنوت منهم وذكرتهم فسوف تجيبك منهم أعين تفيض بالدمع وألسنة تلهج بالذكر، وقلوب لا تعرف الذل والانكسار إلا لبارئها».

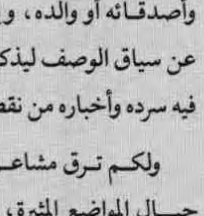
ويطالع القارئ مقطعًا بكامله في ص ٧٤ عن بلد الرسول، فيلاحق الكاتب المكان المقدس ويسهب في انطباعاته بمثل هذه العبارات: «وليس في المدينة موضع إلا ويشهد بوحدانية الله، وليس بين أحيائها موقع إلا وتنقلت فيه خطوات سيد الخلق عليه صلوات الله وسلامه، أو اجتمع فيه صحابته رضوان الله عليهم، أو زار فيه مريضًا أو شيّع فيه ميتًا...». كما يقرأ بعد ذلك في ص ٧٩: «وكيف لا يحنُّ المؤمن إلى تلك المواضع وقد حَنَّ الجذع الذي لا يعقل، ورقت القلوب التي كانت في جاهليتها لا تلين، وفاضت العيون التي لم تكن تعرف الدمع وانسكابه من قبل. فهي المواضع التي تعبّد فيها نبي الهدى حتى تورمت قدماه، ونزل جبريل بين سواريها بالوحي على قلبه الممتلىء شفقة ورحمة.. بأبي أنت وأمي يا سيد الرسل ويا إمام المتقين، ويا قائد الغر المحجلين» وكذلك في ص ١٠٠.

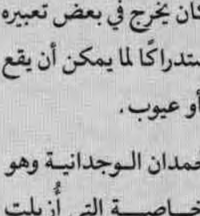
وهكذا ترتوي غلة الصادي إلى مثل تلك القبسات الربانية، والنفحات الإسلامية، فضلاً عما احتوته تلك الكتابات التي تجد طريقها إلى قلب وفكر ابن تلك الديار المحلية، من أسماء للأمكنة والشخصيات المعاصرة، ومن مختلف الطبقات الاجتماعية والثقافية والدينية. وإن كان بينها وبين الشخصيات التاريخية بون كبير.

فثمة شخصيات شعبية، بحِرَفها وسلوكها وممارساتها، في مساجدهم، ومخابزهم، ومحلاتهم، وأمكنة ألعابهم، ومواقف إنسانيتهم وتعاطفهم وخدمتهم للأهل والناس في الأحياء وأروقة المساجد. ولكم كانت للمؤلف ذكريات مع تلك الشخصيات وأمكنتهم، وبخاصة في «حارة العنبرية» مع أصدقائه ومعارفه، ومعارف والده.

ومن هنا فإن كتابة الدكتور الحمدان تكتسي بأسلوب القصة والرواية حينًا وهو يصور لوحاته أو مشاهده عن البيئة وشخصياتها، وأسلوب السيرة أحيانا أخرى وهو يروي شيئًا من الأخبار والحوادث التي عاصرها ومارسها أو نسبها إلى معارفه وأصدقائه أو والده، وإن كان يخرج في بعض تعبيره عن سياق الوصف ليذكر استدراكًا لما يمكن أن يقع فيه سرده وأخباره من نقص أو عيوب.

ولكم ترق مشاعر الحمدان الوجدانية وهو حيال المواضع المثيرة، وبخاصة التي أُزيلت وأصبحت نسيًا منسيًا؛ لأن ارتباطه بالأماكن جزءٌ من شخصيته الكتابية (انظر ص ١٢٣). ولا تخلو كتاباته من تجارب ورؤى حكيمة وهي مستمدة من واقع الحياة ومرئياته الشخصية (انظر ص ١٢٤).





عبد السلام هاشم حافظ

● العنوان: الأربعون (شعر).

● المؤلف: عبد السلام هاشم حافظ.

● الناشر: عبد المقصود محمد سعيد خوجة، جدة، ط ١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ١٦٨ص.

يحمل هذا الديوان عنوان إحدى قصائده التي بلغت إحدى وستين قصيدة، أغلبها في الغزل، والأخريات في موضوعات ومناسبات متعددة؛ في المديح والإخوانيات والرثاء والابتهال، وشؤون أُسريّة وغيرها، ونظمت كلها ما بين عامي ١٣٨٠ هـ و ١٤٠٣هـ في المدينة المنورة، ما عدا ثلاثًا منها كانت في القاهرة وروما وباريس. وإذا كان الشاعر قد أرّخ لقصائده كلها، فإنه عرّف في الكثير منها بعبارات نثرية تُضيء شيئًا من جوانب المناسبة أو تجربة الشاعر.

ولقد اتّبع الشاعر منهج القصيدة الخليلية في عمود الشعر، ولكنه نوّع في قوافيه في القصيدة الواحدة، لا في البيت الواحد وإنما في البيتين أو الأربعة، أو في شكل الموشحات أحيانًا. فتجيء قصائده حاملة أوزانًا وإيقاعات تجد طريقها إلى أذن القارئ بيسر وعذوبة، وإن كانت منوعات القافية وضرورتها ـ كما هو الحال في الشعر العربي عامة ـ تفرض ألفاظًا قد تخرج بالنص عن جوه ومضمونه وإيحائه أحيانًا كما سنشير إلى ذلك في موضعه.

وشاعرنا منذ مقدمته يعرّفنا بمغامرته الغزلية وتجربته الوجدانية مع المرأة، وكأنه يودّ أن يطرد عن مخيلة القارئ ما يمكن أن يتهمه به من إغراق في الحسية، فيقول: «لهذا لم يكن التشبيب بالجمال الحسي والتغني به إلا رمزًا لما هو أبعد وأعمق». على أنه يستطرد ليؤكد أن «ذلك الرمز إنما هو توهم لخيال بعيد المنال»، ويوضح أسباب ذلك ويعزوه إلى أنه لم تكن ثمة ملهمة واحدة «يظل الغزل في محرابها فنونًا تتنوع، أو أوصافًا لا حدود لها». ولكن ذلك التبرير لا يعفيه مما وقع فيه من مفارقات سنشير إليها أيضًا.

ويبدو لنا الشاعر مغتبطًا بتجارب الحس والجمال والحسن، يلهج بها شِعرًا، يحاول فيه أن يحتوي كل مشاعر الغبطة التي تنبض في وجدانه، ولكن هناك ما يقف في وجه استمرارها وتلك طبيعة الحياة. لذلك حاول أيضا أن يعرّج بنا على بعض دروبها وسريانها في دمه. ولكي تكتمل لنا صورة الشاعر من خلال هذا الديوان، علينا أن

نقف عند بعض قصائده، وليكن اختيارنا متنوعًا؛ وحسب فاعليتها فينا. فمثلاً نجد أن محنة الشاعر وعذابه وشقاءه مع (مرض القلب ـ القلاب) ذكرها في قصيدتين: الأولى (الأربعون) التي يروي فيها قصة حياته ومسيرة دربه ومعاناته وهمومه، لا سيما مع ذلك المرض الذي يحاول أن يتغلب عليه:

أوّاه للقلب عانى بالقُلاب صِبًا
وجاءه الألم المجنون يخترمُ
أصاب صمامه ضيقٌ يغلّفه
ويرهب الجسم .. يا للنفس تنهدم
لكن فيها إرادات الحياة صحت
والروح قدرتها والعزم والذمم (ص ١٤)

وفي القصيدة الثانية «ليس لي إلاك أدعو»، التي يتوسل فيها إلى ربه عسى أن يحقق آماله في الشفاء:

يا إلهي ! عبدك المأسور يدعو أن تحقق لي مناي
عمري المحروم .. أسقام وآلام .. فيا لي من أساي !
إنني أفني حياتي في نضال عارم يُضني قواي
بين هم واصطخاب .. بل مآسي القلب تُسقيني شقاي
(ص ١١٩).

يقول الشاعر في قصيدته «صانعة الجمال» عن فتاة مُقعدة تلتصق بكرسيّها، أنها «عريضة الآمال لا تنسى أن تزّين نفسها، وهي تحترف لمسات الجمال على الأخريات»، وهي تجربة إنسانية سامية، ولكنها لم تثر فيه صورة جمالها الحسي، وكأنه يريد أن يجعلها تعلو على الأخريات، بفتنتها وتنسى مصابها الذي قال عنه:

ولكنهم جهلوا ما بذاتك
وهول الحطام يرين ببابك
ونصفك يبكي هوان شبابك
ويزحف في ليله بمصابك (ص ١٢٧)

ولكن المرء إذا أراد أن يعلو على همومه أو مآسيه أو شؤون عجزه ونقصه، فعليه أن يلجأ إلى التصعيد والسمو والتألق في عالم الفكر والوجدان والتفوق فيه، لا أن يسلك مسلكًا ماديًا زائلاً لا يترك إلا الآثار الآنية الغاربة. وبقدر ما صنعه الشاعر ليرفع من شخصية بطلته أساء لها ولسائر جنسها في مجال الفكر والثقافة والتفوق.

وفي قصته الشعرية «عجلى دائمًا» تجعله المرأة يغرق بالمحسوس الممتع، وإن لجأ فيها إلى الحكمة المستمدة من واقع الحب والغزل، إذ يذكر خمسة أبيات في نهايتها يبدؤها بقوله:

صبرًا ولا تعجلي .. بالله لا تعبري
الحسن أكرم أن يجفو بلا هجر (ص ١٣٠).

وكذلك في قصيدته أو قصته الشعرية اللاحقة «السيارة الزرقاء»، وإن حاول أن ينوّه في مقدمتها أنه ليس بطلها، وإنما «كان الصديق مديراً لإدارة، وقد روى هو الحادثة». ولكنه لم يمنح قارئه صورة جميلة عن أخلاق المرأة وثقافتها وشخصيتها، ظلت في نظره، أو نظر صديقه، حواءً ساحرة فاتنة، بل جعلها:

أخت الشياطين كم عاثت بعالمنا
بالآه والدمع والشكوى لظمآن (ص ١٣٣).

تسعى إلى غواية الرجال والشباب. وفي قصيدة «ليت العلم تطلبين» يحاول الشاعر أن يعيد للمرأة شيئًا من شخصيتها الحقة، وينأى بها عن عالم الإغواء والإغراء والفتنة، لتستقر في عالم العلم والمعرفة، ولكننا نجد ازدواجية في المشاعر والإحساس والرؤية.

ولكي لا نظلم الشاعر، فإنه في قصيدته «تحية إلى المتعلمات» يُفلح في محاولته تجسيد الروح الإسلامية والدعوة الإصلاحية من أجل أن تكون المرأة مسلمة مخلصة بنّاءة.

وكذلك في قصيدته «ملائكية» وهو يحاور صديقه ويخالفه الرأي، يسعى إلى الإفصاح عن موقفه من الحب والغزل والجمال، وذلك بأن تكون العلاقة بين الجنسين قائمة على الترفع عن الشهوات الحسية، ولكن الازدواجية والمفارقات في الإحساس تقوده في قصائد أخرى إلى غير هذا الموقف؛ لأن المرأة تظل عنده جمالاً وحسنًا حسّيين.

ومن هنا فإن مفرداته اللفظية التي يستحبّها، وتتوارد دراكًا على خاطره وحسّه لفظتا: «الحسن، والجمال»، بمدلوليهما الغزلي والحسي والوجداني؛ لأن كل شيء في أجزاء المرأة وتقاطيعها وشؤونها يستهويه، ويراه جميلاً حسنًا. ولو قرأنا ـ على سبيل المثال ـ قصيدته «خطوة خطوة» لطالعتنا هاتان اللفظتان تباعًا بشكل سافر.

وشاعر مغرق في معاني ومفردات الحب والغزل والحسن والجمال، لابد أن تتجلّى في روحه سبحات خيالية ورومانسية، عبّر عنها من خلال الصورة الأدبية، والتشخيص الفني، ومحاورة الشجرة حينًا والقمر حينًا آخر، كما في قصيدتيه: «الأشجار الحزانى» و«القمر الكهل».

وإن تنّوع القوافي في القصيدة الواحدة يجعله أحيانًا يخرج عن مضمون النص وجوّه الفكري والعاطفي كما ذكرنا، ففي قصيدته «جمالك لولا»، نجد لفظة «العاصفات» لا تنسجم مع براءة وطهارة جميلته حيث يقول:

جمالك إشراقة الأبرياء
وحلم الطفولة والأمسيات
هو الشعر في صورة من ضياء
من الطهر والورد والعاصفات (ص ٧٦).

وكذلك في قصيدته «طلعة الفردوس»، إذ نجد أيضا لفظة «فكرة» أوردها لتنسجم مع إيقاع الوزن والقافية، ولكنه أخرجها عن جو النص، فقد بدا في مفارقة واضحة مع موقفه الحسي؛ فكان لـ «فكرة» أن تسكن في عش القصيدة السابقة الطاهر، لا هنا حيث:

حلو أنغامي تنادي بالسقاه
ترتجي من حسنك النشوان نظرة
يا ابتهاج القلب يا ري الشفاه
أنت كأس أنت لحن أنت فكرة (ص ٩٤)

وإذا كانت تلك الازدواجية، التي نعتنا بها الشاعر، تعترض وحدة مشاعر القارئ وفكره، فإن الشاعر ينفي عن نفسه تلك الازدواجية على نحو ما، حين يبوح في مقدمته بأن هذا الشعر الغزلي لم يكن غير «نفثات مصدور وبوح أحاسيس في مختلف معانيها ... وتدفق الشعر كأمواج بحيرة،

من المكتبـة السعوديـة

تتجـدد فيهــا الانفعــالات والترانيم مـع خطـرات الرياح وهبات النسيم» .



● العنوان : أحـلام قصيرة

● المؤلفة : رقية حمود الشبيب .

● الناشر: الشركة السعودية للأبحاث والنشر، كتاب الشرق الأوسط ، ١٧٠ ص .

« الكتـابة سكن » عنـوان مقـدمـة المؤلفة رقيـة الشبيب لكتـابها « أحـلام قصيرة » ، تجيب القـارئ فيهـا عن أسئلـة حـول الكتـابـة وهـدفهـا ومخاض ولادتها . وإذا افترضنـا أن مقـدمــة أي كتـاب هي مُقبّلات لفتح شهية المتـذوق ، فإن مقدمة الشبيب صدّت نفسه على نحو ما ، حين تعاملت معه بشيء من الانتصارات والتفاخـر ، وعـدم المبالاة به . فهي لا تكتب من أجله ، «فأنا أكتب لأجل نفسي ، وهذا ما أحـرص وأصر على تأكيده» ويبدو أنـه لا يهمها القارئ حتى ولو صفعته برفع المفعول به ، رغم أنها قرأتْ ما كتبته «للمـرة المائة» فلـم تفطن لمثل هذه الجملة : «أكتبُ سؤال مثير ومحيّر» .

ولكن لنتجـاوز تلك المقــدمـة ، ونطـوف مع أحلامها القصيرة التي بلغت خمسة وسبعين حلمًا أو خاطرة . لـذلك فالكتاب أحـلام أو خواطر قصيرة في ساحة الخيال أو حيّز صفحة الكتاب .

ولقد حـاولت المؤلفة أن ترسم لنـا صورًا ونماذج بشريـة من النسـاء والـرجـال من خـلال الخواطـر والأحلام التي تهجس وتتداعى في النفس : نفسها ، ونفس نماذجها أو شخصياتها ، ولا يفهم من عبارة «شخصياتها» أننا حيال أدب قصصي ، تتـوافر فيه عناصر الفـن القصصي ، وإن توافـر فيه جـزء منه ، كالاستبطان الداخلي للشخصيات حينًا والحوار بين المؤلفة والأخريات في أغلب الأحيان ، ولكن طريقة المؤلفة واحـدة في استكناه الأعماق وتجسيد مـا يدور فيهــا ، لتبرز لنــا شخصيتين اثنتين : شخصيــة الـرجل ، وشخصيـة المرأة أو ــ كما عبرت في القسم الأخير من الأحـلام ـ حـواء ، وآدم . إذ قدمت ستـة نماذج لحواء ، وثمانية عشر نمـوذجًا لآدم ، كل ذلك من خـلال الأحــلام أو الـرسم التقــريـري لملامح الشخصيـة الـخُلقية والسلـوكيـة ، فتتشـابه تـانك الشخصيتان فيما توحيه المؤلفــة في نفس قارئها على الأقل ، ولا نلـومهـا إن أظهـرتْ حواء مسحـوقـة ، ضعيفة حتى في أحلامها الصغيرة أمام (الرجل) آدم القوي بشخصيته وجبروته وأنانيته ، وحتى في ضعفه أحيانًا حيال حواء المسكينة الضائعة . فتظل الصورة لكليهمــا واحدة وإن حـاولت أن تنوّع وتعـدد من مـلامحهما ، وتفـاوت اهتمامـاتهما وسلـوكهما . فجلّ أحــلام حــواء أن تسكن في كنـف رجل ، وآدم تنحصر أحلامـه وأشواقـه في ذاتـه . فهي غيور وهو أناني ، هي مسكونـة بالمثـل والإنسانية ، وهو مشبع بالتسلط والمادية .

وإذا كــان الـــرجل حلم المرأة الأول والأخير، وكان محبـوبًا في حلمها وسعيها لنيلــه رغم علاّتـه ونواقصه وتوافهه ، فإنه مكروهٌ مرة واحدة في «أحلام قصيرة» ، ولكن وجه الكره أو الاستهجان صدر من المؤلفـة نفسها حيال «عمر بن أبي ربيعة» ، ربما لأنها تود أن تبرز شخصيتهـا الأنثويـة المتميزة مـن بنات جنسها الضعيفات المتهالكــات على صدر الرجل ولـو في الحلم والخيــال . على أن ذلك الاستهجـان يتكرر كثيرًا من خلال رؤيـة ، أو موقف المؤلفـة من بعض شخصياتها المسكينات الثرثارات الشقيـات ؛ حتى وهي تبيّن ما يحبه الـرجل في المرأة فيجيء نقدًا لشخصيته ، وتجسيدًا لعيوبه . ولو اخترنـا أي حلم من تلك الأحــلام القصيرة لتبــدّي لنــا مــا نحن بصدده ، وليكـن «الرجـل لا يحب المرأة الثـرثارة» .

ولنقرأ منه بعض العبـارات : «الرجل عادة لا يحب المرأة التي تثـرثر كثيرًا والتي تـؤشر بيديها بعصبيـة ، لكنه قد يكون مستمعًا منصتًا لصوت هامس حتى لو طال هذا الهمس ، وقد يعجبه صمتها أيضًا» .

كيف يكره هذا الرجـل الثرثرة في غيره ، ويحبها في نفسه ؟ ! ونقـرأ أيضًا في «أيامهـا الحلوة» : «إنها المرأة دائمًا وأبدًا تستعـذب الحلـم الآتي لها من مخابئ الـرجل ، تتخيل دائمًا أن أحــلامهـا منسوجـة من إيماءات وإيحاءات منــه ، تفسرهــا هـي حسب احتياجاتها ورغباتها . . أمـا الرجل فلعل ما يمارسه أولاً مغامـرة . . وأحلامـه عادة لا تتعدى مغامـرة عابرة» . ونقرأ عن «رجل بلا حلم» أنه «لا وسط في أموره ، لا يتحـدث إلا عن الأرقام ، ثم مـاذا ؟ لـم يحلم قط بلحظة أنس ، ولـم تأخذه لحظة نشوة ، ولـم يتبـادر إلى ذهنه ذات ليلـة ، خفقـة قلب . . كيف يكون شكل رجل بلا حلم ؟ » . ونقرأ في «إني أعترف» عن حلمها القصير غاية الغايات ، الذي لا يختلف عن حلم النساء جميعًا . «أجـل إني أعترف بأن أحلامي الخاصة جدًا قصيرة ، لا تمتد لأبعد من لحظات قصيرة ، وهي لا تختلف عن أحلام النساء لكنها قصيرة جدًا ، لا أريـد من أحلامي أن تمتد بي لأبعد مما أريد أن أصل إليه ، ثم لتنتهي بسرعـة . . لا يهم ! » .

وفي المقابل يظل الرجـال في نظـرها بلا أحلام ، فنقـرأ في «رجـال بـلا أحـلام» عن «الـرجل الجشع الأجوف الفـارغ الفؤاد ، لا تتحـول أحلامـه إلا إلى كـوابيس لا تقض مضجعــه ؛ لأنـه يفتقـد الحس الإنساني . إنما إغراقـه في الأنانية يدفعه لأن يحلم بما يحقق من تجسيم هذه الأنا في داخلـه» .

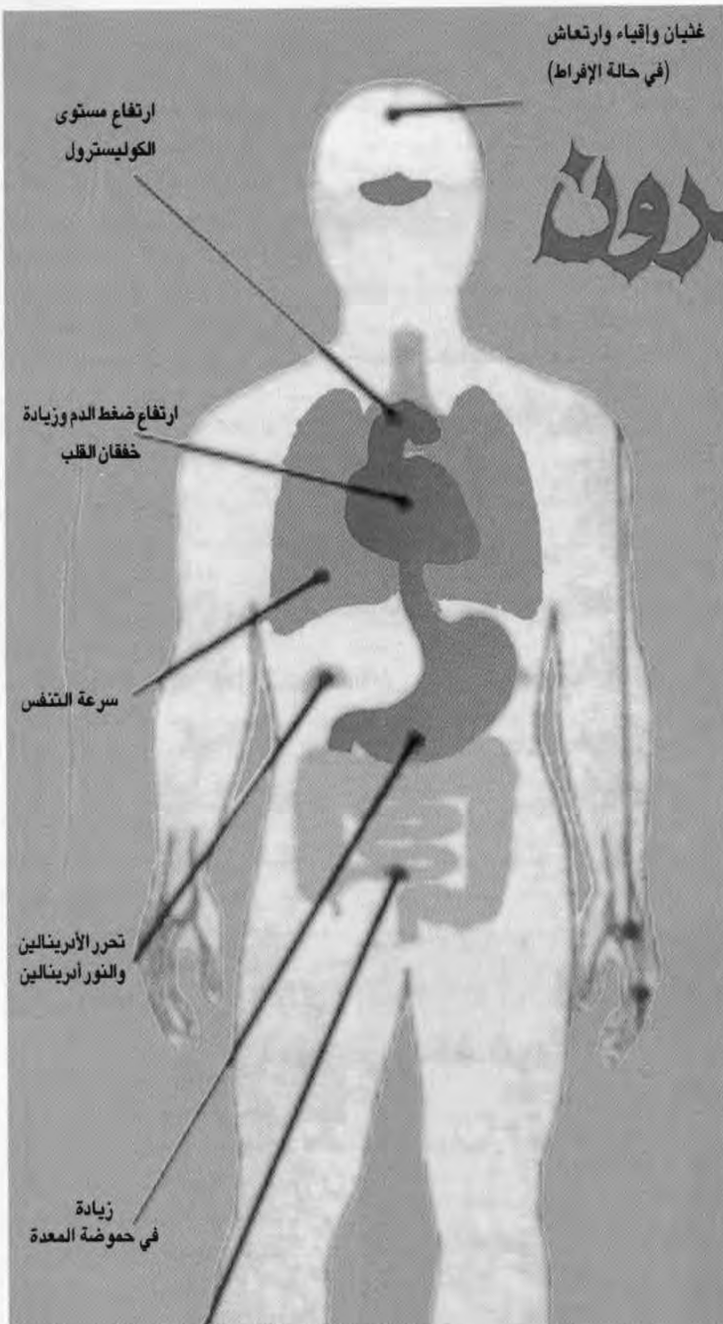
وهكذا ظلت صـورة الرجل ـ في نظـر المؤلفة ـ غير مرغوب فيها ، حتى لو كان « وطنيًّا » ومتفانيًا في خـدمــة وطنـه : «قليل من النســاء تقبل رجل الـوطن ، وقليل من النسـاء يعجبها رجل الـوطن . أيامه كلها حصاد لأجل وطنه ، ولياليها كلها حصاد لأجل الوطن أيضًا ، فكيـف إذن يكون شكل الأيام معـه ؟ » (ص ١٦٠) .

كيف انحـدرت النساء إلى هـذا الحضيض من التفكير ؟ وهل تتحدث المؤلفــة من موقع التجـربة والمشاهدة ؟ أم أنها أضغـاث أحـلام ؟ !



التدخين وأمراضه العشرون

د. محمد مصطفى السمري



تأثير النيكوتين على أجهزة الجسم المختلفة

ليس ثمة شك أن التدخين - بكل أنواعه - رذيلة خلقية وخسارة اقتصادية، وعلة طبية، بل وكارثة إنسانية. ومع التقدم العلمي الهائل في وسط البحث العلمي والاستقصاء والإحصاء وُجِدَ أن التدخين هو أكبر سبب مفرد في العالم يؤدي إلى المرض والموت. وتشير البحوث إلى أن حالات الوفاة نتيجة لأمراض التدخين تحتل المركز الأول قبل تلك الناجمة عن أسباب أخرى مثل الحروب أو الكوارث أو مرض الأيدز أو حوادث السيارات. وكيف لا؟ وضحايا الأيدز منذ اكتشف عام ١٩٨١م وحتى عام ١٩٩١م حوالي ثلاثمائة ألف شخص، بينما ضحايا التدخين يبلغون ٢,٥ مليون سنويًا، وخلال السنوات العشر الماضية فإن الذين لقوا حتفهم بسبب التدخين يبلغون ٢٥ مليونا، أي أكثر من مائتي ضعف ضحايا الأيدز. بل إن القنبلة الذرية التي ألقيت على هيروشيما في اليابان قتلت ٢٦٠ ألف شخص، بينما تفتك السجائر سنويًا عشرة أضعاف هذا الرقم.

ومن الحقائق التي تؤكد أضرار التدخين أن هناك خمسين ألف بحث علمي عن أضرار التدخين نشرت بالمجلات العلمية والطبية، بينما لا يوجد بحث واحد يشير إلى أي فائدة للتدخين، ولم تتمكن شركات السجائر بإمكاناتها المادية الضخمة من إثبات أي نفع للتدخين.

ولقد ثبت علميًا التأثير الضار للتدخين على الصحة، ومن الطريف أن أطباء كلية الطب الملكية في لندن أعلنوا أن السيجارة الواحدة بما تحتويه من نيكوتين وقطران تقصر من عمر الإنسان ١٤ دقيقة و ٢٤ ثانية، وأن عملية حسابية بسيطة تؤكد أن الإنسان الذي يدخن ٢٠ سيجارة يوميا مثلا، ينقص من عمره بعد تدخينها ست ساعات.

وذكرت دراسة أجراها معهد السرطان الملكي البريطاني بالاشتراك مع منظمة الصحة العالمية وجمعية السرطان الأمريكية أن مليوني شخص يموتون سنويا في الدول المتقدمة وحدها بسبب الأمراض الناتجة عن التدخين، وأن عدد ضحايا أمراض التدخين في التسعينيات سيبلغ ٢١ مليون شخص، وأن أعداد المراهقين من المدخنين في تزايد مستمر وأن مخاطر وفاتهم عند بلوغهم منتصف العمر عالية جدًا، وأن هناك ارتفاعا حادا في نسبة المدخنات خاصة في أمريكا وبريطانيا، وأن ما لايقل عن نصف مليون سيدة سيمتن بسبب التدخين، وأوضح واضعو الدراسة أن كل شخص يدرك خطورة التدخين، لكن الكثيرين لا يعرفون إلى أي مدى يمكن أن تكون عاقبة الاستمرار في التدخين.

المواد الضارة في سيجارتك

يحتوي دخان السجائر على حوالي ألف مركب كيميائي، يمكن تقسيمها إلى المواد الآتية:

١. **مواد مهيجة للشعب الهوائية**: مثل غاز الأمونيا، والفينول، وأحماض طيارة. والتهيج المتكرر للشعب الهوائية يؤدي إلى الإصابة بالنزلات الشُعبية المزمنة، ومرض انتفاخ الرئة (الأمفزيما).

٢. **غازات مثل غاز أول أكسيد الكربون**: وهو غاز سام، تتراوح كميته بين ٢ و ٢٠ ملليجراما في السيجارة الواحدة. ويتميز بقابليته العالية للاتحاد مع



هيموجلبين الدم، وهي تفوق قابلية الأكسجين للاتحاد مع الهيموجلبين، بنحو ٢٠٠ مرة، وهو عامل مساعد على إصابة المدخن بجلطة الشريان التاجي بالقلب والإصابة بالذبحة الصدرية، إذ يؤدي إلى نقص الأكسجين وإلى زيادة كمية الكوليسترول المترسب على جدران شرايين القلب.

٠٣النيكوتين: اشتقت كلمة (نيكوتين) من اسم السفير الفرنسي في إسبانيا (جان نيكوت)، فهو الذي أرسل التبغ لأول مرة إلى أحد أصدقائه في فرنسا وذلك في أوائل القرن ١٦م. والنيكوتين هو المادة التي تعطي النكهة للمدخن وتؤدي إلى الإدمان. والنيكوتين ينبه العصب السمبثاوي ويؤدي إلى زيادة(الأدرينالين) الذي يزيد من النبض ومجهود القلب. وقد يهيج عضلة القلب مما يؤدي إلى توقف القلب وبالتالي حدوث الموت المفاجىء. ويؤدي النيكوتين إلى ترسب الصفائح الدموية ويزيد من تركيز الأحماض الدهنية في الدم، وهذا يزيد من فرصة حدوث جلطة الشرايين التاجية، كما يؤثر النيكوتين على شرايين المخ وقد يؤدي إلى الشلل. وثبت أن النيكوتين يشل حركة الأهداب التي تحملها الخلايا المبطنة للشعب الهوائية مما قد يؤدي في النهاية إلى سرطان الرئة.

٠٤القطران ومسببات السرطان: يحتوي القطران على مواد عضوية تسبب السرطان من أهمها مادة (البنزبيرين). أما المواد المسببة للسرطان فهي مواد عديدة تعرف بالهيدروكربونات وهي متعددة الحلقات. وفي السيجارة ١٦ مادة ثبت أنها تقف وراء الإصابة بالسرطان مثل: البنزبيرين، هيد رازين، فلورانثين، نافثالين، أرسنك، داي ميثيل نيتروزامين، بالإضافة إلى مادة (النفثيليمين) التي تسبب سرطان المثانة بين المدخنين، ومادة (البولنيوم ٢١٠) التي تسبب بما تحويه من إشعاع في تشويه الأجنة وإصابتهم بسرطان الدم (اللوكيميا). وهناك مواد أخرى تنشط المواد المسببة للسرطان وتزيد من مفعولها الضار مثل: حامض الكربوليك وحامض الهيدروسيانيك وأملاح عديدة لأحماض عضوية.

التدخين السلبي

وثمة ظاهرة خطيرة، قد لا يفطن لها الكثير من الناس، وهي ما نطلق عليها «التدخين السلبي» حيث لا يقتصر ضرر التدخين على المدخن فقط بل يتعداه إلى غير المدخن الذي يوجد في مكان به مدخن.

وفي دراسة أمريكية حول تفسير هذه الظاهرة ذكر أن جهاز المناعة في المدخن قد اعتاد العمل طويلاً مع التدخين وفي حالة تحفز دائم لمواجهة الدخان، بينما جهاز المناعة في غير المدخن أقل تحفزا، ومن هنا يتزايد الاستعداد عند البعض للإصابة بأمراض المدخنين.

ولقد أظهرت الدراسات العلمية أن الدخان المنتشر بالحجرة يشتمل على جميع السموم الموجودة في السجائر، بل إن نسبة النيكوتين وأول أكسيد الكربون ومادة البنزبيرين المسرطنة في الدخان الذي ينبعث من السيجارة وينتشر بالحجرة تزيد على نسبتها في الدخان الذي يستنشقه المدخن مباشرة. وبذلك يتضح حجم الضرر الذي يتعرض له غير المدخنين بالحجرة، لذا يجب على غير المدخنين أن لا يسمحوا للمدخنين بالاعتداء على حريتهم وتدمير صحتهم.

ولقد أفاد تقرير علمي بريطاني أن التدخين السلبي يقتل حوالي ١٤٠ ألف شخص في أوروبا سنويًا بسبب أمراض القلب والسرطان، وذكر التقرير الذي نشرته رابطة حقوق غير المدخنين أن التلوث الناجم عن التدخين أهم عامل تلوث بيئي يعاني منه غير المدخنين وأكبر عامل معروف للإصابة بمرض السرطان في التاريخ، فمن أصل ١٣٩٥٠٠ حالة وفاة في أوروبا وحدها هناك ١٥٢٠٠ وفاة بسبب التدخين السلبي في ألمانيا سنويا، و١١١٠٠ في إيطاليا، و١٠٩٠٠ في فرنسا، و ١٠٧٠٠ في بريطانيا.

وكثيرة هي الأمراض التي تصيب الإنسان بسبب التدخين. وإليكم أهم هذه الأمراض:

أمراض الجهاز التنفسي

سرطان الرئة :

كان العالم الألماني مولر أول من لفت الأنظار عام ١٩٣٩م إلى وجود علاقة وثيقة بين سرطان الرئة وانتشار عادة التدخين، وأثبتت الأبحاث العلمية بعد ذلك أن السبب الرئيسي في زيادة هذا النوع من السرطان هو التدخين، وأن ٩٥٪ من مرضى سرطان الرئة يدخنون، بل إن ٣٠٪ من وفيات مرض السرطان بأنواعه كافة يسببها التدخين.

يؤدي الدخان - بما - يحتويه من مواد مسببة للسرطان وخاصة مادة (البنزبيرين) - إلى حدوث تغيرات باثولوجية (مرضية) بالخلايا القاعدية المبطنة للغشاء المخاطي للشعب الهوائية بالرئة وتحولها إلى نوع آخر من الخلايا مختلف عن النوع الأصلي المكونة منه هذه الخلايا. يساعد على ذلك ضمور أهداب الشعب الهوائية بتأثير النيكوتين، وبالتالي تفقد وظيفتها في طرد المواد الغريبة خارج الجهاز التنفسي. وهذه الخلايا الجديدة تتكاثر بصورة عشوائية وتقوم بغزو سطح الغشاء المخاطي وتكسبه شكلاً مغايرا جديدا، وتظهر النوايا السرطانية المبدئية لهذه الخلايا. ويمكن أن يتوقف الأمر عند هذا الحد دون نمو سرطاني آخر شريطة أن يتوقف المصاب عن التدخين فوراً. ولكن مع استمرار التدخين تغزو هذه الخلايا طبقات الشعب الهوائية بعد غزوها لسطحها مسببة بذلك حدوث سرطان الرئة.

وسرطان الرئة أكثر أنواع السرطان انتشارا بين الرجال، ولا يسبقه عند السيدات غير سرطان الثدي. ولقد أوضح تقرير لوزارة الصحة الأمريكية عام ١٩٨٧م أن عدد الوفيات بين السيدات نتيجة لسرطان الرئة أصبح يقارب عدد الوفيات نتيجة لسرطان الثدي الذي كان أكثر أنواع السرطانات في أمريكا، ويرجع ذلك إلى إقبال الأمريكيات المتزايد على التدخين.

وقد دلت الإحصائيات على أن معدل الإصابة بسرطان الرئة يزيد زيادة مضطردة مع عدد السجائر التي يدخنها الفرد في اليوم. فمثلا يزداد احتمال حدوث سرطان الرئة ٢٠مرة في المدخن الذي يستهلك ٢٠سيجارة، و٣٠ مرة فيمن يدخن ٣٠ سيجارة يوميا، عند المقارنة بغير المدخن. كما أن نسبة الإصابة بسرطان الرئة لها علاقة بنوع الدخان المستعمل، فهي



نسبة الإصابة بسرطان الرئة تزيد إلى الضعف في الذين يدخنون السيجار

تزيد إلى الضعف في الذين يدخنون (السيجار)، وتزيد إلى ثلاثة أضعاف في الذين يدخنون (البايب)، وتزيد إلى ستة عشر ضعفًا في الذين يدخنون (السجائر) عنها في الذين لايدخنون.

النزلات الشعبية المزمنة: يُعرف هذا المرض بأنه سعال متكرر ومزمن مصحوب ببصاق مخاطي غزير، يستمر ثلاثة شهور على الأقل كل عام، وذلك لمدة عامين متتاليين على الأقل.

ويعد التدخين والتهاب الشعب الهوائية وتلوث الجو أهم أسباب المرض. ولقد وجد أن التدخين هو السبب الأول والرئيس في الإصابة بهذا المرض. ولا عجب، فالتدخين يعمل على زيادة إفرازات الشعب الهوائية (البصاق)، وفي الوقت نفسه يقلل من حركة الأهداب المسؤولة عن طرد هذه الإفرازات، مما يؤدي إلى تراكم هذه الإفرازات داخل الشعب الهوائية حيث تعمل على ضيق هذه الشعب أو انسدادها. ويعاني المريض نتيجة لذلك من صعوبة في التنفس وتزييق بالصدر. وهكذا فإنها حلقة مفرغة من التدخين ثم الالتهاب ثم ضيق الشعب وانسدادها.

وترجع خطورة النزلات الشعبية المزمنة إلى عدم قدرة الرئة على القيام بوظيفتها في تبادل الغازات حتى يصل خلال عدة سنوات إلى الفشل التنفسي أو هبوط القلب.

الإمفيزيما الرئوية:

الانتفاخ الهوائي للرئتين أو (الإمفيزيما) EMPHYSEMA مرض خطير يعاني فيه المريض من ضيق مستمر في التنفس على هيئة (نهجان) عند بذل أي مجهود. وهو عبارة عن انتفاخ الجزء التنفسي من الشعب والحويصلات الهوائية المسؤولة عن عملية تبادل الغازات، مضافا إلى ذلك تحطم الحواجز التي تفصل بين الحويصلات الهوائية، بمعنى أن الجزء من الحويصلات المكون من عشر حويصلات ينتهي بثلاث أو أكثر أو أقل.

وإذا كان التدخين هو السبب الرئيسي في الإصابة بالنزلة الشعبية المزمنة، فإن النزلة الشعبية المزمنة هي السبب الرئيس في الإصابة بمرض الإمفيزيما. فعندما يصاب الشخص بالنزلة الشعبية المزمنة، فإنها تؤدي إلى ضيق مزمن بالشعب الهوائية، وهذا يؤدي إلى دخول الهواء إلى الرئة أثناء الشهيق وانحباس جزء منه في الحويصلات الهوائية أثناء الزفير، حيث يصعب خروج كل الهواء نظرا لتقلص الشعب الهوائية وضيقها. ومع كل تنفس تزداد كمية الهواء المحبوس بالحويصلات الهوائية، مما يؤدي إلى انتفاخ الرئة.

ليس هذا فحسب، بل ثبت علميا أن التدخين يثبط من عمل إنزيم مهم في أنسجة الرئة يسمى (الألفا أنتي تربيسين) المسؤول عن حماية أنسجة الرئة من التآكل بفعل بعض إنزيمات الدم والتي تزيد كميتها مع التدخين، فينتج عن ذلك تهتك جدران الحويصلات الهوائية.

ونتيجةً لانتفاخ الحويصلات الهوائية وتهتك جدرانها تعجز الرئة عن القيام بوظيفتها على الوجه الأكمل، ولا يستطيع المريض التنفس، فيصاب بضيق شديد في التنفس عند بذل أي مجهود، ليس هذا فحسب؛ فقد تنفجر إحدى هذه الحويصلات فتؤدي إلى وجود هواء بالغشاء البللوري أو ما يسمى بمرض "الاسترواح البللوري". وقد يتضاعف الأمر في كثير من الحالات فتؤدي الإمفيزيما إلى "الفشل التنفسي" أو "فشل القلب الاحتقاني" أو مرض "القلب الرئوي"

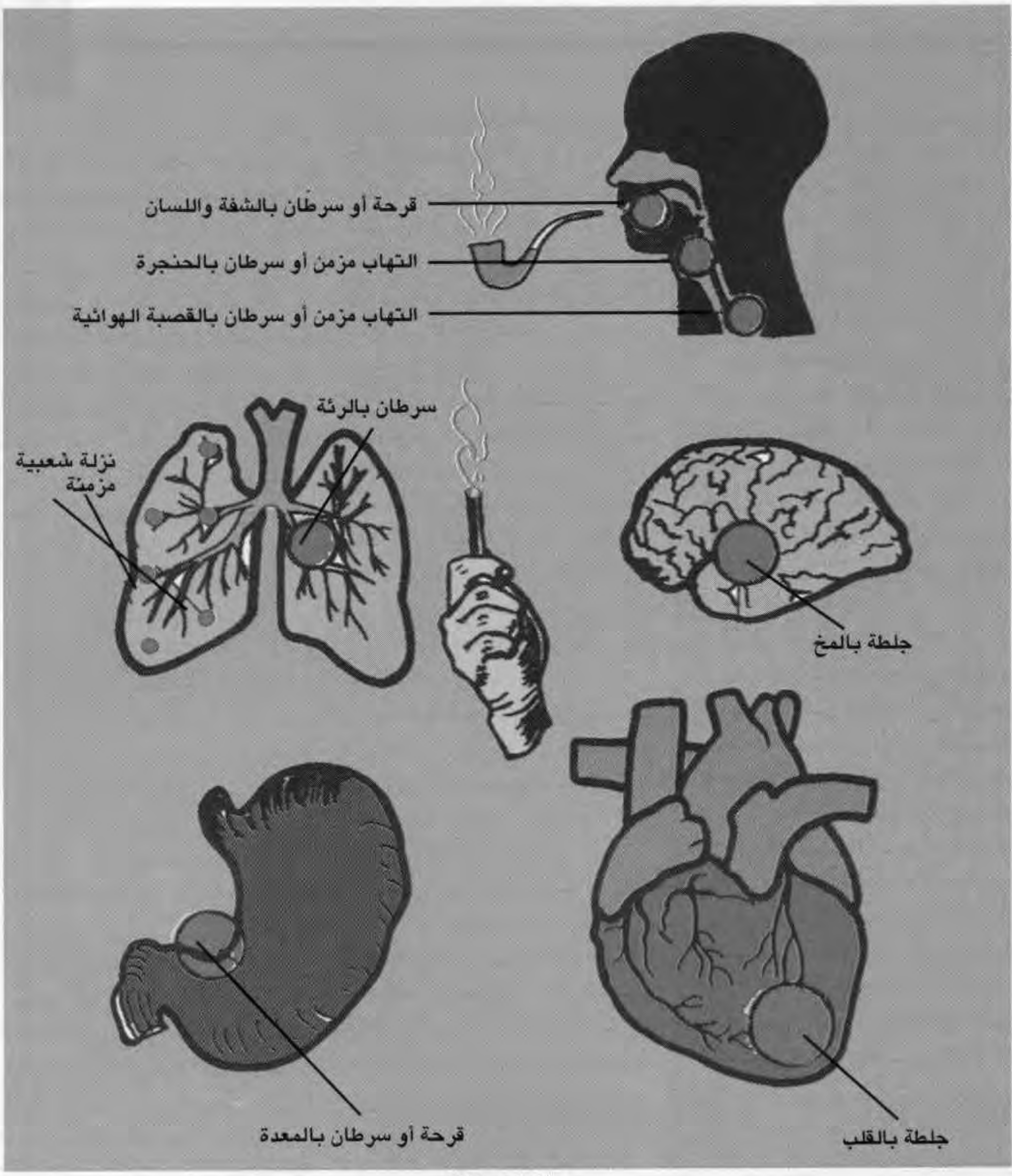
الاسترواح البللوري:

هو وجود هواء في الغشاء البلوري المغلف للرئة مما يؤدي إلى حدوث ألم بللوري مفاجيء بالصدر، وصعوبة في التنفس تزداد تدريجيا حتى تصل إلى حد الاختناق في بعض الحالات. ويحدث الاسترواح البللوري نتيجة لأسباب رئوية أو أسباب خارجية، وأكثر الأسباب انتشارا هو انفجار إحدى الحويصلات الهوائية الرقيقة الغلاف الناتجة عن بعض حالات الإمفيزيما الرئوية

وقد أثبتت دراسة أجريت في السويد أن التدخين يزيد من قابلية الإنسان للإصابة بهذا المرض كما أشارت الدراسة نفسها إلى ارتفاع قابلية الإصابة بالمرض في المدخنين من النساء إلى ٩ مرات، وفي الرجال إلى ٢٢ مرة بالمقارنة بغير المدخنين من الجنس نفسه.

سرطان الحنجرة :

يؤدي التدخين دورا رئيسيا في



التدخين ونتائجه



حدوث سرطان الحنجرة. ولقد ثبت أن ٩٥٪ من حالات سرطان الحنجرة في المدخنين سببها المباشر هو التدخين. ومن المعروف أن التدخين يحول خلايا الغشاء المخاطي المبطن لحنجرة المدخن إلى نوع آخر مختلف يعتبر مرحلة سابقة لحدوث الأورام السرطانية مثلما يفعل في الشعب الهوائية بالرئة. ولقد تبين زيادة انتشار هذا المرض الخطير. فبعد أن كانت نسبة حدوثه لا تزيد على ٢٪ من مجموع سرطانات الجسم. تزايدت مع زيادة عدد المدخنين في العالم إلى ٦٦٪.

أمراض الفم والجهاز الهضمي

التهابات اللثة وفقد الأسنان :

ثبت أن التهابات اللثة تنتشر أكثر بين المدخنين، علاوة على أن المدخنين يفقدون أسنانهم في سن مبكرة. وهناك دراسة لجامعة الإسكندرية مع جامعة بوسطن الأمريكية على ٥٢٢ مدخنا أثبتت أن درجة الإصابة بالتهابات اللثة وتلف الأسنان تتناسب طرديًا مع الإفراط في التدخين.

سرطان الفم واللثة :

يحدث التدخين خللاً بخلايا النسيج المبطن للفم، ينتج عنه انقسامات عديدة وسريعة جداً داخل هذه الخلايا، ويكون وليد ذلك تكوّن « ورم » نسيجي، وهو ما يعرف بسرطان الفم. يساعد على تكوّن هذا الورم إدمان الخمر وكذلك أمراض اللثة والأسنان.

قرحة المعدة والاثنى عشر :

يقلل التدخين من إفراز هرمون "البروستاجلندين" من الغشاء المخاطي المبطن لجدار المعدة والذي يقوم بحماية المعدة من الإصابة بالقرحة. في الوقت نفسه فإن التدخين - عن طريق النيكوتين - يسبب زيادة ملحوظة في إفراز حمض الهيدروكلوريك الذي يتسبب في حدوث القرحة.

وأثبتت البحوث أن التدخين يقلل من إفراز العصارة (القلوية) للبنكرياس، وهذه العصارة ذات أهمية خاصة، حيث إنها تعادل حموضة إفرازات المعدة فتمنع بذلك حدوث قرحة الاثنى عشر.

ولقد دلت الاحصائيات أن ٩٠٪ من مرضى القرحة من المدخنين، وثبت أن التدخين يحول القرحة إلى قرحة مزمنة يصعب علاجها لأنه يقلل من فاعلية الأدوية المستخدمة في علاجها، وبذلك يعطل التدخين شفاء القرحة ويعرض المريض لمضاعفات خطيرة مثل انفجار القرحة والنزيف الدموي الحاد، والذي قد يؤدي بحياة المريض إذا لم يسعف في الوقت المناسب.

سرطان المعدة :

وُجِدَ أن سرطان المعدة تزيد نسبة حدوثه في المدخنين عنها في غير المدخنين، ويعزى ذلك إلى إصابة جدار المعدة بالتهابات مزمنة بتأثير النيكوتين والقطران والمواد المسرطنة الموجودة بالدخان، مما يؤدي إلى إثارة جدار المعدة وتكاثر خلاياه بطريقة غير طبيعية، وتحولها في نهاية المطاف إلى ورم سرطاني.

ليس هذا فحسب، بل إن للتدخين دوراً مساعداً في حدوث سرطان المريء والكبد، ناهيك عن زيادة الحموضة وفقدان الشهية والانتفاخ والقولون العصبي ..إلخ.

أمراض القلب والأوعية الدموية

أعلنت جمعية أمراض القلب الأمريكية أن أمراض القلب تزيد بنسبة تتراوح مابين ٥٠ و ١٥٪ بين المدخنين عنها في غير المدخنين. ودلت الدراسات الحديثة أن التدخين يؤدي إلى الإصابة بجلطات الدم والذبحات الصدرية والتي تؤدي بدورها إلى الموت المفاجيء. وأظهرت الإحصائيات أن ٨٠٪ من حالات الموت المفاجيء تحدث بين المدخنين.

جلطة القلب والمخ :

يسبب التدخين ضيقا بالأوعية الدموية، ويساعد على زيادة الدهنيات الضارة في الدم بما في ذلك «الكوليستيرول». ويزيد التدخين من نسبة المواد المساعدة على تجلط الدم، ومن ثم زيادة لزوجة الدم وحدوث جلطات الشريان التاجي بالقلب أو جلطة المخ أو جلطة الساق ..إلخ.

الذبحة الصدرية :

وهي ألم شديد للغاية في منتصف الصدر ينتشر غالبا إلى الذراعين والكتف الأيسر، ويزداد مع زيادة المجهود بعد دقيقة أو دقيقتين من الراحة. ولقد وجد أن النيكوتين يزيد من سرعة ضربات القلب ويرفع الضغط (يرتفع الضغط لمدة ١٥ دقيقة بعد تدخين سيجارة واحدة، وبالتالي يرتفع ضغط المدخن لمدة خمس ساعات يوميا إذا ما دخّن ٢٠ سيجارة). ولذا يحتاج القلب لكمية أكبر من الأكسجين حتى يواجه الزيادة في ضربات القلب وارتفاع الضغط، في الوقت نفسه يمنع أول أكسيد الكربون وصول الأكسجين إلى الدم. ولذا يعاني القلب من نقص شديد في الأكسجين ومن ثم تظهر أعراض الذبحة الصدرية.

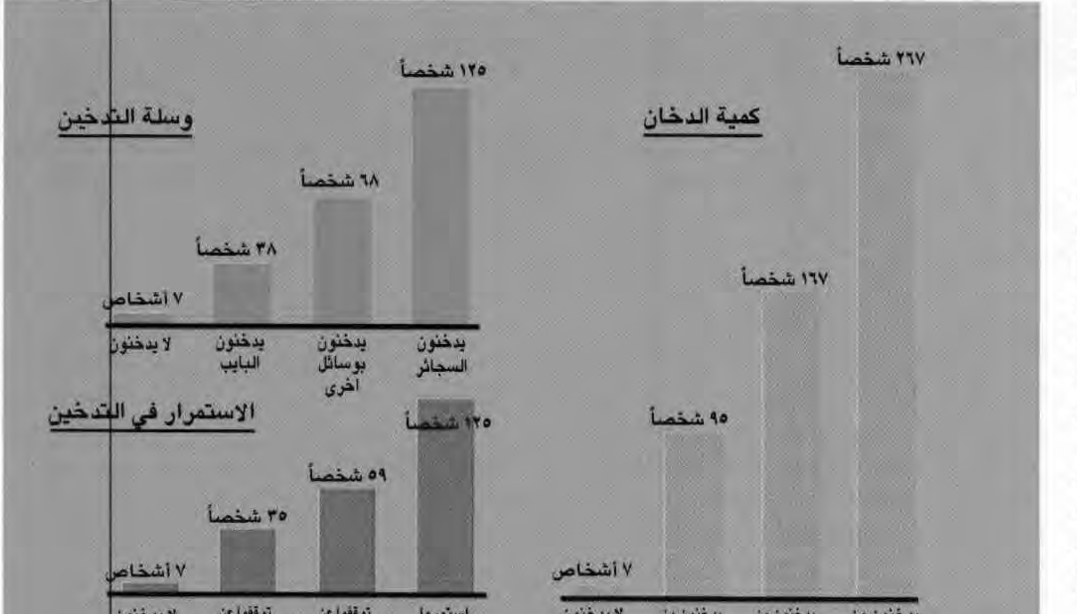
وجدير بالذكر أن "الذبحة الصدرية" تطلق على النوبات القلبية الناتجة عن قصور في الدورة التاجية القلبية، ولا تستغرق أكثر من لحظات. أما « جلطة القلب » أو الاحتشاء القلبي فهي النوبة القلبية التي تنتج عن انسداد كامل بأحد الشرايين التاجية، وينتج عن هذا الانسداد وصول الدم إلى الجزء الذي يغذيه هذا الشريان من القلب، فيحدث في هذا الجزء ما يسمى « بالاحتشاء ». ونحن نطلق مصطلح « جلطة القلب » مجازا على هذا الاحتشاء.

القلب الرئوي :

وهو عبارة عن تضخم وهبوط بالجانب الأيمن من القلب نتيجة أمراض الرئتين المزمنة، والتي يساعد على حدوثها التدخين المستمر وبخاصة النزلات الشعبية المزمنة، والإمفزيما، والربو الشعبي ...إلخ.

مرض بيرجر :

مرض بيرجر Buerger's Disease أحد أمراض التدخين التي تصيب شرايين الطرف السفلي، ويقتصر



معدلات الوفيات بسرطان الرئة

حدوثها على المدخنين بشراهة، وتبلغ الخطورة ذروتها إذا كان المدخن مصابا بمرض السكر.

ويؤدي التدخين إلى تقلص الأوعية الدموية Vasospasm المغذية للطرفين السفليين، كما يعمل على تجلط الدم في الشرايين فيحدث بذلك قصورا شديدا في الدورة الدموية بالساقين، مما يؤدي إلى ظهور أعراض هذا المرض وخاصة الآلام التقلصية بعضلة الساق عند المشي وتزول عند الراحة، وحدوث قروح بالساقين، وشحوب لون أصابع القدم. فضلا عن انسداد هذه الشرايين مما قد يمهد إلى حدوث (الغنغرينا) وبتْر الساق.

وهكذا يقول الطبيب للمريض المدخن: سيجارتك أو ساقك، وعليك أن تختار!

وقد أجريت في أمريكا دراسة على ٥٢٠ مريضا بتصلب الشرايين الطرفية ووجد أن ١١٫٤٪ ممن استمروا في التدخين استدعت حالتهم إجراء بتْر للساق في مدى خمس سنوات، بينما لم تُجرَ عملية بتْر للمجموعة التي أقلعت عن التدخين.

أمراض الحمل

بجانب تعرض الأم المدخنة لكل الأمراض التي تصيب الرجال، فإن الأم الحامل التي تدخن أو يدخن زوجها تتعرض إلى كثير من الأمراض والمتاعب التي تصيبها وتلحق الضرر بنفسها أو جنينها. وتشير البحوث الأمريكية إلى أن التدخين وراء الآلاف من حالات الإجهاض والوفاة التي تحدث سنويًا بين الأجنة والأطفال الحديثي الولادة، إذ يتسبب كل عام في وفاة ١٠٠ ألف جنين وأربعة آلاف طفل حديثي الولادة، وولادة خمسة آلاف طفل مشوه، ومئات الآلاف من المواليدُ الناقصيُ النمو.

التشوهات الخلقية للجنين:

كشفت البحوث الحديثة وجود علاقة وثيقة بين التدخين والتشوهات الخلقية للأجنة، وأن تدخين الحامل يؤدي إلى حدوث تشوهات خلقية بالجنين، مثل: التخلف العقلي، العمى، وجود ثقب بالقلب.. إلخ. وهذا ناتج بالطبع من تأثير أول أكسيد الكربون والنيكوتين فضلا عن مادة « البولينوم ٢١٠ » المشعة التي قد تؤدي إلى حدوث سرطان الدم بين الأطفال الحديثي الولادة، وهذه التشوهات تمثل عاهة مستديمة يصعب، بل يستحيل علاجها بعد ذلك. وأثبتت الإحصائيات أن نسبة التشوهات الخلقية لدى أطفال المرأة المدخنة أربعة أضعاف المرأة غير المدخنة.

زيادة متاعب الحمل البسيطة:

مثل الميل للقيء؛ إذ يتحول مع التدخين إلى قيء شديد قد يهدد الحمل ويهدد صحة الأم نفسها. كما أن السعال المتكرر، نتيجة التدخين، يعرض الأم لاحتمال حدوث « فتق » بعضلات البطن أو سقوط الرحم بعد الولادة.

ولادة طفل أقل من وزنه الطبيعي:

ويحدث ذلك لتأثير النيكوتين وأول أكسيد الكربون. فالنيكوتين يقلل من معدل الدورة الدموية بين المشيمة والرحم مما يؤدى إلى قصور الدورة الدموية للجنين. أما غاز أول أكسيد الكربون فإنه يتميز بقابليته العالية للاتحاد بهيموجلوبين الدم وتكوين مادة سامة هي الكاربوكسي هيموجلوبين التي تؤدي إلى تسمم أنسجة جسم الجنين وتحرمه من كمية الأكسجين اللازمة لنموه نموا طبيعيا. ويقدر الأطباء أن مواليد الأمهات المدخنات يقل وزنهم عن الوزن الطبيعي بما لا يقل عن ٣٠٠ جرام.

الإجهاض المبكر للحمل:

فلقد لوحظ زيادة نسبة حالات الإجهاض بين الأمهات المدخنات بالمقارنة بغير المدخنات، فمادة النيكوتين يمتصها دم الأم وتصل إلى الرحم والمشيمة حيث تؤثر على مهد الجنين، وتسبب انفصاله عن مصدر غذائه وإعالته من الأم. وتكون النتيجة الحتمية هي الإجهاض الذي قد يتكرر طالما أن السبب موجود وهو التدخين أثناء الحمل.

ولادة طفل مدمن:

حيث يحتوي دمه على نسبة عالية من النيكوتين. وعندما يحرم الطفل من هذه النسبة تظهر عليه أعراض المدخن البالغ عندما يمتنع عن التدخين، مثل: العصبية والأرق وفقدان الشهية ..إلخ.

وقد دلت الدراسات الحديثة أن الطفل لأم مدخنة يكون في المستقبل أقل قدرة على الاستيعاب والتحصيل، كما يكون أكثر تعرضا للنزلات الشعبية والربو الشعبي، خاصة إذا داومت الأم على التدخين أثناء فترة الرضاعة.



شعار اليوم العالمي للامتناع عن التدخين الذي نظمته منظمة الصحة العالمية

أمراض أخرى

العقم:

ثبت أن التدخين يقلل من عدد الحيوانات المنوية، ويحد من قدرتها على الحركة، وبالتالي تعجز عن تلقيح البويضة، مما يؤدي إلى العقم. وهناك احتمال أن يكون للنيكوتين تأثير سام على هذه الحيوانات المنوية. ومن ناحية أخرى فقد يؤثر التدخين في القدرة على الانتصاب ويضعف الرغبة الجنسية.

امبلوبيا التبغ:

أمبلوبيا التبغ Tobacco-Pia Amblyo أو الإظلام البصري التبغي، مرض نادر يصيب العين بضعف شديد في قوة الإبصار، نتيجة لتسمم خلايا الشبكية وألياف العصب البصري بالمواد الضارة الموجودة في بعض أنواع التبغ المحترق وخاصة مادة «السيانيد» السامة. يحدث هذا المرض غالبا بين المفرطين في التدخين، خاصة تدخين «الغليون» و«السيجار». ويساعد على ظهور هذا المرض تعاطي المشروبات الكحولية والروحية بكثرة ونقص فيتامين ب١٢.

وبعد، فهذه عينة من الأمراض التي تصيب المدخنين، وهي - كما نرى - أمراض تتراوح نتيجتها النهائية بين العجز والموت، فضلا عن الأضرار الاجتماعية والاقتصادية الخطيرة. ناهيك عن صدور العديد من الفتاوى الشرعية التي تحرم التدخين، مثل فتوى الأزهر الشريف وفتوى علماء العالم الإسلامي في المؤتمر الإسلامي العالمي لمكافحة المسكرات والمخدرات المنعقد في المدينة المنورة في الفترة من ٢٧ إلى ٣٠ جمادى الأولى ١٤٠٢هـ (الموافق ٢٢-٢٥ مارس ١٩٨٢م)، حيث أفتى هؤلاء العلماء الأجلاء بالإجماع بتحريم التبغ وطرق استخدامه كافة من تدخين وسعوط ومضغ، كما حرموا زراعته وتجارته واعتبروا مكسبه من المكاسب المحرمة الخبيثة.

المراجع

1) Principales of Chest/Chest department/Faculty of Medecine/ University of Alexandria.
2) Understanding Cardiology/ M.Khairy Abdel Dayem/University of Ain Shams.
3) A companion to surgery/ M.Kadry/part 11/Cairo University.

٤) رحلة مع السيجارة. حسن حسني. مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٢م.
٥) لماذا تدخن؟ مختار مدكور. كتاب اليوم الطبي، العدد ٦٩، القاهرة، ١٥ ديسمبر ١٩٨٧م.
٦) قلبك وشرايين الحياة. يوسف رياض. كتاب اليوم الطبي، العدد٣، القاهرة، ١٥ إبريل ١٩٨٢م.
٧) صحتك في نفسك وصدرك، محمد عوض تاج الدين. كتاب اليوم الطبي، العدد ١٥/٢٥، إبريل ١٩٨٢م.
٨) التدخين كارثة إنسانية، محمد علي البار. جريدة المسلمون، العدد ٣٥٦، ٢٣ جمادى الأولى ١٤١٢هـ/٢٩ نوفمبر ١٩٩١م.
٩) السرطان مرض العصر، عبد الباسط الأعسر. كتاب اليوم الطبي، العدد ٤٧، ١٥ فبراير ١٩٨٦م.
١٠) ضغط الدم القاتل الصامت، يس إبراهيم الشحات، كتاب اليوم الطبي، العدد ٣١، ١٥ أكتوبر ١٩٨٤م.



قصة النجوم
من الولادة إلى الممات

إعداد: عدنان عضيمة

لدى علماء الفيزياء الفلكية نظرية عن «التطور النجمي» ظلوا يتعهدونها منذ سنوات عديدة حتى نضجت واستوى عودها . تتعلق النظرية بتفسير المراحل المختلفة التي تمر بها النجوم منذ ولادتها حتى مماتها، وهي جديرة بالاهتمام والتأمل.

وتفيد هذه النظرية بأن النجوم تولد ضمن السحب الباردة من الغاز والغبار التي تسود الوسط الكائن بين النجوم اليافعة والهرمة ثم تتطور في رحلة حياتها الطويلة التي تعد بمليارات السنين حتى يأتيها أجلها فتنفجر وتحرر كميات هائلة من المادة والطاقة في الفضاء فيما أصبح يعرف بانفجار السوبرنوفا ويمثل المخاض العنيف الذي يسبق ولادة النجوم الجديدة.

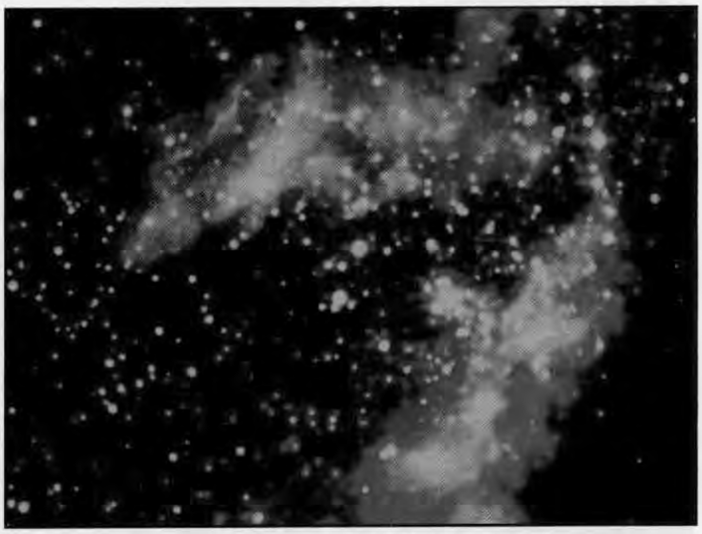
ولقد واجه الفلكيون صعوبات جمة حتى تمكنوا من استقراء التاريخ التطوري للنجوم. ويعود ذلك لقصر فترة حياة الإنسان وطول الأزمنة التي تستغرقها الأحداث والظواهر النجمية. فكيف تمكن بنو البشر من استقراء المراحل المختلفة لتطور النجوم مع أن الواحدة منها قد تستغرق مليارات السنين..؟

حتى نتفهم الإجابة عن هذا السؤال يدعونا الفلكي الأمريكي وليام كوفمان إلى تأمل أسطورة علمية طريفة مفادها أنه في أحد العصور كانت تعيش في غابة يانعة، شديدة الخضار، باسقة الأشجار، حشرات متميزة أنعم الله عليها بملكة حادة الذكاء ولكنها ابتليت بقصر عمرها الذي لا يتعدّى اليوم الواحد.

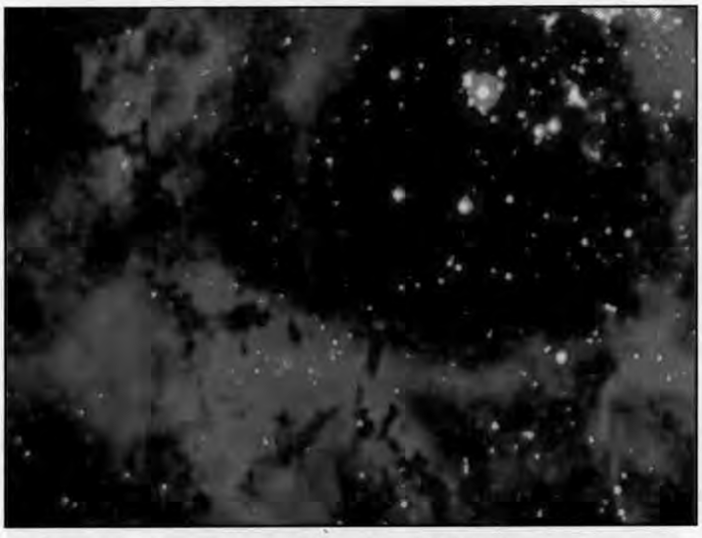
وكانت الغابة تبدو لهذه الحشرات سرمدية لا تغير فيها

بعد أن عاشت فيها مئات الأجيال حياتها القصيرة دون أن تلاحظ أي تغير في البيئة المحيطة بها. ومع ذلك، سمحت القدرة الخارقة على الملاحظة والمقارنة والاستقراء لبعض هذه الحشرات الذكية بالاستنتاج بأن الغابة ليست على حال ثابتة. وبدأت هذه الحشرات بالافتراض بأن الشجيرات الصغيرة لابد أن تكون قد نمت حتى أصبحت أشجارا ضخمة، وبأن الأشجار تشيخ وتهرم وتموت وتتحلل جثتها لتزودٍ بقاياها التربة وتغنيها بالسماد الضروري لتغذية الأشجار الجديدة التي ستولد فيما بعد. وبالرغم من أنه ما من واحدة قط من هذه الحشرات استطاعت أن تقف عن كثب على تفاصيل هذا التحول والتطور لقصر عمرها، فإن مجموعة الحشرات أصبحت على دراية تامة بدورات الحياة في الغابة التي تتكرر عبر فترات طويلة من الزمن.

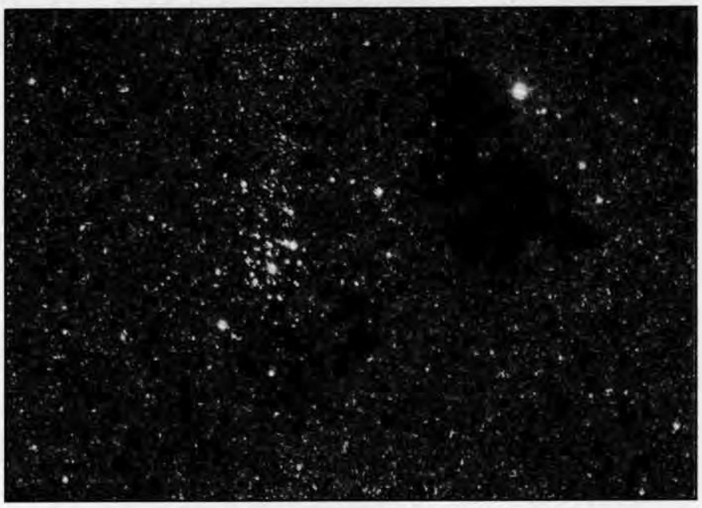
لقد تجلى الذكاء الخارق للحشرات في هذه الأسطورة في قدرتها على استشفاف مظاهر التغير المستمرة في بيئتها انطلاقا من المشهد الآني الذي يبدو لها ثابتا. وهذا يحاكي تماما ما فعله الإنسان عندما سخر ذكاءه وسعة أفقه لاستنتاج مظاهر وقوانين التطور المستمر الذي يطبع كل ما خلقه الله من مادة الجماد ومادة الحياة. فعندما كان أسلافنا يرقبون مجرة ما فإن نجومها وبروجها وغماماتها كانت تبدو لهم ثابتة لا تغير فيها، كما أن تلك المشاهد التي كانوا يرونها لا تختلف في شيء عن هذه التي نراها اليوم. ولكن الإنسان تمكن من اكتشاف ظاهرة الإشعاع من النجوم وتعرف على أسبابها وفهم أن النجم يستهلك من مادته باستمرار عندما يحرر طاقته ويكتسب سطوعه بتفاعل الاندماج النووي، وكان هذا



غمامة أوميغا Omega Nebula في برج ساغيتاريوس تعد موطنا لولادة النجوم الحديثة



غمامة رأس الحصان Horsehead Nebula في برج الجوزاء تبدو في خلفية الصورة سحب المادة المظلمة التي تنشأ فيها النجوم الحديثة



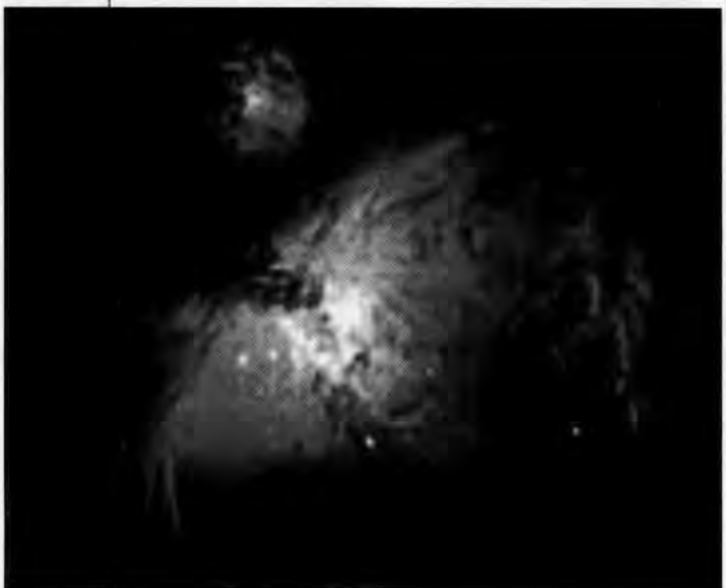
سحابة مظلمة تدعى (بارنارد ٨٦) تقع في برج ساغيتاريوس وتبدو فيها كتل الغاز والغبار الداكنة كبقع الحبر



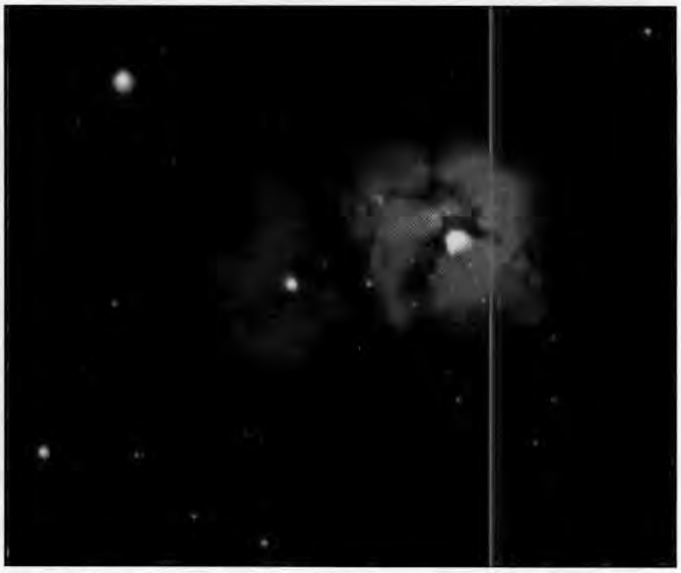
مجموعة نجوم حديثة الولادة في جوف سحابة روزيت Rosette Nebula الواقعة في برج وحيد القرن (بلون أزرق)



لقطة أخرى لـغمامة أوميغا Omega Nebula



هذا القطاع من غمامة الجوزاء Orion Nebula يمكن رؤيته من الأرض بالعين المجرّدة بالرغم من أنه يبعد عن الأرض بحوالي ١٥٠٠ سنة ضوئية. توجد ضمن القطاع أربعة نجوم ضخام تشع ضوءًا فوق بنفسجي يُسبب توهج الغازات المنتشرة حولها



غمامة تريفيد Trifid Nebula: تبعد عن الأرض ٣٢٠٠ سنة ضوئية وتقع في برج ساغيتاريوس ويحتوي قطاعها الأحمر على الآلاف من النجوم حديثة الولادة

دليلا كافيا على أن للنجم بداية ونهاية مثله في ذلك مثل باقي الأجسام المادية الجامدة والحية. ولقد تمكن الإنسان من استغلال قدرته على الابتكار في تركيب الأجهزة والأدوات الضرورية لقياس درجات ومقادير التغير التي تطرأ على عناصر الكون أثناء تطوره حتى تمكن من وضع العديد من النظريات عن ظواهر السماء وأحداثها. من هذه النظريات نظرية التطور النجمي.

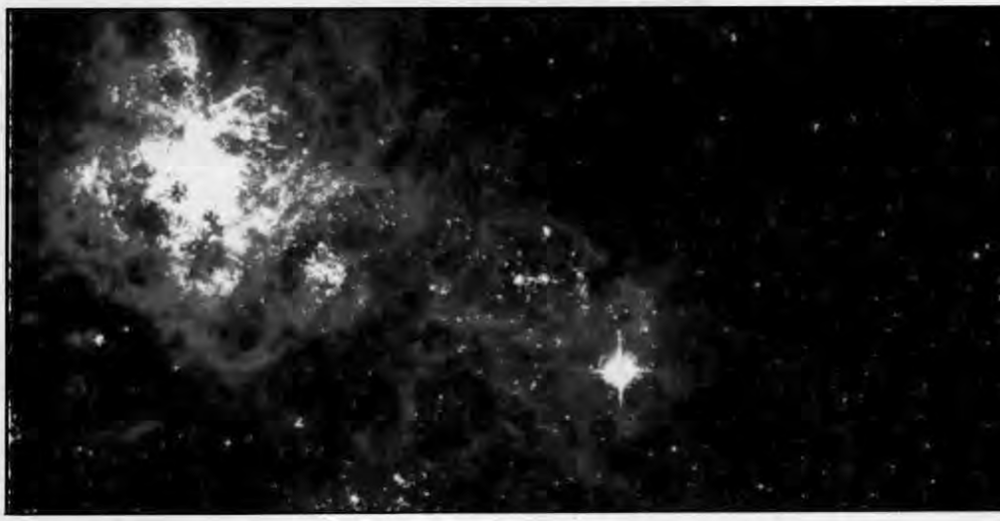
المخاض العسير وميلاد النجوم

نتيجة الرصد والتأمل المتواصل استنتج الفلكيون أن النجوم تولد ضمن السحب الباردة والمظلمة من الغازات المنتشرة بين النجوم اليافعة والهرمة لأن حرارة الغاز ترتبط ارتباطا وثيقا بالسرعة التي تتحرك بها ذراته وجزيئاته. وفي السحابة الساخنة، تكون ذرات وجزيئات الغازات على درجة من السرعة تنتفي معها فرصة تكاثفها لتشكيل النجوم الجديدة. أما بطء الحركة لغازات السحب الباردة فيسمح لأجزائها الأكثر كثافة بالانكماش بفعل الجاذبية حتى تتجمع وتبدأ بجذب الغازات المنتشرة حولها لتشكل بذلك النجم الوليد.

ولقد اتضح من عمليات الرصد المستمر للمجرة التي تنتمي إليها شمسنا أنها تتضمن نحو خمسة آلاف من السحب المظلمة المنفصلة التي تتراوح كتلها المنفردة بين عشرة آلاف ومليوني كتلة الشمس، وتتراوح أقطارها بين ستين ومائتين وسبعين سنة ضوئية. وفي بعض الحالات تبدو هذه السحب كقطاعات مظلمة تظلل خلفيات صور



نجوم الثريّا في برج طوروس تمكن رؤيتها من الأرض بالعين المجردة وتبعد عن الأرض ٤٠٠ سنة ضوئية وتشبه الشمس في أنها تجتاز الآن فترة أواسط العمر أو « مرحلة الاستقرار»

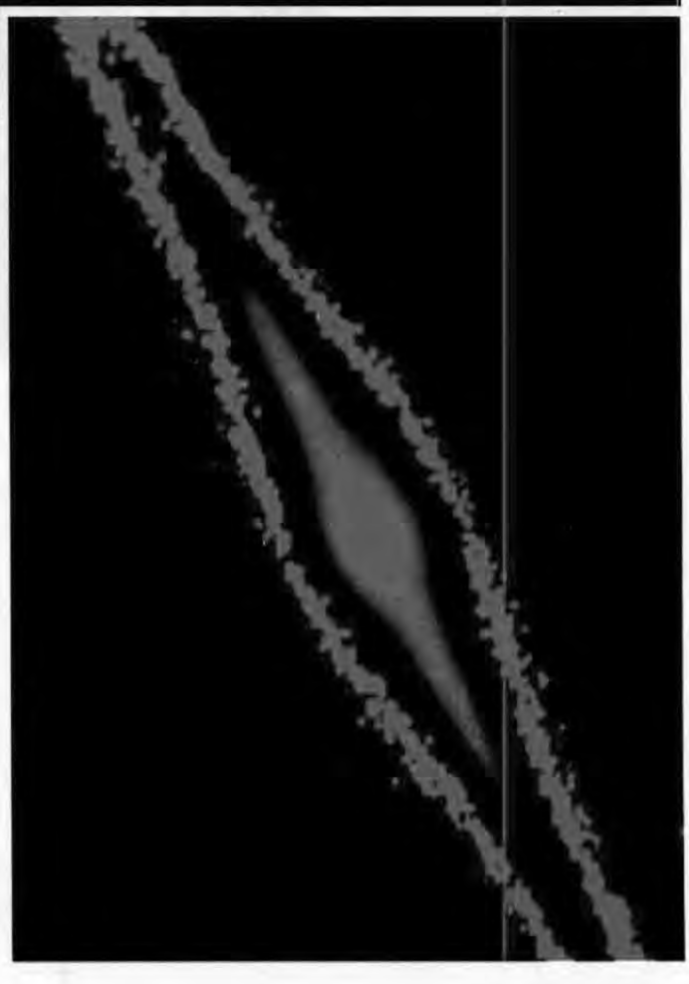


صورة حقيقية لانفجار السوبرنوفا (SN 1987 A) التابع لسحابة ماجلان الكبرى في مجرّة درب اللبانة.

المناظير الملتقطة للغمامات والبروج النجمية. ولعل من أكثر أمثلتها وضوحا تلك التي تظهر في صورة (غمامة رأس الحصان). وفي حالات أخرى تبدو هذه السحب مثل بقعات من الحبر تحجب النجوم في خلفيات الصور. وأظهرت المراصد أن هذه السحب المظلمة تتألف من الهيدروجين بنسبة ٧٥٪ والهليوم بنسبة ٢٣٪ وبعض العناصر الأثقل بنسبة ٢٪ وأن درجة حرارتها الداخلية تتراوح بين ٢٦٠ و ٢٧٠ درجة تحت الصفر المئوي. فهي باردة للحد الذي يجعل قطاعاتها الداخلية تنكمش بفعل الجاذبية مشكلة أجساما كروية تندمج في بعضها على هيئة كرات هي النجوم الأولية. وفي الكثير من الحالات، يؤدي انفجار «السوبرنوفا» قريبا من السحابة المظلمة إلى ضغطها بشدة للدرجة التي تعجل بولادة النجوم الجديدة.

وباستخدام المراصد وبناء النماذج النظرية تمكن الفيزيائيون الفلكيون من التعرف على التعاقب التطوري للنجوم الأولية الوليدة وتركيبها الكيميائي. واستدلوا إلى أن النجم الأولي هو قبل كل شيء كرة باردة من الغاز أكبر بعدة مرات من الشمس. والضغط المنخفض الذي يسود جوف النجم الوليد يجعله عاجزا عن تحمل وزن الطبقات التي تعلوه فيبدأ بالانضغاط. وأثناء ذلك، تتحول الطاقة التجاذبية إلى طاقة حرارية تؤدي إلى تسخين النجم وسطوعه. وبعد بضعة آلاف السنين من الانكماش التجاذبي تصل درجة حرارة سطح النجم إلى ما بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ درجة مئوية، ويصبح قطره أكبر من قطر الشمس بعشرين مرة، وأكثر منها سطوعا بمائة مرة. ويستمر النجم في الانكماش والتسخن حتى تبلغ درجة حرارة مركزه بضعة ملايين الدرجات المئوية، وهي درجة كافية لبدء اشتعال الهيدروجين وفق تفاعلات نووية حرارية تؤدي إلى تحرير كميات هائلة من الطاقة تسمح بتسخين الغازات وزيادة ضغطها حتى تتوقف ظاهرة انكماش النجم. وفي هذه المرحلة يصل النجم إلى مرحلة الاستقرار بعد أن يكون قد حقق الشرطين الأساسيين لتوازنه وهما : التوازن المائعي الثابت الذي يعرف بأنه الحالة التي يصبح عندها ضغط أية طبقة من طبقات الغاز كافيا لحمل وزن الطبقات التي تعلوها، والتوازن الحراري الذي يتحقق عنده التكافؤ بين كمية الحرارة التي يفقدها النجم بالإشعاع في الفضاء وتلك التي يحررها من تفاعل الاندماج النووي للهيدروجين. مرحلة الثبات والاستقرار هذه التي يبلغها النجم الوليد تعد المرحلة الأكثر طولا في فترة حياته كلها. وقد يبلغ طولها





حدد الإنسان بقدراته الابتكارية مراحل حياة النجوم التي تُعد بمليارات السنين

عشرات المليارات من السنين. وحالة الثبات هذه لا تعني أن النجم خرج من دورة التطور المستمرة لأن استهلاك الوقود النووي (الهيدروجين) وفق معدل عال يعني أن النجم يستهلك مخزونه من مصادر الطاقة حتى يأتي اليوم الذي ينضب فيه هذا المخزون فتأزف ساعة الموت ويستعد النجم لمراسم احتضاره.

وعلى عكس ما قد يعتقده المرء للوهلة الأولى، فلقد أشار الفلكيون إلى توفر جملة من القرائن الرصدية والفيزيائية التي تؤكد بأن فترة حياة النجوم تتناسب عكسيا مع كتلها، فكلما كان النجم أكثر ضخامة وكتلة كانت حياته أقصر. ويبين الجدول المرفق كتل بعض النجوم ودرجات حرارتها السطحية وسطوعها وأعمارها.

موت النجوم

موت النجوم يُعتبر اليوم بنظر الفلكيين حقيقة لا جدال فيها بعد أن اكتشفت المراصد الفلكية الآلاف من الجثث والأشلاء النجمية المنتشرة في مختلف القطاعات المرئية للمجرات. ولقد صنفت هذه الجثث والأشلاء في أقسام وأنواع، وأطلقت عليها أسماء لصيقة الصلة بمظهرها أو حالها أو تركيبها كالعمالقة الحمراء والأقزام البيضاء والنجوم النيوترونية والنابضات.

ويقدم الفلكيون اليوم (سيناريو) موت النجوم بالقول بأن النجم الذي يبلغ حالة الثبات والتوازن لا يتوقف عن التطور لأن تفاعل اندماج الهيدروجين يؤدي إلى التناقص المستمر لكتلته مع مرور الزمن، حيث يؤدي هذا التفاعل إلى تحول الهيدروجين إلى هيليوم وطاقة ضوئية. ولابد أن يأتي اليوم الذي يستنفد فيه كل هيدروجين النجم فيتوقف التفاعل. ويكون لهذه المرحلة تأثير كبير على توازن النجم وتركيبه وسلوكه التطوري بعد ذلك. وغالبا ما يلجأ الفلكيون إلى تحليل النموذج الشمسي من أجل تفهم مراحل حياة

وموت النجوم الأخرى، ويعود ذلك لسهولة جمع المعلومات المتعلقة بالشمس بسبب قربها الشديد من الأرض وفق المقاييس الفلكية بما سمح بالتعرف على الكثير من ظواهرها التي يعتقد أنها تتكرر في كافة النجوم. ومن المتفق عليه الآن في أوساط الفلكيين أن الشمس تجتاز الآن فترة أواسط عمرها حيث ولدت قبل خمسة مليارات من السنين، ولم يزل في جوفها من الهيدروجين ما يكفيها للاستمرار في مرحلة الثبات لفترة مماثلة. ويقدر أن جوف الشمس كان عند ولادتها يتألف من ٧٥٪ من الهيدروجين و ٢٥٪ من الهيليوم، أما اليوم فأصبح جوفها يتضمن من الهيليوم أكثر من الهيدروجين.

وعندما يشرف معين الهيدروجين في جوف النجم على النضوب، فإنه يواجه صعوبة حمل طبقاته الخارجية المختلفة بعد أن يكون قد انتفى سبب توازنه المائعي الثابت. ويؤدي الوزن الهائل لطبقات النجم المحيطة بالجوف إلى ضغطه من جهاته كافة. وأثناء الانضغاط، تصبح الغازات أكثر سخونة مما يسمح للهيدروجين المتبقي بالانتقال إلى الطبقات الأبعد عن الجوف. وبمعنى آخر، يبذل النجم في آخر سنوات عمره محاولة أخيرة لاستعادة توازنه عن طريق توسيع نطاق حرق الهيدروجين. وفي هذه المرحلة يكون قد تبقى للنجم مقدار من الهيدروجين يكفيه للحياة لمدة وجيزة لا تتعدى الملايين القليلة من السنين، إنها فترة امتداد الشيخوخة.

ومع الانضغاط المستمر لجوف النجم، تتحول الطاقة التجاذبية إلى طاقة حرارية تؤدي إلى بدء تفاعل الاندماج النووي للهيليوم الذي يحرر في جوف النجم طاقة هائلة تكفي لنفخه حتى يصبح قطره أكبر بمئات المرات من قطره الأصلي. وتؤدي عملية التمدد هذه إلى خفض درجة حرارة طبقاته الغازية الخارجية إلى حوالي ٣٠٠٠ درجة مئوية فقط، مما يجعل النجم يضيء بلون أحمر، ولهذا السبب يدعى النجم الذي يبلغ هذه المرحلة (العملاق الأحمر).



صورة لعملاق أحمر في بداية طور الانفجار

وفي هذه المرحلة نفسها، يكون الجوف قد حرر من الطاقة الحرارية من تفاعل اندماج الهيليوم ما يكفي لرفع درجة حرارته إلى مائة مليون درجة مئوية، وهي درجة لا يمكنه تحملها فينفجر ناشرا أشلاءه وطاقته الحرارية في الفضاء المحيط به. وهذه هي الظاهرة التي يطلق عليها اسم انفجار السوبرنوفا.

كتلة النجم	درجة الحرارة السطحية	السطوع*	العمر
بأمثال كتلة الشمس	بالدرجات المئوية	بأمثال سطوع الشمس	مليون سنة
٢٥	٣٥٠٠٠	٨٠٠٠٠	٣
١٥	٣٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٥
٣	١١٠٠٠	٦٠	٥٠٠
١,٥	٧٠٠٠	٥	٣٠٠
١ (الشمس)	٦٠٠٠	١	١٠٠٠٠
٠,٧٥	٥٠٠٠	٠,٥	١٥٠٠٠
٠,٥٠	٤٠٠٠	٠,٠٣	٢٠٠٠٠

جدول يبين العلاقة بين كتل النجوم ودرجات حرارتها السطحية وسطوعها وأعمارها

(* السطوع: هو الإستطاعة الشمسية في إصدار الإشعاع الكهرومغناطيسي)

المراجع

1- (early results from the Hubble Space Telescope); Eric J. Chaisson in " SCIENTIFIC AMERICAN", Vol. 266, Pages:18-25; Jun 1992.

2- (universe); William J. Kaufmann. W.H.Freeman & Company, New York. Pages: 253-299; Jun1990

ضحايا العنف

منذ حين نشرت صحيفة مصرية خبر طفل شنق نفسه بعد أن شاهد فيلما من أفلام العنف التي يعرضها التلفزيون في إحدى سهراته مقلدا الممثل في هذا الفيلم [١].

ومنذ فترة جاء خبر من ليفربول عن طفلين في العاشرة قتلا طفلا في الثانية من عمره، لأنهما لم يعودوا قادرين على التمييز بين الفيلم والواقع. لقد أصبح العنف عندهما جزءًا من الحياة الاعتيادية.

وغير هذه الوقائع كثير مما يؤكد تأثير العنف على هذه الفئة من المجتمع في شرق وغرب؛ وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك الأثر السيء لتعرض الأطفال لهذا اللون من المشاهد، خصوصا بعد ما شهده العصر الحالي من تطور تكنولوجي في صناعة الاتصال وتلاشي الحدود أمام البث المباشر، مما يجعلنا في غير مأمن من التعرض لسيل من تلك المواد عبر قنوات تتنافس على جذب أكبر عدد من المشاهدين لترويج أفكار معينة والسعي للنيل من أمن مجتمعاتنا وعقيدتها.



إن الطفل الأمريكي - على سبيل المثال - حين يبلغ الثانية عشرة من عمره يكون قد شاهد اثني عشرة ألف جريمة قتل في التلفزيون كما تقول الإحصاءات. ومعلوم أن الشاشة الصغيرة تستهوي الأطفال لما تقدمه من صور ورسوم متحركة وعدم الحاجة للقراءة والكتابة بالإضافة إلى سهولة التعرض لها.

وقد أثبتت الدراسات أن الأطفال بين السادسة والثالثة عشرة يشاهدون التلفزيون بمعدل ساعتين ونصف يوميا.

مدرسة الجريمة

أطلق أحد الباحثين على التلفزيون أنه «مدرسة الجريمة»، وصرح الرئيس الأمريكي الأسبق جون كنيدي بأن الجريمة قد زادت بسبب التلفزيون، وأن مكافحة انحراف الأحداث تكلف بلاده خمسة ملايين دولار سنويا، وهذه حقائق معلومة لدارسي الإعلام والمشتغلين به ويدرسها أبناؤنا في الجامعات. وأضحى الأثر ملموسا تعاني منه شتى المجتمعات، وترتفع صيحات تنبه للخطر وتدعو لملافاته بالابتعاد عن كل مشاهد العنف.

فقد تعاهدت محطات تلفزيونية أمريكية رئيسة هي:

(سي بي اس)، (ايه بي اس)، (ان بي سي) على التقليل من عرض مشاهد العنف في البرامج التلفزيونية، خاصة الموجهة للأطفال، ومن مضامين هذا التعاقد التزام تلك الشبكات التلفزيونية بألا تعرض صورا من التعذيب الجسماني ولا مشاهد مغامرات عنيفة ولا مشاهد استخدام السلاح، فقد أثبتت الدراسات العلمية أن مشاهد العنف والإجرام في التلفزيون أثرت بعمق في التكوين التربوي للأطفال فكونت فيهم ميلا نفسيا ونزوعا سلوكيا إلى العنف والجريمة [٢].

مخاطر قديمة

لقد تنبه الباحثون لمخاطر مشاهد العنف منذ انتشار التلفزيون وانطلقت تحذيراتهم لمداركة الأمر قبل أن يصبح خطرا يهدد أطفالنا.

منذ أكثر من ربع قرن أطلق ايف مريام أحد المهتمين بالدراسات الإعلامية في أمريكا صيحة تحذير من عرض مشاهد العنف في التلفزيون قال فيها: ترى ماذا سيحل بجيل من الأطفال ينشأ على فكرة أن العنف صورة من صور التسلية؟

إن أطفال اليوم هم الحيوانات التي تجرى عليها التجارب، ولقد ظلت إحدى اللجان الفرعية بمجلس الشيوخ الأمريكي تجري طوال ثلاث سنوات تحقيقا في البرامج التلفزيونية وما فيها من جرائم الجنس والعنف لمعرفة دورها المحتمل على انحراف الشباب، وقال السناتور توماس دود رئيس اللجنة: إن أطفالنا بالتصاقهم أمام جهاز التلفزيون منذ الوقت الذي يستطيعون فيه المشي إنما يحصلون على تدريب شديد على جميع صور الجريمة من برامج رعاة البقر التي تزداد باستمرار وأفلام الجريمة والبوليس السري التي تتاح لهم. ولقد شاهدت السنوات الماضية ارتفاعا هائلا في العنف الذي تحتويه البرامج وزيادة الانحراف في الحياة الحقيقية بنسبة ٢٠٠٪ تقريبا [٣].

فماذا يكون الأمر بعد هذه السنوات؟

إنه جد خطير.

أضحت الجريمة خطرا يقض

التلفزيون

عاطف شحاتة زهران

أمن المجتمعات المتحضرة قبل غيرها، لأنها لم تعبأ بتلك الصيحات ولم تولها ما تستحقه من تقدير.

الخطر المحدق بنا

إننا سرنا وراء هذه الدول وأخذنا منها الكثير من الأفكار والنظريات مما ينفع أو يضر، وأبحنا في إعلامنا المرئي مشاهد العنف ولم نصغ لنتائج الدراسات الخاصة بذلك ولا لصيحات التحذير من علمائنا ومربينا. فذقنا مرارة الكأس الذي شربوه لما تخلينا عن مبادئنا وتعاليم ديننا ودعوات المصلحين، وتوجهنا شطر الشرق أو الغرب نأخذ منهم ونبث لأطفالنا ما نزعم أن فيه خيرهم، فنشأت أجيال ممزقة لا تعرف لها هوية أو انتماء، وسنجني بعد أمد غير بعيد ثمارا مرة لذلك إذا لم نتدارك الأمر.

فالمفروض أن الإعلام في بلداننا الإسلامية ينطلق من قاعدة راسخة وعقيدة قويمة عمادها: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ البقرة ٨٣، تتجلى من خلال وظائف الإعلام الترفيهية والتثقيفية، وهي قاعدة قديمة يمتد تاريخها لقرون منذ نزل القرآن يهذب النفوس ويصنع الرجال وينقي المناخ من كل خبيث، ومنذ علم النبي ﷺ أصحابه قيمة التربية الصالحة.

وهناك ضوابط عديدة لا بد من مراعاتها قبل أي بث إعلامي:

أهمها: أصول التربية السليمة التي لا ينبغي أن تزاحم بمؤثرات تتناقض في جوهرها وأهدافها، ومصالح المجتمع الذي يجب أن تراعى في كل بث إعلامي، وقواعد الأمن العام التي لا يجوز أن تهدمها برامج العنف والجريمة(٤).

ولا يرتاب أحد في سعي قوى خارجية لضرب القاعدة العريضة من أبنائنا حتى تغرقهم في بحار لا نجاة منها إلا من رحم ربك. وليس من المعقول أن نعمل من خلال قنواتنا الإعلامية لخدمة تلك الجهات أو نكون أصابع لها، بل يجب أن نصبح عيونا ترصد الخطر ونحرص على تنقية إعلامنا من كل ما يسيء حتى لا نكون عونا للشيطان على أبنائنا، وحسبنا ما سينجم من أخطار عن البث المباشر.

الإعلام وحراسة القيم

إن مشاهد العنف التي تسود هناك إن كان لها ما يبررها فلا حاجة لنا بها هنا حتى لا تترك أثرا سيئًا لدى مشاهديها ويكفي ما نراه من عنف واقعي من أخبار الحروب وسفك الدماء وهتك الأعراض واغتصاب الحقوق والقلاقل. وقد باتت هذه المناظر شيئا رئيسا في عامة ما تبثه وسائل الإعلام.

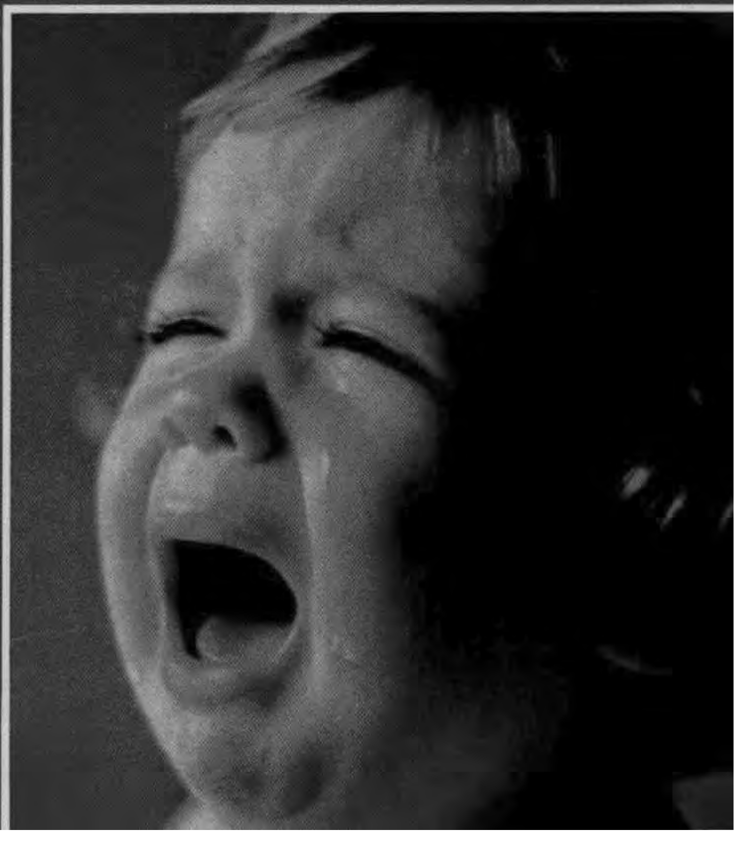
وعلينا أن نوفر لأطفالنا إعلاما نقيا ينمي مواهبهم ويزكي أرواحهم ويزيد قدراتهم العقلية والروحية، فهم ثمار قلوبنا وآمال مستقبلنا، وهم نعمة تستوجب شكرها، وذلك إنما يكون بحسن تربيتهم واستثمار كل طاقاتنا في إعدادهم بدل أن نضيعهم.

سيصلنا البث المباشر بمخاطره ـ وإن لم نشأ ـ فأبحاث الاتصالات جادة وماضية في الطريق لن يقف دونها شيء، والتكنولوجيا تقرب البعيد وتيسر الصعب، وأقل ما يمكننا إزاء ذلك أن نطهر قنواتنا من مشاهد العنف والجنس والمخدرات بدل أن تكون صورة من القنوات الأجنبية أو منافسا لها في هذا الاتجاه، ليبقى أبناؤنا ذخرا لأمتنا وخادما أمينا لها، حافظا لعهدها حارسا حدودها وقيمها عارفا لكل حقه. فالله سائل كل راع عما استرعى، حفظ أم ضيع؟

والدين يغرس في أتباعه قيما إيجابية تأمره بإحسان القول والعمل والرفق في كل أموره، وأن يكون هينا لينا يكره الفسوق والعصيان ويمقت الظلم والعدوان، يكظم غيظه ويعفو عمن ظلمه. وهذه القيم في حاجة لمن يحرسها ويديم الحض عليها ويحفظها من كل ما يخل بها أو يؤثر عليها، وللإعلام في ذلك دور مهم.

إن آيات ربنا تتلى علينا آناء الليل وأطراف النهار ونسمع منها قول ربنا: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ الأحزاب ٧٠ ـ ٧١. وكلنا يود أن تصلح أعمالنا وتغفر ذنوبنا ونفوز فوزا عظيما، فلتكن تقوى الله والقول السديد هما الأصل والقاعدة في العمل الإعلامي بكل أشكاله.

حفظ الله أمتنا وحمى شبابها من كل سوء.



الهوامش

(١) جريدة اللواء الإسلامي في ١٣/١/١٤١١هـ.

(٢) زين العابدين الركابي ـ لماذا العنف؟ جريدة المسلمون ٨ رجب ١٤١٣هـ.

(٣) ايف مريام. امنعوا هذه المشاهد عن أطفالنا. مجلة المختار ـ أبريل ١٩٦٥م.

(٤) زين العابدين الركابي، المصدر السابق.

كيف نتقي التجفاف عند الأطفال؟

د. غالب خلايلي

التجفاف **Dehydration** هو نقص سوائل البدن وأملاحه، سواء عبر نقص الوارد كما في التهابات الفم حيث الألم الشديد ورفض تناول الشراب والطعام، أو عبر ضياع هذه الوسائل بالإقياء أو الإسهال أو غيرها.

وإن أهمّ سبب عند الأطفال هو التهابات المعدة والأمعاء موضوع حديثنا، حيث سنركّز على خطورة التجفاف عند الأطفال الذي يلي الإسهالات، فالإسهال بحدّ ذاته غير خطر إذا تم تعويض السوائل ولنعلم أن الجفاف يقتل سنويا حوالي ٥ ــ ٧ ملايين طفل في العالم النامي، علمًا بأن العلاج بسيط وسهل ورخيص، ورغم ذلك فإنّه لا يتوافر للكثيرين، كما أن أهميته غير معروفة عند شريحة كبرى بسبب نقص التوعية والثقافة الصحية اللتين نعلق عليهما أهمية كُبرى أيضًا.

ما الإسهال؟

الإسهال Diarrhea هو زيادة عدد مرّات التبرز مع تغير قوام البراز نحو السائل، وسببه على الأغلب الإنتانات المعوية الجرثومية (كجرثوم العقيات الكولونية E. cole والشيغلاّ المسببة للزحار - والسالمونيلا المسببة للتسمم الغذائي وربما الحمى التيفية أو التيفوئيد ــ وجرثومة الكوليرا الشهيرة)، وهذه تكثر عادة في الصيف، بينما تكثر الفيروسات في الشتاء. ومن الأمثلة الشهيرة عند الأطفال فيروس روتا ROTAVIRUS الذي يحدث الإسهال والحمّى والسعال.

هذا من حيث أكثر الأسباب، وهناك أسباب أخرى شائعة في بلادنا وهي أخطاء التغذية، مثلاً: تعطي بعض الأمهات الحليب الاصطناعي الزائد الكثافة أو الزائد التمديد بالماء، كما لا تهتم بتعقيم الزجاجة أو حتى تنظيفها، وربما لا تطعم طفلها بنفسها حيث تترك مهمة التغذية للخادمة بينما تذهب إلى العمل أو الزيارات.

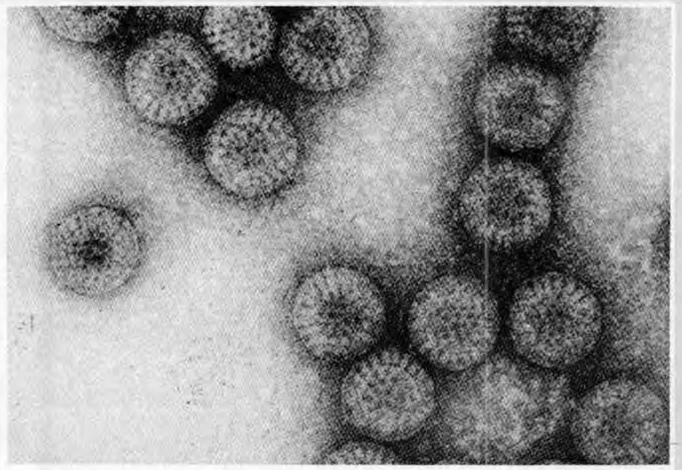
إذًا فأهم أسباب الإسهال في بلادنا أخطاء التغذية والإنتانات.

من جهة أخرى يعتبر الإسهال دفاعًا عن الأمعاء، فالأمعاء الملتهبة تفرز السوائل وتحاول طرد الفيروسات أو الجراثيم، ومن ثم فإن الشفاء التلقائي هو القاعدة بعيدًا عن تدخلاتنا (ماعدا حالات معيّنة يقررها الطبيب)، ولهذا لا تفيد أغلب

جرثوم الشيغلاّ المحدث لإسهال شديد وحمى عالية وربما اختلاج عند الأطفال



فيروس روتا أشهر فيروس مسبب للإسهال والحمّى والسعال عند الأطفال لا سيما في الشتاء



الأدويـــة، ولا تفيـــد مضـــادات الالتهاب، ويجب ألا نهتم بقوام البراز وعدد المرات قـدر اهتمامنا بـالتغذيـة المناسبة وتعـويض السوائل من أجل عدم حدوث الجفاف.

أهمية حليب الأم

حليب الأم ضرورة للوليـد، فهو الغذاء التقليدي الوحيد الذي يضمن حيـاة الطفل في الأحـوال العـاديـة (معظم الحالات).

فهو غذاء متكامل في فترة حرجة من حيـاة الطفـل، وأعني مرحلـة الرضـاعة ففيهـا تتم أهم المكتسبات من الوزن والطول ومحيط الرأس (نموّ الدمـاغ)، وتبدأ الفائدة القصوى مع الرضعة الأولى، وقـوامها الصمغة أو اللبأ الغنـيّ Colostrum بالغذاء وعوامـل المناعـة التـي تحمـي الوليـد لا سيما جهـازي التنفس والهضم، إذ تطلى الأمعــاء بطبقـــة واقيـــة تحمي الرضيع من الالتهابات. إذًا فحليب الأم يحمي من الإسهـال، وهـــذا مـا تـؤكـده الـدراسـات، فـالأطفـال المعتمـدون على حليب العلب أكثـر إصـابـة بالإسهـال خمس مـرات على الأقـلّ والسبب أن لبـن الأم:

☐ غني بالعوامل المناعية المختلفة



طفل تبـدو عليـه علامـات التجفـاف من (غـؤور العينين، وجفـــاف الفـــم وسحنـــة المرض)

التي تقي من الجراثيم (كالكولونيّات) والحُمـات (الشلليـة ـ فيروس شلل الأطفال، وحمة كوكساتي . . .) وهو غني بالعـامل المناعيA g I الذي يحمي مخاطية جهـاز التنفس والهضم كما أسلفنا.

☐ يحتـوي على مقـدار عـالٍ من سكرّ الحليب (لاكتوز) القليل التخمر مع قليل من الفـوسفـات، ومن ثم تـزداد حموضـة الأمعـــاء، وتنمـو العصيـات اللبنيـة المفيـدة في صنع الفيتـامينـات وفي الحفـاظ على وسط معــويّ جيّـد. لهذا تكـون رائحـة فضـلات الطفل المعتمـد على حليب أمه حـامضية أحيـانًا وغير منفـرة كما



نفس الطفل بعـد الإمـاهـة (إصـلاح الجفـاف) لاحـظ كيـف تحسنت نظـــــرتـــــه

هي حـال الأطفـال المعتمـدين على حليب البقـر الـذي يشجع نمـو الجراثيم الكولونية ومن ثم تكثر فرص الإسهال.

ويـلاحظ الشخص العـادي أن رائحة الطفل المعتمد على حليب أمه أزكى من رائحـة الطفل المعتمـد على حليب العلب، ناهيك عن المميزات التي لا تضاهى.

لنقل إذًا. نعـم لحليب الأم، لا لحليب العلب!

خطورة الجفاف؟

جسم الإنسان مـركّب من ٥٥ ـ ٧٠٪ من الماء. والماء أكثر في الـوليد من الطفل الصغير وهـذا أكثـر من الطفل الكبير.

والماء كما هـو معـروف ضروري للحياة ولإنجـاز التفاعلات الحيـوية والكيماويـة في البـدن، إنـه ضروري لكلّ خلية حية.

ولـلأمــلاح أيضًـا دور حيــاتي أساسي.

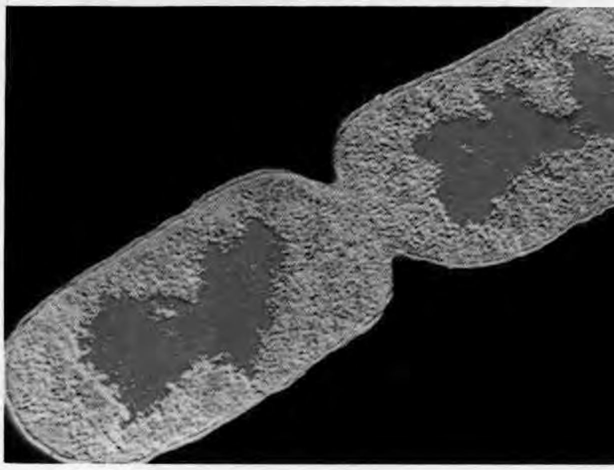
لهذا فإن فقدان الأمـلاح والماء قد يكـون خطـرًا على الحيـاة في الحالات الشديدة، فقد قسم الأطباء درجات التجفاف عند الأطفال الصغار:

جفــاف خفيف: وفيـه يفقـد البـــدن حتـى ٥٪ من وزنـــه ومن علاماته العطش.

جفاف متوسـط: ويفقد البدن حتى ١٠٪ من وزنه، ومن عـلاماته (إضافـة إلى العطش) جفـاف الجلد والمخـاطيـات ونقص البـول وغيـاب الدمع وغؤور العين، ويكون الطفل غير مرتاح وربما مخبولاً مريضًا.

جفـاف شديـد: ويفقد البـدن حتى ١٥٪ من وزنـه، وهــذا خطـر جدًا إذ لا يتوافق في حدّه الأقصى مع الحياة، ومن علاماتـه الوهط الشديد والتعب وهبــوط الضغـط وانقطــاع البـول والشحوب . . . إلخ.

العصيـة الكـولـونيـة من أشهـر الجراثيم المسببـة لـــــلإسهــــال عنــــد الأطفــــال



جرثومـة السـالمونيلا تحدث عـدوى معويـة وتسمما غـــــذائيّـــــا وربما الحمى التيفيّـــــة



كيف نتقي التجفاف عند الأطفال؟

علاج الجفاف

تستفيد أغلب الحالات على إعطاء الأملاح الخاصة الجاهزة بعد حلّها بالماء (عادة : تجهز أكياس لكل ربع أو نصف أو لتر كامل من الماء النقيّ الصالح للشرب). ولقد كان الكثير من الناس لا يعتقدون بجدوى هذه الأملاح، لكنهم اليوم

لافائدة من الأدوية المضادة للإسهال، وقد تكون لها أضرار خطيرة !

وبتنامي الوعي والتثقيف الصحي صاروا أكثر اعتمادًا عليها.

إن تعميم أملاح الجفاف هي إحدى الاستراتيجيات الأساسية لمنظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونسيف من أجل حماية ملايين الأطفال.

وتعطى كميات تتناسب مع كلّ طفل وحالته.

فلإصلاح الجفاف (وهذا ندعوه الإماهة) : نعطي ٤٠ ـ ٥٠ مل من المحلول لكل كيلو جرام من الوزن خلال أربع ساعات.

إن إعطاء السائل بالملعقة المتوسطة كلّ خمس دقائق مجدٍ ولو أنه متعب أحيانًا، لكنه يوفر متاعب لاحقة. كما يمكن التغلب بهذه الطريقة على القيء (وقد تعطى مضادات القيء للمساعدة).

أما المقادير التالية لإصلاح الجفاف (مقادير الصيانة)فتتبع عادة حاجة الطفل وشدة إسهاله وعطشه، فالعطش مؤثر جيّد. وهناك طريقة سَهلة للصيانة هي الآتية، إذ تعطي الطفل عقب كلّ براز سائل :

ـ ربع كأس (٥٠ مل) : للرضيع الصغير.

ضرورة غسل الخضار والفواكه لاتقاء العدوى المعوية





توفر مياه الشرب النظيفة من أهم الضروريات لمنع العدوى المعوية والإسهالات

ـ نصف كأس (١٠٠ مل) : للرضيع الكبير.

ـ كأس كاملة للطفل الكبير (٢٠٠ مل).

ـ كأسان للبالغ (٤٠٠ مل).

وهذا لمنع حدوث الجفاف، بينما يُعطى الطفل حاجته اليومية من الغذاء والسوائل (حليب الأم، الماء، الشاي، الحساء . . . إلخ).

تدبير الإسهال وأهمية الحمية

الإسهال (غالبًا) مرضٌ محدّد لنفسه، يستجيب لأملاح الإماهة بالفم (ودون مضادات حيوية)، وهذا ينطبق على الأسباب الفيروسية والجرثومية.

للأدوية المضادة للإسهال محاذير كثيرة فضلاً عن أنها لا تفيد، وإن كانت تعطي شعورًا (كاذبًا) بالرضى للأم، إذ يصبح البراز أكثر تماسكًا، لكن لا تنقص الكمية الإجمالية كما لا تؤثر على سير الداء.

ـ يُجمع الأطباء على استمرار حليب الأم، فلا يقطع أبدًا. وهناك دراسة حديثة تؤكد على استمرار أنواع الحليب الأخرى (بعد إصلاح الجفاف) ما لم يوجد سبب مانع واضح (مثل عدم تحمّل الحليب أو نقص خميرة اللاكتاز).

ولا ينصح الأطباء أبدًا بالحمية المديدة، إذ يجب ألاّ نجوّع الطفل معتمدين على عدد مرات التبرز، فكل يوم حمية عن الطعام يعني خسارة ١ ـ ٢ ٪ من الوزن كل يوم، كما أن الجوع يزيد حركة الأمعاء وينقص قابلية الامتصاص للماء والأملاح والحموض الأمينية (عناصر بروتين) مما يفاقم الإسهال. إذًا يجب أن نهتم بتعويض السوائل وإعطاء الأغذية أكثر بكثير من اهتمامنا بشكل البراز وعدد مراته.

وللحمية (ما نعطيه للطفل) أهمية كبيرة، إذ ينصح الأطفال بمتابعة حليب الأم كما أشرنا، وإعطاء الشاي الخفيف واللبن الرائب مع الماء والملح (وربّما بعض الثوم) وحساء الأرز مع الجزر والبطاطا (أو أيّ منها مسلوقة) مع بعض الملح، وحسب عمر الطفل.

يعطى الأطفال العصير لتعويض البوتاسيوم (ملح يفقد في الإسهال).

وللأطفال الأكبر نعطي الأرز والخبز المحمّص والموز والتفّاح المسلوق والشاي والمياه الغازية غير الملونة لاحتوائها على السكر والكربونات).

إرشادات

الإسهال مرضٌ اجتماعي أيضًا، وكلّما تحسّن الوعي وارتفعت سويّة العيش وازدادت الثقافة قلت حالاته ومخاطره.

إن تأمين المياه النقية للشرب، وتأمين التمديدات الصحية لكل بيت، ونشر الوعي الصحي وأسس النظافة الشخصية، عوامل أساسية في القضاء على مرضٍ مستعصٍ في العالم الثالث.

المنظومة التربوية واستنزاف الطاقات سلوكيًا

د. يوسف خليفة غراب

إذا كان التعليم في العالم العربي يعاني من مشكلات بعضها يرجع إلى الهدر والتسرب والفاقد وغير ذلك؛ فإن منظومة السلوكيات للفرد البشري أصبحت مهددة تربويًا لفقد الكثير من المقومات والقيم الإنسانية التي تعود إلى مصادر أصلية؛ الأمر الذي تطلب ضرورة إعادة النظر في بعض المشكلات التي تؤثر في إعداد الفرد للحياة، وأهمها ضرورة رؤية المنظومة التربوية وما يؤثر عليها، تاركًا المجال بعد ذلك للتجريبيين لبحث جوانب المشكلة التي تتلخص في الإجابة عن التساؤلات التالية :

- ما دوافع دراسة المنظومة التربوية العربية ؟

- ما مكانة المجتمع كمنظومة تربوية ؟

- ما خصائص المنظومة التربوية في المجتمع العربي ؟

ويمكن تناول التساؤلات السابقة على النحو التالي :

دوافع دراسة المنظومة التربوية العربية

المجتمع العربي يختلف في مقوماته وفلسفته عن المجتمعات الأخرى غير العربية، ومن ثم ليس بالضرورة أن كل ما يطبق على المجتمعات الأجنبية شرقًا وغربًا يصلح تطبيقه على المجتمعات العربية، ومن جانب آخر اختلاف السياسة التعليمية والظروف المعيشية . . . إلخ . ويمكن إجمال دراسة المنظومة التربوية العربية في التالي :

- فهم أفضل السبل لإحداث أكبر سعة ممكنة من الفاعلية الاجتماعية بين خلايا المجتمع الواحد تربويًا .

- دراسة المتغيرات والتغيرات التي تطرأ على بناء المنظومة التربوية نتيجة التغير الثقافي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي .

- الوقوف على أفضل الطرق للارتقاء بالخلية البشرية تربويًا وحضاريًا من الجوانب الإنسانية كافة .

- التعرف على أساليب الإبداع والابتكار الإنساني ودراسة المشكلات المترتبة على ذلك ووضع سبل مثلى لحلها علميًا .

- إن تناول القضايا التربوية والإبداعية المتصلة بالإنسان (الخلية) وبناءها وطرق تجمعها يساعد في عملية التطوير .

- معرفة أنظمة التعاون والمشاركة ودورها في الارتقاء بالمجتمع الإنساني وتقدمه .

- معرفة أثر البيئة في بناء الإنسان تربويًا .

- الوقوف على مدخلات المنظومة التربوية والجمالية والعلمية للإنسان والمجتمع والتحكم فيها .

- دراسة ظواهر التغير، وبحث سبل علاجها علميًا في ضوء المعطيات المتاحة والمحتملة .

- الوقوف على دور الفرد كوحدة في الخلية التربوية الاجتماعية الكبيرة والتعرف على أنظمة ممارساته .

- دراسة أفضل المدخلات التي تساعد في بناء الفرد البشري .

- فهم المجتمع علميًا (١) .

- دراسة منظور السلوك، والمكونات النفسية للأفراد وآثارها التربوية (٢) .

- التخطيط للاستراتيجيات التربوية التي تستهدف بناء الإنسان وتحقيق كفاءة أفضل في تفاعلاته .

- بحث الطرق العلمية لإحداث التكامل بين أفراد المجتمع الواحد، والتخطيط العلمي لفاعلياتهم .

- بحث نظم التباين بين الأفراد، إذ يرى كارل ويك Karl Weik أن الاختلافات بين الأفراد في المنظومة يشكل سببًا رئيسًا لإحداث التفكك الاجتماعي والتربوي (٣)

- يرى ستنكومب Stinchombe أن خصائص دافعية الأفراد، التربوية تتأثر بتكوين البناء الاجتماعي (٤)، وأن نجاح ذلك يحقق استثمارًا أفضل للبشر وإبداعاتهم وإنجازاتهم (٥) .

- معرفة أنظمة التعليم والتربية والتنمية والارتقاء بها .

المجتمع كمنظومة تربوية

المجتمع شبكة واحدة متصلة الأجزاء، الخلل في جزء منها يؤثر في البنية

المنظومة التربوية واستنزاف الطاقات سلوكيًا

الأساسية للمجتمع، وإذا كانت التربية هي أساس التفاعلات فإن الخطورة كبيرة إن لم تكن تبنى على قيم، وترتبط الأفعال بالأقوال والنظريات [٦].

ومن ثم فإن كل ما يقدم للإنسان ينبغي أن يرتبط بالحقائق، فكم من نظريات تربوية لا استثمار لها.

خصائص المجتمع كمنظومة تربوية :

حدد كاتز وكاهن Katz and Kahn خصائص المجتمع تربويًا في التالي : [٧].

التحويل :

ويقصد بذلك أن المجتمع يعالج المدخلات الداخلة إليه كافة، أو التي تحتاجها متطلباته وفقًا لطبيعة البيئة، ويعيد تنظيمها حيث يتم تناولها وفق الاختصاصات ومعالجتها بشكل استثماري، ومن ثم تنوع المصالح والاحتياجات، ويعتمد على كل ما ينتجه الآخر فيتحقق التماسك الاجتماعي وتؤثر كفاءة عملية التحويل في الخطوة التالية :

الناتج :

كل وحدة صغيرة (الإنسان) تصدّر كل ما يحوّل إليها من جديد إلى المجتمع، تحقيقًا لأداء واستثمار أفضل. ويقود ذلك للخطوة التالية :

النظم الاجتماعية كحلقات من الأحداث :

استمرار المجتمع وتماسكه يعني استمرار قبول المدخلات ثم تصديرها في شكل أو آخر إلى المجتمع، فالجامعات تستورد الطلاب وتعدهم وتصدرهم للمجتمع، ومن ثم يتحدد دور الجامعة بالنسبة للمجتمع وتطوره، يقاس على ذلك كل المدخلات، ومن ثم يظهر التأثير سلبًا أو إيجابًا وفق طبيعة عملية الإعداد.

الإنتروبيا السالبة * Negative Entropy والمحافظة على الطاقة التربوية عربيًا :

إن كل الأشياء تتحرك إلى زوال، ومن ثم فإن كثيرًا من السلوكيات السالبة التي تكتسبها من المجتمع يمكن أن تزول إذا حل بدلاً منها سلوكيات إيجابية لها قيمتها في الحياة. ولكي يوجد المجتمع ينبغي العمل على إيقاف الإنتروبيا ليظل المجتمع محتفظًا بسماته أو خصائصه، والسبيل إلى ذلك إثراء الطاقة الإنسانية داخل المجتمع وتخزين الفائض لزمن التغير، فقد يتدهور المجتمع سريعًا في ضوء نظام تعليم معين ويكون ذلك فقدًا للطاقة التي تؤثر في المجالات والميادين التربوية الأخرى، وقد يتحقق العكس، نتيجة طبيعة المجتمع وخصائصه

التزود بالمعلومات :

إن أساس الطاقة السلوكية في المجتمع العربي هو نوع وكم وكيف المعلومات الداخلة له، فهي المعدلة للاتجاهات أو المحدثة للتقدم والتنمية، ويتحقق ذلك عندما يسمح المجتمع بتدفق أفضل للمعلومات.

الحالة المستقرة The Steady State :

إن استيراد الطاقة قد يوقف نزيف الإنتروبيا ولا يحقق استقرارها أو تطورها أو توازنها، ويتطلب ذلك السيطرة على العوامل الأخرى ومحاولة توفير أكبر سعة من الطاقة السلوكية والمعلوماتية لإيقاف التدهور وإحداث التقدم Progress.

التميز :

يتميز المجتمع الإنساني تربويًا بالتخصص، وإن الفرادة في ذلك تعطي نوعًا من الاتزان والاستقرار إذا أجيد استثمار المعلومات، والمدخلات كافة إلى المنظومة الاجتماعية، فالمجتمعات البترولية تختلف عن المجتمعات الزراعية أو الصناعية بالرغم من وجود تكامل داخلي، إلا أن الحفاظ على السمة الأساسية وما يتشعب عنها يعد عاملاً قويًا، فاليابان تفوقت في الالكترونيات، ومن ثم يأتي التميز والفرادة بين المجتمعات الأخرى.

التوحيد والتنسيق :

إن التنسيق بين مدخلات المنظومة يخفض من الإنتروبيا في السلوكيات التربوية، ويزيد من التماسك والاتزان التربوي والاجتماعي، حيث يتصل كل جزء بالآخر في وحدة متكاملة، ويساعد ذلك على التنسيق والتحكم في السلوكيات التربوية [٨].

التساوي في بلوغ النهاية Equifinality :

أن يكون هناك هدف للتربية يسعى المجتمع أو المؤسسة التعليمية لتحقيقه، ومن ثم فالمجتمع بمدخلاته ووحداته ينبغي أن يضع الاستراتيجيات والأهداف، ويحدد الغايات لبناء الإنسان وتقدمه، وتتضافر الجهود والإمكانات كافة في تحقيق ذلك.

النتائج المتوقع الإفادة منها

- إن تربية الإنسان منظومة متكاملة، وإن أي تأثر أو تأثير في جزء منها يمكن أن يؤثر سلبًا أو إيجابًا في تربية الفرد البشري.
- إن المجتمع شبكة متكاملة من الخلايا، وإن استنزاف الطاقات سلوكيًا (الإنتروبيا السالبة) يؤثر في تقدم المجتمع وبنية التفاعلات السلوكية.
- إن التغير في المنظومة الاجتماعية سياسيًا أو اقتصاديًا أو ثقافيًا أو اجتماعيًا يؤثر في أشكال السلوكيات التربوية، ويحقق فاقدًا في الطاقات والقدرات ويحدث اضطرابًا اجتماعيًا.
- إن أساس المشكلات وجود خلل في بنية التربية.

- إن أفضل السبل لفهم المجتمع يتوقف على تحليل العوامل التربوية التي يستقي الإنسان منها سلوكياته.

- إن تحقيق نسيج اجتماعي أفضل يتوقف على فهم طبيعة مكونات الخلايا.

- إن التفكك الاجتماعي سببه خلل في المنظومة التربوية.

- إن للمجتمعات خصائص ينبغي معرفتها قبل التخطيط التربوي من أجل الإنسان.

- إن أساس تماسك المجتمع الحفاظ على الطاقة الموجبة وتخزينها للمواقف الحرجة التي يمر بها المجتمع.

- إن كل عملية تربوية استثمار، وكل إنسان يكتسب التربية فهو يورد الطاقة، وبمقدار إيجابية الطاقة تكون الإيجابية في تصديرها إلى المجتمع والإفادة منها.

توصيات

في ضوء ما سبق يمكن وضع التوصيات التالية:

١ - النظر إلى تربية الفرد العربي من منظور استثماري وإعادة التخطيط للسلوكيات اقتصاديًا.

٢ - إن التفاعلات الإنسانية شبكة واحدة، ومن ثم لكي نصل إلى نظام جيد في التربية علينا تنقية المنظومة من كل مؤثر يحد من دافعيتها.

٣ - ضرورة إعادة النظر في شكل التربية العربية وجوهرها بما يحقق دافعيتها.

المراجع الهوامش

1. William H. Whyte, Jr. The Organization Man (N.Y. Anchor Books, 1957). pp. 13-14.

٢ - جون هـ. جاكسون، سيريل ب مورفان، جوزيف باوليلو: نظرية التنظيم، ترجمة خالد حسن رزق. معهد الإدارة العامة، الرياض، ١٩٨٨م، ص ٢٠.

3. Karl Weick, "The Social Psychology of Organizing" Reading. Mass, : Addison-Wesieg-1969.

4. Arthur L. Stin Chcombe "Social Structure & Organization" in Handbook of Organization ed James G March (Chicago, Rand McNally 1965) P 146.

5. Lewis Kriesburg. "Internal Differention & the Establishment of Organizations; In Institutions & the Person, ed Howard S. Baker & Others (Chicago) Aldine, 1968.

٦ - جون هـ. جاكسون، المرجع السابق، ص ٣٥-٣٨.

٧ - السابق، ص ٣٥-٣٨.

8. F. E. kast & J.E. Rosenzweig. "Structure & Processes in Modern Societies, "New York": and F.E. Kast & J.E. Rosenzweig "Contingency Views of Organization & Management" Chicago Science Research Associates, 1973.

* الإنتروبيا هي فقد للطاقة بصورها كافة وأن كل شيء يؤدي إلى زوال إن لم يستثمر جيدًا.

اليَقينُ وَالسَّكِينَة

تناهى إليه صوت الشيخ محمد رفعت، وهو يتلو من سورة الضحى ﴿ألم يجدك يتيمًا فآوى. وَوَجَدَكَ ضالاً فهدى. ووجدك عائلا فأغنى﴾.

أحس بعدها بأنه أقوى من كل شيء، ولم يعد يبالي بما يلاقي، فكل محنة لا شك تعقبها نعمة.

كان بالأمس يقرأ في أدب العبث، وكان يحس بأنه يتلاشى والمستقبل أمامه يضيع، فهذا كاتب يرى أمامه امرأة حاملا تتمشى مع زوجها فوق ضفاف نهر، فيدفعها بقوة هي وحملها نحو النهر. وهذا آخر، أظنه صمويل بيكيت، يلقى بطفل صغير تحت عجلات القطار.

والأغرب أن هذا الكاتب أو ذاك ينجز مهمته وهو سعيد، وقصته أو مسرحيته تحتفي بهذه السعادة من خلال مظاهر كثيرة. وكأنه قد أدى رسالة لا تقل عن رسالة الأنبياء والمصلحين.

أما اليوم وهو يسمع سورة الضحى، فهو يحس بأن المستقبل يتراءى له خلف كل محنة، ولم يعد يهمه يُتْم ولا حيرة ولا فقر، فكل شيء لا يدوم، فقط عليه أن ينتظر.

قال لها: إن أدباء العبث يصدرون عن أعصاب ضعيفة، فقد اندمجوا في المحنة، ولم يعبروها إلى ما وراءها. ظروف الحرب والتشريد والتعذيب استغرقتهم ولم يملكوا من الطاقة ما يجعلهم يبصرون الفجر وهو يلوح من بعيد.

قالت له: أراك تتحدث عن مقام الصبر عند المحنة.

نظر خارج النافذة، وأبصر وردة وحيدة في الحديقة، وتذكر قصة «الزحلف» الأسود التي قرأها وهو طفل صغير، ثم قال لها:

- ولكن مقام الصبر وحده لا يكفي، هو نصف الحقيقة، وتلا عليها بقية السورة ﴿فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر. وأما بنعمة ربك فحدِّث﴾.

وأحس بالامتلاء، وود لو يخرج إلى الشارع ويحتضن كل إنسان، وصرخ (الزحلف) الأبيض وهو يغرق، وتقدم إليه «الزحلف» الأسود وأعاده سالما، وهلل الجميع للزحلف الشجاع، ولم يشعر بعدها بأنه منبوذ من بقية الزحالف.

قالت له: فهمتك، أراك تتحدث أيضا عن مقام الشكر عند النعمة، فأول السورة يتحدث عن الصبر عند المحنة، وآخرها عن الشكر عند النعمة.

قال لها: نعم، ذلك هو مقام الكمال الذي يتكامل فيه الصبر والشكر، كما يتكامل الضحى والليل، والأبيض والأسود، والذكر والأنثى.

كان هناك طائر يضرب أجواز السماء بجناحين قويين، وهو يخترق تشكيلات السحب المتعددة الألوان.

د. عبد الحميد إبراهيم


الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن «مؤسسة الجزيرة» للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

آفاق اجتماعية

مسؤولية الإعلام التربوي

يستفيد الإنسان عادة من وسائل الإعلام عامة، ومن وسائل الإعلام التربوي بخاصة، فعلى وسائل الإعلام العام تلقى مسؤولية كبيرة في عملية تثقيف وإعداد المواطنين من مختلف الأعمار والمستويات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ومن المفروض أن تتبارى تلك الوسائل وتتنافس لنقل المادة الثرية من معارف ومعلومات وبرامج مختلفة ومتنوعة لتجذب اهتمام وانتباه الكبار والصغار على مختلف مستوياتهم. كذلك تمارس تلك الوسائل - بنفس الوقت - نوعًا من الرقابة غير المباشرة على بعضها البعض مما يساعد على إظهار الحقائق الموضوعية وبالتالي تربي شعبًا مثقفًا واعيًا.

أما المسؤولية الأكبر والأهم فتبقى ملقاة على عاتق الإعلام التربوي المواجه للصغار والتلاميذ والطلبة؛ لأن التعليم الذي يعطى لهم في المدارس وحتى في أسرهم يبقى قاصرًا ما لم تكمله تربية غير مباشرة من خلال الإعلام التربوي كالراديو، والتلفزيون والصحف والمجلات والكتب والمحاضرات والندوات، والمخيمات، و . . . إلخ. فسرعة تقدم العلوم وتشعب أنواع المعارف قد وضعت البيت والمدرسة أمام استحالة مادية لمواكبة هذا التقدم وذاك التشعب.

من هنا ظهرت الأهمية والضرورة الملحة لتدخل وسائل الإعلام التربوي في عملية تكملة وتدعيم دور المدرسة والبيت بتوسيع المعلومات المدرسية وتعميم كل ما لم يصل بعد إليهما من العلوم والمعارف والتركيز على القيم والمهارات التي تعمل المدرسة جاهدة على غرسها في سلوك تلامذتها وطلابها، وتبيان علاقة كل ذلك بالحياة العملية.

إذ تبقى كل القيم والمهارات والمعارف التي تبشر بها المدرسة والبيت مواعظ كلامية ومعلومات نظرية لا تترجم إلى سلوك عملي، إذا لم تروج لها وسائل الإعلام التربوي، وإذا لم تهيىء لها الظروف والمناخ والأرضية الملائمة لغرسها وتطبيقها في المجتمع، فما يقدم للطالب بالمدرسة والبيت يثري ويتأصل إذا كان يتوأم مع ما هو سائد في المجتمع، ويضمحل ويتزعزع إذا كان يسير بعكس ما هو سائد ومتعارف عليه.

الأمر الذي يحتم على وسائل الإعلام التربوي أن تستخدم كافة الوسائل والأساليب والطرق المتاحة كي تنجح في تأصيل القيم والمهارات والمعارف والمعلومات في مؤسسات ومنظمات المجتمع، حتى يتسنى لهذه الأخيرة مراجعة خططها وبرامجها وأهدافها ونشاطاتها باستمرار وعلى ضوء التطورات والتجديدات وتكييفها مع معطيات العصر في إطار ثقافة وقيم ومعتقدات المجتمع الأصيلة. وبذلك نضمن لتلامذتنا وطلابنا وشبابنا عدم الوقوع في مهاوي الصراع والتناقض بين ما تبشر به المدرسة والبيت ووسائل الإعلام وبين ما هو واقع معاش وممارس.

وإذا كان من الصحيح أن الإعلام التربوي موجود في البلدان العربية، ولكنه من الصحيح أيضًا أنه بحاجة للمزيد المزيد من الرعاية والاهتمام لكي يكون فاعلاً. إن ما نريده من الإعلام التربوي تقديم مادة غنية ثرية تحدث أثرًا إيجابيًا وتترك صدىً قويًا بنفس الصغير والتلميذ والطالب والشاب تساعده على اكتشاف ما يملك من طاقات ومهارات وتشعره بأن للوطن واجبًا وحقًا عليه يؤديه له من خلال عمله وإنتاجه وإبداعه واختراعه.
كما نريد من الإعلام التربوي أن يتحدث عن المسائل التربوية المهمة اللصيقة بحياة المجتمع كالحديث عن المشكلات التي يعاني منها المجتمع بشكل موضوعي وجذاب ومثير للاهتمام، كالحديث عن مشكلة الهجرة إلى المدن الكبرى والتكدس فيها وما تجره من مشكلات اجتماعية وصحية واقتصادية تعكس آثارها الضارة على المجتمع، أو الحديث عن الصعوبات التي يعاني منها الفلاح والصياد والعامل. أو الحديث عن المهن والمدارس المهنية والزراعية والتجارية وأهميتها في بناء المجتمع وتطويره، أو استعراض وتقييم برامج وخطط التدريب والتأهيل للعمال، والفنيين، وحاجة المجتمع الملحة للفنيين والمختصين البارعين الذين يحبون مهنهم ويخلصون لها ويشعرون بالخجل إن هم قصروا أو أهملوا حيالها. أو الحديث عن الفروع الدراسية والمنح الدراسية ومجالات التخصص وحاجة البلد من كل نوع من أنواع تلك الاختصاصات، أو الحديث عن المكتبات الموجودة وأنواع الكتب والمؤلفات والدوريات التي تقتنيها، أو الحديث عن المخابر والمستشفيات أو الحديث عن التأخر الدراسي والرسوب ومشكلات التسرب وأسباب ذلك وخطورته على الفرد والمجتمع.

إن هذا النوع من الإعلام التربوي نريد، وهو الخطوة الأولى نحو تربية مستمرة متصلة بأسباب الإنماء الاقتصادي والاجتماعي.

د. تماضر حسون



تمثال الأمثال للعبدري

تحقيق : د. أسعد ذبيان
عرض : إسماعيل مروة

لم تلق الأمثال العناية اللازمة من الباحثين والعاملين في مجال التحقيق والدراسة. فأغلب ما نُشِرَ حول الأمثال، ما زال في ثوب قديم بعيد عن المنهجية الحديثة، التي تعمل على تسهيل الإفادة من كتب الأمثال، والعودة إليها، ولعلّ أشهر كتب الأمثال (مجمع الأمثال) للميداني[1] ما زال بحاجة إلى إعادة نظر في الترتيب والإخراج والفهرسة، فالطبعة التي بين أيدينا، أدّت الغرض منها في وقتها، لكنها لا تلبّي حاجة الباحث، ولا تمثل طموح المستفيد من المكتبة العربية.

وقعت منذ مدة على كتاب (تمثال الأمثال) للعبدري، فأفدت منه فوائد عدة في أبحاثي وكتاباتي، وهو كتاب في الأمثال، وإن لم يكن معجما جامعا لكنني وجدتُ فيه كتابًا يستحق الوقوف عنده، تصنيفًا وإخراجًا وتحقيقًا، فكانت هذه الوقفة.

إن للأمثال مكانة في العربية عالية، ويكفي أن نعرف أن الأمثال من أهم مصادر الاستشهاد اللغوي في العربية، والأمثال لم تأت هكذا كما نعرفها اليوم، وليست شجرة سهلة المنال، واطئة الأكناف، بل الأمثال رفيعة المستوى، عزيزة المصدر، وهذا يتوضح من خلال معرفتنا أن عددًا غير قليل من الأمثال إنما هو من دوحة الحديث الشريف، ومن جوامع الكَلِم منه تحديدًا.

فكم من حديث يدور على الألسنة، نردده على أنه مثل، مستعذبين لفظه وجمعه وإعجازه، وهذه ميزة من أهم ميزات هذه الطائفة من الأمثال. ومن بين هذه الطائفة القول المأثور : (إنّ من الشعر لحكمة).

وكون المَثَل حديثًا لا يخرجه من دائرة الأمثال، كما أن كون الحديث مثلاً لا يخرجه من دائرة الأحاديث الشريفة. وكذلك فإن عددًا غير قليل من الأمثال يُرَدّ إلى الصحابة والفصحاء والرجالات الكبار في حياة العرب قديمًا. كما أن الشعر العربي القديم أخذ مكانةً مرموقة في الأمثال، فالمثل إما بيت شعر، أو شطر بيت، أو جملة من بيت شعري، وإن لم يكن من هذا أو ذاك أو غيره فهو قول ألقته العرب بفصاحتها ليكون رسول تجربتها الحياتية إلى الأجيال القادمة من أبنائها.

من كتاب العدد

● إسماعيل مروة.
- ماجستير في اللغة العربية.
- يحضر الدكتوراه في علوم اللغة العربية في إحدى الجامعات السورية.
- من أعماله : شرح قواعد الإعراب لابن هشام : دراسة وتحقيق، كان حلمًا (قصص)، عزف منفرد (قصص)، البحتري (دراسة)، مسرح علي عقلة عرسان (دراسة).

وقـد وعى العرب هـذه القيمـة الكبيرة لـلأمثال، فعنـوا بها أشـدّ العنايـة. واستشهدوا بها في كتبهم اللغوية والنحويـة، ويُنْبينا عن ذلك ما نجده في كتب النحو واللغة من قوائم الأمثال الواردة، ولا يخلو كتاب من كتب النحو من هذه الأمثال، وإن تفاوتت هذه النسبة زيادة أو نقصانًا.

فالعلماء اللغـويون ينظرون إلى هـذه الأمثال على أنها حجة دامغـة في تأكيد قاعدة ما، أو نفي أخرى. ولـم يكتـفِ العرب بالاستشهاد في كتبهم بالأمثال، بل صنفـوا في هذا البـاب، وتكاد تكـون حركـة تأليف الكتب في الأمثال عنـد العرب شبيهـة بحركة التأليف عندهـم في اللغة. وقد تدرجت هـذه الحركة من الصغير إلى الكبير، من المرحلـة الجزئيـة، إلى الموضوعيـة، إلى الشمـوليـة التي استوعبت كلَّ شيء (٢).

وقـد وصل إلينا جـزء كبير ومهم من الأمثـال العـربية، سـواء عن طـريق المؤلفات العـامة، التي يكـون المثل جزءًا مكمـلاً فيها، أم عن طـريق المؤلفات التي أخلصت للأمثال. وأشهر الكتب التي أخلصت لـلأمثال كتاب الميداني، وقـد ذاعت شهرتـه حتى طغت على الكتب الأخـرى، فغـدا المجمع عليه هـو الأمثال وقـد رتّبه الميداني على طريقـة المعاجم اللغويـة، لكنه أخَلَّ في ذلك، إذ اعتمد التبـويب العام لهذه الأبواب في حروفهـا، ولـم يعتمد التبـويب الداخلي التفصيلي كما في المعاجم.

فقد قسم معجمـه إلى ثمانية وعشرين حرفًـا، لكن لم يقسم الحرف العام إلى ثمانيـة وعشرين حرفًـا أيضًـا، فإن أردت مثـلاً في العين، فإنك لا تستطيع تتبع الطريقة المعجميـة داخل حرف العين. والشيخ محمد محيي الديـن عبد الحميد رحمه الله لم يعمـد إلى الترتيب الصحيح عنـدمـا نشر الكتـاب، أو على الاقلّ الفهرسة الكـافية، ذلك الترتيب الذي يقدّم الفـائدة للقارئ والباحث في وقت وجهد أقلّ.

وغالبية الكتب التي تهتم بـالأمثال عمدت إلى السرد المعجمي لأمثالها، دون التفصيل في قضايـا مهمة كالمصدر والاختـلاف فيه، فالكتب تعمـد إلى إثبات المثل وقصته وحسب.

تمثال الأمثال للعبدري

ومن كتب الأمثال المهمـة كتاب (تمثـال الأمثال للعبـدري الشيبي)، الذي حققه تحقيقًا علميًا الأستاذ الدكتور أسعد ذبيان، والذي يقع في مجلدين يجمعان حـوالى ثمانمائة صفحـة من القطع الكبير، وأقف عنـد هذا الكتـاب دون سـواه لأمرين اثنين:

١ ـ مادة الكتاب، وطريقة عرضها:

سأذكـر مثلاً واحـدًا من متن الكتاب يُبرز طـريقة المؤلف في تصنيف مـادّة كتابه، وأقتصر على هـذه المادة؛ لأن الغاية من مثل هذه الـوقفة تحديد المنهج وليس إيجاز الكتاب، ومثل هذه المقالة لا تغني عن الرجوع إلى الكتاب نفسه.

٤٣٧: يعلم من حيثُ تُؤكل الكتف:

تمثال الأمثال
سِفْرٌ ينضوي تحته المثل والمعرفة والشعر والتراجم

ويُـروى: من أيـن، قـال في المستقصى (٣): يضرب لمن يأتي الأمـور من مأتـاهـا، لأن أكل الكتف أعسر مـن غيره، وقيل أكلهـا من أسفلهـا إلى آخـر الكلام، وأنشد عليه شاهدين.

وقال الميداني: يضرب للدّاهي. ثم حكي عن بعضهم وجهًا في كيفية أكل الكتف.

ومن طـريف ما اتفق لهذا المثل في هـذا الـزمن المتأخر، أن الأديب البـارع؛ أبـا الحسين يحيى بن عبـد العظيـم الجزّار، الشـاعـر المشهـور كتب إلى النَّصير الحمّامي، وهو شاعر ظريف أيضًا.

حُسْـنُ التـأتّي ممّـا يعين على   رزق الفتـى والعقـول تختلـف
والعبـد مـذ كـان في جـزارتـه   يعلـم من أيـن تـؤكل الكتـف

فأجابه النَّصير، وكان حمّاميًا:

ومـذ عـرفـت الحمّام صرتُ فتًى   لَطْفًـا يـداري مـن لا يـداريـه
أعـرف حـرّ الأشيـا وبـاردهـا   وآخـذ الماء مـن مجاريـه (٤)

انتقيت هذا المثل لطرافته وشهرته وقصره، ومع ذلك فإننا نلحظ أن الكاتب يجمع الأقوال من هنا وهناك، ويوازن ليصل إلى رأي آخر، وربما كان هذا الرأي توفيقيًا، وقد روى المؤلف في كتابـه من الأشعار الكثير، واستشهد بعدد لا بأس به من الآيات القرآنية، وسرد شيئًا من الطرف الأدبية والملح. فصار بذلك كتاب (تمثـال الأمثال) كتـاب أدب عـام، وليس كتـاب أمثال وحسـب، وهذه ميـزة اختصّ بها الكتاب عن كتب الأمثال.

ومع أن المؤلف رتَّب كتابه على حروف المعجم إلا أنه ليس بالمعجم، وهذا ما رأيناه في دراسة المحقق التي سأقف معها. إنـه كتاب اصطفاء وانتقاء، أراد منه مؤلفه أن يكون كتاب متعة وفائدة، فهو سِفْرٌ ينضوي تحت أكثر من باب، فيه المثل والمعرفة والشعر والتراجم.

٢ ـ التحقيق والدراسة:

وأنتقل إلى الـدراسـة والتحقيق، ومنهج المحقق الـدكتور ذبيـان، وهـو لا

تمثال الأمثال للعبدري

يختلف كثيرًا عن أسلوب التحقيق العلمي الذي عرفه المحققون العرب، وإن اختصّ بأشياء، واختلف بأخرى.

أما عن الدراسة فقد قدّم المحقق دراسة متميزة بحق، فهي وافية غير مطوّلة، ومركّزة وغير مبتسرة عرض فيها بأسلوب علمي رصين حركة الأمثال والتأليف فيها، وللكتاب الذي يحققه، وللمؤلف وقبيلته وكتابه.

وأهم صفة من صفات الدراسة الروح العلمية في نقد كتابه ومؤلّفه، وهذه نقطة مضيئة في التحقيق تضاف إلى أخواتها الأخريات، إذ غالبًا ما نجد الباحث الذي يدرس أديبًا أو مؤلفًا أو كتابًا ينحاز إليه بشكل كبير، فلا يرى سواه كتابًا، ولا يفوق مؤلِّفه مؤلفًا، مع أن الكتاب قد يكون عاديًا، أو أقل من عادي، وقد استطاع المحقق أن ينجو من هذا المطبّ بما حمله من روح علمية، لم تمنع من قول كلمة الحقّ في المؤلَّف والمؤلِّف، وهو بذلك يعتمد أسلوب علماء الحديث في الحكم السليم القائم على الجرح والتعديل، إذ يقدِّم ما للكتاب وما عليه، وما للمؤلف وما عليه، وأقول إنه كان بالإمكان أن يخفي هذا الأمر وألاّ يُظهره، لكنّ الأمانة العلمية اقتضت ذلك، خاصة في موقفه من المصنّف، فهو في الوقت نفسه الذي يجله ويحترم علمه، يأخذ عليه بعض مواقف منها:

(لا بدّ من القول أن العبدري كان بلجوئه إلى التعميم في الثناء غير باريء من المبالغات التي تدخل صاحبها في حيز الإسراف، ولقد أسرف العبدري كثيرًا)[٥].

(فهذا إفراط قد يخرجه الشاعر في صور استعارات، يخفُّ معها على الأسماع وقعه، فأمّا وضعه في النثر موضع تحقيق وتقرير، فإنه يحرم قائله الدِّقة في الحكم، وينزع عنه فضيلة الإنصاف)[٦]. ويقف عند بعض القضايا بدقة متناهية، ليقدم بذلك إجابات عمّا سيأتي من تساؤلات عند قراءة الكتاب قراءةً متأنيةً واعيةً.

فيقول المحقق: (التحقق أو إظهار التحرّج من إيراد بعض القصص النابية، وخصوصًا حين تتصل بملك أو سلطان . . . ولهذا حكاية جرت للعتابيّ الشاعر، مع هذا النّمري ذكرها في الأغاني، ولكنّي نزّهت النظر الشريف على هذا الموضع)[٧].

فالمؤلف لم يكن علميًا في انتقاء أمثاله وقصصه، لأنه حرص على ما يرضي الحاكم الذي ألّف الكتاب في حضرته وإشراقه.

ويدعم هذا القول بقول آخر: (وأكاد أقرّر أن المؤلف لم يورد بعض الأمثال إلاّ لأنها كانت تتيح له الاستطراد إلى مدح الناصر)[٨].

فرضًا الحاكم تحكّم في الكتاب وأسلوبه ومادّته، وقد تحدث المحقق عن هذا الموضوع بموضوعية متناهية على الرغم من أنه موضوع دراسته وعمله.

وبعد ذلك يقف مع كتاب العبدري ليبين طريقته في الجمع، وهدفه منه أوجزها بما يلي:

- الموازنة بين مجمع الأمثال، ومستقصى الزمخشري.
- إبعاد الأمثال التي لا تحقق الموازنة.
- ذكر ما انفرد به أحد الكتابين.
- عرض الأمثال على المصادر الأخرى.
- لم يذكر المؤلف إلا ما يثير حافظته ومحاكماته.
- إيراد مجموعة من الأمثال الجديدة التي لم ترد عند سابقيه[٩].

ويخلص إلى نتيجة مهمة تتساوق مع حكمنا على علميته ودقته في دراسة الكتاب والمؤلف، وهذه النتيجة تقول:

هو كتاب لا يستغني عنه من حاز المستقصى والمجمع؛ لأن فيه من المقارنات ما لا يستطيع كل قارئ أن يتوافر عليه، هذا على مستوى الأمثال نفسها، أما على مستوى الفوائد الأدبية واللغوية، فإن «تمثال الأمثال» حقيق به أن يُعَدَّ معينا لها، فقد حاول المؤلف فيه أن يربط القديم بالمعاصر، وأن يضع شعر بدر الدين بن الصاحب وغيره من المتأخرين إلى جانب شعر امرئ القيس والمرقَّشين والفرزدق، وأن يقرن الأدب المشرقي بالأدب المغربي[١٠].

وبعد الدراسة يحدّد المحقق الأمور التي حكمت المصنف في أسلوب التصنيف ومادة الكتاب:

- المدة المحددة لإنجاز الكتاب، والمؤلف محكوم بها بسبب غربته.
- المصادر المتيسرة له في تلك المرحلة.
- بُعده عن مصادره التي أَلِفَهَا.
- حجم الكتاب الذي يجب أن يكون لطيفًا[١١].

ويضيف عبارة أخرى تنصف الكتاب والكاتب:

(إن «تمثال الأمثال» لم يكن يعتمد إيراد كل ما وصل عصره من أمثال سابقة، ولو ادّعى مؤلفه ذلك لسقط من هذه المقارنة، ولما كانت هناك حاجة إلى تأليفه، ولكن عنصر الانتقاء، . . . هو الذي تحكّم في منهجه العام)[١٢].

ويحدّد في جدول خاص الأمثال التي انفرد بها (تمثال الأمثال) بسبعة وتسعين مثلاً، يذكر فيه المَثَل ومصدره[١٣].

تحقيق الكتاب

أمّا عن تحقيق الكتاب، فإن الكتاب في الأساس رسالة علمية، ومن طبيعة الرسالة العلمية أن تكون أكثر أعمال الباحث اتزانًا وأصالة، فهو أحرص ما يكون عليها خوف النقد والدرجة العلمية، إضافة إلى وجود أستاذ مشرف يوجّه ويوصي ويهذّب؛ فكيف إن كان ذلك الأستاذ من أكثر الباحثين أصالةً وإنتاجًا

الأمثال عند اللغويين حجّة دامغة لتأكيد قاعدة أو نفي أخرى ١

وخبرة، الدكتور إحسان عبّاس. والأهم من هذا أو ذاك، أن الدكتور ذبيان مُقِلٌّ للغاية في أعماله، فهو يتريث قبل أن ينشر بحثًا أو كتابًا لأنه ينتمي إلى الرعيل الذي يعدّ الخطوات على نفسه قبل أن يعدّها على الآخرين، لذلك فإننا ننظر إلى عمله هذا من ناحيتين:

الأولى: إنه بحث أكاديمي علمي.

الثانية: بحث يدل على صاحبه، لأنه يمثل أنموذج عمله المفضّل لديه، ولا شك في أن الدكتور ذبيان بذل جهدًا غير عادي في سبيل هذا الكتاب وإنجازه وإخراجه إلى النور.

ومقدار هذا الجهد يتبدى من حشد المصادر والمراجع، ومن الحواشي المفيدة المسخرة لخدمة البحث، ففيها من اللغة والتراجم، والنحو والقراءات، والأمالي والفقه، والتفسير والحديث، والبلدان والأمثال وغيرها كثير، ولو نقلنا النظر في أيّة صفحة من الكتاب نلمس ذلك الجهد المنظم المدروس، فالحواشي غير اعتباطية، ولا تهدف إلى عرض العضلات، ولا إلى مراكمة المعلومات المفيدة وغير المفيدة، فهي لا تُتْعب الكاتب ولا الكتاب ولا القارئ في الوقت نفسه.

وأنقل حاشية واحدة تبين طريقة المحقق في التعليق، وهي أنموذج مثالي للتحقيق العلمي: (تقي الدين بن الصلاح هو عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشافعي أبو عمرو (٥٧٧ - ٦٤٣هـ/ ١١٨١ - ١٢٤٥م).

كان أحد فضلاء عصره في التفسير والفقه، درّس في عدة مدارس بالقدس والشام، انظر ترجمته في ابن خلكان ٣/ ٢٤٣، وفي الحاشية ثبت بأهم مصادر ترجمته).

إن ابن الصلاح من الأعلام المشاركين، وبإمكان المحقق أن يكتب عنه طويلاً، وهو الذي يعيش مع التراث وكنوزه، لكنّ منهجه الذي اتّسم بالعلمية أبى عليه أن يثبت ما لا داعي له. وإنما ذكر المهم فقط، فكانت الحاشية بمثابة المفتاح الذي ينطلق فيه القارئ إلى بغيته دون أن يدفع بالترهل إلى صفحات الكتاب، ولو فعل ذلك لأثقل الكتاب، وضاعف عدد صفحاته. وهذا ديدنه في صفحات الكتاب كلها.

وأقف عند قضية واحدة متجاوزًا ما في الكتاب من أغلاط مطبعية وغيرها، وهذه القضية مختلف فيها بين الباحثين، لذلك لا تشكل نقدًا صريحًا، وإنما وجهة نظر، تلك هي الإحالة إلى المعاجم. فالمحقق يحيل إلى اللسان والتاج وغيرها بذكر الجزء والصفحة والمادة، مع أن الاتفاق في ذكر المعاجم أن يُكتفى بالمادة دون الأجزاء والصفحات لأسباب أهمها:

- إن من يعود إلى مثل هذا الكتاب من المفترض أنه يُحسن العودة إلى المعاجم من خلال موادّها.

- إن تعدّد الطبعات، وخاصة المعاجم، يُؤدي إلى الإرباك، ويكفي بذلك أن تُذكر المادة وحسب.

ومن الأشياء التي ألزم المحقق نفسه بها، وهي غير لازمة، ذكر الكتاب وطبعته، ومؤلفه ومحققه وتاريخه ومكان نشره في الحواشي، وهذا أمر يتبعه كثير من المحققين لكنه غير لازم ما دام المحقق سيورد هذه المعلومات مرة واحدة في نهاية كتابه.

ومن المبررات التي تسمح بنشر الكتاب، وربما بإعادة نشرته الفهارس، إذ لا فائدة من أي كتاب تراثي أو حتى معاصر دون الفهارس. فالباحث إن أراد شيئًا في كتاب خالٍ من الفهارس، فكأنه يبحث عن إبرة في كومة كبيرة من القش والعود، لذلك نجد أن المحققين أولوا الفهارس الأهمية الكبرى. وقد أدرك المحقق الفاضل هذا الأمر، فصنع لكتابه الفهارس اللازمة الوافية:

(فهرس الآيات - الأحاديث - الأمثال - الشعر - أنصاف الأبيات - الأعلام - البلدان، الأجناس والأمم والقبائل - أيام العرب - فهرس الكتب الواردة في المتن، فهرس الكتب والمراجع، كشاف المختصرات - محتويات الكتاب).

بعدما تقدم يمكننا القول: إن المصنف في هذا الكتاب انتقل من مجال الأمثال المحدّد إلى المجال الثقافي الواسع، آخذين بعين الاعتبار الملاحظات السديدة التي أثبتها المحقق حول الكتاب والمؤلف، وقد وقفت على ذلك في أثناء المقالة. وهي التي تمهّد الطريق أمام الباحث الذي يريد الإفادة من كتاب العبدري «تمثال الأمثال». ولا بد من القول بأن الدكتور ذبيان أضاف إلى المكتبة العربية كتاباً من الكتب المهمة مخدومًا خدمة علمية موَثّقة أفضل ما يكون التوثيق آملين أن تستمر عملية نفض التراب عن التراث العربي الفكري والأدبي، وبسويّة تتماشى وعظمة هذا التراث الذي ما زال يئن ويستصرخ.

الهوامش

(١) مجمع الأمثال لأبي الفضل النيسابوري، الميداني ٥١٨هـ، عناية محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٢) تمثال الأمثال تحقيق د. أسعد ذبيان. ط ١، بيروت، دار المسيرة، ١٩٨٢م.

(٣) المستقصى لجار الله الزمخشري، ٥٣٨هـ، فرغ من تأليفه سنة ٤٩٩ للهجرة وهو مرتب على حروف المعجم.

(٤) تمثال الأمثال ٥٩٤.

(٥) نفسه ٤٩.

(٦) نفسه ٤٩.

(٧) نفسه ٥٠.

(٨) نفسه ٥٠.

(٩) نفسه ٥٨.

(١٠) نفسه ٥٩.

(١١) نفسه ٦٤.

(١٢) نفسه ٦٤.

(١٣) نفسه ٦٥ وما بعدها.

قــراءة فــي
مقامة غرناطية

د. عبد الرحيم يوسف الجمل

المقامة جنس أدبي نشأ واستوى على سوقه في أحضان المشرق، ترجع نشأتها إلى بداية القرن الرابع الهجري على يد ابن دريد الأزدي، ثم استقام عودها على يد بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨هـ ـ ١٠٠٧م)، وأتت نهاية في الحسن على يد أبي القاسم الحريري (ت ٥١٦هـ ـ ١١٢٢م). وتوالى كتّابها في تلمس الطرائق الجديدة في التعبير من خلال هذا الفن كالزمخشري (ت ٥٣٨ هـ ـ ١١٤٣م)، والشاب الظريف شمس الدين بن عفيف التلمساني (ت ٦٨٧ هـ ـ ١٢٨٨م)، وابن الكازروني ظهير الدين أبو الحسن (ت ٧٠٠ هـ ـ ١٣٠٠م)، وابن الصيقل الجزري أبو الفدا محمد بن نصر الله (ت ٧٠١ هـ ـ ١٣٠١م)، والصفدي صلاح الدين خليل (ت ٧٦٤ هـ ـ ١٣٦٢م)، والقلقشندي أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ ـ ١٤١٨م)، وغيرهم كثير.

أما رحلة المقامة إلى الأندلس فقد تميزت بالتواصل والاستفادة ممّا وصلت إليه في المشرق، من خلال رحلات الحج، ورحلات طلب العلم، ورحلات التجارة، وغيرها من الطرائق والسبل التي تنتقل من خلالها هذه الفنون.

فمقامات البديع الهمذاني انتشرت بوجه خاص أيام ملوك الطوائف، ويروي ابن بسام في الذخيرة (١/ ١٥٤) أنه في أيام المعتضد بن عباد بإشبيلية (٤٣٤ ـ ٤٦١هـ) وضع الأديب أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني، مقامات عارض بها مقامات بديع الزمان.

وأخذ تأثير المقامة يلعب بألباب الأندلسيين متجاوزا التقليد إلى التجديد، كما استهوت بعضا منهم معارضة المقامات المشرقية التي سارت على قدم وساق، نلحظها بوضوح عند ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) وأبي طاهر محمد التميمي السرقسطي (ت ٥٣٨هـ)، ومحارب بن محمد الوادي آشي (ت ٥٥٣ هـ)، وأبي عبد الله محمد بن عياض اللّبلي (ت ٥٥٠ هـ).

وفي القرن الثامن الهجري والنصف الأول من القرن التاسع الهجري سطّرت رياح التجديد على المقامة الأندلسية خطوطا مميزة بدءًا من ابن خميس الحجري (ت ٧٠٨ هـ) مرورًا بكل من ابن المرابع الأزدي (ت ٧٥٠ هـ) وابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) والنباهي (ت ٧٩٣ هـ)، وآخرهم عمر المالقي (ت ٨٤٤ هـ)، وحاول هؤلاء ترك بصمات واضحة في صياغة مقاماتهم التي جاءت لتلبي حاجات المجتمع الغرناطي المزدحم بأحداثه، فلم تعد الكُدْية والحيل هي المحور الذي تدور عليه المقامة. بل تجاوزتها إلى تصوير مصائب المجتمع الخلقية والصحية.

وشاركت المقامة في كثير من موضوعاتها في ذلك العصر الرسالة الأدبية، وتخففت في معظم الأحوال من بعض دعائمها.

صور المقامات الغرناطية

وتمثلت المقامات الغرناطية في الصور التالية: مقامات تأخذ في مضامينها الطابع السياسي، وثانية تتجه إلى الوصف، وثالثة تحتفي بصور المجتمع، ورابعة تجنح إلى التفاخر، وخامسة تلجأ إلى الهزل فتجعله مادة حية في إقامة المقامة.

ونتوقف عند واسطة العقد لهذه المقامات، تلك التي تصور المجتمع، وأبرزها مقامة العيد لابن المرابع الأزدي عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله (ت ٧٥٠ هـ ـ ١٣٥٠م).

وتصور هذه المقامة المجتمع الغرناطي خير تمثيل، وتسمى المقامة الساسانية. بطلها رجل متسول من بني ساسان، أحكم التحيل، وقصر همه على تحصيل كبش من الأمير، ومن ذلك المضمون دارت الأحداث

التي تعطينـا من خلالها صـورًا رائعـة للحياة الشعبيـة الغـرناطيـة، التي مازالت تصـادفنا في مسيرة الحياة حتى يـومنا هـذا. فالزوجـة تطلب من زوجها كبش الأضحيـة، وقد بدأت بمقـدمة جعلت الزوج يهرول بـاحثًا عن هذه الأضحية، قائلـة لـه: «لِـمَ جئت ولـم أتيت؟ قلت: جئت لكذا أو كـذا، فما الغذا؟ قالت: لا غـذا لك عندي اليـوم، ولو أودى بك الصوم، حتى تسل الاستخـارة، وتفعل كما فعل زوج الجارة، طيّب الله نجـاره، وملأ بالأرزاق وجـاره. قلت: ومـا فعل؟ خبرني. قالت: إنه فكّـر في العيد، وعيد الاضحى في اليد، والنظـر في شراء الأضحية اليوم أوفق من الغد».

ويخرج الـزوج في البحث عن الأضحيـة وهـو خـاوي الـوفـاض من المال، وتقابلـه بعض المواقف تبـدأ بـذهابـه إلى الجزار لشراء الأضحيـة والتي يعـرضهـا للبيع أمـام دكـانـه، ويشتريها الزوج طـالبـا المهلــة في السداد، ويـوافق الجزار، ويأتي الحمالون لحمل التيس إلى منـزل الرجل، إلا أن التيس يفـر من بين أيـديهم، وهـم على بـاب الجزار، الـذي قـال للرجل: «مـالي علم بـه، ولا بمنقلبـه، لعله فر لأمـه وأبيه، وصـاحبته وبنيه، فعليك بالبريح، فـانحدرت أنادي بالأسـواق، وجيران الزقاق، من ثقف لي تيسا فله البشـارة، بعدما أتى بالأمارة، وإذا بـرجل قد خرج من دهليز، وله هـرير وهزيز، وهو يقول: من صـاحب العنز المشؤوم، لا عَدِم به النوم، إن وقعت عليـه عيني، يرتفع الكلام بينه وبيني، قلت: أنا صاحبه فما الذي دهاك مني، أو بلغك عني، قال: إن عنزك حين شرد، خرج مثل الأسد، وأوقع الرهج في البلد، وأضر بكل أحد، ودخل في دهليز الفخارة، فقام فيه وقعد، وكـان العمل فيه مطبوخًا ونيّا، فلـم يترك منه شيّا، ومنه كان معيشتي، وبه استقامت عيشتي، وأنت ضامن مالي، فارتفع معي للوالي، والعنز مع هذا يدور وسط الجمهور».

وتشتعل الأحـداث فيما يصنعـه التيـس من إتـلاف داخل الحوانيت وبين البـاعـة في الأسواق، وهم يتـوعـدون صـاحـب التيس بالشكـايـة للأمين، وهو أشبـه بنقيب يمثل أصحاب المهن التجاريـة والصناعية في السوق، ويُسأل أمام المحتسب عن مشكلاتهم.

وجاء الشرطي المحـافظ على الأمن والنظام داخل السوق، ويـرى أنه لا يوجـد ما يكـدر هذا الهدوء سـوى ما أحـدثه هـذا التيس اللعين من فوضى، ويأمـر الأمين بأن يدفـع صاحب التيس ما تلف من بضـاعة، والرجل لا يملك شيئًا، فـدفع إخوانه ما ظهر على التقديـر، وأخذ تيسه ورحل، وقـد سبقتـه أخباره إلى داره، وطـرح الحمالـون التيس، فإذا بـه ينفلت مرة أخرى، لكن هذه المرة داخـل الدار، فأخذ في ركوب الجدار، وأقـام الرهجـة في الـدار، ولـم تبق عجـوز إلا وصلت لتراه، وتسأل عمّا اعتراه.

وبعد كل هذه المعانـاة لا يعجب التيس ربـة البيت، وإن مثل هذه التيـوس لا يفرحهـا، فتكيل لزوجهـا المساوئ، وتقـول لـه: «يـا قليل التحصيل، يـا من لا يعـرف الخيــاطـة ولا التفصيل، أدلك على كبش سمين، واسع الصـــدر والجبين، أكحل عجيـب، أقــرن مثـل كبش الخطيب، يعبق من أوداكـــه كل طيب، يغلـب شحمـه على لحمــه، ويسيل الودك من عظمه، قد علف بـالشعير، ودبر عليه أحسن تدبير، لا بالصغير ولا بـالكبير، تصلح منه الألــوان، ويستطرف شـواه في كل أوان، ويستحسن ثـريـده وقديـده في سـائر الأحيـان، قلت: بيّني لي قولك، لـم لا نعرف فعلك، وأين توجـد هذه الصفة يا قليلة المعرفـة؟ قالت: عنـد مولانا وكهفنـا، ومأوانـا الـرئيس الأعلى، الشهاب الأجلى القمـر الـزاهـر، الملك الظـاهـر، الـذي أعـز المسلمين بنعمتــه، وأذل المشركين بنقمته».

وتنتهي المقامـة عند هذه الصورة، وهي نهاية مفجعـــة لزوج حصل على هذا التيس بصعـوبة، وتحمل تبعـة فراره وما تبع ذلـك من متاعب أثقلت كاهلـه، فالزوجة ربّـة بيت تكثر في مطالبها التي تفوق إمكاناته المتواضعة، وهـو لا يستطيع لمطالبها دفعا، حتى إذا أحضر لها مـا تريد عادت فأزرت بـه، وكالت له من التوبيخ الكثير.

وهذه المقامـة تعطينا صورة حقيقية للمجتمع الغـرناطي في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، فهذه الـزوجة ومطالبها التي لا تنتهي، والعجـوز وفضولـه المتـزايد، والجزار وملابسه التقليدية وقـد شد وسطه بحبل، وما يتمتع به من خداع المشتريـن حين يقسم بأن «الطلاق يلزمه إن كـان عـاين تيسًـا مثلـه»، والموثّــق لعقـود البيع والشراء، والشرطي المحافظ على الأمن، وهـو مثل غيره من شرطة السوق حتى أيامنـا هذه، لا يخلو مـن ضعف إنساني، «وإذا بـالشرطي قد دار حـولي، وقال لي: كـافِئْ فعلي بأداء جعلي، فقد عطلت من أجلك شغلي». ويعني بذلك أن عليـه دفع مـا يراه منـاسبـا من أجل مـا أحـدثه من ارتبـاك في نظـام السوق، وما ترتب على ذلك من فوضى لا تدخل في مراقبة أمن السوق.

وتتميـز المقـامـة بحس فكـاهي أصيل، تشيع في أجـزائهـا الإثـارة والحركـة السريعة التي تتواءم مع جو الســوق موقع الأحداث، لما فيه من صخب وضجيج وهرج ومـرج، وأنواع شتى من البشر، وألـوان متنوعـة من السلع، أبرزها صناعـة الفخـار المالقي الذي طبقت شهرتـه الآفـاق في ذلك العصر.

واستطـاع ابن المرابع الأزدي أن ينتقي لمقــامتـه الألفـاظ المنـاسبـة لغرضـه، وأن يضعها في عبـارات بسيطـة واضحـة، لا تدفع بـالملل إلى قارئهـا، وإنما تجعله في سبـاق مع الكلمـات ليصل إلى نهايتهـا ليرى ما حدث؛ وهي بحق صورة مبكرة طيبة للقصة العربية.

ذكريات رحلة
في بلاد الدكتاتور المتجهم والدكتاتورة الحسناء

بقلم: د. علي شلش

لـم أعد أذكر تاريخ تلك الرحلـة بالضبط، ولكني أذكر الشهر والسنة: فبراير ١٩٧٥م. وأذكر المكان أيضًا: فندق القرية في مانيلا عاصمة الفلبين.

أما المناسبة فكانت ندوة حـافلة عن أدب الأجيال الجديدة، نظمها المكتب الدائم لكتاب آسيا وأفريقيا، ودعت إليها حكومة الفلبين عددًا كبيرا من كتّاب أوروبا وأمريكا كمراقبين، فضلاً عن أعضاء وفود القارتين الذين تجاوز عددهم المئتين. وكانت جلسات الندوة ذاتها تتم في الفندق الفاخر!

وكـانت الفلبين ـ وقتهـا ـ في قمـة دكتـاتوريـة فـرديناند ماركـوس، وهي دكتاتورية من النوع المهجن، الذي يجمع من كل بستان زهرة، أو فلنقل: من كل غطرسة شريحة. فالدكتاتور ماركـوس لـم يكن عسكريا، وإنما كان مدنيا مثل عباد الله الـذين يقتلهم كل يوم في سجـونه. ومع أنـه لـم يكن ضـابطا ولا جنديا فقد كان موهـوبًا في الطغيان والاستبداد. وليس هنا مجال ضرب الأمثلة. ومع أنـــه أيضـا رجل آسيـوي، والآسيويـون يحرصـون على تفـرغ المرأة للبيت عمومًا، فقد تمرد على آسيويتـه، واستعار من أقصى الشرق ـ بالنسبة للفلبين ـ أسوأ مبتكرات الدكتـاتورية في أمريكا اللاتينيـة أعني إشراك الزوجة في الحكم، وهـذا تقليد اخترعـه دكتـاتور الأرجنتين الـراحل خـوان بيرون. ولذلك نـزلت إيميلدا ماركوس، أو السيدة الأولى كما كانـوا يسمونها رسميا هناك، نزلت إلى ملعب الدكتاتورية بكل أسلحة المحروم المتلهف على إثبات وجوده.

كانت النتيجة معروفة على أية حال. وليس هذا هو المهم.

ولكن الأهم أنني اكتشفت وجها «عبقـريا» للسيدة الأولى في آسيـا كلها، لأنها أول امرأة تحكم وتطغى في تاريخ هـذه القارة المنكوبة بـرجالها المستبدين. فمنذ وصولنا إلى فندق القرية الملاصق للمطار، وهو ـ بالمناسبة ـ أحد ممتلكاتها الشخصية المتـواضعة في مانيـلا، تبين لي أننا بعيـدون عن العاصمة بُعـد المطار عنهـا. ثم تبين لي أن النـدوة قنـاع سيـــاسي قصـد بـه الظهـور أمـام المسلمين المضطهـدين في جنوب الفلبين بمظهـر الحاصل على تأييد الـدول الإسلاميـة: مصر والجزائر وفلسطين وتركيا وغيرهـا من أعضاء اتحاد كتاب آسيـا وأفريقيا. ولهذا كـانت النـدوة تحت رعايـة السيـدة الأولى شخصيا. بـل سبقتها خطـوة تكتيكية ذكية. فقبل شهر أو أكثر جـاءت السيدة الأولى إلى القاهرة، وتبرعت بمليون دولار لصندوق إنقاذ آثار النوبـة. ولـم تسدد هذا المبلغ الضخم الذي يطعم مليون جائع فلبيني لمدة أسبوع مـن أجل سواد عيون المصريين، ولا حبا لآثـار النوبـة، وإنما كان «رشوة» مهذبـة، ومقدمـة «حية» لطلب بسيط هو: عقد الندوة في مانيلا في وقت اهتز فيه النظام الماركوسي تحت ضربات المجاهدين المسلمين في الجنوب. وإمعانا في إبداء حسن النية والكرم الحاتمي أذكر أن الوفد المصري ــ بكتّابـه وفنييه وإدارييـه ــ تألف من حوالي ٢٠ شخصـا. ومع ذلك جاءتنـا بطاقات السفر على الـدرجة الأولى ذهابـا وإيابا. بل أحاطتنـا السيدة الأولى برعايتهـا ـ وكرمها غير العـادي ـ طوال الأيام الأثنى عشر التي قضيناها هناك، وكأننا في ألف ليلـة وليلة على الطراز الفلبيني!

لم يكن هذا كل ما لقيناه على يد الدكتاتورة الحسناء!

كـان في الجعبـة حفل عشـاء ضخم في قصر ملكنيـانج، مقر الـدكتـاتـور



وشريكته. وكان فيهـا أيضا ليلة ساحرة سـاهرة على إحدى الجزر الصغيرة التي تملكهـا الدكتـاتورة. وفي تلك الليلـــة العصماء خصصت طـائرة خاصـة لنقل الوفود وإعادتهم في الصباح التالي.

وفي تلك الليلـة أيضا قررت أن أتمرد على الدكتاتورية!

اعتذرت عن عدم الذهاب بأدب شديد . وعندما نزلت إلى بهو الفندق بعد قليل اكتشفت أنني لست المتمرد الوحيد . فقد وجدت رفيقا لوحدتي ، وهو الأديب والأستاذ الجامعي الجزائري عبد الله الركيبي . بقينا معا نثرثر ساعات حول أشياء كثيرة ، على رأسها ماركوس وماركوسة . ولعلنا حيرنا رجال الأمن وعملاءهم السريين المنتشرين في بهو الفندق برفضنا الذهاب ، والكلام بلغة تتكلف الكثير عند ترجمة أشرطتها المسجلة علينا .

وفي الصباح التالي أيقظني جرس التليفون .

كانت الساعة السادسة والنصف !

وكان الصوت حريميا فلبينيا رقيقا .

□ نعم ؟

قلتها بين النوم واليقظة . ولكن الجواب كان مستيقظًا برغم لكنته الإنجليزية :

ـ صباح الخير .



□ صباح الخير .

ـ هل تحب شيئا من التدليك ؟

□ من أنت ؟

ـ المسؤولة عن التدليك في الفندق .

" في مانيلا كل شيء مُصطنع حتى الابتسامة "

□ أشكرك .

ـ هل تحتاج إلى صحبة ؟

□ أشكرك .

وعند هذا الحد أنهيت الحديث ، فلا أنا من أهل التدليك ولا كنت أحتاج إلى صحبة ، وإنما أحتاج إلى النوم . وقد حاولته ، ولكن دون جدوى ، فنهضت لأبدأ يومي مبكرا على غير العادة .

في الثامنة اتصلت بغرفة الشاعر صلاح عبد الصبور ـ يرحمه الله ـ ، فردّ عليّ بين النوم واليقظة أيضا . سألته إن كان يريد تدليكا فقال إنه يريد أن ينام . فتركته لرغبته . وبعد ساعة اتصل بي هو نفسه ، وقال إنني أطرت النوم من عينيه . ثم حدثني عن الليلة الحافلة التي رقصت فيها السيدة الأولى مع أعضاء الوفود إلى قرب الفجر . وعندما انتهت السهرة ودعتهم واحدا واحدا ، وفوجئ كل منهم بهدية في انتظاره .

وكانت الهدية سجادة فاخرة للصلاة !

يالذكاء الدكتاتورة الحسناء !

مازال في جعبة الدكتاتورة الحسناء بقية !

ولكن هذه البقية ظهرت في أواخر إقامتنا بعاصمتها المسكينة .

كان البروتوكول يقضي بمقابلة الدكتاتور شخصيا ، إمعانا في الكرم فيما يبدو ، أو استكمالا للعبة ، لعبة استقطاب كتاب آسيا وأفريقيا ، واستدرار عطف المسلمين منهم على سياسة النظام الماركوسي في جنوب الفلبين ، حيث دارت وقتها أشرس معارك مجاهديهم المسلمين . وهذا هو الأرجح ؛ لأن استقبال رأس الدولة لأدباء وكتاب عقدوا ندوة عابرة ، وغير مهمة ، مسألة غير واردة في أذهاننا نحن المشاركين ، ولا هي ضرورية أو ملزمة في أي بروتوكول . وكان يكفي ما فعلته الدكتاتورة الحسناء ، بل كان يكفي أن يستقبلنا وزير من الوزراء . ولكنها السياسة ـ مرة أخرى ـ التي تبرر الوسيلة من أجل الغاية .

ومن سوء حظ الدكتاتور وشريكته ـ من ناحيتي على الأقل ـ أنني لم أندمج منذ وصولي في الندوة ولا في مناقشاتها . ودفعني الفضول منذ البداية إلى التعرف على تلك الجزر الغريبة التي يزيد عددها على سبعة آلاف . ولكن الأهم من هذا أنني ذهبت إليها وفي ذهني صورة سيئة جدًا عن النظام الدكتاتوري الحاكم . فلما بدأت في الاندماج داخل مجتمع مانيلا ازداد فضولي . وشجعني

ذكريات رحلة في بلاد الدكتاتور



الحظ على هذا الازدياد. فمن المعروف أن الفنادق الكبرى أثناء انعقاد المؤتمرات الدولية، حتى داخل الدكتاتوريات، تكون في العادة مقصد نوعين من البشر: رجال الأمن ولا سيما بغير الملابس الرسمية، والساخطين من أي نوع على بعض أو كثير من الأوضاع. ومهما حاول رجال الأمن إحكام رقابتهم فهناك دائما شقوق غير مرئية، يتسرب منها الساخطون والمعارضون واللاعنون للطغيان. وقد أنعم الله عليّ بعد ثلاثة أيام من وصولي بأحد هذه الشقوق. وكان المتسرب منها سيدة مثقفة وشاعرة معروفة تكتب بالإنجليزية.

لم تكن هذه السيدة مدعوة رسميا لحضور الندوة، ولكنها جاءت ذات مساء إلى الفندق لأمر لا أعرفه. وكنا ليلتها قد دعينا إلى عشاء رسمي في قلعة سنتياجو القديمة في مانيلا. ولأمرٍ ما أيضا تخلفت عن السيارات التي نقلت المدعوين إلى هناك. وخرجت من الفندق، وسألت البواب عن الطريق إلى تلك القلعة، وعن طريق الحصول على تاكسي. وللمصادفة كانت الشاعرة المذكورة تقف إلى يساري مع سيدة أخرى. ومن الواضح أنها أدركت غربتي وعضويتي للندوة؛ لأنها عرضت على الفور أن أصحبها وصديقتها في سيارتها الخاصة إلى القلعة القديمة. ورحبت بالعرض على الفور أيضا. وجاءت السيارة الفاخرة بقيادة سائق خصوصي، فأقلتنا نحن الثلاثة. وفي الطريق بدأت الثرثرة المعهودة حول الندوة ومانيلا دون تورط في السياسة. وعلى طريقتنا في دعوة الآخرين دون دعوة رسمية دعوت السيدتين إلى العشاء فقبلتا بعد تردد. ثم عرفت من ثرثرة العشاء أن الشاعرة (فوق الخمسين) من أسرة غنية جدا وسياسية جدا، وأن شقيقتها عضو بمجلس الشيوخ الذي حله ماركوس قبل مجيئنا!

وهكذا وجدت شاهدًا من أهلها إذا صح التعبير، ولكنه شاهد «شاف» كل شيء كما اتضح لي بعد ذلك. ولأن هذه الشاهدة توسمت فيّ الأمانة، أو هكذا شبه لها، فقد انطلقت في الكلام والرواية، ودعمت ما تقول بمستندات وصور كثيرة، حتى تكاملت في ذهني صورة أحد أبشع النظم الدكتاتورية في العالم. ووعدتها بنشر معالم هذه الصورة بالعربية. ولكني ـ في الحقيقة ـ عجزت من الناحية العملية. فقد كانت الأوضاع في مصر وقتها لا ترحب بفضح ماركوس وسيدته الأولى. ومع ذلك كتبت سلسلة من المقالات بعد عودتي، ونشرتها بمجلة الإذاعة والتلفزيون، واستخدمت فيها أدوات التلميح والرموز المختلفة. ومن الغريب أن الملحق الصحفي الفلبينية في القاهرة ـ وقتها ـ كان حريصا على إرسال نسخ من هذه المقالات إلى عاصمته مع ترجمتها الإنجليزية.

وكان حريصا أيضا على تزويدي بنشرة وكالة الأنباء الفلبينية والصحف التي تنشر مقالاتي هناك. ومع ذلك لاحظت أن الرقابة في مانيلا أذكى أحيانا من غيرها. فلم تمنع نشر المقالات كلية، وإنما حجبت الفقرات التي يشتم منها الصدق والحق، ولا سيما في موضوع المسلمين هناك.

كانت الشاهدة الشاعرة ذكية على أية حال. فقد اعتادت ألا تتصل بي تليفونيا من الخارج، حتى لا تخضع لسلطان الرقابة. وفضلت أن تأتي إلى الفندق ـ حيث دارت جلسات الندوة أيضا ـ ثم تبحث عني، أو تنتظرني في البهو حتى أظهر. وكنت أنا الذي أتصل بها، ولكن من تليفون عمومي، لا من غرفتي.

وأذكر أنه عند وصولنا إلى مطار مانيلا استقبلنا سرب كبير من الفتيات الجميلات، وحول عنق كل واحدة منهن إكليل من الزهور، وعلى شفاههن جميعا ابتسامة غريبة لا تتوقف. وأذكر أيضا أن الفتيات الأخريات العاملات بالفندق لم تفارقهن البسمة أيضا، لدرجة أن الشاعر صلاح عبد الصبور صور هذه البسمة الدائمة في قصيدة كتبها وقتها عن مانيلا، ولكنه لم يكن يعرف أن وراء هذه البسمة تعليمات وتدريبات مشددة. وكنت مثله لا أعرف أن للبسمة سرا. ولكني حين خرجت في جولة حرة مع الشاعرة في مانيلا اكتشفت أن البسمة التي استقبلتنا عند مجيئنا، ولازمتنا كل يوم على وجوه فتيات الفندق، مسألة محسوبة للتصدير، ولا علاقة لها بالحياة اليومية.

سألت الشاعرة الفلبينية بعد هذا الاكتشاف:

□ أكل شيء هنا مصطنع حتى البسمة؟

ابتسمت المرأة الذكية التي لا تبتسم كثيرا. وسألتني بدورها:

ـ هل ما رأيته حتى الآن في مانيلا يدعو إلى البسمة؟

لو كان الفقر رجلا لقتلته.

هكذا قال علي بن أبي طالب. ولكني أذكر أن الفقر الذي رأيته في عاصمة الدكتاتورة الحسناء لم يكن رجلا، وإنما كان وحشا رهيبا لا يمكن أن تستوعب الكلمات وصفه. وإذا كانت الدكتاتورية وحشا رهيبًا آخر فلنا أن نتخيل شوارع مانيلا التي يعيش فيها الفقراء معظم ساعات يومهم؛ لأن بيوتهم لا تحتملهم، ولأن الحرارة والرطوبة الخانقتين تجعل الشوارع جنة بالقياس إلى جحيم البيوت.

ولنا أن نتخيل أيضا وحشَيْ الفقر والدكتاتورية وهما يخنقان الناس في الشوارع، ويكممان الأفواه، ويسرقان الخبز من الأطفال، ويطعنان حرية الجميع في الحركة والكلام.

ولكن الشيء الذي حيرني أياما كان من نوع آخر.

لقد نجحت دكتاتورية ماركوس وشريكته الحسناء في توحيد الوحشين المذكورين، وبذلك وحدت أيضا جبهات المعارضة. وذكرتني المعتقلات، والأحكام العرفية، والنفي والتخلص من الفقراء وتشجيعهم على الرحيل والبحث عن أي رزق في أي ركن من أركان الدنيا، ذكرني هذا كله بخط بارليف المشهور الذي لم ينجح في حماية القوات الإسرائيلية عام ١٩٧٣م بالرغم من مناعته وتحصيناته الفريدة. وحين ذكرت هذا التشبيه لبعض

لماذا يصرّ الدكتاتور الحديث على الكتابة والتأليف؟

المعارضين الذين التقيتهم سرا في مانيلا ضحكوا، وقال أحدهم : «ولكن خط إيميلدا أقوى !» وإيميلدا ـ كما نعرف ــ هو الاسم الأول للدكتاتورة الحسناء التي بدأت حياتها بائعة فقيرة في أحد المحلات، قبل أن توحد طموحاتها بطموح المحامي فرديناند ماركوس الطامع في السلطة. وعندما قال الرجل المعارض عبارته السابقة ضحك الجميع بالطبع. ومع ذلك خرجت من لقائي السري بهم وقد اقتنعت بشيء مهم، هو أن المعارضة تختلف من بلد إلى بلد، ومن نظام إلى نظام، وهذا أمر طبيعي. ولكنها أيضا تجمع الشتيتين أحيانا، وتنسيهما خلافاتها الجذرية الحادة في سبيل الغاية الأساسية، وهي إسقاط الدكتاتورية. وهذا ما حدث في الفلبين : اتحد المسلمون والكاثوليك (الأغلبية هناك) والشيوعيون والليبراليون. ولو اجتمعت قوة أخرى لتوحيد هؤلاء في وقت غير ذاك لما نجحت على الإطلاق. وهذا هو النجاح الوحيد للدكتاتورية في أي زمان وأي مكان !

وعندما استقرت قناعتي انتهت حيرتي.

ولكن كان علينا أن نلبي في نهاية الندوة دعوة العشاء في قصر الدكتاتور والدكتاتورة. ولم أقاوم هذه المرة. فقد شجعني الفضول على ضرورة رؤيتهما مجتمعين عن قرب. وكانت هذه أول مرة أرى فيها دكتاتورا آسيويا.

كان قصر الرئاسة الذي تربعت فيه ـ بعد سنوات كثيرة ـ أرملة أحد نجوم المعارضة قصرا بسيطا في الحقيقة إذا قيس بالمقاييس العصرية. ولم يكن يميزه سوى الخشب (الفلبيني) الفاخر، والثريات الضخمة (الفلبينية أيضا)، واللوحات الزيتية التي انتشرت بسخاء على جدرانه. وكانت القاعة الكبيرة التي أعدت للعشاء أبسط من القصر نفسه. ولكن البساطة خادعة أحيانا، ولا سيما في حالة الدكتاتور. وأقرب مثال على هذه البساطة الخادعة هو هتلر الذي كان دكتاتورا أصيلا، ومع ذلك كان بسيط الملبس والمأكل والمسكن، قليل الحاجات، عدوا للأبهة والفخفخة. وهكذا كان ماركوس إلى حد ما. وعلى العكس منه كانت إيميلدا. فقد وجدوا في دواليبها بعد سقوطها أكثر من ألفي زوج من الأحذية، بعضها مطعم بالجواهر !

ولنعد إلى حفل العشاء الماركوسي.

كان الدكتاتور يقف في صدر القاعة مرتديا القميص (الفلبيني الحريري المعروف) والبنطلون. وعلى يساره كانت الدكتاتورة ترتدي ما شاء لك الخيال أن يفترض. وبعد السلام الذي اصطففنا من أجله في طابور أقصر من طابور الخبز في مانيلا، راح كل منا يبحث عن طاولته المحددة بالبطاقات والأسماء. وكان من نصيبي طاولة مستديرة تواجه الطاولة المستطيلة التي جلس إليها ـ في صف واحد ـ الدكتاتور وشريكته وكبار أعوانهما، فضلا عن رؤساء الوفود.

ومن مكاني رحت أفكر في الرجل وزوجته، وأنا أختلس النظر إليهما من وقت لآخر. أما هو فكان وجهه بادي الإجهاد كأنه لم ينم منذ يومين. وعليه كمية من التجهم والصرامة كافية لتخويف الأطفال من أي جنس. ولكن عينيه لم تكونا من النوع الآسر الكاسر الذي نسمع عنه عند الموهوبين والعباقرة. وأما هي فكانت أكثر جاذبية بالطبع، ساعدتها على ذلك عينان «شقيتان» تكشفان عن أطماع لا حدود لها. ووراء البريق الذي يومض فيهما تكمن قسوة غير عادية.

وقبل أن يبدأ تقديم الطعام على الطريقة الفرنسية (طبقا بعد طبق) بدأ شيء آخر غير عادي. فلم يكن الدكتاتور والدكتاتورة قد جلسا بعد. ولكن فور جلوس كل منا في مكانه أشير لنا بالنهوض مرة أخرى ــ بغير طابور هذه المرة ـ والتوجه إلى حيث الداعي والداعية لتسلم هدية. وكانت الهدية كتابا ضخما فخما، مجلدا تجليدا فاخرا، ومحلى بغلاف خارجي أزرق اللون، وعليه اسم المؤلف فرديناند ماركوس. أما عنوانه فلم أعد أذكره، ولكني تصفحته بسرعة وأدركت أن موضوعه تحقيق التقدم والرخاء في الفلبين. ومع أنني حملته ـ بعد أن وقع عليه مؤلفه ـ إلى القاهرة، فلم أفتحه حتى الآن.

لا أدري لماذا يصر الدكتاتور الحديث على الكتابة والتأليف؟ هل هو طموح كان عند الدكتاتور؟ يقولون أحيانا عن الناقد إنه أديب فاشل، فهل نمد هذا التعريف إلى الدكتاتور ونريح الناقد المسكين؟ لماذا حرص هتلر على تأليف كتابه «كفاحي»؟ ولماذا فعلها موسوليني أيضا عندما ألف كتابه «الفاشية»؟ ولماذا شغلنا خوان بيرون في الأرجنتين وسالازار في البرتغال بكتاباتهما؟ ولماذا أيضا يفعل اليوم عشرات من الدكتاتورين ـ إذا صح هذا الجمع ــ في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية؟ بل كيف استمر هذا التقليد اللافت للانتباه منذ يوليوس قيصر، دكتاتور روما القديمة؟

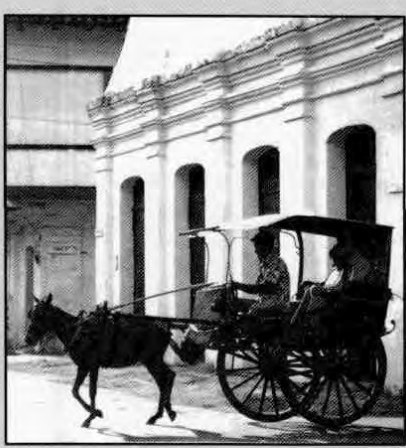
ولكني أدري أن هذه الأسئلة لا يمكن الجواب عنها بسرعة، أو في كلمات.

وأدري أيضا أنه ليس من المنطق، ولا من العدل، أن يكون فرد واحد على حق، والجميع على باطل، وحتى لو صح هذا فليس من المنطق، ولا من العدل أيضا، أن يفرض الفرد الواحد رأيه بالقوة على الجميع.

كيف يعبر الإنسان عن رأيه فيما يدور حوله بعاصمة الدكتاتورة الحسناء؟

أذكر جيدا أنني منذ وصولي إلى مانيلا سعيت إلى التليفزيون، في حين أنني لست من هواته، إلا في المناسبات وعند نشرات الأخبار. ومع ذلك كانت لهفتي على صندوق العجائب هذا كبيرة فور استقراري في غرفتي. ونسيت أنني طرت ١٦ ساعة بلا نوم ولا استلقاء. وعندما استلقيت على الفراش من شدة التعب كنت قد أدرت مفتاح التليفزيون، واستسلمت له. وكان أول شيء طالعني هو صورة فردیناند ماركوس وهو يخطب في الجماهير. ولأن الإنجليزية هناك لغة رسمية بجوار اللغة (الطاجالوج)، فقد تيسر أمري. ولكني حاولت أن أجد بديلا في المحطات الأخرى، فلم تظهر لي إلا الصورة ذاتها. ورضيت بما قسم لي. ولبثت أرى وأسمع حتى هدني التعب. ولم يكن ما رأيته وسمعته سوى

ذكريات رحلة في بلاد الدكتاتور



الثرثـرة المعتادة عنـد أي دكتاتور حـول الماضي البائس، والمستقبل الـزاهر تحت رعاية حضرته بالطبع.

وفهمت مما سمعت ورأيـت أن الفلبين تستعد لاستفتاء عـام حول سيـاسة ماركـوس. ومع أنني لا أذكـر الآن أي تفاصيل عن مـواد هذا الاستفتـاء الذى جـرى بعـد سفرنـا، إلا أنني أذكـر جيـدا من أحـاديثي مع المعـارضين أن استفتاءات أخرى كثيرة جرت من قبل، وأن نتائجها كانت تتراوح دائما بين ٩٠ ـ ٩٥٪.

أذكر جيدا أيضا أن الاستفتاءات تقليـد دكتاتوري معروف في العالم. وربما كان الرومان أول من ابتكره. ولكن الـدكتاتور الحديث طوره، وجعله مضمون النتيجة. وهو تقليـد ذكي في الحقيقـة؛ لأنـه ما دام الدكتـاتور يعطل المجالس النيابية فلا بد لـه من بـديل. وليس هناك بديل يفوق البرلمانات إلا الاستفتاء؛ لأنه توجه مباشر إلى الشعب، والشعب هو الأصل والجذر، وممثلوه هم الصورة والفرع، فلماذا يلجأ الدكتاتور إلى الفرع ويترك الجذر؟ مسألـة منطقية بالطبع. وهذا ما فعله هتلر وكثيرون من تلامذة مدرسته في أمريكا اللاتينية وغيرها. بل هناك نـوع من الـدكتاتور «البجـح» إذا صح هـذا التعبير، يكون عنـده برلمان منتخب بشروطـه هو، ومع ذلك يتخطـاه أحيانـا بالاستفتـاء العام ليظهـر أمام الشعب بأنه خادمه المطيع.

وعندما بدأت أقلب في الصحف الفلبينية مسـاء يوم وصولي وجدت صورة ماركوس وأخباره تتصدر الصفحات الأولى، ثم تتكرر في الصفحات الداخلية أحيانا كثيرة، وكأنه يحررها بشكل غير مباشر، مثلما يملأ ساعات إرسال الراديو والتلفزيون في المناسبات التي يصطنعها هو نفسه، مثل مناسبة الاستفتاء هذه. ورحت أقـارن ـ بعـد أيام ـ بين هذه السيطـرة المقصودة على الإعـلام والحضور البارز لقوات الأمن في كل مكان. فالإثنان متلازمان بالطبع. ولو خيّر ماركوس وقتها، أو أي دكتاتور غيره، بين الاحتفاظ بوزارتين للإعلام والأمن أو الاحتفاظ بجميع الوزارات عداهما، فلا أشك أنه ـ أو غيره ـ سيختار الأولى؛ لأنه بدونهما لا يمكن أن يستمر.

في كل صبـاح كنت أفضل تنـاول الإفطـار بكافيتيريـا الفنـدق في الطـابق الأول، فهي مكـان لـلاتصالات البشريـة، وهي أيضـا أنسب مكـان لمطالعـة الصحف قبل الانشغال اليومي. وكنت أعرف من قائمة المدعوين إلى الندوة أن بينهم الكاتب الأمريكي الأرمني الأصل وليم سـارويان. ولكني لـم أره بسبب كثرة «تزويغي» من جلسات الندوة. ثـم رأيته يجلس قبالتي في الكافيتيريا ذات صباح. ولـم يكن من الصعب أن أخطئه، فصوره المنشـورة تضمن تمييزه بين عشرات النـاس. ولما وجـدت أنـه وحيـد مثلي، قـررت أن أقتحـم وحدتـه فنهضت، وقدمت إليه نفسي، وطلبت الجلوس فأذن لي كأنه يعرفني منذ فترة.

وعلى الفـور رحنا نثـرثر كـأننا صديقـان قديمان، فـروى لي بعض ذكـرياتـه، وأجـاب عن بعض أسئلتي، ومنهـا سـؤال عـن رأيـه في النـدوة التي جئنـا من أجلها. ومع أنه هو نفسه جاء كمـراقب، أي ليس لـه حق المناقشة أو المشاركة بشيء، فقد أخلـص لجلساتـه. ولكن رأيه فيهـا كان طـريفا وحقيقيـا. قال: الفائدة الوحيدة لمثل هذه التجمعات هـو أنها سوق للتعامل، وفرصة للتعارف والتلاقي!

وبعد قليل جاءتنـا فتاة فلبينية، حيّته، وجلست. وبعد أن قدمها لي قال إنها دعته لتسجيل برنامج للتليفـزيون، وإنهما سينصرفـان بعد قليل أيضا. فلما عرفت الفتـاة صلتي بالندوة طلبت مني مـوعدًا آخر. ثم هممت بـالنهوض فإذا بسـارويان يستبقيني، ويعـرض علي مصـاحبتهما إلى التليفـزيون، هكـذا بغير موعـد ولا ترتيب سابق. وشعـرت بالحرج. وكـذلك شعرت الفتاة إلى حـد ما، ولكنها سرعان ما رحبت. ثم انطلقنا. ولأنها من فقراء مانيلا وكادحاتها (فهمت منها أنها صحفيـة بالقطعة) فلـم تكن تملك سيارة ولا دراجة. وكـان علينا أن نستقل تاكسيا. وما أدراك ما التاكسي في مانيلا في ذلك الزمان! نار الله الموقدة، فلا تهويـة ولا تكييف. (لا أدري ماذا حـدث لـه بعـد سقوط الـدكتاتـورية!) وعندما لمحت بشكواي لمضيفتنا قال: هذا هو فصل الربيع فاحمد الله على أنك لم تأت في الصيف. (ربيعهم ذاك أشبـه بصيف الخليج) وحمدت الله عـلانيـة، وفوضت أمري إليه في سري.

داخل مبنى التليفـزيـون، وسط المدينـة، وجـدت التعـويض من أجهـزة التكييف. وأجلستنا الفتاة في غرفة صغيرة مليئة بالمكاتب وخالية من الموظفين، ثم غابت قليـلا، وعادت إلينا بفتـى أنيق مهذب قدمتـه على أنه شاعـر ومقدم بـرامج. وبسرعـة أفهمنا الفتى أن البرنـامج مـدتـه عشرون دقيقة، ويـذاع على الهواء، وأن موضوع الحديث سيكون عن ندوة الأدب والأجيال الجديدة بمناسبة انعقادها في مانيلا. ثم رجانا بعد تردد ألا نتحدث في السياسة. وفهمت قصده بسرعة، فالسيـاسة التي يعنيها هي المساس بـالدكتاتور والـدكتاتورة، ولأني من أبناء العالم الثالث فأنا أعرف هـذا جيدا، ولكن سارويان من أبناء العالم الأول. وابتسم الفتى مقـدم البرامج عنـدمـا صرحت لـه بفهمي هـذا. وعندئذ ابتسم سارويان أيضـا، وروى بفكاهته المعروفـة المثل الإنجليزي القائل: «إذا جئت رومـا فاسلك سلوك أهلهـا».

وسلكنا سلوك أهل مانيلا، وكان الله يحب المحسنين!

مضت سنوات، وسقط الـدكتاتور المتجهم والدكتاتـورة الحسناء. ولكن، مازال قول علي بن أبي طالب صحيحا:

ما أكثر العبر، وما أقل الاعتبار!

نافذة على ثقافة الغرب

قرنان من الاستشراق



تأليف: دانيال ريق
عرض: أحمد منوّر

صدر هذا الكتاب عن دار «ميزونوف ولاروز» الباريسية المتخصصة في نشر التراث العربي والدراسات الإسلامية، ضمن سلسلة «الإسلام والغرب»، من تأليف المستشرق المعروف دانيال ريق، الأستاذ بمدرسة المعلمين العليا، وبجامعة «السربون III»، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، يقع الكتاب في مائتين وثماني عشرة صفحة من الحجم المتوسط، والعنوان الحرفي للكتاب: «الإنسان المستشرق» بالإضافة إلى عنوان فرعي داخلي هو «اللغة العربية في فرنسا، منذ القرن التاسع عشر». يتكون الكتاب من مدخل وخمسة فصول تحمل العناوين التالية: اللغة العربية: الأسطورة والواقع، منبع الأنوار، ميلاد الاستشراق المستعرب، طريق كحد الموسى، الاستشراق بلا مشروع.

أهداف ثلاثة

لم يحدد المؤلف أهدافه من تأليف كتابه، ولكن المتأمل في محتواه يستطيع أن يتلمس ثلاثة أهداف على الأقل أراد الكاتب أن يحققها:

الأول: تاريخي رسم فيه مسار الاستشراق الفرنسي على مدى قرنين من الزمان، متتبعا مختلف مراحله، مسجلا منجزاته، مسلطا الضوء على حياة وأعمال وجوهه في القرن الماضي والقرن الحالي.

والثاني: تقويمي نقدي، ركز فيه أساسا على الجوانب السلبية، مقارنا بين الحين والآخر بينه وبين الاستشراق في البلاد الأوروبية الأخرى، ولا سيما في إنجلترا وهولندا وألمانيا، منوهًا بحكومات هذه الدول التي كانت تخصص مبالغ مالية كبيرة للهيئات الاستشراقية فيها، وتغدق الأموال على مستشرقيها.

والهدف الثالث: استشرافي مستقبلي يقوّم فيه المؤلف وضع اللغة العربية في فرنسا حاليًّا، ويقدم تصوره لما ينبغي أن يكون عليه تعليم اللغة العربية، سواء في الهيئات المتخصصة مثل مدرسة اللغات الشرقية أو في التعليم الثانوي والجامعي.

حول مصطلح الاستشراق

في مدخل الكتاب، يقف المؤلف أولا مع مصطلح الاستشراق، ويذكر أنه غالبا ما ورد بصيغة المصدر «استشراق» أو بصيغة اسم فاعل «مستشرق»، وأن كلا الصيغتين يلفهما الغموض، إلا أن الصيغة الأولى كثيرا ما كان يفهم منها: «دراسة لغات آسيا»، أما الصيغة الثانية، فقد غلب عليها ذلك المعنى الذي أعطاها إياه رأس الاستشراق الفرنسي المحترف «أنطوان سلفستر دو ساسي» وهو «دارس اللغة العربية أساسا» (١)، وهو المعنى ذاته الذي يقصده المؤلف في كتابه، حتى وإن أبدى تحفظا بشأنه، بسبب اللبس الذي ينطوي عليه، وبسبب تطابقه، كما يقول في الجرس والوزن مع لفظ «الاستعمار» (٢). ثم يتطرق بعد هذا إلى بداية اهتمام الفرنسيين بلغات الشرق وحضاراته فيقول: إن هذا الاهتمام يعود إلى القرن السابع عشر، ثم القرن الثامن عشر، ودافعهم إلى ذلك، كما يرى، يعود إلى حب المغامرة والبحث عن «العجيب» أكثر من دافع الفضول العلمي، ولذلك انصب اهتمامهم بالدرجة الأولى على التراث الحكائي للشرق، على عكس الهولنديين والألمان الذين كانوا مهتمين بالدراسات الإنجيلية وبالعلوم الأساسية مثل علم النحو العربي.

وظل الأمر على هذا النحو إلى أن جاء البارون «سلفستر دو ساسي»، الذي أعطى الاستشراق معناه العلمي الدقيق، دون أن يفقده تماما معناه الرومنتيكي. وفي نطاق هذا الاهتمام الأدبي والعلمي بالشرق، ظهرت الحاجة إلى إيجاد مؤسسات علمية تستجيب لحاجة المثقفين والعلماء في هذا الصدد، ولسياسة الدولة الفرنسية نفسها التي بدأت تخطط منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر لإيجاد موطىء قدم لها في بلاد الشرق (ص ١٩)، فتأسست مدرسة اللغات الشرقية سنة ١٧٩٥م.

وشرع فيها أولا بتدريس اللغات: العربية والتركية والفارسية، ثم اتسع المجال شيئا فشيئا لتدريس لغات شرقية أخرى ولهجات تشمل في الوقت الحاضر حتى لغات ولهجات أوروبية شرقية وأفريقية.

وقد جاء في المادة الأولى من مرسوم تأسيس المدرسة «أن المدرسة موجهة لتعليم اللغات الشرقية الحية، ذات الأهمية المعترف بها بالمنفعة العامة في السياسة والتجارة». وجاء في المادة الثالثة «على الأساتذة تعريف تلاميذهم بالعلاقات السياسية



قرنان من الاستشراق

والتجارية القائمة بين الجمهورية (الفرنسية) والشعوب الناطقة باللغات التي كلِّفوا تدريسها».

والمقصود هنا : اللغات والشعوب العربية والتركية والتتارية والماليزية والفارسية التي نصت عليها المادة الثانية (ص ٢٠).

ويأخذ المؤلف في نهاية هذا المدخل على الاستشراق الفرنسي ــ والمقصود به هنا ما تعلق خاصة بالعرب والعربية ــ أنه «لم يكن يحسن دائما استخلاص العبر من تطور العالم وتطور الذهنيات، كما أنه لم يتمكن من الاستفادة من التقدم المسجل في مجال الدراسات اللغوية والنفسية وتطبيقاتها التعليمية إلا بصورة سطحية» (ص ٢٢).

اللغة العربية
بين القداسة والعروبة واللهجات

أما الفصل الأول من الكتاب، والذي يحمل عنوانا مثيرا بعض الشيء، وهو : «اللغة العربية : الأسطورة والواقع» فيتعرض فيه إلى ما يعتبره المشكلات الأساسية للغة العربية في العصر الحاضر، وما يفترض أن يقدمه ـ في هذا الصدد ـ المستشرقون المتسلحون بالنظريات اللسانية الحديثة. هذه المشكلات حسب رأيه تتمثل في النظرة التقديسية التي ينظر بها العرب إلى لغتهم، وكذا سمة العروبة التي تخصهم وحدهم، واللهجات العامية التي يتحدثون بها ولا يعترفون بها كلغات تواصل قائمة بذاتها. فصفة القداسة وقفت حجر عثرة في رأيه، في سبيل تطوير اللغة العربية وجعلها تتماشى وروح العصر، مع أن هذه الميزة، أي ميزة القداسة التي اكتسبتها اللغة العربية من القرآن، لم تشكل، كما يضيف، عائقا لفكر كبار اللغويين الأوائل (ص ٢٤). مما يعني أن المسألة متعلقة بالدارسين المحدثين من العرب لا باللغة في حد ذاتها. أما سمة العروبة فتتمثل في أن العربي لا يجد صعوبة في التعامل مع ثلاثة مستويات من اللغة في آن واحد فهو مثلا «ينتقل من قراءة جريدة معاصرة إلى مخطوطة من الماضي، في الوقت الذي يدير فيه شؤون حياته اليومية بعاميته المعتادة» (ص ٢٥) ويفهم من مثل هذا أن العربي لم يشعر بالحاجة إلى معالجة هذه المشكلة، بل لعله لا يشعر بوجود مشكلة ما دام يتنقل بين المستويات اللغوية الثلاثة بكل يسر. وهذه الظاهرة كما يلاحظ، موجودة في اللغات الجرمانية الحديثة، بحيث يتنقل الجرماني الأصيل بين مستويات لغوية متعددة غير أن الفرق بين العرب والجرمانيين، أن هؤلاء يعتبرون أنفسهم يتحدثون بلغات متعددة لا بثلاثة مستويات للغة واحدة (ص ٢٥، ٢٦). هذه المستويات تعتبر بالنسبة للأجنبي مشكلة عويصة حسب ما يرى المؤلف، ويضرب لذلك مثلا بالمسلم الأندونيسي الذي قد يحذق لغة القرآن ويفهم شؤون دينه بتلك اللغة، ولكنه يجد صعوبة جمة في قراءة وفهم مجلة عربية تصدر هنا أو هناك في إحدى كبريات مدن الشرق الأوسط أو المغرب. والشيء ذاته يحدث للمستشرق الذي يتعلم اللغة العربية من الكتب التراثية حين يكتشف أنه لا يستطيع التفاهم بتلك اللغة مع الناس، كما لا يستطيع أن يعبر بها عن وضعيات ومواقف معاصرة.

المشكلة الثالثة في رأيه نابعة من احتقار العرب للَّهجات العامية، باعتبارها صورا فاسدة أو مشوهة للغة العربية، أو في أحسن الأحوال تحولاً أو انحرافًا عن اللغة الأم. يقول : «إن السبب المعلن في النظر إلى تلك «العاميات» مفاده أن المسألة مجرد تحولات لغوية (عن اللغة الأم)، تلقى مسؤوليتها في الغالب على الحضور الثقافي الأجنبي التركي أو الأوروبي، ويُنْظر إلى الاهتمام الذي أبداه المستشرقون بدراسة اللهجات على أنه تأكيد للإرادة الغربية في الإبقاء على الشعوب المستعمرة في حالة جهل (ص ٢٨). أما السبب الحقيقي كما يراه فهو أيديولوجي، ويفسره على أنه «كان يظهر من غير المناسب في الوقت الذي كان فيه كل بلد من البلدان العربية يعود إلى حضن العروبة أن تجري الإشارة إلى ما من شأنه أن يظهر الاختلاف مع البلدان الشقيقة» (ص ٢٩). ويستدل على قوله في الهامش بكلام يؤدي هذا المعنى ورد في الملتقى الثالث للموروث الشعبي في العالم العربي، وعلاقته بالإبداع الفني، الذي عقد، كما يذكر في الجنادرية بالمملكة العربية السعودية، في آذار/ مارس ١٩٨٧م.

وجدير بالإشارة هنا أن المؤلف كان حريصا طوال هذا الفصل على الاستشهاد بأقوال المفكرين العرب المعاصرين أنفسهم، مثل محمد أركون ومحمد عزيز الحبابي وأفنان القاسم، ولم يكن يلجأ إلا في حالات نادرة إلى آراء كبار المستشرقين المعاصرين مثل «فانسان مونتوي» (الذي أصبح يدعى عبد الله الشافعي بعد أن اعتنق الإسلام)، أو «جاك بيرك». وكأني بالمؤلف هنا قد شعر بالحرج وهو يعالج هذا الموضوع، فأراد أن يحتمي بآراء العرب أنفسهم في لغتهم حتى لا يؤوَّل كلامه بما يمكن أن يفهم منه أنه تحامل على العرب والعربية، ولا عجب في هذا، فقد أشار المؤلف نفسه في العديد من المرات إلى وجود مثل هذا الشعور لدى المستشرقين، ومن ذلك ما ورد في هذا الفصل، فقد قال بالحرف : «إنهم (يعني المستشرقين) يشعرون بأن الاستشراق قد اتهم بالتعاون مع المؤسسة الاستعمارية، بل إنهم متهمون أحيانا بنهب التراث الثقافي العربي، أو بتشويهه على الأقل برؤى هدامة» (٣).

ويعود الكاتب في آخر هذا الفصل ليربط هذه المشكلات التي تطرق إليها بوضع اللغة العربية في فرنسا، وببرامج تعليمها، وبالدور الذي يمكن للمستشرقين أن يضطلعوا به في حل تلك المشكلات وفي تطوير برامج التعليم وطرق التدريس.

مَشْرِقُ الأنْوار

في الفصل الثاني يعود المؤلف إلى البداية، أي إلى بداية الاستشراق في فرنسا، فيتطرق إلى صورة الشرق كما وردت في «ألف ليلة وليلة»، وفي مسرحية «البورجوازي النبيل» لموليير، وفي «الرسائل الفارسية» لمونتيسكيو، إلى أن يصل إلى تقارير

القناصل والتراجمة وممثلي المصالح التجارية الفرنسية في الموانيء العربية، ويقدم نماذج عديدة من تلك التقارير ونُبَذًا عن حياة أصحابها، ويشيد بالدور الذي لعبه التراجمة خاصة، حيث يعتبرهم الممثلين الحقيقيين للدولة الفرنسية وحماة مصالحها، بالرغم من مكانتهم المتدنية بالقياس إلى الدبلوماسيين، ويقدم أبرز مثال لهؤلاء التراجمة «اسولان دو شيرفيل» (١٧٧٢ ــ ١٨٢٢م)، مترجم القنصلية الفرنسية في مصر، الذي وضع عدة قواميس مقارنة في لهجات أهل مصر، وجزر البحر الأحمر، وصحراء أفريقيا، ولهجات الأفغان، والأكراد، وأهالي جاوة، وسكان القوقاز. وكان شيرفيل هذا على صلة وثيقة بالأستاذ «سلفستر دو ساسي»، وكان يزوده بصفة منتظمة بالمخطوطات العربية النادرة.

ميلاد الاستشراق المستعرب

في الفصل الثالث يمضي المؤلف قدما ليقدم وجوها من المستشرقين المحترفين الذين صنعوا مجد الاستشراق الفرنسي، فنلتقي برائدهم الأول «فونتور دو بارادي» (١٧٣٩ ـ ١٧٩٩م)، هذا الرجل الذي كان يعرف كل أنحاء البلاد العربية، ويتحدث كل لهجاتها بما في ذلك اللهجة البربرية، وقد تمت حملة نابليون على مصر بناء على التقارير التي كتبها هذا المستشرق من مصر ومن القسطنطينية، وقد لاحظ في تقاريره بأن مصر قد تكون سهلة للغزو، ولكن الاحتفاظ بها سيكون صعبا بالتأكيد، (ص ٧٤). وحين أبحر «نابليون» متوجها لغزو مصر كان «فانتور» على رأس مستشاريه المقربين، وقد سافر على متن المركب الأميرالي الذي كان يستقله «نابليون» وكان لمعرفته بالبلد وأهله من الخاصة والعامة ما ذلّل به الكثير من الصعاب التي واجهت الحملة. وتوفي «فونتور» متأثرا بمرض الزحار أثناء الانسحاب من «عكا».

وقدم لنا أيضا، وجها آخر على قدر كبير من الأهمية في حركة الاستشراق الفرنسي وهو «فولنوي»، الذي زار الكثير من الأقطار العربية مشرقا ومغربا، ووضع تقارير مطولة عن مصر وسورية والجزائر، وكان لتقاريره تلك أثرها الملموس في سياسة فرنسا إزاء هذه الأقطار، والتي انتهت بغزو مصر ثم الجزائر، وكان لها أيضا أثرها في

> اهتمّ الآخرون بعلوم الشرق، واهتمّ الاستشراق الفرنسي بالتراث الحكائي له

مستقبل الاستشراق الفرنسي وتوجهاته العامة.

لقد كان لهذا الرجل الدور الأكبر في إنشاء مدرسة اللغات الشرقية، ووضع بنفسه، إتماما لهذا المشروع كتابا في النحو الأساسي للغة العربية، وطريقة مبسطة في كتابة اللغة العربية، ومشروعا لتبسيط اللغات الشرقية عامة وجّهة للرحالين والمفاوضين، طبع على نفقة الدولة ووزعت نسخه على المفاوضين العاملين في بلاد المشرق والهند والصين وأفريقيا، وعلى الشركات والسفراء والمكتبات الوطنية. وينقل المؤلف عن «فولنوي» نظرته إلى اللغة العربية والتركية والفارسية فيقول نقلا عنه:

١ ــ ليس صحيحا أن اللغات الشرقية هي أساسا أصعب من لغاتنا، فالعربية مثلا رغم أنها متعبة من جهة النطق فإنها ذات انتظام وظيفي يبسطها ويجعلها سهلة.

٢ ــ هذه اللغات مجتمعة (العربية والتركية والفارسية)، ليست أكثر صعوبة من الإسبانية أو الألمانية.

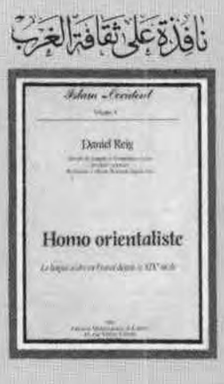
٣ ــ الصعوبات المنسوبة إلى هذه اللغات ليست أساسية، بل هي صعوبات شكلية تتعلق بعلامات النظام الألفبائي (ص ٧٩).

وجه بارز آخر في الحركة الاستشراقية الفرنسية قدمه لنا المؤلف هو «أنطوان إسحق سلفستر دو ساسي»، وخصه بكثير من العناية. فهذا المستشرق لعب دورا أساسيا في وضع تقاليد الاستشراق في بلده، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فبالرغم من أنه لم يبرح باريس إلا للأقاليم الفرنسية في الجنوب، وظل يرابط في المكتبة الوطنية، أو يتنقل بينها وبين مدرسة اللغات الشرقية والكوليج دو فرانس، إلا أنه كان على اتصال دائم بكل الموظفين في السفارات والقنصليات الفرنسية سواء في العاصمة العثمانية أو في المدن والموانىء العربية، وكان لا يدع فرصة تمر دون أن يُذكّر هؤلاء بأهمية وبسرعة الحصول على المخطوطات، كما كان على اتصال وثيق بوزارة الخارجية، ووزارة الحربية، وهو الذي قام بترجمة خطاب الجنرال «دو بورمون» إلى العربية الموجه إلى أهالي الجزائر غداة الاحتلال سنة ١٨٣٠م.

الجزائر محك الاختبار

في الفصل الرابع، يفرد المؤلف جزءًا كبيرا للحديث عن الاستشراق وغزو الجزائر، ويقول: «إن الجزائر بالضبط هي التي ستكون محك الاختبار بالنسبة للاستشراق الفرنسي . . . إنها المكان الذي سيجد فيه تعليم العربية ودراستها نفسه لأول مرة في مواجهة الحقائق، في مواجهة الواقع اللغوي الحقيقي، إذ لم يكن الأمر يقتصر على التوجه إلى باحثين مستقبليين، قراء للمخطوطات القديمة، بل إلى رجال مدعوين إلى التحدث بالعربية وكتابتها وفهمها». ص ١٣١. ويذكر بالمناسبة أن الدوق «دو روفيقو» كان تحت إمرته آنذاك ٢١ مترجما لم يكن بينهم من يحسن كتابة رسالة باللغة العربية.

لقد كان الغرض من احتلال الجزائر منذ البداية هو جعلها من ممتلكات الدولة الفرنسية، وهذا ما صرح به الدوق دو روفيقو، ولذلك جعل هذا العسكري من أولى الأولويات في برنامجه الاستعماري «تسهيل التواصل والتبادل بيننا وبين الأهالي وجعله أكثر سرعة». ولتحقيق ذلك جند جيشًا بأكمله من التراجمة، واتخذت كل الإجراءات لتعليم الموظفين اللغة العربية، وفي المقابل اتخذت الإجراءات لتعليم الجزائريين اللغة الفرنسية من أجل ضمان التغلغل السياسي المطلوب في أوساط الجزائريين. غير أن تلك الإجراءات التي اتخذت لم تطبق بالشكل الذي أريد لها «وكانت الغلبة لمنطق الاستعمار، الذي تكوّن موكبه تدريجيا، وقوامه عدم التفهم والاحتقار والكراهية (للعرب)، وبقيت اللغة العربية لغة



قرنان من الاستشراق

أجنبية في الجزائر، الشيء الذي حد من تعليمها في فرنسا» ص ١٣٣ .

غير أنه، حتى وإن فشل مشروع تعليم اللغة العربية في الإدارة والمدرسة، فإن الاستشراق المحترف ظل يتوسع باستمرار، وحاجة الدولة تزداد إليه يوما بعد يوم، من أجل إحكام سيطرتها على البلد، «ووجد الاستشراق الفرنسي نفسه يدخل في شبكة من العلاقات مع العالم العربي أعادت النظر في ظروف وجوده، بخلاف الاستشراق الألماني الذي كان دائما مطبوعا وبقوة بتقاليد الدراسات الإنجيلية المشبعة بروح الإصلاح، والذي لم يشكل حضور الشرق بالنسبة إليه الظاهرة الاجتماعية والسياسية الشاغلة في كل الأوقات» ص ١٣٨، ١٣٩ .

ويقدم المؤلف بعد هذا أسماء العديد من المستشرقين الذين سجلوا حضورهم بقوة في الجزائر، ويعدد الأعمال التي قاموا بها في مجال الدراسة والتدريس والتأليف والنشر، خاصة في مجال **الأثنوغرافيا (علم الأجناس) والأنثروبولوجيا (علم** دراسة الإنسان)، وكذا علم اللهجات، وهو ما شكل، كما يقول الكاتب، ملامح علم الاجتماع الذي وضع أسسه النظرية فلاسفة القرن الثامن عشر.

لقد كان الغرض من ذلك هو «فهم الشعوب العربية في قسم كبير منها، والبربرية في بعضها بعد قهرها، ثم إقناعها بأن المستقبل مع المستعمر، وأن لا مستقبل لها بدونه» ص ١٤٤ .

تلك كانت رسالة الاستشراق في هذه المرحلة، ويعلق المؤلف على ذلك بقوله : «وهكذا فإن الاستشراق كان يسلك شيئا فشيئا طريقا يمر على حد الموسى، إن أردنا التعبير عن ذلك بطريقة مسرحية بعض الشيء» .

ومع ذلك فقد وجد من بين المستشرقين من رفع صوته عاليا، مستنكرا ومحذرا الحكومة الفرنسية من عواقب سياستها في الجزائر، ومن أخطائها الفادحة فيها، بل الجرائم في حق الإنسانية كما يصفها، واقترح إنشاء مملكة عربية بالجزائر تفرض عليها الحماية كما حدث في تونس، وهي شكل استعماري ألطف من الاستعمار المباشر. كان صاحب هذه الآراء الجريئة هو المستشرق سليمان أوربان، وكان قد اعتنق الديانة الإسلامية في تركيا، قبل مجيئه إلى الجزائر، غير أن آراءه قوبلت بحملة صحفية شديدة اللهجة، سواء في الجزائر أو في فرنسا (ص ١٤٦ ـ ١٤٧).

وبعد أن يؤكد المؤلف «مشاركة» المستشرقين في ما يسميه المغامرة الكبرى للتوسع الأوروبي في القرن التاسع عشر، يحاول أن يهون من الآثار السلبية لتلك المشاركة، ويرى «أنها ليست أكثر من مشاركة ذلك الكاتب، أو ذلك الفنان الذي ساهم بفعل الوساطة الإعلامية، دونما رغبة متعمدة في نشر صورة مطمئنة للاستعمار عن طيب خاطر، إن لم تكن ممجدة له» ص ١٤٨ .

ويتساءل عن الموقف الصحيح الذي ينبغي اتخاذه إزاء تلك الأعمال العلمية التي أنجزها أولئك المستشرقون، بالرغم من أنها خدمت أغراضا استعمارية ؟ ويجيب بسؤال آخر يعتبره كافيا في حد ذاته وهو : هل يجوز لداعية السلام أن يرفض المرور فوق جسر؛ لأن المهندسين الذين أشرفوا على بنائه قد أدخلوا في حسابهم عامل مقاومة كافية لتحمل مرور الجيوش المدرعة ؟» ص ١٤٧ .

الاستشراق بلا مشروع

في الفصل الخامس والأخير يقف المؤلف موقف المتأمل في وضع المستشرق الفرنسي في الوقت الحاضر، ويخلص إلى القول بأن هذا الاستشراق قد تضاءل دوره بعد انتهاء فترة الاستعمار وأصبح بلا مشروع، ويتحتم عليه في الوقت الراهن أن يضع لنفسه آفاقا جديدة يعمل من أجل الوصول إليها، ولا بد له حينئذ من تجديد نظرته وأدواته، والتكيف مع الأوضاع الراهنة الدولية، ومع حقائق العالم العربي، وحقائق المجتمع الفرنسي نفسه، فبالإضافة إلى العلاقات المتعددة والمتنوعة لفرنسا في مختلف الميادين مع العرب والتي تستوجب إتاحة الفرصة لأبناء الفرنسيين الراغبين في تعلم العربية، توجد هناك جالية عربية كبيرة تعيش في فرنسا، وترغب في تعليم أبنائها اللغة العربية. والاحصاءات تؤكد تزايد الطلب على تعلم اللغة العربية، واختيارها كلغة أجنبية أولى أو ثانية في الثانويات والجامعات الفرنسية [٤]، إلا أن الأنظمة والقوانين السارية المفعول لا تستجيب لمثل هذه الحاجة، وكذا الأمر فيما يخص طرق التدريس المتبعة، وتكوين العنصر الإنساني المكلف بهذه المهمة.

لقد اضطرت الوزارة المعنية، كما يوضح، إلى توظيف معلمين، أمام تزايد الطلب على تعلم العربية في بداية السبعينيات، كان مؤهلهم الأساسي في بعض الأحيان أنهم ناطقون بالعربية، وكانت النتيجة كارثة من الناحية التربوية (البيداغوجية) (ص ١٨٣)، وهو الشيء الذي جعل أطفال الجالية العربية أنفسهم ينفرون من تعلم لغتهم، ويتجهون إلى تعلم لغات أخرى.

والحل كما يراه الكاتب، يوجد في الجامعة، **فهي المكان الكفيل بتكوين أساتذة أكفاء،** يضطلعون بمهمة تدريس اللغة العربية بطرق ملائمة وعصرية، وهي كذلك المكان الأمثل لمعالجة مختلف المشكلات اللغوية أو التربوية المتعلقة بتلك المهمة. وينهي فصله هذا بالدعوة إلى تجديد علم الاستشراق على أسس حديثة، ويعطيه اسما مغايرا وهو «العربولوجيا» تجعل منه «علما قائما بذاته، ولكنه غير منغلق على نفسه، شديد التخصص، ولكنه متفتح بما فيه الكفاية على العصر» .

الهوامش

(١) ص ١١ .

(٢) ص ١١ .

(٣) يلمح المؤلف هنا إلى كتاب «الاستشراق» لادوارد سعيد.

(٤) يورد هنا احصاءات دقيقة عن تطور الطلب على اللغة العربية من سنة ١٩٥٢م إلى نهاية الثمانينيات.

الأمل المجهول!

شعر: إبراهيم صبري

نعمْ . . جَفَّ الزَّمانُ . . وما جَفَوتُ   وأجْدبَت الحياةُ . . وما شَكَوتُ

ولكنـي زرعتُ الحبَّ فيها   قصيدًا يانعًا أنَّى شَدَوتُ

وللشعراءِ أفئدةٌ تُغَنِّي   وأخيلةٌ لها سمعٌ وصوتُ

يُحدِّثُ أن شيئًا ما سيأتي   وإنْ أودَى الزَّمانُ بها رجوتُ !

نعم فرَّ الرِّفاقُ . . رفاقُ عمري   إلى حيث استَحبُّوا ما ذروتُ

وقد عبروا الحواجز فوق جسري   وظنوا بي الهلاكَ . . وقد نجوتُ

فليس لمثل غايتهم رجائي   وليس لمثل ما عَجلوا صبوتُ

وقد عانيت منهم ما أعاني   وما ودَّعتُ نهجيَ أو سلوتُ

وكم من مُبْتَلًى . . لكنْ قليلٌ   براحِ الحبِّ يَمْحُو ما محوتُ

أنادي : فلتكن يا خيرُ شَرِّي   إذا شئتُ انتقامًا أو قسوتُ

وإنْ ولَّى زمانُ الحبِّ فينا   وصُمَّ الناسُ عما قد دعوتُ

وجفَّتْ روضة الدنيا جحودًا   ولم تَدْنُ المُنَى مهما دنوتُ

فقلبي لم يزل غَضًّا يغني . .   وفي الأرجاء بالأصداء صوتُ

يحدّث أن شيئًا ما سيأتي   وإن طال الزَّمان بها بلوتُ !

نعم سادَ البريَّةَ «مكيافللي»   فكلٌّ رهطهُ أنَّى رنوتُ

إذا كنتُ المريدَ غَدَوْتُ مُرًّا   وإن كنت المرادَ فقد حلوتُ !

وإن أُعْسِرْتُ . . عَدُّوني رخيصًا   فإن حُزْتُ اليسار فقد غلوتُ

وقد عمَّت أعاصير الخطايا   فليس لكائنٍ منهنَّ فوت

وإذ أيقنتُ ألَّا درب يُنجي   وأني مخطئٌ أنَّى خطوتُ

لزمت رحاب محرابي أُصلي   فناداني من المحراب صوتُ

يردِّدُ أن شيئًا ما سيأتي   وإن أودى الزَّمان بها رجوتُ

فحسبي أن زرعتُ الحبَّ فيه   وزرع الحب لا يعروه موتُ !

وليم شكسبير
(١٥٦٤ - ١٦١٦م)



شكسبير

مسرحه كل الدنيا

أمين بكير

في شهر أبريل من عام ١٩٩٣م انقضى العام التاسع والعشرون بعد المائة الرابعة منذ ميلاد الشاعر الإنجليزي (وليم شكسبير)، الذي لم يحظ كاتب غربي باهتمام المسرحيين العرب ـ كتّابًا وفنانين وأكاديميين ـ مثلما حظي شكسبير على مدى قرن كامل، منذ بداية العقد الأخير من القرن الماضي، رغم أن الالتفات إلى مسرح شكسبير قد تأخر عدة سنوات؛ لأن المترجمين الرواد في مصر، أمثال سليم نقاش وأديب إسحق ونجيب الحداد، ومحمد عثمان جلال كانوا قد عكفوا على ترجمة نماذج من الأدب الفرنسي لراسين وكورني وموليير وفكتور هوجو، ولم يلتفت المترجمون إلى شكسبير إلا في أواخر العقد التاسع من القرن الماضي، وكانت البداية بنص (روميو وجوليت) والتي أسماها مترجمها الشاعر (نجيب الحداد عام ١٨٨٩م) ثم توالت مسرحيات شكسبير المترجمة منذ هذا التاريخ : هاملت، التي ترجمها أمين الحداد شقيق نجيب الحداد . وهناك ترجمة أخرى كانت للكاتب نقولا بدران عام (١٨٩٣م)، ثم ترجم نقولا بدران روائع مسرحيات شكسبير. وكان لأول مرة يكتب على غلاف المسرحيات عبارة (ترجمة بتصرف) ويكفي أن نقف عند تصرف المترجم حتى في عناوين مسرحيات شكسبير مثل تاجر البندقية التي صار اسمها (الصراف المنتقم) وعطيل التي أصبح اسمها (حيل الرجال) إلا أن ذلك لا ينفي أننا منذ بدايات العقود الأولى من القرن العشرين والمثقفين العرب والدارسين للأدب في كل الأقطار الشقيقة قد اهتموا بتذوق وترجمة ومشاهدة ودراسة أعمال وليم شكسبير، وهذا ما يؤكد بأن الرعيل الأول من شعراء مصريين ومن أمثال شاعر القطرين خليل مطران حينما ترجم معظم أعمال شكسبير في لغة شعرية رصينة فكانت : ماكبث، عطيل، هاملت، يوليوس قيصر، الملك لير، وغيره كثير من الأعمال المسرحية الكلاسيكية الرائعة . . **ويكفي للدلالة على عظيم التقدير والحفاوة بأدب شكسبير المسرحي أن تقيم مصر في عام ١٩١٦م مهرجانا نظمته جامعة (فؤاد الأول) وكتب شاعر النيل حافظ إبراهيم قصيدة ألقاها في أول يوم لافتتاح المهرجان قال فيها :**

يحييك في أرض الكنانة شاعر
شغوف بقول العبقريين مغرم

ويطربه في يوم ذكراك إن مشت
إليك ملوك القول عرب وأعجم

وكذلك ساهم الكاتب الكبير (لطفي السيد) بمقال بهذه المناسبة نشر بجريدة الأهرام في ٢٢/ ٢/ ١٩١٦م يعبر فيه عن النظرة الشمولية في مسرح شكسبير الإنساني بقوله :

(. . إنه شاعر الإنسانية حيث تتجه أنظار شكسبير للتعبير عن النزعات الإنسانية الخالدة ؛ لأنه لم يقصد أن تحتكر إنجلترا ويستحوذ الشعب الإنجليزي على خصائص الطبيعة الإنسانية التي يعبر عنها شكسبير).

ومسرحيات وليم شكسبير كانت قد اعتلت خشبات مسارح القاهرة العاصمة في أوائل عام ١٩٠٣م وهذا ما يؤكده أيضا الصحفي عبد الملك أفندي إبراهيم الذي كتب في جريدة الأهرام هذا الخبر المهور بتوقيعه في باب الفن حيث قال :

(تمثل مساء اليوم جمعية المعارف المصرية المركزية بتياترو حديقة الأزبكية رواية ماكبث من تأليف شكسبير وتعريب طنوس عبده . . وأحب أن أشير إلى المترجم الشاعر طنوس عبده اللبناني الأصل المصري الجنسية إنه هو الذي ترجم بالشعر الغنائي روائع شكسبير وأخضعها للشكل المسرحي القريب من (الأوبريت) فعل ذلك في مسرحيات مثل : هاملت والتي مثلها جوق الشيخ سلامة حجازي وقام الشيخ سلامة بدور (هاملت) غناءًا وتمثيلاً . . ثم بعد نجاح (هاملت) في هذا الشكل الغنائي وإقبال الجمهور عليه قدم طنوس عبده (روميو وجوليت) في شكل غنائي ومثل وغنى الشيخ سلامة حجازي دور الفتى روميو العاشق الولهان . ولكن ذلك الاتجاه لم يستمر؛ لأن ثورة على هذا الشكل انطلقت من قلب الفرق المسرحية الكلاسيكية الجادة. وأعلنت فرقة جورج أبيض أنها ستقدم (الملك لير) وأعلنت فاطمة رشدي أنها ستقوم بدور هاملت في نص تمثيلي لا يخضع للغناء لكي تضرب المثل بأن التمثيل الكلاسيكي أبقى. وأعلن يوسف وهبي رفضه لمسرحة شكسبير غنائيا).

وظلت هذه المعركة دائرة نحـو موسمين مسرحيين متتاليين إلى أن حسم هذا الصراع شيء قدري هو مرض الشيخ سلامة حجازي بمرض الفالج .

ولكن المستفاد ـ بعـد عجالة هذا العرض السابق لقصـة دخول مسرحيات وليم شكسبير إلى مصر، وبالتـالي إلى الوطن العربي ـ إنما يعني ذلك أننـا نعرف مسرح شكسبير منـذ أن عرفنـا مسرحنا العـربي والمصري الحديث، **وقد اعترف رجـالات المسرح والـدارسون بأن لمسرح شكسبير نظـرة شمولية تتميز بها جميع أعماله**، سواء في التعبير عن المآسي (الإنسانية) الخالدة؛ سواء على مستوى الفرد أو مستوى الجماعة، **ذلك لأن مسرحيات شكسبير فوق النظرة الشمولية لها ميزة أخرى وهي (الحوار الشعري، الشـاعري، الدرامي)** وهو الذي يتناسب تناسبًا جماليًا مع البنية الدرامية في بنائية شاعرية ساحرة تموج بالأحاسيس المرهفـة، في الحزن وفي الفرح. في السعـادة، وفي التعاسـة للمحبين، في إظهار حـب الآباء لأولادهـم وبناتهم، وحتى في إظهـار عقـوق الأولاد أو البنـات؛ فـإن هنـاك شاعرية حتى في الحزن حينما يضعنـا وليم شكسبير أمام أعظم المواقف الدرامية صياغـة، ونحن أمـام جـلال مأسـاة وأمـام سقـوط مأسـاوي لأحـد أبطـال مسرحياته، لذلك فإن المشاهد لمسرح شكسبير سرعـان ما تتوحد فيه خصائص البشريـة، ويترجم بشكل فوري هـذا الحدث الذي يـدور أمامـه؛ لأن الحدث الـدرامي عنـد شكسبير يعتمـد على (بنيـة الشخصيـة) لـذلك فإننـا نجـد الشخصيات المأساوية في مسرحياته توضع في المأزق تلو الآخر، وتتجمع خيوط المأساة في مسرحـه أمام أعين المشاهدين في وضوح وبساطة وبلا تعقيد .


حافظ إبراهيم


خليل مطران


أحمد لطفي السيد

ولـم يحدث قـط ـ وخـلال الأربعمـائة عـام التـي مرت تقـريبًا منـذ وفـاة **شكسبير ـ أن تجسدت** شخصيـة مأساويـة مثل **(عطيل)** وشكلت أمـام أعين المشـاهدين والتي كـان لها ولغيرهـا من الشخصيـات الشكسبيرية هـذا المعنى الكبير. إنـه يصف لنـا ويجسـد بأننـا أمام حصـون تحيط بقلعـة (لـورينيـاك) اليوغسلافية والتي يرجع عهدهـا إلى القرن الثاني عشر، ونرى شبح والد هاملت وهو يحدث ابنـه ويحثه على الثأر، وفي أعماق روسيـا السوفيتيـة في « طشقنـد » نرى المغربي الغيـور (عطيل) وهو يخنق (ديدمونـة) البريئة الطاهـرة. وأما أخذ وليم شكسبير إلى عالم الخصـومات والثأر، فإنما يؤاخى ذلك بالغـرام المشبوه في روميو وجولييت .

وحينما أخذت عنوان هذه الدراسة (وليم شكسبير) مسرحـه كل الدنيا فإن ذلك العنـوان يشير بأن ثمـة جـديـد، وفي مكـان جـديـد لهذا الكـاتب الكلاسيكي. وبالفعل ما أردت أن يصل إلى القارئ هو أن أحدث المسرحيات تناولا هـي مسرحيات وليم شكسبير في عـام ١٩٩٣م في استراليـا فهنـاك فرقـة جوالـة، كل أفـرادهـا يـرتـدون السراويل السـوداء الـ (تي شيرت) الأرجـواني ويجوبـون القارة وكل أدواتهم بعض قطع من الأكسســوار؛ تاج وسيف وثيـاب محاربي (الزولـو) يمثلـون شكسبير بطـريقة تجريبية وكوميديـة في الوقت نفسه، وفي روديسيا الجنوبية يمثل شباب المسرح هناك أعمال شكسبير بطرق وأساليب عـرض مختلفـة مـن حيث التقنيـة. فمثـلا يمثلـون عطيل بعــرائس الـدمى القفازيـة، ويقدمون هاملت بـالإيماء مع الموسيقى الدرامية، أمـا في ستراتفورد فإن المرء يبهر أمام تقديس أهلها لفكر ابنها الكاتب وليم شكسبير. فعلى سبيل المثال يوجد في ستراتفورد أقدم مسرح يقدم مسرحيات شكسبير دون انقطاع منذ ١١٠ سنـة ولدى بلـدة ستراتفورد من مليون ونصف المليون مشترك ثـابت يرتاد مسارحها بانتظام واحترام يصل إلى حد التقديس .

وبلـدة ستراتفورد بإنجلترا قـد أنشأت لها ثـلاثـة مسارح في إنجلترا وكنـدا وأمريكا وأنشأت كذلك مسرحا لأحدى فرق مسرح ستراتفورد في (أونتاريو عام ١٩٣٥م) وهنـاك مسرح ستراتفورد آخـر بولايـة (كونتكيت) الأمـريكية وكلهـا تحمل اسم مسرح ستراتفورد، وكلهـا متخصصة في تقديم ابن بلـدة ستراتفورد وليم شكسبير الذي جاء بعد سلسلة من التجارب الإبداعية في مجال المسرح قد سبقته مثل كوميديات القرن السادس عشر التي تأثرت من قبل بأعمال (بلوتس وتيدنس) أو أعمال (نيكـولي أول ١٥٠٥ ـ ١٥٥٦م) وكلهـا كانت تـدور حول قصص الحب في القصور متخذة من التاريخ مصـادر حيوية لها، كذلك فعل شكسبير إذا استقى الميثيولوجيا والتـاريخ القديم، وقصص الحب، وعرض في مسرحه (كل الدنيا) وكل الأنماط، وإن كـان جنوح أبطال شكسبير إلى الطابع الرومـاني. إذ عنده في مسرحيـاته نماذج للمخـادع والشاذ والـذكي والشجاع. العـاشق والجسـور، إنها سلسلـة من المسرحيـات الـرومـانسيـة التي بـرع فيهـا شكسبير ومحاولتـه الابتعـاد عن أشكـال المسرح الكلاسيكيـة ومـا يطلق عليـه الالتزام بالوحدات الثلاث وحدة الحدث والزمان والمكان، والتي جاء ذكرها في كتاب (ارسطو) فن الشعر، ولـم يلتزم شكسبير إلا «بوحدة الحدث» والتي إن أهملت لا يكون الفن فنًا من أصلـه .

وتتميـز مسرحيات شكسبير الـرومانسيـة بأنها تقـدم لنا مـزيجًا من المناظـر الريفية الخلابـة والمروج والغابات كمـا تحتوي في بعض منهـا على المهرج إضافة إلى استخدام حيل تنكر الفتاة في زي الفتى اختبارًا لمدى حب وصدق فتاها كما يحدث في مسرحية (كما تحبون ـ ١٥٩٧م) .

وكما هو عنوان المقـال أو الدراسة بأن وليم شكسبير (مسرحه كـل الدنيا)؛ لأنه قد استقى من الأساطير اليونانية ما جاءنـا في الكتب عن خبر (كاليـوب) أو زيـوس، الذي لـه تسع بنـات وهن تحكمن في الفن ويـوحين إلى الآدميين بالأفكار الفنية، وعلى سبيل المثال كـانت (كليو) هي ربـة التاريخ و (يوتيربي) هي ربــة الموسيقى و (تـاليـا) هي ربـة الكوميـديـا و (مبليـو ميني) هي ربــة التراجيـديـا و (تـور بسيكــوي) هي ربــة الــرقص و (أرتــو) ربــة الشعـر و (بوليهمنيـا) هي ربة الغنـاء المقدس و (أراينا) هـي ربـة علم الفلك. ولقد استقى شكسبير واستعاد وأتقن وتيقن مـن أن الأخذ بكل أسباب وجـود بنات زيوس الرمز لينسج مسرحه الرائع من كل ربـة مثيـرة فكان لمسرحه كل المثيـرات التي جعلت مسرحه فعلا . . هو كل الدنيا .

دائرة المعارف

إعداد: د. بهاء الدين لطفي قابيل

أدبـاء الصهيونية

أ

آحـاد هاعـام (أشير تسفي جينسبرج)

مفكر وأحد زعماء الأدب الصهيوني، ولد في روسيا عام ١٨٥٦م، وقد وَقَّـع مقاله الأول عام ١٨٨٩م باسم مستعار «آحاد هاعام» ومنذ ذلك الحين أصبح لقبًا لــه. وفي مقالاتـه التي تميّزت بالدقـة والوضـوح دعـا إلى النهضـة الأدبية الداخليـة قبل كل شيء. واعتقد بأنه لا يمكن القضاء على المهجـر عن طريق عـودة جميع شعب إسرائيل إلى الأرض، ولهذا فإن أيـة دولـة يهوديـة لن تستطيع القضاء على المشكلة ولن تستطيع حل قضية اليهود جميعا. ولهذا رأى الطريق في القيام بعملية تربويـة واسعة وعميقة كما أن إنقـاذ روح الشعب يتم عن طريق إقـامة مـركـز ديني في أرض إسرائيل، ومن هنـا جاءت معـارضتـه للصهيونيـة السياسية بزعامة هرتزل، وقـد نشر بالاشتراك مع آخرين ـ البيان المشهور الذي دعـا فيه اليهـود إلى الدفاع عن أنفسهم. وقد زار فلسطين عـدة مرات وكشف عن أخطـاء الاستيطان ونـواقصـه، وأقـام نهائيا في تل أبيب حتـى توفي عـام ١٩٢٧م.

ألترمان، ناتان

من أكبر شعراء العبريـة، ولد في وارسـو عام ١٩١٠م، ذهب إلى فلسطين عام ١٩٢٥م، وقد بدأ في نشر أول أشعاره عام ١٩٣١م. وقد اشتهر شاعرًا على مستويين: باعتبـاره مؤلف منظومات شعبيـة تعكس المشاعر السـاخرة لأبناء اليهـود تجاه القضايـا السياسيـة، وباعتبـاره شـاعرًا من قـواد الحركة الأدبيـة في إسرائيل. وقد بـدأ طريقـه شاعرًا معبّـرًا عن الصهيونيـة في عام ١٩٣٤م حينما أصبح المحرر الخاص للتعليقات السياسيـة في صحيفة «هـا آرتس». وفي عام ١٩٤٣م انتقل إلى جريدة «دافـار» حيث بدأ في كتابة «العمود السابع» الذي كـان يصف فيـه الصراع ضد الإنجليـز، هـذا العمود الـذي أصبح جـزءًا من التاريخ الإسرائيلي الحديث. وبعد حرب ١٩٦٧م تبنى وجهة النظر الداعية إلى عدم تجزئة أرض إسرائيل. وقد تأثر بالـرمزيين الفرنسيين والروس. ومن أشهر قصـائده: «بهجـة الفقير» ١٩٤١م، «ضربـة مصر» ١٩٤٤م، «مـدنيـة الحماقة» ١٩٥٧م. ومن مسرحيـاته: «طبريـا» ١٩٦٢م، «فندق الـرياح» ١٩٦٣م، وقد ترجم مسرحيات موليير في ثلاثة أجزاء.

ب

برينر، يوسف حاييم

ولـد عـام ١٨٨١م في روسيا، وجـاء إلى فلسطين عـام ١٩٠٨م، وانتهت حيـاتـه عـام ١٩٢١م على يـد الثـوار الفلسطينيين في اشتبـاك وقع بينهم وبين المستـوطنين الصهاينـة. يعتبر أحد رواد الصهيـونية العـالمية، وتأثـر بكتابـات تولستوي ودستوفسكي. نشر عـام ١٩٠١م أول مجموعة قصصية. وأصدر في لنـدن مجلـة عبريـة تركت أثرًا في أنصـار الهجـرة الثانيـة، وشـارك في تـأسيس «الهستدروت». وهاجم في أعمالـه الأدبية الصفات اليهودية التي يتسم بها يهود الشتـات. وشخصيات روايـاته تلقـى دائمًا المصير نفسه، إذ إنها تبـدأ بدايـات فاشلـة وتقوم بمحاولات لا تكلل بالنجاح وتنتهي بالإحساس بالمرارة تجاه نفسها وتجاه العـالم. نشر نقدًا لـلأدب العبري بعنوان «صـورة المهاجـرين في الأدب» ١٩١٩م.

بوبر، مردخاي مارتن

أديب ومفكـر يهودي صهيوني، ولـد في فيينـا عـام ١٨٧٨م، وكان أحـد محرّري صحيفة الهستدروت العالمية المسماة «دي فلت»، وهو أستاذ في الفلسفـة ونظرية أخلاق الـدين اليهودي، وكان تأثيره قويًا في الطلبـة اليهود في جامعات وسط أوربـا، وعلى المثقفين الشباب الذين اهتموا بالصهيونية والنهضة الوطنية، وقد اشتهـر عن طريق نشره لكتابـه «أنا وأنت» الذي ضمّنه فلسفتـه. أقام في القـدس عـام ١٩٣٨م، ودرّس علم الاجتماع في الجامعـة العبرية، وكـان أحـد رؤساء حـركة «شالـوم» التي أيدت إقـامة دولة يهوديـة ـ عـربية في فلسطين، وترجم التوراة إلى الألمانية. توفي عـام ١٩٦٥م.

بـورلا، يهـودا

ولـد في القـدس عـام ١٨٨٦م وتـوفي بها عـام ١٩٦٩م. يعتبر من أوائل الأدباء العبريين السفـارديم الذين لـديهم خلفية شرق أوسطيـة. خدم مـراسلاً حربيًا في الجيش التركي خلال الحرب الأولى، وبعدهـا عمل مديرا للمـدرسة

العبرية في القدس لمدة خمس سنوات . كتب قصة « لونـا » الفتاة التي تعيش في المجتمع الشرقي للقـدس القديمـة ، وتناولت حيـاة اليهود في البـلاد العربيـة . عملــه الثـاني « بـلا كـوكب » ١٩٧٣م . وأول رواياتـه « الـزوجـة المكروهــة » ١٩٢٨م ، وتتابعت رواياته : « متـاهات إنسان » ١٩٢٩م ، « هجرات عقيبا » ١٩٣٩م ، وكتب روايـات تـاريخيــة : « رحـلات يهودا ليفي » ١٩٥٩م ، « في الأفـق » ١٩٤٣م . ويعتبر أسلوب بـورلا تقليديـا رومانسيا وخاصة في أعماله : « مع الفجر » ١٩٤٩م ، « نساء » ١٩٤٩م ، « توم وماري » ١٩٥١م .

بياليك ، حاييم نحمان

تعتبر دائرة المعارف اليهودية أن بياليك يشكل بداية لمرحلة مستقلة في تاريخ الأدب العبري الحديث . ولـد في روسيـا عـام ١٨٧٣م ، وتمثلت في حيـاتـه كل صور الحيـاة التقليدية التي سـادت الجيتو اليهودي في روسيا . اتجـه إلى أوديسا عـام ١٨٩١م حيث تعـرف على الزعمـاء الفكـريين للإحيـاء القومي العبري ، وتقرب كثيرا من داعية الصهيونية الروحية « آحاد هاعـام » ، ثم انضم إلى منظمة صهيونيـة تسمى « إسرائيل الأبدية » تمثلت فيهـا رياح القومية اليهـودية في ذلك الوقت . وخـلال إقامته في أوديســا كتب قصيدتـه « موتى الصحـراء » التي ثار فيهـا على الشتـات اليهودي . ثم كتب عـام ١٩٠٣م في « مـدينـة القتل » التي أثارت ضجّــة بين اليهـود الشبـاب وحفزتهم لتكـوين حركـة « الدفــاع عن النفس » . واعتُبر بياليك أمير الشعراء العبريين وشاعر القومية اليهودية . وعبّـر في قصيدتـه « سفر النيران » عما أسماه « المشكلـة الـروحية اليهوديـة » من خلال الثورة الروسية عام ١٩٠٥م . قام بجمع شتات التراث الأسطوري اليهودي ، ولا تخلـو أشعـاره من روح العنصريـة اليهــوديـة والاحتقـار لسـائر الشعـوب غير اليهودية . وقد شارك في إنشاء الجامعة العبرية في القدس . وتوفي عام ١٩٣٤م . وأنشئت جائزة أدبية باسمه وكذا دار النشر .

ت

تشرنحوفسكي ، شاؤول

ولـد عـام ١٨٧٥م في روسيـا ، وعاش في جـو بعيـد تماما عن الجيتـو ، وفي صحبة مع الطبيعـة والحياة أثـرت في نغمته الشـاعريـة فيما بعد ، تنقسم حيـاته الأدبية إلى خمس فترات :

(١) أوديسـا ١٨٩٠ ـ ١٨٩٩م : حيث تأثـر بأعمــال بوشكيـن وجوتــه وبايـرون ، وأبدى اهتمامًـا بالأدب العبري ونشر ديـوانه الأول « رؤى وألحــان » ١٨٩٨م .

(٢) فترة هـايـد لبرج ــ لـوزان ١٨٩٩ ــ ١٩٠٦م : حيث درس الطب ، وخضع لتأثير نيتشه وجمع كتـاباتـه في مجلدين « رؤى وألحان ثـانية » ١٩٠٠م ، و « أشعار أولى » ١٩١٠م .

(٣) الفترة الروسية ١٩٠٦ ـ ١٩٢٢م : حيث عمل طبيبا في الجيش الروسي في الحرب الأولى ، وكتب « أشعـار ثـانية » ١٩٢٣م ، وسـونـاتـات إلى الشمس ١٩١٩م .

(٤) فترة برلين ١٩٢٢ ـ ١٩٣١م : زار في أثنـائها فلسطين عـام ١٩٢٥م ، وجمع كتاباته في « قصص » ١٩٢٢م ، وترجم جوته وموليير وشكسبير وملحمـة جلجامش وإلياذة هوميروس ، وكتب أشعارًا للأطفال عام ١٩٢٣م ، ومسرحية بعنوان « بركوخبا » . وقد كتب في هذه الفترة العديد من الأشعار الصهيونية التي تمردت على الروح اليهودية .

(٥) فتــرة فلسطيــن ١٩٣١ ـ ١٩٤٣م : كتب عــام ١٩٣١م « كتـاب المصطلحات الطبية والطبيعية » ، وخلال هذه الفترة تشبعت أشعاره بالروحية : « أصدقــاء الأرض » ١٩٤٠م ، و « نجـوم السماء البعيــدة » ١٩٤٤م . وقـد أدخل روحًـا جـديـدة في الأدب العبري تدعـو إلى تمجيـد القـوة والجمال ونبـذ الانغلاق والتحجر .

ج

جرينبرج ، أوري تسفي

أحـد أكبر الشعراء في هـذا العصر ، وحامل نبـوءة مملكة إسرائيل ، ولـد في روسيـا عام ١٨٩٤م . ومن أشهـر قصـائده « مانفستـو » التي تعبر عن خـراب العـالم بقيمه ، هـاجـر إلى فلسطين عـام ١٩٢٣م ، وتحول عن حـركة « كتيـبة العمـــل » وانضم إلى حركـة الإصـلاح بزعـامـة جـابوتنسكي ، ودعـا إلى أرض إسرائيل الكاملـــة من النيل إلى الفـرات ، ونـزع إلى اتجـاه صـوفي دينــي يـؤمن بعـــودة المسيح لتحقيق الخلاص . من قصــائده : « رعب عظيـــم وقمـــر » ١٩٢٥م ، « البوصلـة الصاعدة » ١٩٢٦م ، « نبـوءة أحـد الفيالق » ١٩٢٨م ، « كتاب الجدل والإيمان » ١٩٣٧م ، « جـدول البلاد » ١٩٤٩م ، « من الكتاب المستديـر» ١٩٥٠م ، « شوارع النهـر » ١٩٥١م ، توفي عـام ١٩٧٥م ، وحصل على جائزة إسرائيل الأدبية مرتين .

ز

زئيف ، جابوتنسكي

أديب وصحفي وخطيب لامع ، ومؤسس الحركة الإصلاحية ورئيسها ومدير العمل السيـاسي المستقل ، ولـد في روسيا عـام ١٨٨٠م ، ونشط منـذ شبابـه في الحركة الصهيونية ، ودأب جابوتنسكي على تشكيل كتائب عبرية ، وخدم برتبة ضـابط في كتيبـة « رماة الملك » التي احتلت عــام ١٩١٨م أجـزاء من الأرن .

انسحب جابوتنسكي من الإدارة الصهيونية احتجاجًا على الخط السياسي الموالي للإنجليز والذي انتهجه وايزمان. وقد توفي في الولايات المتحدة عام ١٩٦٤م ونقل إلى إسرائيل. وقد ألف كتيبا ونظم أشعارًا ومقالات صحفية، كما وضع أول أطلس بالعبرية.

س

سميلانسكي، يزهار

ولد عام ١٩١٦م، وينتمي إلى الجيل الأول من الأدباء الإسرائيليين الذين ولدوا في فلسطين، واشترك في حرب ١٩٤٨م، وكان عضوًا في الكنيست عن حزب «رافي» حتى حزيران (يونيو) ١٩٦٧م، حيث استقال من الكنيست. وهو أول أديب يعبر عن تجربة الإنسان اليهودي في صراعه مع البيئة الفلسطينية، وينعكس هذا في قصته «إبراهيم يعود إلى الصفصافة» ١٩٣٨م، ويتضح في كتاباته تأثره «بأوري نيسان» و«يوسف حاييم برنير». وقد أثر في جيل كامل من الأدباء الإسرائيليين بجمله الشاعرية وبأسلوب المونولوج الداخلي الذي يميز قصصه الأولى، والذي تحوّل إلى مزج ما بين الديالوج والمونولوج بعد روايته «أيام صكلاج» ١٩٥٨م. وشخصيات يزهار شباب فلسطينيون يعانون من حالة قلق مؤرق نتيجة صراعهم مع قيمهم الروحية، حيث يواجهون معضلة الصراع بين الانسياق ضمن الجماعة لتحقيق الأهداف الصهيونية، وإحساسهم بمجافاة وسائل تحقيق تلك الأهداف للمثل الإنسانية، ويظهر هذا في قصتيه «الأسير» ١٩٤٩م و«خربة خزعة» ١٩٤٩م. وكان يزهار هو أول أديب إسرائيلي يصور الجانب الآخر من حرب ١٩٤٨م. بما خلفته من صراعات اجتماعية ونفسية حادة في نفوس الشباب اليهودي الذي خاض غمار هذه الحرب. وكتب العديد من المقالات السياسية. ومن أعماله الأدبية أيضا «في دروب النقب» ١٩٤٥م، «الدغل الذي فوق التل» ١٩٤٧م، «ست قصص صيفية» ١٩٥٠م، «أقدام حافية» ١٩٥٩م.

سوكولوف، حاييم

أديب وصحافي وزعيم صهيوني، ومن رؤساء الحركة الصهيونية العالمية. ولد في بولندا عام ١٨٥٩م. وكان من طلائع الصحافة العبرية الجديدة، وكان خطيبًا بارعًا. وقد شارك في الصحيفة العبرية «هاتسفيرا» وأصبح محررًا لها، وعندما ظهر هرتزل أصبح سوكولوف من أشد المؤيدين للصهيونية السياسية وحامل لوائها على مدى العشرات من السنين. وكان أول من ترجم للعبرية كتاب «أرض الميعاد» لهرتزل.

في عام ١٩٠٦م عين سوكولوف سكرتيرا للإدارة الصهيونية العالمية. وفي ١٩١١م أصبح عضوا في الإدارة العالمية. وقد أدار سوكولوف ووايزمان - إبان الحرب الأولى - النشاطات الصهيونية السياسية والمفاوضات مع زعماء دول مختلفة للتعجيل في تطبيق الفكرة الصهيونية وإعلان وعد بلفور. وقد رأس مؤتمرات صهيونية عدة بين ١٩٣١ - ١٩٣٥م حيث عمل رئيسًا للهستدروت الصهيونية خلفا لوايزمان، توفي سوكولوف في لندن عام ١٩٣٦م، ونقل إلى القدس عام ١٩٥٦م. وأطلق اسمه على جائزة أدبية تمنحها بلدية تل أبيب سنويًا.

ش

شاحام، ناتان

ولد عام ١٩٢٥م في تل أبيب. خدم في سرايا الصاعقة. وفي الجبهة الجنوبية أثناء حرب ١٩٤٨م، ثم أصبح عضوًا في كيبوتس «بيت ألفا». كتب العديد من الروايات والمسرحيات وقصص الأطفال، من أشهر كتبه «داجان وعوفيرت» ١٩٤٨م، «دائمًا نحن» ١٩٥٢م، «حجر على فوهة البئر» ١٩٥٦م، «حكمة المسكين» ١٩٦٠م، «ريح الأجيال» ١٩٦٢م، «ضمير الجمع» ١٩٦٨م. من مسرحياته: «سيصلون غدًا» ١٩٤٩م، «يوحانان يرحما» ١٩٥٢م.

شامي، إسحاق

ولد في الخليل عام ١٨٨٨م، وتوفي في حيفا عام ١٩٤٩م. أصدر كتابه الأول عام ١٩٠٧م وأسماه «العاقر» عمل في دمشق وطبرية وحيفا والخليل وبلغاريا. اهتم في كتاباته بوصف حياة يهود الشرق. من مؤلفاته «انتقام الآباء» و«ست قصص». وقد كتب شامي عن حياة اليهود السفارديم بعد طردهم من إسبانيا عام ١٩٤٢م. يعتبر من أكثر كتّاب الأدب العبري - الذين كتبوا عن العرب - شهرة.

شامير، موشي

ولد في مدينة صفد عام ١٩٢١م. كان عضوًا في منظمة الحارس الفتى ولعب دورًا مهمًا بها. وبين عامي ١٩٤١ و١٩٤٧م كان عضوًا في «كيبوتسات» أخرى، وانضم إلى سرايا الصاعقة بعدها. حرّر مجلات أدبية مثل، «حقيبة الأصدقاء» و«الصحيفة الجديدة» و«المقال» و«في المعسكر». ورأس حتى عام ١٩٧١م قسم الهجرة في الوكالة اليهودية في لندن. وانضم إلى حركة إسرائيل الكبرى بعد حرب ١٩٦٧م. وقد اهتم في أعماله الأدبية بالاتجاهات الاجتماعية والطبقية والمشكلات القومية. ومن أشهر قصصه «النساء ينتظرن في الخارج»، «حتى مطلع الصباح»، «مع المطاردين». رواياته المهمة هي: «سار في الحقول» ١٩٤٧م، وبطل هذه الرواية أصبح بعدها شخصية محورية لأعمال شامير مثل «واحد صفر لصالحنا» ١٩٥١م، «الكيلو متر ٥٦» ١٩٤٩م. وتشكل الأعمال التاريخية نقطة تحول رئيسة في

إنتاجه وذلك دون أن تتغير الشخصية المحورية، ولكن وضعها في ظروف تاريخية ذات مغزى خاص: « ملك اللحم والدم » ١٩٥١م، « حروب بني داود » ١٩٥٥م. وفي رواية « لكونك عاريًا » ١٩٥٦م يتناول صراع الشباب الإسرائيلي ضد القيم الجماعية، وهي القيم التي دافع عنها شامير دومًا. وفي رواية « الحدود » ١٩٦٦م يتناول ظروف المجتمع الإسرائيلي خلال الستينيات، وبعد حرب ١٩٦٧م أعلن رأيه بصراحة « إن جميع الأراضي المحتلة تتبع الشعب اليهودي وإعادتها يعتبر جريمة شنعاء ».

في عام ١٩٦٨م نشر رواية « حياة شعب إسماعيل » وفي أعقاب حرب ١٩٧٣م طالب بأن يكون متحدثًا باسم الجنود المقاتلين على الرغم من أنه لم يشارك في الحرب، وقد لاقت دعوته استنكارًا كبيرًا. ويجمع المحللون على أن تقلبه الأيديولوجي الذي مرّ به إن دلّ على شيء فإنما يدل على تخبط جيله في فلسطين.

شلونسكي، إفراهام

شاعر ومترجم. ولد عام ١٩٠٠م في روسيا. هاجر إلى فلسطين ١٩١٢م. بدأ النشر في مجلة « العبرية » عام ١٩١٩م. وعاد إلى فلسطين عام ١٩٢١م بعد جولة في الخارج. انضم وترأس تيارات شابة في الأدب العبري المعاصر تركزت حول المجلات الأدبية « كتابات »، « سطور ». أسس جماعة شعرية أسماها « معًا » عام ١٩٤٢م. نشر الكثير من المجموعات الشعرية التي تتميز بالحدة والطابع الثوري العنيف، وترجم الكثير من إنتاج جوركي وتروتسكي وبريخت وجوجول وشكسبير وبوشكين وغيرهم. توفي عام ١٩٧٣م بعد أن نال العديد من الجوائز الأدبية.

شيلاف، إسحاق

ولد في طبرية ١٩١٩م، وتربى وتعلم في القدس وتخرج في مدرسة رحابيا الثانوية، ويعمل حاليا مدرساً للعهد القديم بها. صدرت له دواوين بعنوان: « أصوات صميمة »، « صوت العذاب »، « فتى عائد من الحرب ».

ع

عجنون، شموئيل يوسف

ولد عام ١٨٨٨م في روسيا، وذهب إلى فلسطين عام ١٩٠٩م، واستقر بها حتى توفي عام ١٩٧٠م. نشر قصته الأولى « نساء مهجورات » ١٩٠٨م. وعام ١٩٥٤م حصل على جائزة إسرائيل للآداب. وعام ١٩٥٨م منحته الجامعة العبرية الدكتوراه الفخرية، وحصل على جائزة إسرائيل مرة ثانية. حتى حصل على نوبل للآداب عام ١٩٦٦م مناصفة مع « نيللي زاكس » الشاعرة الألمانية اليهودية. اهتم في كتاباته بتحليل النفسية اليهودية. وادّعى بعد هذه الدراسة أن ما يعتمل في النفس اليهودية هو حب فلسطين بعد حب الله والتوراة. وقد طالب ببقاء الأراضي المحتلة بعد ١٩٦٧م لإقامة إسرائيل الكبرى. وأدبه يحفل بالرموز الغامضة. ويرى النقاد أنه يمثل تيارًا دينيًا أدبيًا يخلد مناطق الشتات اليهودية. آخر أعماله رواية « شيرا »، وقد جمع قصصه في جزأين « قريب ومنظور » ١٩٥١م، « حتى هنا » ١٩٥٢م. ثم أعاد طباعة « الدخلة »، « ضيف جاء للمبيت »، « الأمس البعيد ». ومن أعماله أيضا مجموعة مقالات عن الأدب الإلهي وفترة التيه في سيناء.

عميحاي، يهودا

ولد في ألمانيا ١٩٢٤م. ذهب إلى فلسطين عام ١٩٣٦م. خدم في الفيلق اليهودي خلال الحرب الثانية، وبدأ في نشر أشعاره في نهاية الأربعينيات. وظهر الجزء الأول من أشعاره « الآن وفي أيام أخرى » ١٩٥٥م. وكان إعلانا عن ظهور مدرسة جديدة في الشعر الإسرائيلي الحديث. وتعكس أشعاره التغيرات الحادة التي حدثت في اللغة العبرية خلال حرب ١٩٤٨م. ومن أهم أعماله: « على مسافة أمَلَيْن » ١٩٥٨م، « أشعار » ١٩٦٢م، « الآن في الضوضاء » ١٩٦٨م. وله روايات « ليس الآن وليس من هنا » ١٩٦٨م، « قصة نينوي » ١٩٦٢م.

عوز، عاموس

من مواليد القدس عام ١٩٣٩م. درس في الجامعة العبرية الأدب والفلسفة وتخرج عام ١٩٦٧م، حصل على الماجستير من أكسفورد عام ١٩٧٠م. نشر قصصا بعنوان « بلاد ابن آوى » ١٩٦٥م، صدرت له روايات: « مكان آخر » ١٩٦٦م، « حتى الموت » ١٩٦٨م، « ميخائيل حبيبي » ١٩٦٨م. إلى جانب عشرات الكتابات والمقالات في الصحافة الإسرائيلية. توفي عام ١٩٧٢م. ويرفض عوز توظيف الأدب لخدمة غرض أو أيديولوجية، ويرى أن كل ما ينطق به الشاعر أو يكتبه الأديب إنما هو انعكاس لذاته فقط وليس لأيّ شيء آخر. وعلى هذا يرى أن القصيدة أو القصة ليست مصنوعة من أفكار ولا حتى من حادثة ولكنها مصنوعة من كلمات وجمل. آخر كتاباته « في الضوء الأزرق السماوي » الذي ناقش فيه العديد من المفاهيم والقيم الأيديولوجية الخاصة بالصهيونية وبالواقع الإسلامي.

م

مابو، إبراهام

أديب وقصصي ولد في يالطا عام ١٨٠٨م وتوفي في روسيا عام ١٨٦٧م، وأطلق اسمه على شوارع في مدن بإسرائيل. وقد صدر كتابه الوحيد « حب

صهيون » عـام ١٨٥٣م، الذي اعتبر أول ملحمـة قصصية في الأدب العبري، وأعطى دفعة كبيرة لجماعة « عشاق صهيون » بعد ذلـك .

مجيد، أهارون

ولد في بولندا عام ١٩٢٠م . وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٦م مع أسرتـه . ورأس تحرير صحيفـة « في الفجر » عام ١٩٥٠م . وأصدر مع أصدقـائه مجلـة « ماسا » الأدبية، وعمل ملحقا ثقافيا لإسرائيل في لندن . تتسم كتاباته بالطابع الأوتوبيوجرافي حيث يتحرك من الواقعية إلى السريالية ثم يعود إلى الواقعية . أول قصصه « ريـاح البحر » ١٩٥٠م، ورواية « حدفـا وأنـا » ١٩٦٤م، وفي قصة « حادثة الأبلـه » ١٩٦٢م يكون بطلـه هـو الإنسان الطيب الوحيد الذي يفشل في الارتبـاط بالمجتمع . من أشهـر رواياتـه « الحي أفضل من الميت » ١٩٧٠م، التي تصف بمصطلحات غير منافقـة، المجتمعَ الإسرائيلي الحديث .

موخير سفاريم، مندلي

الاسم الأدبي لشالوم أبراموفيتش، يعتبر جد الأدب اليهودي الحديث . ولد في روسيـا عـام ١٨٣٦م وتـوفي في أوديسـا عـام ١٩١٧م . اتسمت كتـابـاتـه بـالواقعيـة، وعبر عن حياة المجتمـع اليهودي في روايـاته « الحصـان الصغير » و «الطفيلي » و « الضريبة » و « بنيـامين الثالث » . وفي السنـوات الأخيرة تهكم على حياة الاستيطان اليهـودي في روسيا . وكان من الرّواد الـذين جعلوا اللغـة البيديشية قادرة على التعبير الأدبي اليهودي .

موسينسون، يجـآل

أديب وكـاتـب مسرحي . ولـد عـام ١٩١٧م في فلسطين . وتميزت أعمالـه بـالطـابع الأسطـوري الملحمي، وأول أعماله « رمـاديّ كـالشـوال » ١٩٤٦م، مسرحية « في صحراء النقب » ١٩٤٨م . وقـد كتب العديد من المسرحيـات : « يهودا رجل كريوت » ١٩٦٣م، « كازابلان » ١٩٥٨م، « قمبيـز » ١٩٥٥م، « إذا كان هنـاك عدل » ١٩٥١م، « تـاما زوجـة اير » ١٩٤٧م . وهنـاك أعمال أخرى مهمـة مثل : « الطريق إلى أريحـا » .

هـ

هـزاز، حـايـيم

ولد في أوكـرانيا عام ١٨٩٨م، وجاء إلى فلسطين عـام ١٩٣٠م حيث توفي عام ١٩٧٣م . بدأ حيـاته الأدبية في روسيا فكتب روايات تهاجم الثـورة الروسية مثل من هنا وهنـاك، توطين الغابة . وبعد استقـراره في فلسطين كتب روايات تصف حيـاة يهود اليمن بدقـة بـرغم أنـه لـم يسـافـر إليهـا مطلقـا، مثل : « يـا عيش »، « الساكنـة في الحدائق »، كذلك كتب مسرحيات عن الخلاص المسيحي مثل « نهايـة الأيام »، و « روحـي محطمة »، و « أحجـار فائـدة »، و « الموعظـة »، و « في طـريق ذات اتجاه واحـد »، و « إنسـان من إسرائيل »، و « السائح الكبير »، و « ريـاح مـدمـرة »، وكتب عـددًا كبيرًا من القصص القصيرة التي تعكس نوعـا من التوتر والقلق النـاجم عن خوفـه من انهيار القيم اليهودية، ومن أشهر أعمالـه « الموعظة » التي حاول فيها التأكيد على أن التاريخ تخلقه الشعوب غير اليهودية أكثر مما يخلقه اليهود، وحث قادة اليهود على خلق نمط يهودي جديـد بلا شوائب الجيتُو . وقـد ظهرت طبعة جديـدة لأعمالـه عام ١٩٦٨م، أعـاد فيها صيـاغة كل ما كتب . وتتميز أعمالــه بجغرافيتها، حيث تتنـاول مسـاحـة تمتـد من شمال روسيـا حتى جنـوب اليمن، ومن ألمانيـا حتى فلسطين، وبالتاريخية حيث تمتد من عصـور العهد القديم حتى الحياة الجديدة في إسرائيل . وقـد استخدم في لغتــه إطارًا عريضـا من التعبيرات امتـدادًا للغـة العهد القديم والتلمود إلى لغـة شـرقي أوربـا واليمن وفلسطين .

« هسكـالاة »

كلمة عبرية تعنـي « التنوير والتثقيف »، وقد أطلقت على الحركـة اليهودية التي ظهرت خلال القرن الثامن عشر وعرفت بـاسم : حركة التنوير اليهودي، بتأثير من عصر التنوير الأوربي . سعت الهسكالاة إلى تقريب جماهير اليهود من الثقافـات الأخرى، ولذا فقد عمد أعضـاء الحركة إلى : نشر الثقافـة العامة بين اليهود، وتجديـد الأدب العبري، وحث اليهود على ممارسـة المهمة اليدويـة ونبذ المهمة التي كرِهتهم الشعوب بسببها مثل الصرافة والربـا .

ومن أجل هـذا الهدف تنـازل أتبـاع الحركـة عن الاعتراف الفـردي القـومي اليهودي . ونظروا إلى الـدين كأساس للوحدة فقط . وكـان رائد الحركة في غرب أوربـا هو الفيلسوف الألماني : موسى مندلسون الذي ترجم التوراة إلى الألمانية . وقد صـادفت الهسكالاة مقـاومة في شرقي أوربـا من المحافظين اليهـود، ولكنها شقت طريقها وساعدتها الظروف على قبول الفكرة الصهيونية، وكانت نتائجها كبيرة من حيث إنها حققت أهدافها كاملـة . وقد مرّت الهسكالاة الأدبية في أربع فترات : الجدل العقلي « ١٨٣٠ ـ ١٨٤٠ م »، الـرومانسيـة الدينيـة « ١٨٤٠ ـ ١٨٥٠م »، الإيجابيـة « ١٨٥٠ ــ ١٨٧٠ م»، الالتحـام بالقـوميـة اليهـوديـة « ١٨٧٠ ـ ١٨٨٠م » .

المراجع

(1) Dictionary of the Zionist Terminology, Ephrime and Mendahem Talmi. London, 1988.

(٢) عجز النصر، رشاد عبد الله الشامي . دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٠م .

(٣) معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة أحمد بركات . دار الجليل، عمان، ١٩٨٨م .

ردود خاصة

● **الأخ محمد عبد الوهاب نور ـ القاهرة ـ مصر:**

المعلومات التي طلبتها غير متوافرة لدينا، ويمكنك الكتابة إلى الأستاذ شكيب الجابري مباشرة. ورغم أن عنوانه غير متاح لدينا إلا أنه يمكنك الكتابة إلى السفارة السعودية في دمشق حيث عمل فيها لفترة طويلة.

● **الأخ خذيري عثمان ـ تبسة ـ الجزائر :**

يمكنك الكتابة إلى الملحق التعليمي أو الثقافي في السفارة السعودية في الجزائر للحصول على المعلومات التي تريدها، وشكرًا.

● **الأخ شلوش عبد الوهاب ـ جيجل ـ الجزائر :**

راجع الرد السابق، وشكرا.

● **الأخ صبحي أحمد إبراهيم ـ حلب ـ سورية :**

لسبب ما لم نجد رسالتك داخل المظروف الذي أرسلته ! عموما نرحب بك صديقا للمجلة.

● **الأخ بنعزو البشير ـ وجدة ـ المغرب :**

اقتراحك المتعلق بالجانب العلمي في موضوعات المجلة اقتراح وجيه نعدك بدراسته، وسوف ينفذ في أقرب فرصة إن شاء الله، مع شكرنا على اهتمامك.

● **الأخ خالد محمد علي ـ سوهاج ـ مصر :**

اختيار الفائزين في المسابقة يتم على أساس القرعة، ولعلك تتفق معنا أن الفوز بالجوائز ليس الهدف الوحيد من إقامة المسابقة أو الاشتراك فيها، بل إن الحث على المطالعة والاستزادة من المعلومات تعد من أهم أغراض المسابقة. نتمنى لك حظًا أوفر في المرات القادمة.

● **الأخت براشد هوارية ـ سيدي بلعباس ـ الجزائر :**

نرحب برسالتك الأولى ونتمنى ألا تكون الأخيرة. أما طلبك فسوف يرد عليه قسم التوزيع بريديا، وشكرا.

● **الأخ الذي رمز لاسمه بعبارة « باحث ومفكر عربي من الدول العربية مقيم في أقطار دول الخليج العربي » ـ البحرين :**

الرسالة التي تود إيصالها عن طريقنا إلى الشخص المقصود يمكن إرسالها بالطرق المعتادة المباشرة وهي معروفة. وربما كان بالإمكان مساعدتك فعلا لو كتبت لنا باسمك الصريح.

● **الأخ ساعد قسوم ـ بريكة ـ الجزائر :**

نرحب بك صديقا ونرحب بأي إسهام منك أو مساعدة يمكن أن نقدمها لك لإنجاز أعمالك الفكرية، كما نشكر لك مشاعرك الأخوية الصادقة نحو المملكة العربية السعودية وشعبها.

● **الأخت سميرة فاسي ـ تيبازة ـ الجزائر :**

أهلا بك صديقة للمجلة، وشكرا على رسالتك وتعريفك ببلدتك « السويدانية »، والذي لم نستفد منه مع الأسف؛ لأنه مكتوب باللغة الفرنسية التي لا نتعامل بها.

● **الأخ مبروك بن نور الدين ـ باتنة ـ الجزائر :**

لم نفهم المقصود بقولك « رجائي أن تبعثوا لي ولو صورة مصغرة عن مجلتكم »، ولا نعتقد أنك تقصد الميكرو فيلم (المصغرات الفلمية). عموما سنرسل لك بعضا من نسخ المجلة « بالحجم الطبيعي » !

● **الأخ فضل فال ـ امبور ـ السنغال :**

يمكنك الكتابة إلى الملحق التعليمي بالسفارة السعودية في بلدك، أو مراسلة إحدى الجامعات السعودية مباشرة للنظر في إمكان تحقيق طلبك.

● **الإخوة : يحيى عمار هبل ـ الحديدة ـ اليمن، رضا صبري مجاهد ـ البحيرة ـ مصر، حسن عبد الرحمن روكة ـ منصور كتي ـ السودان، علالي خالد ـ وهران ـ الجزائر، يوسف عبد الحميد ـ أكرا ـ غانا :**

المساعدات التي تطلبونها من المجلة ليست ضمن حدود إمكاناتها واهتماماتها، سائلين الله تعالى لكم العون والتوفيق.

● **الأخ عبد المنعم صديق أحمد نور ـ الخرطوم ـ السودان :**

طلبك أحيل إلى قسم التوزيع والاشتراكات للنظر فيه، وسيرد عليكم بريديا.

● **الأخ عبد الناصر إسماعيل عساف ـ درعا ـ سورية :**

أحيل طلبك في حينه إلى قسم المخطوطات بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، فنأمل أن يكون قد تجاوب معك بالشكل المطلوب. أما استفسارك الخاص بالاشتراك في المجلة فالحالة التي ذكرتها تنطبق عليها صفة « طالب ».

● **الأخ محمد حمدي ـ الأغواط ـ الجزائر :**

شكرًا على مشاعرك الجياشة التي حملتها رسالتك، والقائمون على مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية يقدرون لك تلك المشاعر. مع تمنياتنا لك بالتوفيق.

● **الأخ حاتم أمين الجمل ـ مصر :**

سبق أن أوضحنا للقراء الكرام أن جوائز المسابقة استقر الرأي على أن تكون بصورتها الحالية أخذًا بمبدأ التنويع.

● **الأخت سعاد مرزايا ـ بومرداس ـ الجزائر :**

مؤسس المجلة هو صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز، وصدر العدد الأول منها في رجب ١٣٩٧ هـ الموافق يونيو ١٩٧٧م، وهي تصدر شهريًا في مدينة الرياض مع مطلع كل شهر هجري.

● **الأخ عادل حمدي سليمان ـ العريش ـ مصر :**

السبب في عدم فوزك في مسابقة المجلة أن القرعة لم تكن من نصيبك، فحظًا أوفر نتمناه لك لتكون أحد الفائزين في المرات القادمة. أما طلبك بشأن الأعداد الأولى من المجلة فقد أحيل إلى قسم التوزيع وسيرد عليك كتابيًا.

● **الأخ محمود المولدي غانمي ـ المزونة ـ تونس :**

شكرًا على رسالتك وما ورد فيها من ملاحظات. أما التوسع في بعض الموضوعات الأدبية « لكي يجد الباحث المادة الأدبية الكافية في بحوثه . . . » على حد تعبيرك فذلك سيكون على حساب الموضوعات الأخرى، والتوازن مطلوب لمحاولة إرضاء جميع الرغبات والأهواء، ولا تنس أن « الفيصل » ليست مجلة متخصصة بل مجلة ثقافية عامة. أما ملاحظاتك حول رسم حركات بعض الكلمات في العدد الذي ذكرته فهي في محلها ونشكرك عليها. وبالنسبة للاشتراك فسوف يصلك بالبريد إيضاح بشأنه، أما الطلب الخاص بالبحوث فقد أحيل إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ونأمل أن يرد عليك بالشكل المطلوب.

● **الإخوة والأخوات : محمد سليمان التويم ـ الرياض، أحمد مبارك العقيل ـ الأحساء، عبد الله شمروخ العتيبي ـ شقراء، أحمد ماهر حسن ـ السويس ـ مصر، أحمد محمد النصيرات ـ إربد ـ الأردن، فهمي أحمد حسين ـ البريقة ـ اليمن، محسن محمد عمري ـ ورزازات ـ المغرب، عبد الرؤوف أحمد ـ نيامي ـ النيجر، عم إدريس باغود وزير ـ بِدَهْ ـ نيجيريا، دمسني جمال الدين ـ ماليزيا، سودرمان وأحمد جمعان ومحمد أرشد حافظ ـ أندونيسيا، محمد علي عبد القيوم ـ لندن ـ بريطانيا :**

طلباتكم أحيلت إلى قسم التوزيع، وسيتم التجاوب معها قريبا إن شاء الله.

● **الإخوة والأخوات : نبيل رمضان أحمد بن رمضان ـ جندوبة ـ تونس، رابح ديلمي ـ الجزائر العاصمة، فتح الله بوعكاز وعديلة الصادق ـ بسكرة، بوحسمي عبد القادر ومادي محمد ابن عبد الرحمن ـ أدرار، محمد ذياب ـ المسيلة، ابن عيسى محمد ـ الجلفة، سعاد مرزايا ـ بومرداس، إميزلي محمد ـ تيبازة، فرطاس الطيب ـ مستغانم ـ الجزائر :**

طلبات الاشتراكات التي تخصكم أحيلت إلى قسم الاشتراكات، وسيتم الرد عليكم بريديا. وشكرا.

● **الأخ نور الدين يولهوشان ـ سطيف ـ الجزائر :**

لا تتوافر لدينا مع الأسف عناوين المعاهد التي تسأل عنها، وبالنسبة للمعاهد في المملكة العربية السعودية فربما يستطيع الملحق الثقافي بالسفارة السعودية في الجزائر أن يساعدك بشأنها. أما العدد الذي طلبته فهو في الطريق إليك.

● **الإخوة والأخوات : فاطمة ورتيبة بن داود ـ بوسعادة، حميد بن عيسى ـ سيدي عيسى، سايحي موهوب ـ خنشلة ـ الجزائر، محمد خير أرشيدات ـ الرمثا ـ الأردن :**

مجلة « الفيصل » ليس فيها ركن للتعارف، هذا للإحاطة، ومع ذلك فنحن نرحب بكم أصدقاء للمجلة ولقرائها.

● **الإخوة : سالم عبد العزيز إسماعيل ـ الشرقية ـ مصر، أحمد بوشهالة ـ الجلفة، مصباية عمر ـ المسيلة ـ الجزائر، أبو بكر عبد الرحمن ـ كوماسي ـ غانا، أ. صابرين ويزيد عبد العليم ياني ـ أندونيسيا :**

الكتب التي ترغبون في الحصول عليها غير متوافرة لدينا مع الأسف، نرجو الكتابة إلى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالرياض، المملكة العربية السعودية، فلعلها تستطيع مساعدتكم في هذا المجال.



صحافة عربية للأطفال .. أين هي ؟

طالعت في مجلة « **الفيصل** » **العدد ١٩٧** موضوعًا في غاية الأهمية **للأستاذ الدكتور مرعي مدكور**، أهمية هذا الموضوع تكمن في طرحه في هذا الوقت بالذات، ولو أنه جاء متأخرًا كثيرًا، إلا أنه من الضروري وجوده للانتباه ولوضع الحلول المناسبة التي من شأنها أن تُوَلِّد لدى جيل الأطفال معلومات تساعدهم في الوصول إلى إمكانات وأفعال إيجابية يقومون بها في هذه الحياة.

في كل عصر وزمان، الطفولة والأطفال هم الهاجس، وهم نبض الحياة المستقبلية لأي شعب من الشعوب، وهم عمدة المستقبل، ولنحافظ على أطفال أصحاء الجسد والعقل من أجل الحفاظ على الوطن، لأن الطفل هو الوطن، لابد أولاً من إيجاد سبل وأفكار تغني عقول الأطفال للحياة المستقبلية والآنية المثلى والخالية من كل الشوائب التي تشوب هذه المنطقة العربية، خاصة من جراء محاربة الغرب لنا بالوسائل كافة، المتاحة وغير المتاحة، والتي يمكن أن نتغلب عليها بإرادتنا وعزيمتنا ويمكن أن تتغلب علينا أيضًا بإرادتنا.

ويمكن القول بأن أسهل أنواع الحروب التي تشن بين بعض الشعوب هي الحروب ذات الأسلحة من دبابات وطائرات وقذائف؛ لأن تلك الحروب والمعارك تنكشف بسهولة ويسر. أما أصعب الحروب فهي تلك التي تشن من وراء ستار كاذب لا تظهر أبعاده المعادية إلا بعد أن تكون تلك الحرب قد فتكت بالأمة، وهدمت الدولة وما أسهل ذلك عليهم وما أصعب إكتشافها علينا.

لنعد إلى عالم الأطفال، أو بالأصح إلى عالم الإعلام الخاص بالأطفال، العرب خاصة.

لا يهمنا كم من الصحف والمجلات التي تكتب وتهتم بالطفل العربي، ولا يهم كم عدد المجلات الخاصة بالأطفال. إنما المهم ماهيّة الموضوعات المقدمة والمطروحة في هذه المجلات، وهل تقدم مادة ثقافية صافية نقية خالية من الغش الإعلامي الغربي ؟

إذًا، يجب البحث والتنقيب عن مجلة تعنى بالطفل من أجل الطفل فقط.

صحيح أنَّ هناك مجلات عربية خاصة بالطفل العربي، ولكن للأسف نجد أن هذه المجلات ـــ العربية اسمًا ـ تنشر موضوعات غربية غريبة عن واقعنا وعن واقع الأمة العربية قديمًا وحديثًا، فنجد روايات وقصص لا أعلم كيف يوافق على نشرها في تلك المجلات.

لقد طالعت عدة مجلات عربية خاصة بالطفل العربي، وأحتفظ في مكتبتي بالمجلات التي كنت أتابعها وأنا طفل في السنوات الأولى من دراستي الابتدائية والإعدادية. وبصراحة أقول بعد كل ما قرأته وتابعته في تلك المجلات العربية الخاصة بالطفل العربي: لم أجد مجلة خاصة بالطفل، للطفل العربي، إلا أنه ربما يوجد استثناء واحد أعتقد أو يجب أن أذكره هنا.

مجلة « سامر » مجلة عربية تصدر منذ حوالي خمسة عشر عامًا في بيروت، وكنت أتابعها وأنا طفل، وأتابعها حاليًا في أوقات متقطعة. وأقول بكل صدق ـ لما وجدت فيها من فائدة وثقافة عالية ـ إنها مجلة عربية نموذجية تصلح لأن تكون المجلة العربية لجيل عربي مستقبلي. ويسعدني هنا أن أنقل ما قرأته في افتتاحية العدد ٦٧٢ (إصدار ٣ حزيران ١٩٩٣م) والمجلة تحتفل بعامها الخامس عشر. جاء في الافتتاحية :

« أصدقائي :

لمجلة سامر غاية تسعىٰ إليها، كما أن لها خطة مرسومة تسير عليها.

فأما الغاية فالمساهمة في رفع المستوى الثقافي في وطننا العربي والتركيز على اللغة العربية التي هي لغة القرآن.

وأما الخطة، فالتوفيق بين قديمنا وحديثنا والجمع بين محاسن الشرق وثقافة الغرب . . فلا جمود ولا تعصب بل تمشٍّ وئيد في سبيل الرقيّ الوطيد.

وتابع الافتتاحية قولها :

« . . . وشعارها على الدوام : من أجل جيل عربيّ سعيد، فإلى الأمام يا أصدقاء ».

لعل الميزة التي جعلتني أفضل أو أقول بأن هذه المجلة « سامر » هي مجلة عربية نموذجية للطفل العربي أن قراءها الأطفال يسهمون في إعدادها إسهامًا فعالاً وطيبًا، بحيث يخصص أكثر من نصف صفحات المجلة من أجل الكتّاب من الأطفال الذين يقومون بإعداد موضوعات المجلة المناسبة ورسمها، فهي إذًا مجلة تعتبر مدرسة في الحقل الثقافي والعلمي والفني للجيل العربي السعيد.

إذًا، يجب أن نوجد مجلة عربية للأطفال العرب هدفها حماية الطفل العربي، بل والجيل العربي بأسره من الأخطار المحدقة به وبأهله وبمدينته وبوطنه، مجلة هدفها الأول والأخير علم الطفل وثقافته وتثقيفه وإرشاده.

تحياتي لكل الكتّاب العرب الذين يهمهم موضوع ثقافة الطفل العربي، وأرجو منهم الاهتمام أكثر بهذا الجيل وبالأجيال القادمة.

محمد رضوان الأنظامي

دمشق ـ سورية



حول كتابة « سلوى ومنى »

القواعد الإملائية وسيلة لصحة الكتابة والقراءة

أرجو أن يتسع صدركم وصدر من سأعلق على مقالته في هذ العجالة، وإن كنت أعد نفسي متطاولاً على مشايخ كرام في الأدب واللغة والفكر، ولكنه الحق الذي يعلو على كل إنسان، وحرصًا على لغة القرآن الذي هو دأب مجلتنا « الفيصل ».

لي تعليق على مقالة الشيخ حمد الجاسر في باب **«رحلات حول العالم الفسيح»، في العدد ١٧٤**، ويتناول نقطتين إملائيتين :



رحلات حول العالم الفسيح (٦)

علامة الجزيرة : حمد الجاسر

في (لندن) مرة أخرى

الأولى : كتابة كلمة « سَيِّء »، كما جاءت في السطر الأول من المقالة، ولا أدري هل كتبت خطأ من المطبعة أم من الكاتب، وأرجح أنها من المطبعة؛ لأن هذا الخطأ لا يغيب عن بال علامتنا حمد الجاسر.

إذ إن هذه الكلمة تكتب حسب القاعدة الإملائية، « سَيِّئ ».

(سين وياء مشددة وياء بدون نقط وهمزة فوقها)؛ لأنها همزة متطرفة سبقها كسر فتكتب على النبرة أو الياء بدون نقط، ويشذ عن القاعدة إذا كان الحرف المشدد الذي يسبق الهمزة المتطرفة هو الواو المضمومة (مثال : التبوُّء) فتكتب الهمزة على السطر أو منفردة.

الثانية : كتابة كلمة « سَلوا ومُنا » بالألف الممدودة.

يقول الكاتب الفاضل (في الهوامش) : «القاعدة أن يكتب الاسمان (سلوى ومنى) ولكنني أثرت كتابتهما **كما ينطقان رفعاً للخطأ في قراءتهما**».

وأضع خطًا تحت كلمة «كما ينطقان»، وكأن الاسمين (سلوى ومنى) لا ينطقان بالألف، إذا كتبا حسب القاعدة الإملائية، بالألف المقصورة.

إذ من المعلوم أن الألف اللينة ـ الألف الذي يسبقها فتح ـ نوعان : ألف ممدودة « ا » وألف مقصورة : « ى » (ياء بدون نقط). والنوعان يُنطقان ألفًا. ولم أر أحدًا من طلاب العلم أو القراء التبس عليه قراءتهما.

والكلمات التي تنتهي بالألف المقصورة « ى » كثيرة جدًا في اللغة العربية، في الأسماء والأفعال والحروف، وهي على سبيل المثال لا الحصر :

الأسماء : موسى، عيسى، بخارى، كسرى، فتى، أذى . . .

الأفعال : سعى، قضى، يسعى، يفنى . . . .

الحروف : إلى، على، أولى، لدى، أنى، متى . . .

وكذلك أسماء الإشارة والضمائر.

هذه كلها تكتب بألف مقصورة، فهل نكتب الجميع بألف ممدودة حتى لا يلتبس على القارئ قراءتها ؟!

بل إنني أرى أن الاسمين (سلوى ومنى) إذا كتبتا بالألف الممدودة، يلتبس على القارئ قراءتها وليس العكس؛ إذ إن اسم « سلوا » (بالألف الممدودة) تقرأ «سَلُوا» فعل أمر من سأل، أو فعل ماض متصل بواو الجماعة من فعل سلا (من السلوان). سَلُوا، سَلْوًا وسُلُوًّا، وكلها تكتب «سلوا»، ويلتبس في قراءتها إذا رفعت الحركات.

واسم «مُنى» إذا كتبا «منا»، كذلك يلتبس على القارئ قراءتها بشكل سليم، فأول ما يخطر على القارئ في قراءتها «مِنَّا» (حرف الجر من وضمير نا).

وهكذا نجد أن كتابة الاسمين بالألف المقصورة «سلوى ومنى» هو الأفضل والأصح والأسلم في القراءة.

أما قضية «القواعد الإملائية وسيلة لصحة القراءة، وليست غاية» فهذا صحيح، ولكن من أين جاءت القواعد الإملائية، أليس من الكتابة الصحيحة ؟ فالقواعد وسيلة لصحة الكتابة أيضًا. ومن صحة الكتابة تأتي صحة القراءة.

وفقنا الله جميعًا إلى ما فيه رفعة لغتنا العربية.

والله الموفق.

فهمي قطب الدين نجار

الرياض



استدراكات حول مقالة:
إسهام العرب في نشأة الكتاب

اطلعت على مقال **الأستاذ عبد المالك الحمصي** المعنون بـ : « **إسهام العَرَب في نشأة الكتـاب، والخزانة العـربية** »، المنشـور في **العدد ١٩٧، ذو القعـدة ١٤١٣هـ**، فـوجدتُـه - في الجملـة - مقـالاً سطحيًا ضعيف المنهجيـة، قليل الأصـالة، يعج بـالأخطاء والأغـلاط المتنوعـة. كما أن الكـاتب الفاضل لـم يكلف نفسـه عناءَ تـوثيق أي نصٍّ أورده في مقالـه، واكتفى بسرد أسماء بعض المراجع والمصادر في خاتمة المقـال دون ترتيب معين؛ **مما يوحي بأنَّ المقالَ كتب على عَجَل، أو اعتمـد كـاتبه في إعـداده على بعض المقـالات السطحيـة، دون بحث جدي. واللهُ أعلـم.**

ولكي يتبيَّنَ القارئ الكريم صحة ما نقولُ، فسننبّـه فيما يلي إلى بعض ما في المقالِ من الأخطاء، مـع تغاضينا عن الأخطاء اليسيرة أو الشكلية التـي يدركها القارئُ دونَ كبير عناء. فمن ذلك :

إسهامُ العَـرَبِ في نشأةِ الكِتابِ والخِـزانة العَـربيَّة

بقلم: عبد المالك الحمصي

كانت اللغة العربية قبل الإسلامَ محصورة في جزيرة العرب وما يليها من مشارف الشام والعراق وتدمر وفي بادية الجزيرة، وفي جزيرة سيناء، وبمجيءِ الإسلام أصبح في أيديهم من الكتب القرآن الكريم، يقرأونه ويتعظون به ويتحاكمون إليه، وقد أعجبوا بأسلوبه ودهشوا لبلاغته بما حواه من الشرائع والأحكام. فأخذ المسلمون في تفسير آياته وشرح نصوصه وأحكامه وضبط معاني ألفاظه، وتفهم أساليب عباراته، فجرهم البحث إلى تدوين أنساب العرب، وأقوالهم وأشعارهم، وقصصهم، وقال عبد الله بن عباس: (إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله ولم تعرفوه فاطلبوه في الأشعار لأن الشعر ديوان العرب).

(١) قـال : « . . . ولمـا اشتغل المسلمـونَ بتفسير القرآن وجمع الأحـاديث احتاجوا إلى تحقيق الأماكن والمناسبـات التي نزلت بها (كذا) الآيات، أو قيلت فيها الأحاديث، فعمدوا إلى جمع السيرة النبوية الشريفة . . . » .

قلت : بل جمعت السيرةُ قبل تدويـن الحديث والتفسير على نطاق واسع، فإنَّ مغازي أبانَ بـن عثمان بن عفان، ومغازي عروة بن الـزُّبير بن العوَّام أوَّلُ ما صُنِّف في الإسـلام - بعد تعليقـة أبي الأسود الـدُّؤلي النحوية - وتلاهـا تصنيف سعيد بن جبير الأسـدي الكوفي (المتوفى سنــة ٩٥ هـ) كتابًـا في التفسير (انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/ ٣٣٢، وطبقات ابن سعد ٦/ ٢٦٦)، وكلُّ ذلـك كان قبلَ تصنيف الحديث الابتدائي في خلافة عمر بن عبد العزيز، وقبلَ تصنيفـه بشكل موسع أوائل أيام الدولة العباسية. ثم إنَّ المغازي علم مستقل مطلـوبٌ لذاتــه؛ لأنَّ سيرة النبي ﷺ كانـت التطبيق العمليَّ للإسـلام ونظـام حكمه. وقد استفادت السيرةُ من الرِّوايـة الحديثية أكثر مما استفاد الحديث من السيرة.

(٢) وقال : « . . . ويتنازع أسبقية هذه التصانيف زيادُ بن أبيه المتوفى سنة ٥٣ هـ، والذي ألَّف كتابًا في مثالب العرب » !

قلت : بل تعليقـة أبي الأسود الـدُّؤلي في النحـو - التي أمـلاها عليـه أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طـالب - أول ما صُنِّـف في الإسلام، وكانـت في نحو عشرة أسطر [١]، وتلاهـا مغازي عـروة، ومغازي أبـان، وتفسير سعيد بن جبير، كما ذكرنا آنفًا. أمـا حكايةُ المثالب التي صنفها زيادٌ - أو لقَّنها أبناءَه - فباطلة؛ فإنَّ دهاء زيادٍ وعقلـه وحزمـه وقوة شخصيته وفصاحتهُ كانت تفرض احترامـه على النَّـاس، وقد ولي بعض الأعمـــال في خلافـة عمـر، وكان أمير العـراقين زمن معاوية، فمثلـه ليس بحاجـة لثلب الآخرين كي يبرر سوأتـه هو - كونه مجهول النسب - أمـا هذه المثلبـة العظيمة فقد كـانت قوة شخصيتـه تغطيها، ثم إن استلحاق معاوية إياه وانتسابه إلى أبي سفيان قد خفَّف أثرَ هذه العقدة النفسية التي كان يعاني منها، لذا تحول من التشيع لعليٍّ رضي الله عنه إلى مناصرة معاوية بأقوى مـا يستطيع بعدهـا. ثم إننا لا نَجدُ أثرًا لهذه المثالـب المزعومة في كتب الأدب اللاحقة، ولا في كتـب المثالب التي صنَّفها الشعوبيـون وأفراخ الزنادقـة فيما بعدُ !

(٣) وزعـم الأستاذ أنَّ دغفـلا النسابة ألَّفَ كتاب « التظافـر والتناحر » في تاريخ خـلافة معاوية؛ ولـم يـذكر مستنده. ولا أظن ما ذكـره صحيحًا؛ فإنَّ دغفلا لــم يكن بحاجــةٍ ليسجِّـل أحـداثًا ساخنةً لا يـزال الناس - حينئذٍ - يعيشونها ويحفظون أحداثها. وقد تأخر ظهور المصنفـات التاريخية بعد تصنيف الحديث واختلاف الفقهـاء.

(٤) وذكر وفاة دغفل النسابة سنة ٦٠ هـ، والصحيح أنَّـهُ توفي سنة ٦٥ هـ

غرقًا يوم دولاب ـ معركـة جرت بين أهلِ البصرة والخوارج بالأهواز (انظر معجم البلدان، وتهذيب الكمال ٨/ ٤٩٠).

(٥) ذكـر وفـاة عبيـد بن شَـريَـة سنـة ٧٠ هـ، وقـد ذكـر ابن النـديم (الفهـرست ص ١٠٢) أنـه بقي إلى خـلافة عبـد الملك بن مروان، ولـم يحدد تاريخ وفـاته بدقـة، وإنمـا استوسق الأمـر لعبد الملك سنـة ٧٣ هـ، وتوفي سنـة ٨٦ هـ، فتكـون وفاةُ عبيـد بين هذين التـاريخين، فما أدري من أين نقل تاريخ وفاته المزعـوم؟!

على أنَّ ابن النديم تفـرد بذكـر عُبيد بن شَرية، ولـم يذكـره أحد من أهل الأنساب أو أهل الأدب، حتى شككَ بعـض الناس في وجوده (انظـر الأعلام للزركلي ٤/ ١٨٩)، والحقُّ أنَّ أمرَ عبيد هذا فيه نظر.

(٦) ذكر وفاة وهب بن منبهٍ في سنة ١١٠ هـ، وهـذا قولُ الواقدي، وكاتبه محمد بن سعد، وجماعة؛ إلا أنَّـهُ مرجـوح، والصحيح أنَّـهُ توفي في المحرم سنة ١١٤ هـ، قاله حفيده عبد الصمد بن معقل بن وهب بن منبه، وذكر وفاتَـهُ في السنة نفسهـا ـ دون تحديـد الشهـر ـ تلميذه همـام بن نافـع ـ والـد الحـافظ عبد الرزاق، صاحب «المصنف» ـ وهذا هو التاريخ الذي ارتضاه البخاريّ في تاريخه الكبير (٨/ ١٦٤)، والصغير (ص ١٢٧).

(٧) وقال: «... وروى عاصم بن عمر بن الخطَّاب المتوفى عام ١٠٩ هـ عن أبيه، واشتهر بأحاديثِهِ عن حياة الرسول ﷺ عامةً. وقال فيه ابن قتيبـة بأنه (صاحب السِّيَر والمغازي) وروى عنه محمد بن إسحاق، والواقديُّ ....».

قلت: في هذا النصِّ جملة أخطاءٍ مركبةٍ، منهـا:

أولاً: إنَّ عـاصم بن عمر بن الخطَّـاب توفي سنـة ٧٠ هـ، لا سنـة ١٠٩ (انظـر طبقـات خليفــة بن خيـاط ص ٢٣٤، وثقـات ابن حبـان ٥/ ٢٣٤، وتهذيب الكمال ١٣/ ٥٢٤). ثم إنـه كان قليل الحديث جـدًا، لـه حديثـان فقط، أحدهما أخرجـه الستة، والآخر أخرجه مسلم. (انظـر الجرح والتعديل ٦/ ٣٤٦، وتحفة الأشراف للمـزي ح ١٠٤٧٤، و ح ١٠٤٧٥). ولم يروَ عنـه شيءٌ في المغازي.

ثانيًـا: أما عـاصم المشهور بمعرفـة المغازي، والـذي يروي عنـه محمد بن إسحاق، فهـو عاصم بن عمر بن قتـادة بن النعمـان الأنصاري، تـابعي عالمٌ فاضل، تـوفي سنة ١٢٠ هـ (وقيل: بعدها). ولـم يدركـه الـواقديُّ ولا ابن سعد!

(انظـر المعارف لابن قتيبـة ص ٤٦٦، وطبقات ابن سعـد: القسم المتمم لتـابعي أهل المدينـة: ص ١٢٧ ــ ١٢٨، وسير أعـلام النبـلاء للـذهبي ٥/ ٢٤١، وغيرهـا).

(٨) وادَّعى أن الزهـريَّ كتب «الزهريـات» في علم الحديث، وهذا خطأ فـاحش، وإنما جمع الحافظ أبـو عبـد الله محمـد بن يحيى بن خـالـد الـذُّهلي النيسابـوري (١٧٢ ــ ٢٥٨) أحـاديث الـزهـري في كتـاب نفيس سماه «الزهريات»[٢]، وكـان في مجلـدين! وقد اشتهر بـه الذهليُّ كثيرًا، حتى إنَّ شيخـه عليَّ بن المديني قـال لـه: «أنت وارثُ علم الزهـري». وقد بقيت من الكتـاب قطعة يسيرة في المكتبـة الظـاهـرية بـدمشق المحروسـة (انظر فهـرس مخطوطات الظاهرية لـلألباني ص ٨٥)، وينقل منه المـزيُّ في تهذيب الكمـال نصوصًا نفيسةً.

(٩) وكلامُـهُ عن دور الزُّهـري في نشر العلم كثيرُ التشويـش والاختلاط، فزعـم أنَّه نشر كتبه (التـاريخية) بين الجمهـور، وحثَّ على ذلك قـائلاً: إياك وغلولَ الكُتُب ...

وأقول: لـم يصنف الـزهريُّ شيئًا في التاريخ، غير أنـه أسهم في التدوين الحديثي بثلاث وسائل:

أولاً: سجل نَسَب قومه في صحيفـة كانـت عنده (انظر تاريخ أبي زرعـة الـدمشقي ص ٤١٠)، وإنما فعل ذلك لتشعب الأنسـاب، ولتكاثـر قـريش وانتشارهم في الأمصار، فأحب ضبط نسبهم. ومن هذه الصحيفـة نصوص في الكنى والأسماء للدولابي (١/ ٦، ٨).

ثانيًـا: جمع صحيفـة في الحديث ــ غير مبوبـة ولا مرتبـة ـ بأمـر الخليفـة الصالح عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ[٣]؛ فأمر عُمَرُ بنسخها وتوزيعها على أمصار الإسلام. وقد فقدت هذه الصحيفـة، لأنها كانت غير مسموعة عليه، فأهملها العلمـاء الثقات، ورحلوا إلى الزهري للسماع منه ومشافهتـه.

ثالثًا: أملى الزهري الحديث مرارًا على حاشية الخليفـة هشام بن عبد الملك ابن مـروان، وعلى طلبـة العلـم الملازمين لـه، حتى أملى وَقْـرَ بضعِ دوابَّ صُحُفًا (انظر المعرفـة والتاريخ للنسوي ١/ ٤٧٩، ٦٣٨).

(١٠) زعـم الأستاذ أنَّ زوجة الزهريِّ كانت تقول لـه: «والله لهذه الكتب أشدُّ على من ثـلاثِ ضرائر!» والصحيح أنَّ قائلـة العبـارة هي زوج الزبير بن بكار بن عبـد الله الزبيري (١٧٢ ــ ٢٥٦)، صاحب كتـاب «نسب قريش» (انظر تـاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨/ ٤٧١، والجامع لاختـلاف الراوي وآداب السـامع لـه ١/ ١٠١، طبع الـريـاض). ولـم تُـروَ الحكايـة في كتب المحدّثين عن الزهري وامرأتـه.

(١١) ذكر أن خالد بن يزيد بن معاوية توفي سنـة ٨٥ هـ.

قلت: هذا قـولٌ في وفاتـه، والأرجـح أنَّ وفاتـه كانت سنـة ٩٠ هـ كما في تهذيب الكمال للمزي (٨/ ٢٠٧).

أسعد سالم تيم
عمَّـان ـ الأردن

الهـوامش

(١) انظر الأشباه والنظائر النحوية للسيوطي ١/ ٩ ـ ١١ (طبعـة دمشق ١٤٠٦ هـ).

(٢) سماه ابن خير الإشبيلي في فهرسته (ص ٢٠٣): «علل حديث الزهري»؛ وهـو الكتاب نفسـه، وقـد سماه ابن حجر: الزهريات، كمـا ذكرنا (المعجم المفهرس ق ١٢٨ ب).

(٣) ولي عمر الخلافة سنة ٩٩ هـ، وتوفي مسمومًا سنة ١٠١ هـ. فجمع الصحيفـة بين هذين التاريخين.

استراحة العدد

أول من قالت الموّال

تعود نشأة الموّال باعتباره أحد فنون الشعر الشعبي إلى عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد، إذ روي أن الرشيد بعد أن قضى على البرامكة منع الشعراء من رثائهم وتوعد من يفعل ولو بكتابة بيت واحد بأقسى العقوبات.

وكانت إحدى جواري جعفر البرمكي شديدة الإخلاص لسيدها الراحل، فأصابها الهم والحزن مع عجزها عن التعبير عن مشاعرها، فابتكرت الموّال حتى تفلت من العقوبة التي قررها الرشيد على الشعراء.

وسُمي هذا اللون من الشعر « مواليا »، ثم عُرف باسم الموّال، وتعددت فنونه وأضرابه.

من عجائب الخلق

يستطيع الجواد أن يظل واقفًا على قدميه لأشهر، وينام أيضا على هذا الوضع (واقفًا)، إذ حباه الله بجهاز عضلي خاص يسمح لأرجله أن تظل مشدودة على الدوام لتحمل ــ دونما عناء ـ جسده الثقيل.

فائدة الثوم

أثبتت التجارب العلمية أن للثوم من الفوائد الصحية والمنافع العلاجية ما لا يجتمع لنبات آخر، فهو يعالج الإمساك، ويفيد في تخفيف ضغط الدم المرتفع، ويسهم في خفض نسبة الكوليسترول في الدم، وكذلك نسبة السكر، ويعمل على رفع مقدار الأنسولين فيه، ويقال أيضًا إن له أثرًا مضادًا لمرض السرطان.

ويأتيك بالأمثال

الْجَرْعُ أَرْوَى وَالرَّشِيفُ أَنْقَعُ

الرَّشْفُ والرَّشِيفُ في اللغة : المصُّ للماء، والجَرْعُ : بلعه، والنَّقْعُ : تسكين الماء للعطش.

أي أن الشراب الذي يرتشف قليلاً قليلاً أقطع للعطش وأنجع، وإن كان فيه بطء، وقوله « أروى » أي أسرع ريًّا، وقوله « أنقع » أي أثبت وأدوم ريًّا.

ويُضرب هذا المثل لمن يقع في غنيمة فيؤمر بالمبادرة والاقتطاع لما قدر عليه قبل أن يأتيه من ينازعه.

كما قيل إن معناه : أن الاقتصاد في المعيشة أبلغ وأدوم من الإسراف فيها.

فائزون . . وخاسرون

كان حكام الصين القدماء منذ ثلاثة آلاف عام ينظمون مباريات لكرة القدم ويمنحون الفائزين جوائز قيّمة، أما الخاسرون فكانوا يعاقبون بالجلد.

مدينة فريدة

سجلت كلاين ارتسكبيرج بالقرب من مدينة أوديران بألمانيا كأية مدينة عادية مع أنها تتألف فقط من نماذج مصغرة لمبانٍ وهيكليات تاريخية.

حكمة

الدنيا عسل مشوب بسم، وفرح موصول بغم، فلا تغرنك زهرتها، ولا تفتنك زينتها.

كلٌّ أمره عجيب !

إذا سعى الإنسان وراء المال قيل عنه إنه مجنون مال.

وإذا احتفظ بالمال وصفوه بأنه رأسمالي.

وإذا أنفقه يقال عنه إنه سفيه.

وإذا لم يحصل عليه يوصف بأنه نحس.

وإذا لم يحاول الحصول عليه يقال : ينقصه الطموح.

وإذا حصل عليه بعد كفاح مرير وقضى عمره في تحصيله يقال عنه إنه مجنون لم يحصل من الحياة على شيء !



ميدان الصفاة بمدينة الرياض حيث يظهر قصر الحكم ببوابته الرئيسة، كما يظهر جزء من ممر المالية الموصل إلى قصر الضيافة ١٣٦٢ هـ/ ١٩٤٣م

من خطبة أبي العباس السفاح

أرتج على أبي العباس السفاح فنزل ثم صعد، وقال: أيها الناس، إن اللسان بضعة من الإنسان، يكل لكلاله، ويرتجل لارتجاله، ونحن أمراء الكلام بنا تفرعت فروعه، وعلينا تهدلت غصونه، وإنا لا نتكلم هذرًا، ولا نسكت حصرًا، بل نسكت معتبرين، وننطق مرشدين.

نصائح

قال رجل ليحيى بن أكثم: كم آكل؟ قال: فوق الجوع ودون الشبع، قال: فكم أضحك؟ قال: حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك، قال فكم أبكي؟ قال: لا تمل البكاء من خشية الله. قال: فكم أخفي عملي؟ قال: ما استطعت، قال: فكم أظهر منه؟ قال: ما يحفظك من كلام الناس.

أغرب حكم

يعد الحكم الذي أصدرته إحدى المحاكم الكندية في مقاطعة كويبك عام ١٧٠٥م ضد شخص يدعى كمبل ليدو من أغرب الأحكام القضائية.

حيث حكم القاضي بأن تقيد يدا كمبل خلف ظهره لمدة ثلاث سنوات عقابًا له على تزويره ورقة من أوراق اللعب (الكوتشينة).

ذئب.. أم غزال!

قال جلال الدين الرومي لو أن ذئبة ولدت صغيرًا لغزال، ووقع الشك حول الصغير: هل ينتمي إلى الذئبة أم الغزال؟

فانثر أمامه أعشابًا وعظامًا، ثم انظر إلى أي جانب يخطو مسرعًا، فإن اتجه نحو العظام فهو ذئب، ولئن طلب العشب فهو يقينًا ينتمي إلى الغزلان.

فلتقدم للخلق الأعشاب والعظام، ولنعرض عليهم قوت الجسد وقوت الروح، فمَنْ طلب غذاء الجسد فهو أبتر، وأما مَنْ طلب غذاء الروح فهو سيد نبيل، ومَنْ سعى إلى خدمة الجسد فهو حيوان، ومن ذهب إلى بحر الروح ظفر بالجوهر.

خطأ شائع

يشاع - خطأ - أن قص الشعر يزيد نموه، والواقع أن الذي يزيد النمو عملية التدليك التي يقوم بها المزين أثناء قص الشعر، فتنشط الدورة الدموية في فروة الرأس، وتنمو الشعرة العادية - في المعتاد - بمعدل ٩ مليمترات في الشهر.

العجب من ثلاثة

قال يحيى بن معاذ: عجبت من ثلاثة: رجل يرائي بعمله مخلوقًا مثله ويترك أن يعمله لله، ورجل يبخل بماله وربه يستقرضه منه فلا يقرضه شيئًا، ورجل يرغب في صحبة المخلوقين ومودتهم والله يدعوه إلى صحبته ومودته.

معمورة مطمورة



وقع الفأس في الرأس، فقد مات الرجل قبل لقياه أو رؤياه.

أستطيع أن أعد عشرة من كبار الأدباء والشعراء، وكلهم يتمنى المرء لقاءهم، ولكن الأجل كان أسبق. أما ذلك الأديب، المؤرخ، العلامة، فقد تحسَّرت عليه مرتين، مرة لأنه مات بعد سنوات من ميلادي، فلم تكن هناك غلالة من احتمال للقائه. ومرة أخرى؛ لأن الكتب في مكتبته بيعت بالكيلو جرام. وقال لي شخص ما إنه رأى بعينه مكتبة المرحوم توزن وزنا، وتباع مثل البطاطس والباذنجان. وأظن أن القارئ سيدرك معنى وقوع الفأس في الرأس في حالة كهذه!

ولا زالت هناك مخطوطات. فقد رأيت مثلاً مخطوطة في منزل أحد كبار الأدباء بعنوان «بنات شفاه من التراث»، أخذها من عبارة «لم ينبس ببنت شفه»، وبجوار هذا المخطوط عشرات الملفات والمشروعات، بعضها على الثلاجة، وبعضها على رفوف دولاب، والأديب يقول: من أين لي أن أدفع مليونين أو ثلاثة ملايين لطباعة هذا الإنتاج؟

وعندما مات محمد عبد الله مليباري - يرحمه الله - علمت أن لديه مخطوط «التاريخ المفصل لمكة» في عدة مجلدات. وقيل لي إن محمد صادق الكردي لم يطبع من كتابه العظيم «التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم» إلا أربعة مجلدات وبقيت أربعة مجلدات مخطوطة، لا تزال إلى شهرنا هذا.

ومثل ذلك إنتاج الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي.

كلُّ ابنِ أنثى وإنْ طَالتْ سلامتُهُ ... يومًا على آلة حدباءَ محمولُ

وأعظم ما يتركه الإنسان من بعده كتاب ينفع الناس. تُرى هل يمكن أن تتولى مؤسسة ما، أو مركز ما، طباعة الأعمال الكبيرة الباقية، قبل أن تتولى الأرضة وكرّ الجديدين إبلاء خلاصة الفكر البشري في أقدس بقعة في المعمورة؟

أم ستبقى بالنسيان والإهمال مطمورة؟

محمد علي الجفري

مرحلة ما قبل الاتحاد



هذا عنوان الكتاب الأول الذي يصدر تحت عنوان أكبر هو : دولة الإمارات العربية المتحدة : مسيرة قائد و إرادة شعب.

إعداد خالد بن محمد القاسمي.

يتكون الكتاب من ثلاثة فصول أولها عن التاريخ السياسي لدولة الإمارات، والثاني عن التاريخ السياسي لإمارة « أبو ظبي »، والثالث بعنوان : زايد والعمل السياسي.

تناول الفصل الأول الإمارات في تاريخها القديم والحديث متطرقًا إلى الجذور التاريخية للعرب في الخليج والاتفاقات السياسية التي عقدت بين الإمارات والبلدان الأخرى، مدعمة بالصور الوثائقية القديمة والحديثة.

أما الفصل الثاني فاقتصر الحديث عن إمارة « أبو ظبي » فتناول الكاتب الحالة الاقتصادية بها بين الحربين واتفاقياتها النفطية وأسماء حكام الإمارة.

وخص المؤلف رئيس الاتحاد سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بالفصل الثالث كله متناولاً تفاصيل حياته منذ طفولته إلى اليوم، مشيرًا إلى المشكلات التي تصدى لها، والإنجازات والإصلاحات التي تحققت في عهده من تاريخ توليه الإمارة في السادس من أغسطس عام ١٩٦٦م.

يقع الكتاب في ٢٢٩ صفحة من القطع الوسط، وصدرت طبعته الأولى عام ١٩٩٢م عن دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع بالشارقة، ومؤسسة دار الكتاب الحديث للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع في بيروت.

الهمس في بقايا الزمن



مجموعة مقالات للكاتب عبد الله سليمان السحيمي، يطرح من خلالها عصارة فكره وتجربته مع الكتابة، مثيرًا قضايا فكرية وأدبية مهمة.

ويهاجم المؤلف في كتابه أولئك الذين تسابقوا إلى امتصاص أفكار الغرب دون تبصر بمحتواها، وتبنوها منتهجين المنهج الغربي ذاته المعادي للإسلام والمسلمين، فنراهم يدّعون أن ما يقدمونه هو إبداع عصري في ظل عملية تجديد وهمية يفخرون بها متناسين أنهم يرتدون إلى الجاهلية حينما يدوسون على قيم مجتمعهم ومبادئه.

ويصوّر السحيمي في خمس مقالات جوانب من طفولته، وكأنما يحن إلى هذه الطفولة بنقائها وبراءتها، ثم يسوح بقارئه بين أفكار كثيرة وموضوعات شتى بأسلوب راق وطرح بسيط مميز.

ضم الكتاب ثلاثًا وثلاثين مقالة، وصدر عن دار طويق للنشر والتوزيع والخدمات الإعلامية في ١٢٣ صفحة من القطع الصغير.

خواطر حول الزواج والأسرة



تأليف محمد سعيد الصفار، الكتاب عبارة عن مجموعة خواطر ومقالات يناقش المؤلف من خلالها بموضوعية داخل إطار إسلامي العديد من القضايا التي تهم الرجل والمرأة مثل : الزواج وكرامة المرأة، والعوامل الأساسية لنجاح الزواج، وفقه الحياة الزوجية، والخلافات الزوجية وطرق حلها وواجب الرجل تجاه زوجته وأسرته وما إلى ذلك من الموضوعات التي تهم المجتمع بعامة والأسرة بخاصة. والكتاب في مجمله أشبه بوصفة اجتماعية كتبت على هدى من منهج إسلامي واضح الملامح، محدد الأطر.

صدر الكتاب عن دار طويق للخدمات الإعلامية والنشر والتوزيع في الرياض، في ١٤١٣ هـ ١٩٩٢م، ويقع في أربعين صفحة من القطع الوسط.

زايد.. القائد ونداء الوطن



تأليف خالد ابن محمد القاسمي وعبد الرحمن يوسف ابن حارب،

والكتاب كما يقول مؤلفاه وصف حي لالتفاف شعب الإمارات العربية المتحدة حول قائد مسيرتهم وباني نهضتهم سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.

والكتاب محاولة لتوثيق مرحلة قيادة سمو الشيخ زايد لدولة الإمارات، وقد قسّمه مؤلفاه إلى ثمانية فصول تضمنت العديد من مظاهر السياسة الناجحة لسمو الشيخ زايد داخليًا وخارجيًا، والأوضاع العسكرية المتطورة في عهده، والكلمات التي ألقيت في حفل يوم الاتحاد، والأشعار التي استوحت هذه المناسبة، وإسهامات قوات الإمارات المسلحة في حرب تحرير الكويت.

يقع الكتاب في ٣١٣ صفحة من القطع الوسط، وصدر في طبعته الأولى عام ١٩٩١م عن دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع في الشارقة.

دولة الإمارات العربية المتحدة مواقف بطولية في أزمة الخليج



إعداد خالد ابن محمد القاسمي، يقع الكتاب في ثمانية فصول، قدم المعد في أولها الكلمات والخطب التي ألقيت في مناسبات مختلفة تصدرتها كلمة سمو الأمير رئيس الاتحاد بمناسبة اليوم الوطني التاسع عشر لدولة الاتحاد.

وفي الفصل الثاني تعرض المعدّ إلى أزمة الغزو الغاشم للكويت موردًا عدة تحقيقات صحافية مع بعض المتطوعين للتجنيد في القوات المسلحة الإماراتية، وأورد في الفصل الثالث مجموعة من المقالات التي نشرت في صحف الإمارات ومجلاتها، وعرض في الفصل الرابع من خلال مجموعة من التصريحات الصحافية للملاحم التي سجلها شباب الإمارات في حرب تحرير الكويت، فضلاً عن الكلمات التي قالها كبار المسؤولين بهذه المناسبة.

وأورد في الفصل الخامس مقالات للصحف الإماراتية تتحدث عن دور القوات المسلحة في تحرير الكويت، واتبعه بفصل سادس تضمن الموضوع ذاته من واقع عيون الصحافة العربية، ونشر في الفصل السابع رسائل التوجيه المعنوي التي وجهتها القوات المسلحة لأبنائها، وعدد من القصائد ذات الغرض الحماسي، فيما أفرد الفصل الثامن لنشر قصائد أخرى لبعض الشعراء.

يقع الكتاب في ٤١٦ صفحة من القطع المتوسط، وصدر عن دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع في الشارقة.

البارودي: حياته وشعره



الكتاب أصلاً رسالة ماجستير حصلت بها الباحثة د. نفوسة زكريا سعيد على الدرجة العلمية من جامعة الإسكندرية عام ١٩٥٣م بتقدير ممتاز، وحين فكر مجلس أمناء جائزة عبد العزيز سعود البابطين في تكريم شاعر الإحياء محمود سامي البارودي عبر إطلاق اسمه على الدورة الثالثة لجوائز مؤسسة البابطين للإبداع، قرر المجلس إعادة نشر تراث البارودي، فكان أن نشر هذا البحث الرائد الذي لم ير النور على الرغم من مضي أربعين عامًا على الانتهاء منه.

قدم للكتاب وأعده للنشر د. محمد مصطفى هدّارة الذي قام أيضا بمراجعة ما نشر عن البارودي وإضافة تعليقات على هامش الكتاب.

تضمن الكتاب مقدمة للدكتور هدّارة، وأخرى للباحثة، فضلا عن بابين، أولهما عن حياة البارودي، وينقسم إلى أربعة فصول، يتحدث أولها عن البارودي الشاب، والثاني عن البارودي الزعيم، والثالث عن البارودي في المنفى، والرابع عن البارودي بعد رجوعه من المنفى.

وخصصت المؤلفة الباب الثاني للحديث عن شعره عبر أربعة فصول وخاتمة، حيث تناولت في الفصل الأول آثاره الأدبية، وأرخت في الفصل الثاني للشعر قبل البارودي، وتناولت في الثالث منهجه الشعري مثل السمات القديمة في شعره والمعارضات، وكذلك السمات العصرية والألوان المحلية في شعره، وتطرقت في الفصل الرابع إلى صناعته الشعرية، وبينت في الخاتمة أثر البارودي في الشعراء اللاحقين.

كما تم تثبيت المصادر والمراجع في نهاية الكتاب، وكذلك أسماء الكتب التي تضمنتها مكتبة البارودي.

صدر الكتاب عن مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري عام ١٩٩٢م في ٤٦٤ صفحة من القطع المتوسط.

تذكار



مجموعة شعرية للشاعر الشعبي عبد العزيز المتعب، يحتوي على تسع وأربعين قصيدة شعبية عاطفية، كتبها المؤلف الشاب الذي تعرفه صفحات الأدب الشعبي في الصحف السعودية والخليجية والندوات الأدبية والثقافية بأشعاره ذات الحِس الراقي.

والعاطفة الجامحة التي تكسو أبيات الديوان تنم كما اعترف الشاعر في مقدمته عن خوفه من اندثارها الحسي في ذاته بمرور الزمن فعمد إلى تسجيلها تجربة حية معيشة.

يقع الديوان الذي صدر عن دار طويق للخدمات الإعلامية في الرياض في ١١٠ صفحات من القطع الوسط.

قصص عربية قصيرة ١٩٤٥ ـ ١٩٦٥ م



صدرت هذه المجموعة باللغة الإنجليزية عن دار نشر الجامعة الأمريكية في القاهرة، ضمن سلسلة «الكتابات العربية الحديثة».

ترجم المجموعة وقدم لها محمود المنزلاوي، وضمت أعمالاً قصصية لتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف إدريس وغيرهم من كُتّاب القصة المصرية.

وتتناول القصص المترجمة مشكلات الحياة اليومية المصرية.

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي :

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح ثلاثة فائزين بين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً).

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص. ب. ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

● أجوبة مسابقة العدد (٢٠١) ●

ج ١ : الاسترجاع عند المصيبة هو أن يقول العبد : «إنّا لله وإنّا إليه راجعون». وقد وردت أحاديث كثيرة في بيان ثواب الاسترجاع؛ منها :

١ ـ ما رواه مسلم عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : «إنّا لله وإنّا إليه راجعون»، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرًا منها؛ إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيرًا منها»، قالت : فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيرًا منه : رسول الله ﷺ.

٢ ـ وما رواه أحمد وابن ماجة، أن رسول الله ﷺ قال : «ما من مسلم ولا مسلمة يُصاب بمصيبة فيذكرها، وإن طال عهدها؛ فيحدث لذلك استرجاعًا؛ إلاّ جدد الله لـه عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب».

٣ ـ وما رواه أحمد والترمذي، عن أبي سنان قال : دفنت ابنًا لي فإني لفي القبر إذ أخذ بيدي أبو طلحة (يعني الخولاني)، فأخرجني، وقال لي : ألا أبَشِّرك ؟ قلت : بلى، قال : قال رسول الله ﷺ : «قال الله : يا ملك الموت قبضت ولد عبدي ؟ قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده ؟ قال : نعم، قال : فما قال ؟ قال : حمدك واسترجع، قال : ابنوا لـه بيتًا في الجنة وسمّوه بيت الحمد».

□ □ □

ج ٢ : وقعت هذه الحرب؛ والتي عرفت بحرب الأفيون؛ بين الصين وبريطانيا بين عامي ١٨٣٩ و ١٨٤٢م، فقد كان البريطانيون يتوقون إلى أن تلغي الصين القيود التي فرضتها على تجارتها الخارجية، فاتخذوا تعلّةً للحرب ـ التي انتصروا فيها بسهولة ـ حظر الصين (١٨٣٩م) استيراد الأفيون، وتدميرها الأفيون المخزون في كانتون، والذي يملكه البريطانيون. وأُكرهت الصين على أن تبرم مع بريطانيا معاهدة نانكين (١٨٤٢م)؛ التي فتحت بمقتضاها موانئ كانتون وشنغهاي وأموي وفوتشاو ونِنجبو في وجه التجارة البريطانية، ونزلت عن هونج كونج لبريطانيا.

□ □ □

ج ٣ : هو المخترع الأمريكي صمويل كولت (١٨١٤ ـ ١٨٦٢م). الذي اخترع (١٨٣٥م) المسدس ذا الخزانة، الذي استخدم على نطاق واسع في حرب الولايات المتحدة ضد المكسيك (١٨٤٧م)، وعمّ استعماله بعد ذلك في كثير من الجيوش.

□ □ □

ج ٤ : هو لويس التاسع؛ أو القديس لويس كما يسميه قومه؛ (١٢١٤ ـ ١٢٧٠م)، ملك فرنسا (١٢٢٦ ـ ١٢٧٠م)، ابن لويس الثامن وخليفته. قاد الحملة الصليبية السابعة على مصر (١٢٤٨م) تاركًا أمه وأخاه وصيّين على العرش؛ إلا إنه هُزم، وأُسر في المنصورة (١٢٥٠م)، ولم يُطلق سراحه إلا لقاء فدية كبيرة، لكنه بقي في الأراضي المقدسة في فلسطين حتى ١٢٥٤م. ثم بعد ذلك قام بالحملة الصليبية الثامنة على تونس (١٢٧٠م)، لكنه توفي بالطاعون بعد قليل من نزوله في تونس، وفشلت تلك الحملة أيضًا. وقد أصيبت بلاد الإسلام من جرّاء هذه الحروب بخراب كثير. أما أوربا فقد استفادت حضاريًا من تلك الحروب؛ إذ احتك الأوربيون بشعوب أرقى منهم، فاستفادوا من نظمهم وأفكارهم وعلومهم ونشطت التجارة التي ساعدت المدن الأوربية على النهوض، إلا أن الصراع الطويل بين أوربا والمسلمين ترك في النفوس ذكريات مؤلمة.

□ □ □

ج ٥ : صوف الصلب، مادة ساحجة تتكون من برادة سطح من الصلب، وتكون أطرافها مبرومة عادة؛ ومن هنا أُخذ اسمها؛ وهي على درجات متفاوتة من النعومة، ويستخدم الخشن منها لتلميع الأخشاب والأثاث. والناعم لتلميع المعادن وتنظيفها. كما يستخدم؛ غالبا؛ في المطابخ لتنظيف الأواني المصنوعة من الألمونيوم. وتحتاج صناعة صوف الصلب إلى نوع خاص من الصلب يعطي أليافًا طويلة ونسبة قليلة من البرادة حتى تقل نسبة مخلفاته.



● نتائج مسابقة العدد (٢٠١) ●

أ ـ فازت بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، **بشائر الهدى محمود محمد الطموني،** أربد ـ الأردن.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، **طه عريوة،** المسيلة ـ الجزائر.

وفازت بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، **كوثر عوض محمد عمر،** ود مدني ـ السودان.

□ □ □

ب ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١ ـ أنور عبد الله محمد داغستاني ـ المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.

٢ ـ فطيم السعيد ـ حلب ـ سورية.

٣ ـ عثمان بن محمد أنور ـ المحمدية ـ المغرب.

٤ ـ عبد السلام محمد السيد الطنطاوي ـ الدقهلية ـ مصر.

٥ ـ عبد العزيز نصار عثمان الفريدي ـ المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.

□ □ □

ج ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١ ـ أحمد فخري عبد السلام ـ صويلح ـ الأردن.

٢ ـ علي مصطفى الأحمد ـ حلب ـ سورية.

٣ ـ غلام علي ـ السند ـ الباكستان.

٤ ـ إلياس سيد عالم عبد الكريم ـ المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.

٥ ـ عبد المجيد عبد الرؤوف السيد ـ الدقهلية ـ مصر.

٦ ـ حليمة محمد نور عبيد ـ حلب ـ سورية.

٧ ـ يونس إبراهيم محمود الزبيدي ـ ينبع البحر ـ المملكة العربية السعودية.

٨ ـ سلطان عزمي حبيب ـ الخرطوم ـ السودان.

٩ ـ ليلى أحمد أنور أحمد ـ السويس ـ مصر.

١٠ ـ لينا منذر صالح ـ أربد ـ الأردن.

□ □ □

د ـ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كل من:

١ ـ محمد عدنان ويس ـ حلب ـ سورية.

٢ ـ عبد العزيز بن صالح الخُزَيِّم ـ القصيم ـ المملكة العربية السعودية.

٣ ـ عبد الحميد بن عبد الهادي بناني ـ فاس ـ المغرب.

٤ ـ منى محمد هاشم ـ عمّان ـ الأردن.

٥ ـ منال علي عبده محمد ـ الدقهلية ـ مصر.

● أسئلة مسابقة العدد (٢٠٤) ●

السؤال الأول:

مَنْ أولو العزم من الرسل الذين عناهم القرآن الكريم في قوله تعالى: **﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾** الأحقاف ٣٥؟

□ □ □

السؤال الثاني:

قال تعالى: **﴿كنتم خير أمة أُخرجت للناس﴾**، آل عمران ١١٠. والمقصود هنا الأمة المحمدية، وأنها خير الأمم. اذكر حديثًا شريفًا في فضل هذه الأمة وشرفها وكرامتها على الله عز وجل.

□ □ □

السؤال الثالث:

شاعر، لُقب «بصَّنَّاجة العرب»؛ لقوة شعره، وكثرة تصرفه في فنونه. كاد أن يُسلم ويفد على النبي ﷺ، فمنعته قريش خشية أن يسهم بشعره في الدعوة إلى الدين الجديد. فمن هو؟

□ □ □

السؤال الرابع:

ما الفرق بين النار العادية والنار الإغريقية؟

□ □ □

السؤال الخامس:

حيوان، من أسمائه: الخَيْدع، والخَيْطل، فما هو؟

الحركة الثقافية في شهر

السعودية

نـدوة « الأندلس : وقرون من التقلبات والعطاءات »

الأمير بــدر :

الندوة تبرز دور المسلمين في الحضارة المعاصرة

نيابة عن صاحب السمو الملكي **الأمير عبد الله بن عبد العزيز** ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني، الرئيس الأعلى لمجلس مكتبة الملك عبد العزيز العامة في الرياض، افتتح صاحب السمو الملكي **الأمير بدر بن عبد العزيز** نائب رئيس الحرس الوطني مساء السبت ١٥ جمادى الأولى المنصرم ١٤١٤ هـ **ندوة «الأندلس : قرون من التقلبات والعطاءات»** التي نظمتها المكتبة، وأقيم على هامشها معرضان : الأول للكتاب والثاني للمخطوطات والمسكوكات .

وألقى سموه كلمة رحب في مطلعها باسم سمو ولي العهد بالمشاركين مؤكدًا على أن مثل هذا التجمع العلمي مبادرة سوف تساهم في إبراز دور أمتنا في الحضارة المعاصرة بالحجم الذي يليق بها .

ونوّه سموه بأهمية أن تقوم مؤسساتنا العلمية في العالم الإسلامي بإبراز تراثنا وحضارتنا وعلومنا .

كما ألقى الباحث المغربي **د. محمد بن شريفة** كلمة باسم المشاركين في الندوة أعرب في مطلعها عن شكرهم **لسمو ولي العهد وسمو الأمير بدر**، وأشار إلى أن **مكتبة الملك عبد العزيز العامة في الرياض ومؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات والعلوم الإنسانية في الدار البيضاء** هما مكرمتان من مكرمات سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز، وأن إنشاء إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب تأكيد للتواصل الثقافي بين جناحي العروبة .

وأوضح أن هذه الندوة تمثل إسهامًا من إسهامات المملكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز** في إحياء تراث العرب الإسلامي وإنمائه .

وأشار إلى أن تنظيم الندوة يأتي متزامنًا مع مرور خمسمائة عام على خروج المسلمين من الأندلس، تلك المناسبة التي احتفل بها العالم كله، وإذا كان التركيز على اكتشاف أمريكا فإن هذا الاكتشاف لم يكن إلا محطة لما وصل إليه العلم العربي في الأندلس وثبت في عدد من الدراسات العلمية .

وتناول ابن شريفة ما أقيم من ندوات وبحوث حول هذا الموضوع في إسبانيا وتونس والقاهرة، منوهًا بعدد البحوث التي قدمت لهذه الندوة في الرياض والتي بلغت ثمانين بحثًا .

وألقى وزير الدولة عضو مجلس الوزراء د . **محمد الملحم** قصيدة «رثاء الأندلس» .

كما ألقى وكيل الحرس الوطني **عبد الرحمن إبراهيم أبو حيمد** كلمة أشار فيها إلى مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض ومؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإنسانية والعلوم الإسلامية في الدار البيضاء منوهًا بدوريهما في خدمة حركة البحث، وأورد أفضال الأمة الإسلامية على العالم وحضارتها الشامخة التي أقامتها في الأندلس واستمرت أكثر من ثمانية قرون .

بحـوث النـدوة

دارت مناقشات الندوة، التي استمرت خمسة أيام وشارك في أعمالها باحثون من **المملكة العربية السعودية ومصر وإسبانيا وإنجلترا والمغرب وسلطنة عمان والأردن وسورية والإمارات وتونس والجزائر**، حول ثلاثة محاور



الأمير بدر يفتتح ندوة الأندلس نيابة عن سمو ولي العهد

رئيسة هي : «**خاصية التجربة الأندلسية وتأثيرها في المستويات المحلية والإسلامية والعالمية**»، و «**تقويم التجربة الأندلسية من نواحيها السياسية والاجتماعية والثقافية**»، و «**الدراسات التي ركزت على التجربة الأندلسية**».

وترأس د. **عبد الرحمن الطيب الأنصاري** الجلسة الأولى التي ضمت ثلاثة بحوث هي : «مركزية التجربة الأندلسية وأثرها في الوعي التاريخي العربي الإسلامي» للدكتور **نور الدين علي الصغير**، و «الأندلس بين الاختبار والاعتبار : محاولة لدراسة ضياع الأندلس وسقوطها من الفتح إلى نهاية العصر الأموي» للدكتور **عبد السلام الهراس**، و «طرد المسلمين من الأندلس : مراحله، آثاره، نتائجه» للدكتور **عبد الله محمد جمال الدين**.

وناقشت الجلسة الثانية برئاسة د. **أكرم ضياء العمري** بحثين هما : «التفسير وعلوم القرآن في المغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى القرن الثامن الهجري : الجذور، التفاعلات، الحصيلة» للدكتور **إبراهيم أحمد الوافي**، و «منهج المدرسة الأندلسية في التفسير : صفته وخصائصه» للدكتور **فهد بن عبد الرحمن الرومي**.

وترأس د. **محمد عبد الرحمن الهدلق** الجلسة الثالثة التي ناقشت ثلاثة بحوث هي : «معاجم الأفعال : جهود أندلسية رائدة وعلامة بارزة في صرح الثقافة الإسلامية» للدكتور **حسين محمد شرف**، و «إسهامات اللغويين الأندلسيين وجهودهم في رفد الثقافة العربية الإسلامية» للدكتور **علي خلف الهروط**، و «زيادة لم تنشر في كتاب (إصلاح لحن العامة)، **لأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي** الأشبيلي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ : دراسة ونصوص» للدكتور **عبد العزيز الساوري**.

وكانت الجلسة الرابعة برئاسة د. **محمد بن شريفة** أطول الجلسات حيث ناقشت أربعة بحوث هي : «مساهمة رياضيي الأندلس في الحياة العلمية بأفريقية خلال القرون الوسطى» للدكتور **حميدة بن عمر هادفي**، و «التجربة الأندلسية في الجزائر : مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط ق ٦ ـ ٧ هـ ١٢ ـ ١٣ م» للدكتور **ناصر مولود سعيدوني**، و «الحركة العلمية في غرناطة زمن السقوط» للدكتور **قاسم الحسيني**، و «عباس ابن فرناس : أول الرواد في عالم الطيران بين الحقيقة التاريخية والآداب الشعبية» للدكتور **أحمد إبراهيم الشعراوي**.

وعقدت الجلسة الخامسة برئاسة د. **عبد الله محمد السيف** لمناقشة ثلاثة بحوث هي : «التخطيط العمراني لمدن الأندلس الإسلامية» للدكتور **محمد عبد الله الحماد**، و «عرفاء البناء في المغرب والأندلس وأهم أعمالهم المعمارية» للدكتور **محمد محمد الكحلاوي**، و «أثر الجامع الأموي في دمشق على عمارة المسجد الجامع بقرطبة» للدكتور **خليل إبراهيم المعيقل**.

وترأس د. **صالح العلي الهذلول** الجلسة السادسة حيث ناقشت ثلاثة بحوث هي : «أهمية الفتاوى الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية : نوازل ابن الحاج القرطبي نموذجًا» للدكتور **أحمد اليوسفي شعيب**، و «ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الونشريسي» للدكتور **مصطفى بنسباع**، و «ناظر الأحباس في الأندلس والمغرب في القرنين الثامن والتاسع الهجريين حسب المعيار المُعرب للونشريسي» للدكتور **جاسم العبودي عيد**.

ودارت مناقشات الجلسة السابعة برئاسة د. **محمد بن علي الصامل** حول ثلاثة بحوث هي : «أدباء الأندلس : إسهاماتهم وتأثيرهم في الحركة الأدبية العربية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين» للدكتور **الحسين العربي رحمون**، و «الخيال القصصي في التجربة الأندلسية بين المحاكاة والإبداع» للدكتور **محمد شفيع الدين السيد**، و «صورة الأندلس في روايات جورجي زيدان» للدكتور **عبد الحميد إبراهيم محمد**.

وترأس د. **فهد بن عبد الله السماري** الجلسة الثامنة التي ناقشت ثلاثة بحوث هي : «نجد والحجاز في الذاكرة الشعرية الأندلسية» للدكتور **عبد الله بنصر العلوي**، و «رحلات الأندلسيين إلى الحرمين» للدكتور **محمد بن الهادي أبو الأجفان**، و «علاقات الموريسكيين بالأراضي العربية المكرمة من خلال المخطوطات الموريسكية» للباحث **طارق محمد خضر**.

الحركة الثقافية

مهرجان للكتاب بمكة ومعرض للكتاب الأمني بالرياض


الأمير سعود بن عبد المحسن

افتتح صاحب السمو الملكي **الأمير سعود ابن عبد المحسن بن عبد العزيز** نائب أمير منطقة مكة المكرمة، في الثامن من شهر جمادى الأولى المنصرم ١٤١٤ هـ، **مهرجان الكتاب** الذي نظمته إدارة التعليم بمكة المكرمة، وشاركت فيه مجموعة من دور النشر والمكتبات فضلاً عن الجامعات والأندية الأدبية والمؤسسات الصحافية وشركات الحاسب الآلي.

وأقيم إلى جانب معرض الكتاب جناح خاص للمخطوطات والبحوث والرسائل العلمية، ومعرض للوسائل التعليمية والتقنية وآخر للطلاب الموهوبين في العلوم والفنون والآداب، كما نظمت محاضرة عن الطفولة ألقاها مندوب اليونيسيف، وأخرى للداعية الشيخ **محمد قطب** بعنوان «رحلتي مع الكتاب»، وندوة عن «**معارض الكتب**» وأمسية شعرية، وعرضت إدارة التعليم شريطًا عن تطور التعليم في مكة المكرمة بعنوان «**التعليم بمكة المكرمة بين الأمس واليوم**».

من ناحية أخرى شاركت نحو **خمسين دار نشر عربية في معرض «الكتاب الأمني الخامس»** الذي نظمه في مطلع الشهر نفسه المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب في الرياض.

ضم المعرض مؤلفات متنوعة تدور حول التشريع الجنائي الإسلامي، والعلوم الشرطية والجنائية والنفسية وما إلى ذلك من الموضوعات.

وفاة السعد

فقدت المملكة العربية السعودية واحدًا من رواد النهضة التعليمية بوفاة الشيخ **عبد الله بن سعد السعد** وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لشؤون المعاهد العلمية.

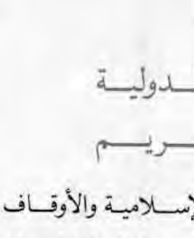
والفقيد حاصل على بكالوريوس كلية الشريعة في الرياض، وتقلب في مناصب مختلفة بجامعة الإمام حتى عين وكيلاً لها.

المسابقة الدولية للقرآن الكريم

تنظم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في الفترة من ٨ إلى ٢٢ شعبان المقبل في فندق مكة إنتركونتننتال **المسابقة الدولية السادسة عشرة للقرآن الكريم وتجويده وتفسيره**.

وقد بدأت الوزارة في اتخاذ الترتيبات المنظمة للمسابقة التي يشارك فيها ممثلون لجميع الدول الإسلامية وبعض المنظمات والجمعيات الإسلامية.

أسبوع الجوف الثقافي الثاني


الأمير عبد الرحمن السديري

نظمت **مؤسسة الأمير عبد الرحمن السديري الخيرية** خلال الفترة من ٥ إلى ٧ جمادى الأولى المنصرم ١٤١٤ هـ **أسبوع الجوف الثقافي الثاني**.

تضمن الأسبوع معرضًا للسجاد، ومسابقة المزارعين السنوية، وتوزيع الجوائز على الفائزين بجائزة **الأمير عبد الرحمن السديري** للتفوق العلمي، إلى جانب الفعاليات الثقافية المتمثلة في أمسية شعرية وندوة عن «**أدلجة الأدب**» أدارها د. **حسن ابن فهد الهويمل**، وتناولت الندوة عدة نقاط منها: دراسة في مصطلح أدلجة الأدب وعلاقته بالأدب، وقضية الالتزام وأثرها على حرية المبدع، والالتزام الماركسي والوجودي من منظور إسلامي، وموقف الإسلام من الفنون وبُعدها الدلالي، والنزعة الأخلاقية في النقد التراثي.

ومن المقرر أن تنشر تفاصيل الندوة في العدد السادس من دورية «**الجوبة**» النصف السنوية التي تصدر عن المؤسسة.

الملتقى الثقافي للقصة السعودية

تجرى حاليًا استعدادات في **نادي أبها الأدبي** لتنظيم الملتقى الأول للقصة السعودية.

ينتظر أن يشارك في الملتقى مجموعة من أبرز كتاب القصة السعودية ونقادها، حيث يتم خلاله تنظيم قراءات قصصية ونقدية.

جائزة أبها الثقافية

أعلنت الأمانة العامة لجائزة أبها الثقافية موضوعات الجائزة وشروطها لعام ١٤١٤ هـ في مجالات: **البحوث والدراسات، والنتاج الأدبي، والشعر الشعبي والفنون**.

وينقسم مجال **البحوث والدراسات** إلى فرعين: الأول الدراسات الأدبية والمطلوب تقديم دراسة نقدية عن الأدب السعودي وتحولاته خلال العشرين سنة الماضية فيما لا يقل عن مائة صفحة، والثاني: الدراسات العلمية والتطبيقية وموضوعها بحث علمي عن الزراعة التقليدية في منطقة عسير وإمكانات تطويرها واستغلال خصوصية البيئة.

أما النتاج الأدبي فيمكن التقدم بمجموعة شعرية أو رواية طويلة أو مجموعة قصصية أو نصوص مسرحية مكتوبة كاملة البناء.

وتحددت موضوعات **الشعر الشعبي والفنون** بديوان شعر شعبي أو ثلاث لوحات تشكيلية على الأقل لا تزيد مساحة اللوحة مؤطرة عن ٨٠ × ١٢٠ سم أو خمس صور ضوئية (فوتوغرافية) أصلية قابلة للعرض ويفضل إرفاق شريحة الفيلم (نيجاتيف).

واشترطت الأمانة ألا يكون العمل المقدم قد مضى على طبعته الأولى أكثر من خمسة أعوام، وألا يكون قد سبق التقدم به لنيل شهادة علمية أو ترقية أو الفوز بجائزة مماثلة.

ودعت الراغبين في المشاركة من السعوديين وأبناء دول مجلس التعاون والمقيمين العرب في المملكة إلى إرسال مشاركاتهم في مجالي الدراسات والأدب إلى **أمانة الجائزة ص. ب. ٤٧٨ ــ أبها ـ النادي الأدبي**، وفي مجالي التصوير والفن التشكيلي إلى **الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون فرع**

جـائزة الشـاعـر محمـد حسـن فقـي

أعلنت **مؤسسة يماني الثقافية** عن إنشاء جائزة تحمل اسم الشاعر الكبير محمد حسن فقي تقديرًا لعطائه وإبداعه الشعري، وتعميقًا لدور الشعر العربي في خدمة اللغة العربية وآدابها، وتشجيعًا وتكريمًا للمواهب في مجال الشعر العربي.


محمد حسن فقي

أنشئت الجائزة تحت مسمى «**جائزة الشاعر محمد حسن فقي**» وتمنح في مجالين : **أفضل ديوان شعر، والإبداع في نقد الشعر**، بواقع عشرين ألف دولار للفائز في كل مجال.

ويشترط للمشاركة في مجال أفضل ديوان شعر أن يكون الديوان قد صدر خلال خمسة أعوام تنتهي في ١/١/ ١٩٩٤م، وبالنسبة لنقد الشعر يشترط أن تتميز الدراسة بالجدة والأصالة وأن تمثل قيمة علمية وإضافة مبتكرة للدراسات النقدية، وأن يكون الترشيح من الجامعات أو مجامع اللغة والمؤسسات والهيئات الثقافية واتحاد الكُتَّاب والأدباء في جميع أنحاء العالم، ويجوز لمن يرى توافر الشروط في إنتاج له أن يتقدم بصفته الشخصية لترشيح نفسه، ولا تقبل ترشيحات الهيئات والأحزاب السياسية أو الإنتاج الذي سبق منحه جائزة مناظرة.

والجائزة مفتوحة أمام جميع الشعراء والنقاد إلى موعد غايته **أول مايو ١٩٩٤م**، وتعلن أسماء الفائزين في أول سبتمبر ١٩٩٤م.

أبها ص. ب. ٨٤٨ في موعد غايته نهاية شهر رمضان المبارك ١٤١٤ هـ الموافق ١٢/٣/ ١٩٩٤م.

ومما يذكر أن قيمة الجائزة وقدرها ٣٠٠ ألف ريال مقدمة من صاحب السمو الملكي **الأمير خالد الفيصل** أمير منطقة عسير.

الفـائزون بمسـابقـة نـادي الشرقيـة الأدبي

فيما أعلن **نادي الشرقية الأدبي** أسماء الفائزين في مسابقته الأولى للدراسات الأدبية للشباب لعام ١٤١٣ هـ، فتح **نادي الطائف الأدبي** باب استقبال المشاركات في مسابقته السنوية السابعة عشرة لعام ١٤١٤هـ.

فاز بالمراكز من الأول إلى الخامس على التوالي في مسابقة الشرقية كل من : **سارة عبد الرحمن صالح، زهرة عبد الله الرويشد** (أولى مكرر)، **عبد الحي نعمة الله السمرقندي، وليد محمد صقر، صالح علي محمد العمر**.

من ناحية أخرى أعلن **نادي الطائف الأدبي** عن فتح باب قبول المشاركات في مسابقته السنوية السابعة عشرة لعام ١٤١٤ هـ.

تشمل المسابقة ثلاثة فروع هي : القصة القصيرة، والشعر، والبحث والدراسات. واشترط النادي بالنسبة للقصة القصيرة والشعر أن تكون المشاركة جديدة لم يسبق المشاركة بها في مسابقات أخرى، ويمكن للمشارك الدخول في المسابقة بنصين على ألا يحق له الفوز بأكثر من جائزة، واشترط بالنسبة للبحث أن يكون عن أحد إصدارات الأندية الأدبية أو عن علم من أعلام الأدب السعودي الحديث، وأن يكون موثقًا بالمراجع والهوامش.

وتحددت **نهاية شهر شعبان المقبل ١٤١٤ هـ** موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات، ورصدت عشر جوائز للفائزين في كل مجال؛ أربعًا منها عينية بواقع أربعة آلاف ريال للفائز الأول، وثلاثة آلاف للثاني، وألفين للثالث، وألف للرابع، فيما يمنح الفائزون من الخامس إلى العاشر شهادات تقدير مع عشرة كتب متنوعة من إصدارات النادي.

د. الخطيب يفـوز بجـائزة مكتب التربيـة العـربي

قررت لجنة جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية في ختام اجتماعها الثاني للدورة المالية ١٤١٣ ـ ١٤١٤ هـ منح د. **محمد ابن شحات الخطيب** الأستاذ في كلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض **جائزة المكتب في مجال التربية** لعام ١٤١٢ ـ ١٤١٣ هـ عن كتابه «**الأصول العامة للتعليم الفني والمهني**».

وقررت اللجنة **حجب بقية الجوائز** في مجالات : اللغة العربية والدراسات الإسلامية، والعلوم الاجتماعية والإنسانية، والعلوم التقنية.

كتـب جـديـدة

● **الاستخبارات الأمريكية من التأسيس إلى العهد الجديد**، تأليف **أبي ضاهر**، صدر عن دار الشواف في الرياض، ودار الكاتب العربي في بيروت.

● **كتاب المقنع في شرح مختصر الخرقي**، للإمام المحدث الفقيه اللغوي **أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء** (ت ٤٧١ هـ) تحقيق د. **عبد العزيز سليمان البعيمي**، صدر عن مكتبة الرشد.

● **دليل القرآن الكريم**، إعداد **مصطفى محمود أبو صالح**، صدر عن إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

● **ملتقى أبها الثقافي**، المحاضرات والقصائد التي ألقيت في الملتقى الثالث.

● **أنابيش تراثية** : جولة مع بعض كتب التراث ومؤلفيها، تأليف **أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري**.

● **من أغاني المتشرد**، ديوان للشاعر **يحيى السماوي**، صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن نادي أبها الأدبي.


يحيى السماوي

الحركة الثقافية

● دليل المجلس الأعلى للإعلام.

● رؤية إعلامية: ظاهرة انتشار الفيديو في المجتمع السعودي.

● سياسات الاتصال في المملكة العربية السعودية، تقرير أعده د. ساعد العرابي الحارثي.

صدرت الكتيبات الثلاثة السابقة عن الأمانة العامة للمجلس الأعلى للإعلام.

الإمارات
معدلات مخيفة للأمية في العالم العربي

قال رئيس الجهاز العربي لمحو الأمية التابع لجامعة الدول العربية **عبد العزيز السنبل**: **إن الأمية في العالم العربي سجلت معدلات مخيفة** حيث بلغت ٣٥,٧٪ بين الرجال و٦٢٪ بين النساء عام ١٩٩٠م.

وأضاف السنبل في حديث لمجلة «**المعلم**» الإماراتية إن آخر الإحصاءات أوضحت تسجيل **السودان** أعلى نسبة أمية في العالم العربي، حيث بلغت نسبة الأميين بـه ٨٨,٣٪، يليه **الصومال** ٨٦٪، ثم **موريتانيا** ٧٨٪، **فاليمن** ٧٣,٩٪.

جائزة لـ «زوار الليل»

فازت الأديبة القطرية وداد عبد اللطيف بجائزة الشيخ راشد حميد النعيمي للقصة القصيرة لعام ١٩٩٣م عن قصتها «**زوار الليل**».

وتعد هذه المرة الثانية التي تفوز فيها وداد بهذه الجائزة.

البحرين
معرض وثائقي

أقيم في المنامة ـ مؤخرًا ـ معرض وثائقي بمناسبة صدور كتاب «**شيخ الأدباء في البحرين إبراهيم بن محمد آل خليفة**».

تضمن المعرض مراسلات أدبية وعائلية واجتماعية بين الشيخ إبراهيم وكبراء عصره ونبغائه ومن بينهم الأديب اللبناني **أمين الريحاني**، والمؤرخ الكويتي **عبد العزيز الرشيد**، والشيخ **حافظ وهبة**، وغيرهم. إضافة إلى مجموعة من الصور القديمة والملابس التي كان يرتديها وبعض قطع أثاث مجلة المحرقي، وإصدارات مكتبته، ومجموعة من المجلات التي كانت متداولة أيامه ومن بينها «**المنار**» و«**الفتح**» و«**مجلة الكويت**» التي أصدرها **عبد العزيز الرشيد**، وتعد أول مجلة خليجية صدورًا.

سلطنة عمان
معرض للكتاب

شاركت ثلاثمائة دار نشر عربية وعالمية تنتمي إلى نحو عشرين دولة في **معرض مسقط الدولي**

محاضرات ونـدوات

● «**أدب الاختلاف في الإسلام**» عنوان محاضرة ألقاها في المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة الشيخ **جاد الحق علي جاد الحق**.

● «**الشيخ عبد الله القرعاوي: العالم الداعية في جنوب البلاد**» موضوع محاضرة ألقاها في نادي الطائف الأدبي د. **محمد بن سعد الشويعر**.

● «**من خزائن كتب التراث الإسلامي: قضية التعليق على المخطوطات بين الواقع والمنهج الأمثل**» عنوان محاضرة ألقاها د. **عبد الله عبد الرحيم عسيلان**.

● «**الإعلام والتربية**» عنوان محاضرة ألقاها د. **حمود البدر**.

ألقيت المحاضرتان السابقتان في نادي مكة الثقافي الأدبي.

● «**أبعاد التطوير التنظيمي في الأجهزة الأمنية في ضوء المتغيرات المعاصرة**» عنوان محاضرة ألقاها في المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب في الرياض د. **إبراهيم العواجي**.

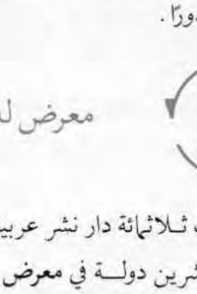
● «**إلتهابات الأذن الخارجية المستعصية: أسبابها وطرق علاجها**» موضوع محاضرة ألقاها في المستشفى السعودي الألماني في جدة د. **محمد شفيق خليفة**.

● «**فأذنوا بحرب من الله ورسوله**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد صلاح الدين في الثقبة الشيخ **عطية محمد سالم القاضي**.

● «**جزر الخليج العربي: أسباب النزاع ومتطلبات الحل**» عنوان ندوة نظمها مركز الدراسات العربي ـ الأوربي في باريس، شارك فيها عدد من المتخصصين في التاريخ والقانون بينهم د. **مفيد شهاب**، **وصالح الطيار**.



د. حمود البدر



د. إبراهيم العواجي

● «**معالجة الأسنان وجراحة الفم**» موضوع محاضرة ألقاها في المستشفى العسكري في أكرا د. **جهاد جوزيف عقل**.

● «**العزف على أنغام التراث**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الثقافي د. **عوض بن حمد القوزي**، وأدار الحوار د. **سعد بن حسين بن عثمان**.

الثاني للكتاب الـذي افتتح في مطلع شهـر جمادى الأولى المنصرم ١٤١٤ هـ.

ضم المعرض كتبًا تناولت جميع مجالات المعرفة بـاللغة العـربيـة واللغات الأجنبيـة، وأقيمت على هامشـه عدة محاضرات حول دور الثقافـة في إعادة بنـاء جسـور العـلاقـة بين شعـوب الجزيـرة، والنشـاطات الأدبيـة للشبـاب العماني، إضافـة إلى أمسيـات شعـريـة، شـارك فيهـا شعـراء عمانيـون وعرب، وندوة عن إنتاج الشباب الفكري.

كما تم تكريم علميـن من رموز الفكر والأدب في السلطنـة همـا الشـاعر والفقيـه **سعيد خلفـان الخليجي**، والشيخ **إبراهيم بن سعيد العبري**.

قطـر — معرض الكتاب الجامعي

يقيم مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية معرضه السنوي الخامس للكتاب الجامعي في الدول الأعضاء في رحاب جامعة قطر خلال الفترة من ٢٠ إلى ٢٤ رجب ١٤١٤ هـ (٢ ـ ٦ يناير ١٩٩٤م).

يشـارك في المعـرض عمادات شـؤون المكتبـات وإدارات النشر العلمي بجامعـات الدول الأعضاء وعدد كبير من دور النشر الخليجية.

مصـر — الإسلام وأصـول الحكم بين طـــه حسين وعلي عبـــد الـــرازق

يدور حاليًا في القاهـرة جدل حول بيان خطي أصـدره الشيخ **أحمد حسـن مسلـم** عضو مجمع البحوث الإسلامية ولجنة الفتوى في الأزهر أكد فيه أن د. **طه حسين** هو مؤلف كتاب « **الإسلام وأصول الحكم** » وليس الشيخ **علي عبد الرازق**.

وقال الشيـخ مسلم في بيانـه الذي أسماه « **بيان للناس** » إنـه التقى بعـد صـلاة مغـرب ذات يـوم بالشيخ **علي عبد الـرازق** فوجد الخشـوع على وجهه فسأله كيف هـذا الخشوع وتأليفك كتـاب الإسلام وأصول الحكم؟ فـرد عليه علي عبد الرازق أنـه لـم يـؤلف الكتاب وإنمـا الـذي قام بتأليفـه د. **طه حسين**.

البيان أودع في **مجمع البحوث الإسلامية**، وما يـزال الجدل دائرًا حـول استفهـامين! لماذا وافق الشيخ علي عبـد الرازق على نسبـة كتـاب ليس من تأليفه إليـه مع ما أثـار حولـه من ضجة؟ ولماذا لم يعلن الشيـخ المسلم تفـاصيل هـذه الحـادثـة في حينها؟

مركز للدراسات الإسلامية والتوثيق



د. عبدالحليم عويس

تعتـزم مجمـوعـة من المفكـريـن الإسـلاميين المصريين تـأسيـس **مركز للـدراسـات الإسـلامية والتوثيق**.

تضم المجمـوعـة مفكـرين من تخصصـات مختلفة من بينهم وزيـر الاقتصـاد المصري الأسبق

● «**خطورة المعـاصي على الفرد والمجتمع**» عنوان محاضرة ألقـاها في مسجد الأميرة شيخة في مكة المكرمة الشيخ **حامد بن محمد المصلح**.

● «**الإدارة في عصر المعلـومات والتطـورات التكنـولوجيـة**» عنوان محاضرة ألقاها في مركز جدة للتدريب التابع للغرفة التجارية الصناعية في جـدة د. **علي السلمي**.



الشيخ محمد قطب



د. رشدي فكـار

● «**فضل العلم وآداب طـالبه**» عنـوان محاضرة ألقاهـا في مسجـد القطري في مكة المكرمة الشيخ **فهد بن عبد الله العريني**.

● «**الجديد في تنظير الرحم بالفيديو والليزر**» موضوع محاضرة ألقاها في المعرض السنوي للرعاية الصحية في مركز المعارف بجدة د. **وليد خالد إدريس**.

● «**أدب الطفل : حاضره ومستقبلـه**» موضوع ندوة أقيمت في قصر ثقافة مدينة الزقازيق بمصر، تحدث فيها د. **أحمد زلط**.

● «**معركة العبور**» مـوضوع نـدوة نظمهـا قصر ثقـافة القبـاري في الإسكندرية أدارها العميد **أحمد النجدي**.

● «**تقديـر الإسلام للمسنين**» مـوضـوع محاضرة ألقاهـا في نـادي الحسينية بمدينة دمياط المصرية الشيخ **أحمد مرسي**.

● «**عالميـة الحضارة الإسلامية كما تعكسهـا الآثار**» عنوان محاضرة ألقاها في كلية التربية بجامعة قناة السويس في مدينة بورسعيد د. **رفعت السعيد**.

● «**الإسكندرية منـارة للحضارة**» عنـوان ندوة نظمتهـا السفـارة المصرية في الرياض تحدث فيها د. **محمود السعدني**.

● «**لمـاذا ندعـو إلى أدب إسلامي ؟**» عنوان محاضرة ألقاها في كلية التربية فرع جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة بدعوة من نادي المدينة الأدبي الشيخ **محمد قطب**.

● «**علاقة الأدب العربي بـالأدب الغربي : انفتاح أم تبعية ؟**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي د. **مصطفى بكري السيد**.

● «**مستقبل الحضارة الغربية المعاصرة وقيمها من المنظور الحضاري الإسلامي**» موضوع محاضرة ألقاها في جامعة قطر د. **رشدي فكّـار**.

الحركة الثقافية

د. حسن عباس زكي، والكاتب والمفكر الإسلامي د. عبد الحليم عويس.

يهدف المركز إلى توفير التدفق المعلوماتي الصحيح للباحثين بعيدًا عن المعلومات الغربية المضللة في مجالات الدراسات الإسلامية وشؤون العالم الإسلامي المختلفة: ثقافيًا وجغرافيًا وحضاريًا واقتصاديًا واجتماعيًا وتاريخيًا. وغير ذلك.

كشف جديد: الفراعنة عرفوا القواعد الخرسانية

اكتشفت بعثة آثارية بريطانية في منطقة تل العمارنة بصعيد مصر **قواعد خرسانية لقصور بناها الملك إخناتون قبل ما يزيد عن ٣٣٠٠ عام في** عاصمته «أخيت آتون».

تكمن أهمية هذا الكشف في أنه **ينفي ريادة الرومان لاختراع تركيبة الخرسانة التي ما تزال تستخدم إلى اليوم، ويوضح أن المصريين القدماء قد سبقوهم إلى هذا الكشف**، إلا أن ثورة كهنة «آمون» على إخناتون وخلع الأخير تسبب في خراب المدينة التي صارت مهجورة بعدما خلعت حجارتها لاستعمالها في أعمال بنائية أخرى. ومع اضطهاد ومطاردة مهندسي إخناتون نسي الجميع الاختراع حتى أعاد الرومان اكتشافه.

من ناحية أخرى اكتشفت بعثة آثارية مصرية في قرية شبلنجة بمحافظة الدقهلية مبانٍ قديمة لمصانع عملات وأوانٍ فخارية من العصر اليوناني - الروماني، وبقايا أفران لحرق الفخار وصهر العملات وتشكيلها وصقل الأواني الفخارية من العصر القبطي.

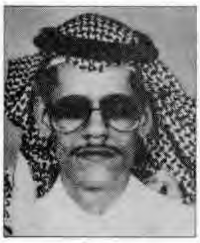
ورشة فنية لأدب الطفل

افتتحت حرم الرئيس المصري حسني مبارك - مؤخرًا - في إطار احتفالات أعياد الطفولة **ورشة عمل فنية ودورة تدريبية** نظمتها هيئة اليونيسيف بالتعاون مع جمعية الرعاية المتكاملة تحت إشراف **آن بلوفسكي** خبيرة أدب الأطفال الأمريكية.

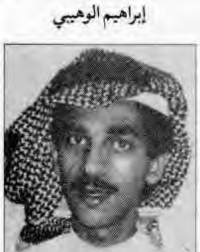
وتعتزم **آن بلوفسكي** تقديم ثلاث حلقات دراسية بمركز توثيق ثقافة الطفل.

تتناول الحلقات النشاطات المتعلقة بالطفل مثل النشاطات الأدبية التحريرية والشفهية، وتلك ذات الصلة بالطفل المعاق، ومواد القراءة الخاصة، والتدريب على استخدام المراجع والقوائم الخاصة، وتنمية حب القراءة، واستعراض الاتجاهات الحديثة في تدريس أدب الأطفال، وموضوعات أخرى.

معرض كاريكاتير لِفَنَانَيْن سعوديين



إبراهيم الوهيبي



عبد السلام الهليل

برعاية وزير الثقافة المصري السيد **فاروق حسني** افتتح في الثاني عشر من شهر جمادى الأولى المنصرم ١٤١٤ هـ في دار الأوبرا المصرية **معرض رسوم الكاريكاتير للفنانين السعوديين إبراهيم الوهيبي وعبد السلام الهليل**.

ضم المعرض الذي استمر أسبوعًا بعض أعمال **الوهيبي والهليل** الكاريكاتيرية التي تتناول موضوعات سياسية واقتصادية واجتماعية، وتميزت لوحات الوهيبي بألوانها، فيما فضّل الهليل اللون الأبيض والأسود للوحاته.

رحيل د. محمد الفندي

فقدت مصر علمًا من رواد الفكر الإنساني والفلسفي بوفاة الدكتور محمد ثابت الفندي عن عمر يناهز ٨٥ عامًا.

وُلد د. الفندي في محافظة أسيوط عام ١٩٠٨م، وتحصل على درجتي الليسانس والماجستير في الفلسفة من جامعة القاهرة (**فؤاد** الأول آنذاك) ودرجة الدكتوراه من السوربون، وتقلب بعد عودته إلى مصر في مناصب التدريس المختلفة حتى صار عام ١٩٦١م عميدًا لكلية الآداب، وتولى عام ١٩٦٦م عمادة كلية الآداب في بيروت.

كما كان ممثلاً لمصر في اليونسكو عام ١٩٤٧م، ثم ممثلاً لليونسكو في الأمم المتحدة في العام نفسه، وعضوًا في اللجنة التحضيرية للميثاق الوطني، والمجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية.

وقد استطاع **د. الفندي بعد عودته من بيروت** عام ١٩٨٤م وعمله أستاذًا غير متفرغ بجامعة الإسكندرية تأسيس أول برنامج علمي لتعليم المنطق الرياضي وفلسفة العلوم.

وله مؤلفات عدة منها: «**مع الفيلسوف**»، «**أصول المنطق الرياضي**»، و«**فلسفة الرياضة**».

جائزة د. زكي نجيب محمود للفلسفة

قرر المجلس الأعلى للثقافة إنشاء **جائزة باسم المفكر الراحل زكي نجيب محمود تمنح سنويًا لأحد المتفوقين من دارسي الفلسفة**؛ وكلف لجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس بوضع تصور شامل للجائزة.

كما قرر المجلس إصدار **كتاب تذكاري** يتضمن دراسات عن أفكار الفيلسوف الراحل ومعتقداته وآرائه وأساليب طرحها للمتلقي، فضلاً عن دراسات لسيرته.

كما يعتزم المجلس بالتعاون مع الهيئة المصرية العامة للكتاب **إعادة نشر مؤلفات د. زكي نجيب محمود كاملة في طبعات شعبية**.

ندوة عن الرفاعي

أقامت رابطة الأدب الحديث في القاهرة ندوة خاصة لتأبين الأديب السعودي الراحل **عبد العزيز الرفاعي**.

ودارت مناقشات الندوة حول الرفاعي: شاعرًا وناقدًا ومؤلفًا وكاتب مقالة.

متحف للخزف الإسلامي

يجري حاليًا نقل مقتنيات متحف محمد محمود خليل من قصر عمرو إبراهيم بالزمالك إلى منزل

وفـــاة علي شلش



تــوفي في الثــامن من شهــر جمادى الأولى المنصرم ١٤١٤ هــ الكــاتب والنـاقـد د. **علي شلش** إثر نوبة قلبية مفاجئة عن عمر يناهز ٥٨ عامًا.

وُلـد د. علي شلش في ١٢ مايو ١٩٣٥م، وتلقى تعليمه في **جامعة القاهرة** التي حصل منها على درجة الدكتـوراه في الصحافـة والإعـلام، وعمـل سكرتيرًا لتحريـر مجلـة **«الطلبـة العـرب»** بين عـامـي ١٩٦١م و ١٩٦٣م، ثم محررًا ثقافيًا في مجلـة «بنـاء الوطـن» بين عـامـي ١٩٦٣ و ١٩٦٧م، انتقل بعدها محررًا ثقافيًا في مجلـة **«الإذاعـة والتليفزيون»** بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٨٨م.

كما عمل محاضرًا في معهـد الدراسـات الأفريقيـة بالقـاهرة ومعهـد الفنون المسرحية وبعض جامعات أوربـا وأمريكا.

وهو من الأعضاء المؤسسين لاتحاد الكتاب، كما كان عضوًا في نقابة الصحـافيين ولجنة التبـادل الثقافي في المجلس الأعلى للثقافـة ١٩٧٧ - ١٩٧٩م، وحصل على جـــائزة التأليـف الـروائي مـن المجلس الأعلى للآداب والفنـون والعلوم الاجتماعية عام ١٩٦٠م والـزمالة الفخـرية في الأدب من جامعة أيوا الأمريكية عـام ١٩٧٦م.

وعُرف الفقيـد بمشاركـاته النشطـة في الحياة الثقـافية والنقـدية عبر مقـالاتـه ودراسـاتـه الأدبية والنقـديـة وحضـوره العـديـد من المؤتمرات والندوات والمحاضرات، وكانت آخر مشاركة لـه قبيل وفاته بيوم واحد في مهرجان الشعر العـربي الذي استضافته القاهرة - مـؤخرًا - بمداخلـة نقدية عنوانها **«صدى الشعر العربي في إنجلترا»**.

وللفقيد مؤلفـات وإسهامـات كتابية كثيرة في مجالات القصة والرواية والنقـد والمسرح وأدب الرحـلات والتراجم والتحقيـق والتاريخ منهـا: **«ثمن الحرية»**، **«عزف منفرد»**، **«عزيزتي الحقيقـة»**، **«سبعة أدباء من أفريقيا»**، **«في عالم القصة»**، **«ديوان فخري أبو السعود»**، **«نجيب محفوظ: الطـريق والصـدى»**، **«بعد السقوط»** **«حديقة الحيوان»**، **«الأعمال المجهولـة لمصطفى المنفلـوطي»**، **«أمـريكا الحلم والـواقع»**، **«الأفغاني ومحمد عبده»**.

ويعد علي شلش - يرحمه الله - من كتّاب «الفيصل»، وقد زودها قبل وفاته بفترة وجيزة بمجموعة جديدة من المقالات والدراسات التي ستنشر تباعا إن شاء الله.

(راجع ما كتبه د. علي شلش في العـدد ٢٠١ بعنوان: «تجربتي مع النقد»).

خليل بكورنيش النيل في الجيـزة بعد أن تقرر **تحويل القصر إلى متحف متخصص في الخزف الإسـلامي** هو الأول من نوعه في العالم.

ينتظـر أن يتم افتتاح المتحـف الجديد خـلال شهرين.

الترينالي الدولي الأول للجرافيك

تقـام في الثـاني عشر من شهــر رجب المقبل ١٤١٤ هــ (٢٥ ديسمبــر ١٩٩٣م) **أول دورة لترينالي مصر الدولي لفن الجرافيك**.

يشـارك في الترينـالي نحـو **٣٥٠ فنانًا وفنـانة** ينتمون إلى **٢١ دولـة** ويقدمون مـا يزيد عن **٨٠٠ عمل فني** موزعة على تسع **قاعات للفنون**.

ومن المقـرر أن يستمر الترينـالي ثلاثـة أشهر، ويتم خلال هذه الدورة تكريم سبعة فنانين أجانب كضيوف شرف بإقامة معارض خاصة لهم وندوة عن كل منهم، والمكــرمـون هم: **محمـد عمـر خليل** (السودان)، **ضياء العزاوي** (العراق)، **خوان ميرو، وأنطونيو مايتس** (إسبانيا)، **آلان جرين** (إنجلترا)، **فيـلا ديميره مـاكـونس** (سلوفـانيا) **وروشينبـرج** (الولايـات المتحدة الأمريكيـة). إضافـة إلى خمسة فنـانين مصريين هــم: **الحسين فـوزي، عبـد الله جوهر، سعد كامـل، حسين الجبالي، أحمد ماهر رائف**، والراحلــون: **إدريس فــرج الله، نجمـة سعد، وكمال أمين**.

مجلة جديدة للشعر

يعتزم الشـاعر **أحمد طــه** إصدار مجلة شعـرية جديدة تنشر نتاج جميع التيارات والاتجاهات تحت مسمى **«المجلة الحرة»**.

«المجلـة الحرة» لم يعلن بعــد عن مــوعــد صدورها. وسياستها - كما يقــول صاحبها - قائمة على رفض فكرة **«الجيتـو»** في الشعر، واحتـواء كل الأصوات الشعرية.

كتب جديدة

● **البحث عـن المنهج في النقــد العـــربي الحديث**، تأليف د. **سيد البحراوي**، صدر عن دار شرقيات في القاهرة.

● **الموقف الحضاري**، تـأليف حسين أحـمـد أمين، صدر عن دار سينا في القاهرة.

● **تـاريخ الـدولـة العثمانيـة**، لمجموعـة من المؤرخين الفـرنسيين بإشراف **روبير مـانتران**، صدر عن دار الفكر في القاهرة.

● **الماسونية في مصر**، تأليف د. **علي شلش**، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● **علم الجمال لـدى مـدرسة فـرانكفـورت، ادورنوا نمـوذجًا**، تأليـف د. **رمضان بسطاويسي محمـد**، صدر ضمن سلسلة «نصوص ٩٠».

● **أبناء رفـاعة**، تأليف **بهاء طاهر**، صدر ضمن سلسلة «كتاب الهلال».

● **العنف والسخرية**، رواية **لألبير قصيري**، ترجمة **محمود قاسم**، صدرت ضمن سلسلة «روايات الهلال»، صدر الكتابان السابقان عن مؤسسة دار الهلال بالقاهرة.

● **مـوسـوعـة أعــلام علم النفس**، إعـداد د. **عبد المنعم الحفني**، صدرت عن مكتبة مدبولي.

● **«عهدي»** مـذكـرات **عبـاس حلمي الثـاني**

الحركة الثقافية

خديوي مصر الأخير، ترجمها من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية د. **جلال يحيى**، وصدرت عن دار الشروق.

السودان

متحف سنار ومجمع صلاح إبراهيم

قررت وزارة الثقافة والإعلام بالولاية الوسطى إنشاء «**متحف سنار الإسلامي**» بمناسبة الاحتفال بمرور خمسمائة عام على حضارة مملكة سنار الإسلامية.



صلاح أحمد إبراهيم

ينتظر أن يضم المتحف آثار مملكة سنار والفنون الشعبية والأعمال التراثية لأهالي المنطقة.

من ناحية أخرى قررت لجنة قومية تضم كبار أدباء السودان وفنانيها، تشكلت للتذكير باسم الشاعر الراحل **صلاح أحمد إبراهيم**، إنشاء **مجمع ثقافي** يحمل اسم الفقيد في أم درمان.

ووافق الرئيس السوداني على تخصيص قطعة أرض مساحتها نحو ألفي متر مربع ليقام عليها المجمع، وأصدر توجيهاته بإعفاء جميع ما يلزم لإقامة المجمع من الضرائب والجمارك، وجمع أشعار الفقيد وكتاباته وطبعها.

لبنان

كتب جديدة

● **ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م**، تأليف د. **مجدي حماد**.

● **المحنة العربية: الدولة ضد الأمة**، تأليف د. **برهان غليونة**.

● **تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٣م**، تأليف مجموعة من خبراء الاقتصاد والتنمية.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت.

● **تسخين الكوكب وارتفاع حرارة الأرض**، تأليف **جيرالد فولي**، تعريب **عبد الله الخطيب**، صدر عن منشورات دار الحمراء في بيروت.

● **فكّر واغتن**، تأليف **نابليون هِلْ** ترجمة سمير شيخاني.

● **أروع ما قيل في الهجاء**، إعداد **أميل ناصيف**.

صدر الكتابان السابقان عن منشورات دار الجيل في بيروت.

● **الحروب السرية للاستخبارات الإسرائيلية ١٩٣٦ ـ ١٩٩٢م**، تأليف إيان بلاك وبني موريس، ترجمة المقدم ركن **إلياس فرحات**، صدر عن دار الحرف اللبناني في بيروت.

● **لبنان: عربي الوجه عربي اللسان**، تأليف **عبد الله لحود**، صدر عن منشورات دار العلم للملايين في بيروت.

● **آداب السلوك والأخلاق اليابانية في ميدان التجارة وإدارة الأعمال**، تأليف **بوي دي مانتي**، ترجمه د. **أسعد رزوق**، صدر عن منشورات دار الحمراء.

● **فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي: دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر**، تأليف د. **سليمان الخطيب**، صدر عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر في بيروت.

● **الجيوبوليتيكا والجيوستراتيجيا**، تأليف الأميرال بحري **بيار سيليريه**، ترجمه إلى اللغة العربية د. **عاطف علبي**، وصدر عن مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق.

● **فن الشعر بين التراث والحداثة**، تأليف **عبد العزيز النعماني**، صدر عن الدار المصرية اللبنانية في بيروت.

● **الحداثة والتراث**، تأليف **عبد المجيد بوقربة**، صدر عن دار الطليعة في بيروت.

الأردن

مكنز للمصطلحات المعرفية المحوسبة

وقعت ـ مؤخرًا ـ في عمّان اتفاقية لإعداد مكنز **باللغة العربية للمصطلحات المعرفية المختلفة المحوسبة للغات: العربية والفرنسية والإنجليزية**.

وقع الاتفاقية ممثلون لكل منْ: مؤسسة عبد الحميد شومان بعمان، ومركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، وبلدية دبي.

تكمن أهمية المكنز في كونه يغطي مجالات المعرفة المختلفة ويقدم المصطلحات مع مترادفاتها ويوضح العلاقة بين الكلمات المفتاحية المختلفة.

رسائل جامعية

● «**خدمات الدفاع المدني في مدينة مكة المكرمة**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في قسم الجغرافيا بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، تقدم بها **زهير محمد جميل كتبي**.

● «**الممارسات الإيمانية ودورها في بناء الشخصية المسلمة في المجتمعات المعاصرة**» عنوان رسالة دكتوراه في التربية نوقشت في جامعة الخرطوم، تقدم بها **عبد المعين عبد الغني اللقماني**.

● «**أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدعوة والإعلام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **حمد بن ناصر العمار**.

● «**أحكام الربح في الفقه الإسلامي وتطبيقه في المعاملات الحديثة**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **موسى بن مهدي بن عبد الله مسلمي**.

● «**رؤية تشكيلية لثلاثية نجيب محفوظ من خلال فن الحفر**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الفنون الجميلة بجامعة حلوان، تقدم بها

ثلاث مجلات وصحيفتان

انضمت إلى ركب الصحافة الأردنية - مؤخرًا - **ثلاث مجلات وصحيفتان يوميتان** .

تصدر المجلات الثلاث عن وزارة الثقافة الأردنيـة ، وتحمل أولاهـا اسم **«أفكار»** وتعنى بالأدب ، وهي شهرية يرأس تحريرها الأديب **مؤنس الرزاز**، والمجلة الثانية فصلية تهتم بالإبداع وأدب الشباب وتحمل مسمى **«صوت الجيل»** ، أما الثالثة فهي **«الفنون»** وتهتم بالإبداع الفني .

وصارت صحيفة **«الأسواق»** الأسبوعية صحيفة يومية سياسية ، يرأس تحريرها **مصطفى أبو لبدة** .

أما صحيفة **«آخر خبر»** فكانت كسابقتها أسبوعية بترخيص أجنبي وتحولت إلى صحيفة يومية بحجم «تابلويد» - أي الصحافة الشعبية - بدعم من مجموعة بنوك محلية ، **ويرأس تحريرها باسم سكجها**.

من الكتب الجديدة

● **القصة القصيرة في الأردن**، تأليف د. **عبد الرحمن ياغي**، صدر عن لجنة تاريخ الأردن في عمان

سورية

اكتشاف مدينة بابلية أثرية

اكتشفت بعثة آثارية ألمانية في موقع تل العبد على بحيرة الأسد مدينة توتول الأثرية البابلية التي تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد ، والعهد البابلي القديم في بداية الألف الثانية قبل الميلاد .

وعثر في المدينة على سور يحيط بها بسمك ١٢ سنتيمترًا مبني من اللبن والحجارة ، فضلاً عن قصرين .

وكانت بعثة آثارية سورية قد سبق أن اكتشفت في الموقع نفسه مجموعات سكنية ومدافن ومعابد ترجع إلى العهدين البابلي والآشوري .

الجزائر

كتب جديدة



محمد أركون

● **مبادئ السياسة الاقتصادية**، تأليف **ريمون بار، وجاك فونتانيل**، صدر باللغة الفرنسية .

● **صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث**، تأليف د. **عمر بن قينة** .

صدر الكتابان السابقان عن دار المطبوعات الجامعية في الجزائر .

● **الفكر الإسلامي : نقد واجتهاد**، تأليف **محمد أركون**، صدر عن المؤسسة الوطنية للكتاب في الجزائر .

المغرب

ندوة « المدنية في الغرب الإسلامي »

ينظم المعهد الوطني للآثار في الرباط خلال شهر جمادى الآخرة الجاري **ندوة دولية بعنوان «المدنية في الغرب الإسلامي»** .

يدور المحور الرئيسي للندوة حول الكشف الأثري في موقع «بليونيش» والذي يضم قصرًا ترابيًا تحيط به أبراج ودور سكنية ذات طلاء أحمر زاهٍ .

أوزبكستان

مؤتمر دولي عن الإمام البخاري



د. حامد الغابد



الشيخ أبو الحسن الندوي



د. مانع بن حماد الجهني

اختتم في العاشر من شهر جمادى الأولى المنصرم ١٤١٤ هـ **المؤتمر الإسلامي الدولي عن حياة الإمام البخاري وأعماله** .

نظم المؤتمر في سمرقند، مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية في لندن بالتعاون مع حكومة أوزبكستان، وشاركت فيه مجموعة من كبار علماء الإسلام ومفكريه من بينهم الشيخ **جاد الحق علي جاد الحق** شيخ الجامع الأزهر، والدكتور **حامد الغابد** الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي والشيخ **أبو الحسن الندوي** الأمين العام لندوة علماء الهند، والدكتور **مانع بن حماد الجهني** الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي، وآخرون .

سيف الإسلام عامر صقر .

● **«الضحاك بن مزاحم : حياته ومنهجه في التفسير»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة طنطا ، تقدم بها **محمد عبد العزيز بسيوني** .

● **«الاشتقاق عند الزجّاج مع عمل معجم اشتقاقي لغوي من كتبه المتاحة»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في قسم أصول اللغة العربية بجامعة الأزهر تقدم بها **محمد السيد علي بلاسي** .

● **«طريقة الخلاف بين الشافعية والحنفية مع ذكر الأدلة لكل منهما»، تأليف القاضي حسين بن محمد بن أحمد الروذي الشافعي ت ٤٦٣ هـ : دراسة وتحقيق قسم العبادات»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها **محمد يحيى النجمي**.

● **«أبو الحسن الكرخي وآراؤه الأصولية»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **عبد العزيز عبد الرحمن المشعل** .

● **«أدب الوعظ في النثر حتى نهاية القرن الرابع : جمعًا ودراسة»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في الرياض ، تقدم بها **عبد الله بن محمد الحميد** .

الحركة الثقافية

بنجلاديش: تسليمة تقتدي برشدي

طالبت جماعات إسلامية في منطقة سيليت بشمال شرقي بنجلاديش السلطات المختصة بمعاقبة كاتبة تدعى **تسليمة نسرين** لتأليفها رواية أسمتها «**العار**» أساءت من خلالها إلى الدين الإسلامي الحنيف.

ودعت الأوساط الشعبية إلى مقاطعة روايات تلك الكاتبة التي آذت مشاعر المسلمين.

الصين الوطنية: المسلمون يحتجون على كتاب يسيء إليهم

اعتذرت السلطات الصينية لمسلمي مقاطعة كينغهاي لقيام دار نشر بإعادة طبع كتاب كان قد طبع في تايوان ويسيء إلى مشاعر المسلمين، حيث يصورهم وهم يصلون أمام خنزير.

وقررت السلطات فصل مدير دار النشر ونائبه وحظر توزيع الكتاب في البلاد، بعد أن اندلعت مظاهرات واضطرابات خطيرة بالمقاطعة المذكورة.

فرنسا: جائزة فرنسا - لبنان لإيفلين عقاد

فازت الكاتبة اللبنانية **إيفلين عقاد** بجائزة فرنسا - لبنان لعام ١٩٩٣م التي تمنحها «جمعية الكتّاب باللغة الفرنسية»، وذلك عن كتابها «**نساء ورجال والحرب**».

ويذكر أن الجائزة أسست قبل اثني عشر عامًا.

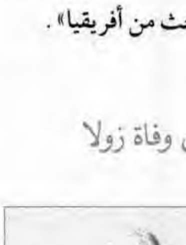
لوبيس يفوز بجائزة الفرانكفونية

فاز الكاتب الكونغولي **هنري لوبيس** بالجائزة الكبرى للفرانكفونية لعام ١٩٩٣م التي تمنحها الأكاديمية الفرنسية لإسهامه في إثراء الأدب الفرنسي.

وُلد **لوبيس** عام ١٩٣٧م في مدينة ليوبولد فيل بالكونغو، ورغم أنه أتم الجزء الأكبر من دراسته في فرنسا إلا أنه لم ينقطع عن جذوره الأفريقية. وقد بدأ حياته المهنية مدرسًا، وتقلد مناصب رئيسة في بلاده حيث عين رئيسًا للوزراء بين عامي ١٩٧٣ - ١٩٧٥م، ويعمل حاليًا مديرًا عامًا مساعدًا لمنظمة اليونسكو للشؤون الثقافية.

من مؤلفاته: «**على الضفة المقابلة**»، و«**المضحك المبكي**»، و«**باحث من أفريقيا**».

الاحتفال بذكرى وفاة زولا

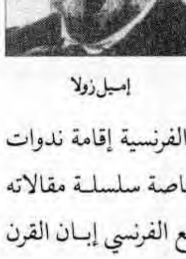


إميل زولا

احتفلت فرنسا - مؤخرًا - بالذكرى التسعين لوفاة كاتبها الكبير **إميل زولا مؤسس الحركة الطبيعية في الأدب.**

وشهدت كبريات المدن الفرنسية إقامة ندوات ثقافية حول أدب زولا، وبخاصة سلسلة مقالاته «إني أتهم» التي هزت المجتمع الفرنسي إبان القرن الميلادي الماضي.

اكتشاف مسرحية مفقودة لجينيه



جان جينيه

اكتشفت - مؤخرًا - مسرحية من فصلين كان الكاتب الفرنسي الراحل **جان جينيه قد كتبها عام ١٩٤٨م ثم فقدت بعد أن** رفض عرضها.

المسرحية بعنوان «**سبلندر**»، وهو اسم أحد الفنادق الفاخرة في الولايات المتحدة، وتدور أحداثها حول ابنة مليونير اختطفت من أجل فدية، لكنها ماتت فجأة قبل حصول المختطفين على المال، مما جعلهم يلجؤون إلى تحويل أحدهم إلى امرأة بعد أن أعطوه نفس ملامح ابنة المليونير.

الفرنسيون أيضا لا يقرؤون

كشف استطلاع للرأي نشر - مؤخرًا - أن **قرابة ١٩٪ من الفرنسيين لم يقرؤوا كتابًا واحدًا خلال فترة الاثني عشر شهرًا الأخيرة.**

وأشار التقرير إلى أن ٢٩٪ من الفرنسيين قرأوا خمسة كتب على الأقل في الفترة نفسها، و ١٠٪ قرأوا أكثر من خمسة وعشرين كتابًا.

كم يا ترى ستبلغ النسبة فيما لو أجري استطلاع مماثل في بلداننا العربية؟!

أحدث الكتب

● **قصائد حب من شعر عمر بن أبي ربيعة**، ترجمها إلى اللغة الفرنسية **أوديت بيتنيه**، **وفاندا فوازان** صدر عن منشورات دار بيبلوسود في باريس.

● **ما بعد الشيوعية: مرحلة مبهمة - الانقطاع والاستمرار في أوربا الشرقية**، تأليف مجموعة من الباحثين بإشراف **جورج منك**، **وجان سوريك**، صدر ضمن منشورات لاديلو فيرت في باريس.

ألمانيا: معرض حدائق الإسلام

اختتم في منتصف شهر جمادى الأولى المنصرم **معرض «حدائق الإسلام»** الذي استضافه **متحف ليندن** في مدينة شتوتجارت.

عُني المعرض بإظهار حيوية الثقافة الإسلامية وأساليب الحياة في مناطق لا يربطها الأوربيون - بصفة عامة - بالإسلام مثل شمال أفريقيا ووسطها، وآسيا الوسطى وجنوب شرقها، أما العنوان فأريد به أن يصف العلاقة المتبادلة بين جميع البلدان الإسلامية في العالم التي تستقي جميعًا ثقافاتها من ينبوع الإسلام الفياض.

ضم المعرض مقتنيات جمعت من متاحف أوربية مختلفة تعبر عن الحياة في العالم الإسلامي، والشعائر الدينية والأزياء والثقافة وما إلى ذلك.

معرض فرانكفورت الدولي للكتاب
تصاعد المشاركة العالمية وتراجع عربي

فرانكفورت :

حملت **الدورة الخامسة والأربعون لعرض فرانكفورت الدولي للكتاب** ـ الذي يعد أكبر تظاهرة عالمية للكتب ـ أكثر من مفاجأة، ففي الوقت الذي سجلت فيه المشاركات الدولية رقمًا قياسيًا جديدًا بلغ نحو **٨٥٠٠ دار نشر ومؤسسة ثقافية وإعلامية** تنتمي إلى قرابة **٩٦ دولة**، حدث تراجع في أعداد الدول العربية المشاركة، فلم تشارك سوى **المملكة العربية السعودية ومصر والكويت والسودان واليمن ولبنان والأردن وتونس والمغرب**.

وترجع أسباب هذا التراجع ـ فيما يبدو ـ إلى عدم قدرة دور النشر الصغيرة على تحمل تكاليف المشاركة.

ورغم أن المعرض ضم ما يزيد على **٣٥٥ ألف عنوان** ثلثها ـ تقريبا ـ من أحدث الكتب، إلا أن ظاهرة **الكتاب الإلكتروني** اجتاحت أبرز قاعاته، وهي القاعة رقم واحد التي حوت آلافًا من أجهزة الفيديو والسلايدات والميكروفيلم والأقراص الإلكترونية وغيرها، قدمتها **مائتا دار من ١٤ بلدًا**، مما عكس اتجاه الريح نحو تفوق الكتاب الإلكتروني على الكتاب التقليدي وبدء حرب عنيفة بين الغريمين للاستحواذ على القارئ.

ولأن الموضوع الخاص في المعرض هذا العام كان عن **«هولندا وقبائل الفلاندز»** فقد حظيت هولندا ببرنامج ثقافي شامل ضم أفلامًا وموسيقى ومسرحيات ومعارض فنية وقراءات شعرية هولندية.

الطريف أن تقريرًا أصدره المعرض أوضح أن الهولنديين شغوفون بالقراءة لكنهم بخلاء في شراء الكتب، حيث يقرأ الهولندي ـ في المتوسط ـ اثني عشر كتابًا سنويًا، لكنه لا يشتري سوى كتابين!

وأشار التقرير إلى أن قرابة أربعين في المائة من الشباب الهولندي الذين تعدوا سن الثامنة عشرة لم يشتروا كتابًا واحدًا، وأن من بين كل أربعة هولنديين يوجد واحد لم يقرأ في حياته.

وقد كرّم المعرض الأديب الألماني **فريدريش شورليمر** بمنحه جائزة السلام للناشرين الألمان التي تبلغ قيمتها ٢٥ ألف مارك.

وشورليمر أديب ورجل دين من أبرز مؤلفاته: **«أحلام وكوابيس»**، **«ألمانيا الديمقراطية: عالم الأمس»** و**«حتى تسقط الجدران»**.

وفاة ريختر

توفي ـ مؤخرًا ـ في مدينة ميونيخ الأديب الألماني الشهير **هانز فرنر ريختر** عن عمر يناهز ٨٤ عامًا.

وريختر روائي وناقد إلى جانب كونه مؤسس ما سمي بـ **«مجموعة الـ ٤٧»** التي ضمت أشهر أدباء ألمانيا ومفكريها.

إيطاليا: جائزة لأديب فرنسي

فاز الشاعر والروائي الفرنسي روبير سماليه بجائزة «سينوردي لاسدوكا» الأدبية الإيطالية.

وسماليه روائي وشاعر يعمل حاليًا مديرًا لأكاديمية باريس، وآخر أعماله المنشورة رواية **«الشواطئ غير المؤكدة»**.

المجر: موسوعة بريطانية ـ مجرية

أعدت مجموعة من المتخصصين أحدث **موسوعة بريطانية ـ مجرية في ١٨ جزءًا**، ينتظر صدورها قريبًا في بودابست.

ضمت الموسوعة ما يقارب تسعين ألف موضوع، إلى جانب ١٨ ألف لوحة وبعض الصور الفوتوغرافية لمشاهير الشخصيات العالمية فضلاً عن الخرائط.

النرويج: مؤتمر للرحّالين

شارك أكثر من **٢٥٠ رحالة** من مختلف أنحاء العالم في مؤتمر علمي أقيم في العاصمة النرويجية ـ مؤخرًا ـ بمناسبة مرور قرن على أولى رحلات المكتشف النرويجي **فريد جون نانس** إلى القطب الشمالي.

نظمت المؤتمر **جامعة برجن** وناقش أهم نتائج **الرحلات البحرية للرحّالين**.

روسيا: اسم جديد لـ «البرافدا»

تعتزم السلطات الروسية إعادة إصدار صحيفة «البرافدا» تحت اسم جديد هو **«بتبرافدي»** أي طريق الحق.

وكانت الصحيفة قد أوقفت إبان أزمة البرلمان الشهيرة بين يلتسين وخصومه، وسيتولى رئاسة تحريرها بالوكالة **إلكسندر إبلن** نائب رئيس تحرير الصحيفة الموقوفة.

ويذكر أن مؤسس «البرافدا» **هو فلاديمير لينين** أبو الشيوعية.

أستراليا: الجواهري وشدياق يفوزان بجائزة جبران

فاز الشاعران محمد مهدي الجواهري وجورج شدياق بجائزة جبران خليل جبران العالمية لعام ١٩٩٣م التي تمنحها رابطة إحياء التراث العربي في أستراليا.



محمد مهدي الجواهري

ومن المقرر أن يتسلم الشاعران جائزتيهما في حفل كبير يقام في مدينة سدني بحضور نخبة من المثقفين وممثلين للهيئات الثقافية والدبلوماسية العربية والأجنبية.

الحركة الثقافية

الولايات المتحدة ▼ إعـادة كنـوز أثريـة إلى تركيـا

وافق متحف مترو بوليتان في نيويورك ـ مؤخرًا ـ على إعادة مجموعة من الكنوز الأثرية يرجع تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد إلى تركيا.

تتألف المجموعة من نحو مائتي قطعة من المجوهرات الذهبية والفضية والبرونزية.

وكان المتحف قد اشترى هذه المجموعة عام ١٩٩٠م واتضح أن البائعين من لصوص الآثار.

أحـدث الكتـب

● **خِدَعٌ متعمدة : مواجهة الحقائق عن العلاقة الأمريكية ـ الإسرائيلية**، تأليف **بول فيندلي**، صـدر عن دار نشر لـورانس هيل بـوكس في نيويـورك.

● **الشفاء والعقل**، حوارات مع أطباء وعلماء نفس كتبها **بيل مويارز**، وصدرت طبعتها الثانية عن دار نشر دبيلداي.

● **فتاة معوقة**، تأليف **سوزانـا كايزن**، صدر عن دار نشر راندوم هاوس في نيويـورك.

بريطانيا ▼ جـائزة ابن بـاديس لطـالبي ومكـي

فـاز الباحثان د. **عمار طـالبي ود. حسن مكي بجائزة الإمام عبد الحميد بـن بـاديـس** للثقافة والعلـوم الإسلامية لعام ١٩٩٣م. التي يمنحها المعهـد العـالمي للفكـر الإسـلامي في واشنطن ومركز دراسات المستقبل الإسلامي في لندن.

واختير د **طالبي** (جزائري) تقديرًا لجهوده العلميـة في مجالات الـدراسـات الفلسفيـة الإسلامية المعاصرة، وإسهامه في تـأسيس **جامعة الأمير عبد القادر** للعلوم الإسلامية.

أما د. مكي (سوداني) فاختير تقـديرًا لجهوده العلمية في دراسة أوضاع دول القرن الأفريقي ثقافيًا واجتماعيًا، وبيان موقع الثقافة الإسلامية في صياغة الهوية الحضارية لشعوب المنطقـة.

رابطـة ثقـافيـة للشـرق الأوسـط

قامت مجموعة من المثقفين العرب المقيمين في لندن وضـواحيها بتأسيس «**الرابطة الثقافية للشرق الأوسط**» لتكـون واحـدة من الـواجهات الثقـافيـة العربية في عاصمة الضباب.

يرأس الرابطة **جورج الزعني**، الذي يعد حاليًا برنامجًا لنشاطات ثقافية وفنية تعتزم الرابطة تقديمها في العام الميلادي المقبل.

الميـزان

صدرت في العاصمة البريطانية أحدث **جريدة اقتصادية شهرية** باللغة العربية تحت هذا الاسم.

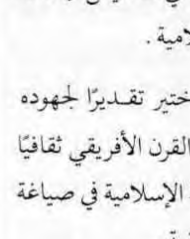
تشرف على إصدار الجريدة مجموعة «اللبنانيون المتحـدون للصحـافة والنشر»، وتصـدر شهـريًا ـ مؤقتًا ـ ويرأس تحريرها **سليمان الفرزلي**.

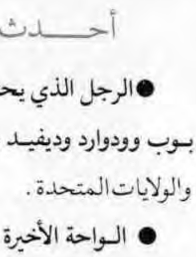
أحـدث الكتـب

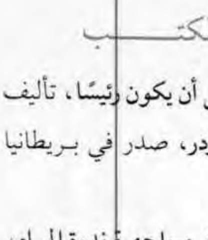
● **الرجل الذي يحتمل أن يكون رئيسًا**، تأليف **بـوب وودوارد وديفيـد بـرودر**، صدر في بـريطانيا والولايات المتحدة.

● **الـواحة الأخيرة : في مـواجهة ندرة المياه**،

السويـد ▼ الفـائزون بجـائزة نـوبل


نلسون مانديلا


دي كليرك


توني موريسون

أعلنت ـ مؤخـرًا ـ أسمـاء **الفائزين بجائزة نوبل** لعام ١٩٩٣م في مجالات الآداب والسلام والطب والفيزياء والكيمياء والاقتصاد.

فازت بجائزة **الآداب** الروائيـة الأمريكيـة ذات الأصل الأفريقي **توني موريسون**، وهي أول سيدة أمريكية ملونـة تفوز بهذه الجائزة وثامن امرأة على مستوى العالم، وشكّل فوزها علامة استفهام كبرى ومفاجأة للنقاد، خاصة العرب منهم حيث لا يعرف القارئ العربي شيئًا عنها.

وتوني مـوريسون من مـواليد ولايـة أوهايـو عام ١٩٣١م، وبـدأت عملها الإبداعي بدراسة عن الانتحـار في أدب فولكنر وفرجينيا وولف، وقـدمت عـام ١٩٧٠ روايتهـا الأولى «**العين الأكثر زرقـة**»، وحصلت روايتها «**محبوبة**» التي نشرت عـــام ١٩٨٧م على **جائزة** «**بـوليتزر**» لعام ١٩٨٨م.

ومن مـؤلفـاتها : «**سولا**»، «**أغنية سليمان**»، «**طفل القطران**»، و «**جـاز**» وهي روايات، و «**أميت الحالمة**» وهي مسرحية غير منشورة، و «**اللعب في الظلام : مفاهيم البيض للخيال الأدبي**»، و «**سباق العدالة وقوة الخلق**» وهما بحثان.

وتقاسم جائزة **السلام** كل من : الـزعيـم الجنـوب أفـريقي **نلسون مانديلا** (٧٤ عامًـا) ورئيس جنوب أفـريقيا **فريـدريك دي كليرك** (٥٧ عـامًـا) تقـديرًا لدورهمـا في إنهاء سياسـة الفصل العنصري في جنـوب أفريقيا.

وفاز بجائزة **الطب** ـ مناصفـة ـ عالمان في علم الـوراثة هما البريطاني

تأليف ساندرا بوستيل، صدر عن منشورات إيرثسكان المحدودة في لندن.

● حوارات راشد الغنوشي، تأليف قصي صالح الدرويش، صدر عن دار خليل ميديابرس.

● طرق الرؤية، تأليف جون بيرجر، صدر عن دار بنجوين بالاشتراك مع هيئة الإذاعة البريطانية.

● دليل أكسفورد للفن التشكيلي في القرن العشرين، إعداد هارولد أسبورن.

● دراسات جامعة أكسفورد في تاريخ الفن التشكيلي والمعماري، إعداد مجموعة من الباحثين.

● بلاغة الرموز: دراسات في دلالات الفن الإنساني، تأليف إدغار ويند.

● طرق حفظ القطع الأثرية والأعمال الفنية وصيانتها، تأليف و. وينِّر وبليند برليت.

● دائرة المعارف الدولية لعلم اللغة، أربعة أجزاء، إعداد مجموعة من الباحثين.

● الحيوانات الأفريقية في الأدب والفنّ الحديث، تأليف جوان باركلي لويد.

● مفهوم الانطباعية، تأليف ماريت فيرنسكيولد.

● الفن الإنجليزي بين عامي ١٨٧٠م - ١٩٤٠م، تأليف دينس فار.

● تاريخ الفنِّ المعماري، تأليف سبيرو كوستوف.

● دليل أوكسفورد لفنون الديكور، إعداد هارولد أوسبورن.

● قراءات في لوحات أوجين دولاكروا الزيتية، دراسات تحليلية ناقدة بقلم لي جونسون.

● دليل أوكسفورد لتاريخ المسرح، إعداد فيليبس مارتنول.

● المهرجانات المسرحية في أثينا القديمة، تأليف آرثر بيكارد كمبردج.

● النظرية الأدبية والنقد في العصور الوسطى، تأليف مينيس وسكوت.

● حوار في قطار: قراءات في النقد الأدبي، تأليف فرانك سارجيسون.

● أنظمة الري، تأليف كارملي، وتودس.

● الهندسة الحقلية في التنمية الزراعية، تأليف ن. هودسون.

● علم الصخور النارية، تأليف ألكسندر ماكبيرني.

● لماذا ننام؟ وظائف النوم عند البشر وباقي الثدييات، تأليف جيمس هورن.

● قاموس الطيور في أوربا والشرق الأوسط وأفريقيا الشمالية، تأليف ستانلي كرامب.

● آفاق جديدة في الطبّ، تأليف جوناثان أوستين.

صدرت الكتب السابقة باللغة الإنجليزية عن مطبعة أكسفورد.

البرازيل ▼ مهرجان ثقافي عربي

يقام في مدينة ميناس جيرايس في ١٣ جمادى الآخرة الجاري ١٤١٤هـ (٢٦ نوفمبر ١٩٩٣م) **مهرجان ثقافي عربي يستمر أسبوعًا.**

تنظم المهرجان **الرابطة الثقافية العربية في البرازيل** ضمن جهودها لنشر الثقافة الإسلامية.

وكانت الرابطة قد أقامت خلال الشهرين الماضيين أسبوعين مماثلين في مدينتي **غوارو ليوس وبارتيوس** على التوالي.


ريتشارد روبرتس


روبرت فوجل


دوجلاس نورث

المولد **ريتشارد روبرتس**، والأمريكي المولد **فيليب شارب** تقديرًا لاكتشافهما الجينات المنفصلة.

ويعمل **روبرتس** (٥٠ عامًا) مديرًا للأبحاث في معهد بيولابس بنيو انجلند في بيفرلي بولاية ماساتشوستس الأمريكية، فيما يرأس **شارب** (٤٩ عامًا) قسم الأحياء في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا.

ومنحت جائزة **الفيزياء** مناصفة للباحثين الأمريكيين **جوزيف تايلور ورسل هولس** لاكتشافهما نوعًا جديدًا من النجوم الخانسة فتح الأبواب لإمكانات جديدة لدراسة الجاذبية.

ويعمل **تايلور** أستاذًا بقسم الفيزياء بجامعة برنستون، فيما يعمل **هولس** باحثًا في مختبرات الجامعة، وهما عضوان في الجمعية الأمريكية للفيزياء، والجمعية الأمريكية للفلك.

وحصل على جائزة **الكيمياء** كل من الأمريكي **كاري موليس**، والكندي **مايكل سميث** لأعمالهما في ابتداع طرق بحث في مجال كيمياء الحمض الريبي منقوص الأوكسجين (دنا).

ويعمل **موليس** أستاذًا في جامعة جولا في ولاية كاليفورنيا، **وسميث** أستاذًا في جامعة بريتيش كولومبيا في فانكوفر بكندا.

وتقاسم جائزة الاقتصاد الباحثان الأمريكيان **روبرت فوجل** (٦٧ عامًا) **ودوجلاس نورث** (٧٢ عامًا) لتجديدهما منهجية البحث في التاريخ الاقتصادي بتطبيق النظرية الاقتصادية والنهج الكمي على المتغيرات الاقتصادية والمؤسساتية.

ويعمل **فوجل** مديرًا لمركز اقتصاديات السكان بجامعة شيكاغو، أما **نورث** فهو أستاذ بجامعة واشنطن في سانت لويس.

على موعد

الطَّالبُ الذي هجرَ النَّومَ!

صدر مرسوم جمهوري في سورية يقضي بتعميم تدريس اللغة العربية للطلاب غير المختصّين في الكليّات كلّها، وحُدّد لذلك محاضرتان أسبوعيتان في كلّ عام من أعوام الدراسة الأربعة الأولى، وجُعل ذلك كله بإشراف قسم اللغة العربية بكلية الآداب. وطُبقت الخطة الجديدة، وكانت العقبة الكبرى في كلية الطب البشري، ففيها أفضل الطلاب وأذكاهم وأكثرهم نفوذًا.

واعتذر الأساتذة عن خوض التجربة فيها، وانتهى الأمر بأن رموني بالطلاب أو رموهم بي؛ ودخلت القاعة أول مرة، وكان في نظرات بعضهم بعض الاستخفاف والتحدي، وبادرني أحدهم قبل أن أجلس بقوله: أنا طبيب، وليس للمرفوع والمنصوب والمجرور مكان في ما أكتب، ولا أستعمل الحال والتمييز وما إليها، ولا أبالي بالعدد والمعدود إن تطابقا أو تخالفا، فما حاجتي بمقرر جديد يضيف إلى أعبائي العلمية الثقيلة أعباء أخرى؟ !

فهدهدتُ من ثورته، وقابلت اعتراضه الحانق بابتسامة، ثم قلت له: يا بنيّ، إن نظرة المسؤولين إليك وإلى إخوانك أكرم وأسمى من نظرتكم إلى نفوسكم؛ فهم يأملون أن يكون منكم الباحثون، والمترجمون لما سبق إليه العالم من اختصاصكم، والمؤلفون الذين يضعون الكتب الجامعة للأجيال المقبلة. واللغة كما تعلم أحد جانبي الفكر والمعرفة، فكيف نعبّر عن الفكر بلغة مهترئة؟ وكيف يتهيأ لهذا الفكر أن يعيش وينتشر إذا انهدّ أحد ركنيه؟ وأحب أن تتذكر أن أكبر الأطباء في تاريخنا كابن سينا والرازي وأبناء زهر وغيرهم كانوا علماء وأدباء وشعراء، وأن العصر الحديث قد حفل بأعلام في الأدب شعره ونثره وهم ينتمون إلى مختلف الاختصاصات العلمية كالدكتور أبي شادي والدكتور أحمد زكي، والدكتور شكيب الجابري، والدكتور عبد السلام العجيلي وغيرهم، وأن رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق لسنوات كثيرة الدكتور حسني سبح ـ رحمه الله ـ كان طبيبًا مشهورًا. وكان مع إخوان له من الأطباء هم النخبة الخيّرة التي عرّبت تعليم الطب في جامعة دمشق، وأحيَتْ ووضعت مئات المصطلحات الطبية التي انتشرت في الوطن العربي كله. وإنني سأعرض صورتين اثنتين لأمثالك من الطلاب، فاختر لنفسك الصورة التي تحب أن يراك الناس من خلالها.

الصورة الأولى: سئل الطلاب مرة أن يشرحوا قصيدة البحتري الرائعة في وصف بركة الماء التي بناها المتوكل في قصره، وجاءتنا أعاجيب من الكلام؛ من ذلك قول أحد الطلاب: إن البحتري يريد في قوله:

يا مَنْ رأى البِرْكَةَ الحسناءَ رُؤْيَتُهَا ... والآنسات إذا لاحت مغانيها

يريد أن يثني على ممدوحه بأنه كريم الطبع يوزّع بَرَكَتَه على النساء جميعًا ولكنه يخص الآنسات والحسناوات بمزيد من الجود... فتأمل!

الصورة الثانية: كان طالب يقرأ نصًا أدبيًا فنصب اسمًا من حقه الرفع، فقلت له: لماذا كان منصوبًا؟ وأضفت إلى ذلك القول بأن هذا يصلح شطرًا لبيتٍ من الشعر. وبعد أيام حمل إليّ البريد رسالة وجدت فيها أبياتًا بعنوان: «لماذا كان منصوبًا؟» يقول فيها صاحبها:

هَجَرْتُ النّوم بالأمس ... وكم تهفو له نفسي
لأبحث في مَراجعَ قد ... ذَوَتْ من كثرة اللّمسِ
لعلّي واجدٌ فيها ... لِمَا قد قُلتَ بالأمسِ:
لماذا كانَ منصوبًا ... ولم نرفعه كالرأس
وطال البحثُ والتنقيب ... والإدراكُ بالحدسِ
ولم أعثُرْ على قَبَسٍ ... يُضِيء جوانب النفسِ
إلى أنْ أشفقت رُوحِي ... على المدعُوِّ بالكرسي
فقلت: دَعِ الدراسةَ لا ... تُراوِدْها عن النفسِ
سيبقى النَصْبُ منصوبًا ... بدنيا الجنّ والإنسِ

تمعَّن يا بني في الصورتين ثم انظر أين تحب أن تكون. ولا أخفي سرا إذا قلت: إنّ القصائد قد انهالت عليّ بعد ذلك حتى كدتُ أضيق بكثرتها.

عاصم بهجة البيطار